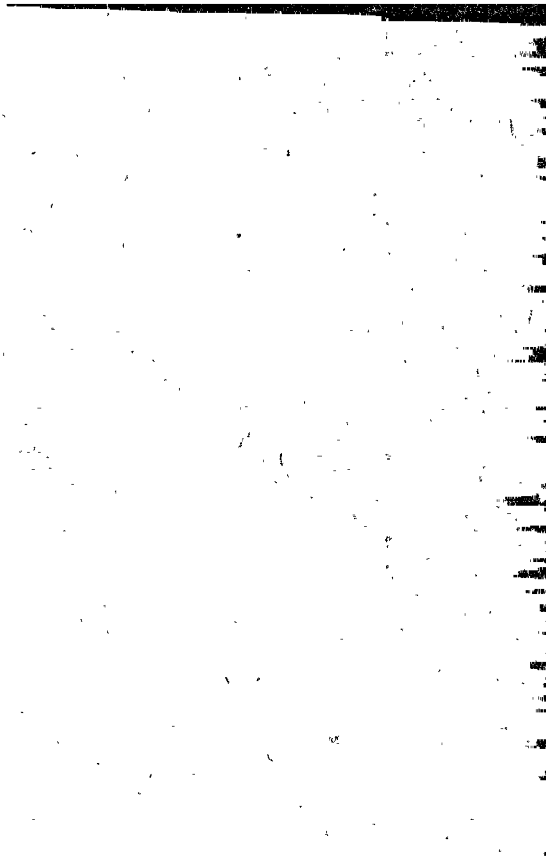
(فهرست الجزء السادس من تاريخ الكامل لابن الاثير)

صحيفة



صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرست الجزء السادس من عجائب الآثار)

صحيفة

صحيفة

١

(ماشاء الله كان)

الجزء السادس من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين رحمه الله

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والاخبار للوذعى العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠١ هجرية

(تمت)

في التصرف في حصصهم فطلبوا منهم حلوانا فلم يرتض وبذلك قواعدهم لتعلم التحرير والاملاء وقالوا كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باسمه يحضره ويطلبه ففعلوا ذلك في عدة أيام (وفيه) قد روا فرضة من المال على القرى

والبلاد ونشروا بذلك أوراقا وذكروا فيها انها تحسب من المال وقيدوا بذلك الصيارف من القبط ونزلوا في البلاد مثل الحكام يحبسون ويضربون ويشددون في الطلب (وفيه) طلب صارى عسكر بونابارته المشايخ فلما استقروا عنده نهض بونابارته من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض أبيض وأحمر وكحلي فوضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوي فرمى به الى الارض واستعفى وتغير مزاجه وانتقع لونه واحتد طبعه فقال الترجمان يامشايخ أنتم صرتم أحبابا لصارى عسكر وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته فان تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلة في قلوبهم فقالوا له لكن قدرنا يضيع عند الله وعند اخواننا من المسلمين فاغتاظ لذلك وتكلم بلسانه وبلغ عنه بعض المترجمين انه قال عن الشيخ الشرقاوي انه لا يصلح للرياسة ونحو ذلك فلاطفه بقية الجماعة واستعفوه من ذلك فقال ان لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار في صدوركم وهي العلامة التي يقال لها الوردة فقالوا أمهلونا حتى نتروى في ذلك واتفقوا على اثني عشر يوما (وفي ذلك) الوقت حضر الشيخ السادات باستدعاء فصادفهم منصرفين فلما استقر به الجلوس بش له وضاحكه صارى عسكر ولاطفه

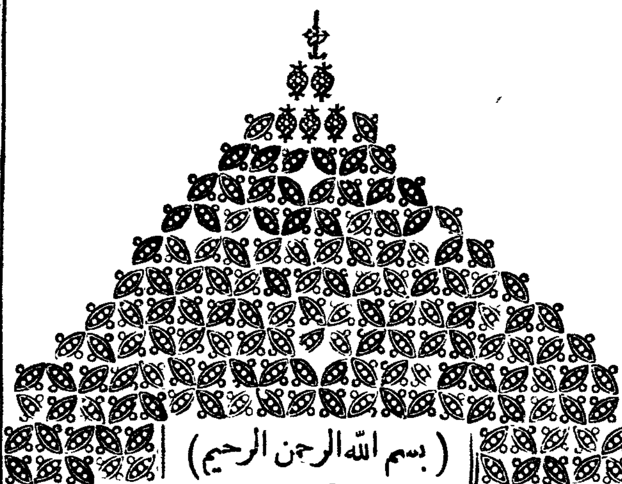
وان كانت نعمك عليهم سابغة أنهم يرجعون الى الحسد لنا فمن ذلك انك غضبت على اسمعيل بن علي منذ أيام فضيقوا عليك حتى رضيت عنه وأنت غضبان على أخيك العباس منذ كذا وكذا فما كلمك فيه أحد منهم فرضي عنه وكان المنصور قد استعمل العباس على الجزيرة بعد يزيد بن أسيد فشكا يزيد منه وقال انه أساء عزلي وشتم عرضي فقال له المنصور اجمع بين احساني واساءته يعتدلا فقال له يزيد بن أسيد اذا كان احسانكم جزاء لاساءتكم كانت طاعتنا تفضلا منا عليكم ولما عزل المنصور أخاه عن الجزيرة استعمل عليها موسى بن كعب

(ذكر عزل محمد بن سليمان عن الكوفة واستعمال عمرو بن زهير)

وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن الكوفة واستعمل عليها عمرو بن زهير الضبي أخا المسيب بن زهير وقيل انما عزل سنة ثلاث وخمسين وكان عزله لاسباب بلغته عنه منها انه قتل عبد الكريم بن أبي العوجاء وكان قد حبسه على الزندقة وهو خال معن بن زائدة الشيباني فكثر شفعاؤه عند المنصور ولم يتكلم فيه الا ظنين منهم فكتب الى محمد بن سليمان بالكف عنه الى أن يأتيه رأيه وكان ابن أبي العوجاء قد أرسل الى محمد بن سليمان يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام ويعطيه مائة ألف فلما ذكر لمحمد امر بقتله فلما أيقن انه مقتول قال والله لقد وضعت أربعة آلاف حديث حللت فيها الحرام وحرمت فيها الحلال والله لقد فطرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطركم فقتل وورد كتاب المنصور الى محمد يأمره بالكف عنه فوصل وقد قتله فلما بلغ قتله المنصور غضب وقال والله لقد هممت ان أقيده به ثم احضر عمه عيسى بن علي وقال له هذا عملك أنت اشرت بتولية هذا الغلام الغر فقتل فلانا بغير أمري وقد كتبت بعزله وتهديده فقال له عيسى ان محمدا انما قتله على الزندقة فان كان اصاب فهو لك وان أخطأ فعليه ولئن عزلته على اثر ذلك ليذهبن بالثناء والذكر ولترجعن بالمقالة من العامة عليك فخرق الكتاب

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انكرت الخوارج الصفرية المجتمعة بمدينة سجلماسة على اميرهم عيسى ابن جرير أشياء فشدوه وثاقا وجعلوه على رأس الجبل فلم يزل كذلك حتى مات وقدموا على انفسهم أبا القاسم سمكو بن واسول المكناسي جد مدرار وفيها ولد أبو سنان الفقيه المالكي بمدينة القيروان من افريقية وفيها عزل الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عن المدينة واستعمل عليها عمه عبد الصمد بن علي وكان على مكة والطائف محمد ابن ابراهيم وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى البصرة الهيثم بن معاوية وعلى مصر محمد ابن سعيد وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى الموصل خالد بن برمك وقيل موسى بن



(ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة)

فيها دخل يزيد بن حاتم أفريقية وقتل اباحاتم وملك القيروان وسائر الغرب وقد تقدم ذكر مسيره وحروبه مستقصى وفيها سير المنصور المهدى لبناء الرافقة فسار اليها فبناها على بناء مدينة بغداد وعمل للكوفة والبصرة سورا وخندقا وجعل ما انفق فيه من الاموال على أهلهما ولما أراد المنصور معرفة عددهم أمر أن يقسم فيهم خمسة دراهم خمسة دراهم فلما علم عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهما لكل واحد فقال الشاعر

يالقوم مالقينا * من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا * وجبانا الاربعينا

وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدى الجزية وفيها غزا الصائفة يزيد ابن أسيد السلمى وعزل عبد الملك بن أيوب بن ظبيان عن البصرة واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكى

(ذكر عزل العباس بن محمد عن الجزيرة واستعمال موسى بن كعب)

وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغضب عليه وغرمه مالا فلم يزل ساخطا عليه حتى غضب على عمه اسمعيل بن على فشفع فيه عمومة المنصور وضيقوا عليه حتى رضى عنه فقال عيسى بن موسى للمنصور يا أمير المؤمنين أرى آل على بن عبد الله

وان

ثم أنزلوا صاحبة الدار ومعها جارية بيضاء وأخذوهما مع الجوارى السود وذهبوا بهن فاقمن عندهم ثلاثة أيام ونهبوا ماوجدوه بالدار من فرش وأمتعة ثم قرروا عليها اربعة آلاف ريال أخرى قامت بدفعها وأطلقوها ورجعت الى دارها وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الاسلحة ونادوا بذلك وانهم بعد ثلاثة أيام يفتشون البيوت وقال الناس ان هذه حيلة على نهب البيوت ثم بطل ذلك وحصل بينها وبين مباشرها القبطى منافسة فذهب وأغرى بها ودل على ذلك (وفى عشرينه) قلدوا مصطفى بك كتخدا الباشا على امارة الحاج فحضروا الى المحكمة عند القاضى ولبس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان والتزم بونابارته بتشهيل مهمات الحج وعمل محملا جديدا (وفيه) سال أصحاب الحصص الالتزام

وفي أعلى القوصرة طلاء أبيض وبه تصاوير بالاسود مصور فيه مثل حرب المماليك المصرية معهم وهم في شبه المنهزمين بعضهم واقع على بعض وبعضهم ملتفت الى خلف وعلى موازاة ذلك من الجهة الاخرى بناحية قنطرة الدكة التي يدخل منها الماء الى البركة مثال بوابة أخرى على غير شكلها لاجل حراقة البارود وأقاموا أخشابا كثيرة منتصبة مصطفة منها الى البوابة الاخرى شبه الدائرة متسعة محيطة بمعظم فضاء البركة بحيث صار عامود الصاري الكبير المنتصف المذكور في المركز وربطوا بين تلك الاخشاب حبالا ممتدة وعلقوا بها صفين من القناديل وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضا وأقاموا في عمل ذلك عدة أيام

(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاربعاء سنة ١٢١٣) (فيه) وردت الاخبار بان مراد بك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم رجعوا الى جهة الفيوم وان عثمان بك الاشقر عدى الى البر الشرقي وذهب من خلف الجبل الى استاذه ابراهيم بك بغزة وخرج جماعة من الفرنساوية الى جهة الشرق ومعهم عدة جمال وأحمال فخرج عليهم الغز والعرب الذين يصحبونهم فاخذوا منهم عدة جمال باحمالها ولم يلحقوهم (وفي ثالثه) حضرت مكاتبة من ابراهيم بك خطابا للمشايخ وغيرهم مضمونها انكم تكونون مطمئنين ومحافظين على انفسكم والرعية وان حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر وان شاء الله تعالى عن قريب نحضر عندكم فلما وردت تلك المكاتبة وقد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ظفر الهيثم بن معاوية عامل البصرة بعمرو بن شداد الذي كان عامل ابراهيم بن عبد الله على فارس وسبب ظفره به انه ضرب غلاما له فاتى الهيثم فدله عليه فاخذه فقتله وصلبه بالمربد وفيها عزل الهيثم عن البصرة واستعمل سوار القاضي على الصلاة مع القضاء واستعمل سعيد بن دعلج على شرط البصرة واحداثها ولما وصل الهيثم الى بغداد مات بها وصلى عليه المنصور وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي وحج بالناس العباس بن محمد بن علي وكان على مكة محمد بن ابراهيم الامام وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى الاحداث والجوالي والشرط بالبصرة سعيد بن دعلج وعلى الصلاة والقضاء سوار بن عبد الله وعلى كور دجلة والاهواز وفارس عمارة بن حمزة وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سعيد وفيها سخط عبد الرحمن الاموي على مولاه بدر لفرط دلاله عليه ولم يرع حق خدمته وطول صحبته وصدق مناصحته فاخذ ماله وسلبه نعمته ونفاه الى الثغر فبقي به الى ان هلك وفيها مات عبد الرحمن بن زياد بن انعم قاضي افريقية وقد تكلم الناس في حديثه وفيها توفي حمزة بن حبيب الزيات المقرئ احد القراء السبعة

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة)

في هذه السنة بنى المنصور قصره الذي يدعى الخلد وفيها حول المنصور الاسواق الى الكرخ وغيره وقد تقدم سبب ذلك واستعمل سعيد بن دعلج على البحرين فانفذ اليها ابنه تميما وعرض المنصور جنده في السلاح وجلس لذلك وخرج هو لابسا درعا وبيضة وفيها مات عامر بن اسمعيل المسلي وصلى عليه المنصور وتوفي سوار بن عبد الله قاضي البصرة واستعمل مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري وعزل محمد بن سليمان الكاتب عن مصر واستعمل مولاه مطرا واستعمل معبد بن الخليل على السند وعزل هشام بن عمرو وغزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمي فوجه سنانا مولى البطال الى حصن فسبي وغنم وقيل انما غزا الصائفة زفر بن عاصم وحج بالناس ابراهيم بن يحيي بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس وكان على مكة وقيل كان عليها عبد الصمد بن علي وعلى الامصار من ذكرنا وفيها قتل المنصور يحيي بن زكريا المحتسب وكان يطعن على المنصور ويجمع الجماعات فيما قيل وفيها مات عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وقيل سنة ثمان وخمسين وفي سنة سبع وخمسين مات الاوزاعي الفقيه واسمه عبد الرحمن بن عمرو وله سبعون سنة ومصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام جد الزبير بن بكار وفيها أخرج سليمان بن يقظان الكلبي قارله ملك الافرنج الى بلاد المسلمين من الاندلس ولقيه بالطريق وسار معه الى سرقسطة فسبقه اليها الحسين بن يحيي الانصاري من ولد

كعب بن سفيان الخثعمي وفي هذه السنة مات مسعر بن كدام الكوفي الهلالي

(ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة)

(ذكر عصيان أهل اشبيلية على عبد الرحمن الاموي)

في هذه السنة سار عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس الى حرب شقنا وقصد حصن شيطران فحصره وضيق عليه فهرب الى المفازة كعادته وكان قد استخلف على قرطبة ابنه سليمان فاتاه كتابه يخبره بخروج أهل اشبيلية مع عبد الغفار وحيوة بن ملابس عن طاعته وعصيانهم عليه واتفق من بها من اليمانية معهما فرجع عبد الرحمن ولم يدخل قرطبة وهاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم فقدم ابن عمه عبد الملك بن عمرو وكان شهاب آل مروان وبقي عبد الرحمن خلفه كالمدد له فلما قارب عبد الملك أهل اشبيلية قدم ابنه أمية ليعرف حالهم فرآهم مستيقظين فرجع الى أبيه فلامه أبوه على اظهار الوهن وضرب عنقه وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من المشرق الى اقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقي الرمق اكسروا اجفون السيوف فالموت اولى أو الظفر ففعلوا وحمل بين أيديهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية فلم تقم بعدها لليمانية قائمة وجرح عبد الملك وبلغ الخبر الى عبد الرحمن فاتاه وجرحه يجري دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبله بين عينيه وجزاه خيرا وقال يا ابن عم قد انكحت ابني وولي عهدي هشاما ابنتك فلانة واعطيتها كذا وكذا واعطيتك كذا واولادك كذا واقطعتك واياهم ووليتكم الوزارة وعبد الملك هذا هو الذي الزم عبد الرحمن بقطع خطبة المنصور وقال له اقطعها والا قتلت نفسي وكان قد خطب له عشرة اشهر فقطعها وكان عبد الغفار وحيوة بن ملابس قد سلما من القتل فلما كانت سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن الى اشبيلية فقتل خلقا كثيرا ممن كان مع عبد الغفار وحيوة ورجع وبسبب هذه الوقعة وغش العرب مال عبد الرحمن الى اقتناء العبيد

(ذكر الفتنة بافريقية مع الخوارج)

قد ذكرنا هرب عبد الرحمن بن حبيب الذي كان أبوه أمير افريقية مع الخوارج واتصاله بكتامة وتسيير يزيد بن حاتم أمير افريقية العسكر في اثره وانهم قاتلوا كتامة فلما كانت هذه السنة سير يزيد عسكرا آخر مددا للذين يقاتلون عبد الرحمن فاشتد الحصار على عبد الرحمن فمضى هاربا وفارق مكانه فعادت العساكر عنه ثم ثار في هذه السنة على يزيد بن حاتم أبو يحيى بن فانوس الهواري بناحية طرابلس فاجتمع عليه كثير من البربر وكان بها عسكر ليزيد بن حاتم مع عامل البلد فخرج العامل والجيش معه فالتقوا على شاطئ البحر من ارض هوارة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أبو يحيى بن فانوس وقتل عامة اصحابه وسكن الناس بافريقية وصفت ليزيد بن حاتم .

في القول الذي يعربه الترجمان وأهدى له خاتم ألماس وكافة الحضور في الغد عنده وأحضر له جوكار أو ثقه بفراجته فسكت وسايره وقام وانصرف فلما ٤ خرج من عنده رفعه على ان ذلك لا يخل بالدين (وفي ذلك اليوم) نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالوردة وهي اشارة الطاعة والمحبة فانف غالب الناس من وضعها وبعضهم رأى ان ذلك لا يخل بالدين اذ هو مكره وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر فوضعها ثم في عصر ذلك اليوم نادوا بابطالها من العامة وألزموا بعض الاعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها فكانوا يضعونها اذا احضروا عندهم ويرفعونها اذا انفصلوا عنهم وذلك أياما قليلة وحصل ما يأتي ذكره فتركت (وفي أواخره) كان انتقال الشمس لبرج الميزان وهو الاعتدال الخريفي فشرع الفرنساوية في عمل عيدهم ببركة الازبكية وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم فجعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخا فنقلوا أخشابا وحفروا حفرا وأقاموا بوسط بركة الازبكية صاريا عظيما بآلة وبناء وردموا حوله ترابا كثيرا عاليا بمقدار قامة وعملوا في أعلاه قالبا من الخشب محدد الاعلى مربع الاركان ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشا تخينا طلوه بالمغرة الجزعة وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير بسواد في بياض ووضعوا قبالة باب الهواء بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصاري

*(ذكر

فتنة (وفيه) شرعوا في خلع البوابات والدروب الغير النافذة أيضا ونقلوا الجميع الى بركة الازبكية عند رصيف الخشاب والبوابة الكبيرة يقطعونها لنصفين ويرفعونها بالعتالين الى هناك فاجتمع من ذلك شيء كثير جدا وامتلأ من رصيف الخشاب الى قريب وسط البركة (وفي يوم السبت حادي عشره) كان يوم عيدهم الموعود به فضربوا في صبحيته مدافع كثيرة ووضعوا على كل قائم من الخشب بنديرة من بنديراتهم الملونة وضربوا طبولهم واجتمعت عساكرهم بالبركة الخيالة والرجالة واصطفوا صفوفا على طرائقهم المعروفة بينهم ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبطة والشوام فاجتمعوا ببيت صاري عسكر بونابارته وجلسوا حصة من النهار ولبسوا في ذلك اليوم ملابس الافتخار ولبس المعلم جرجس الجوهري كركة بطرز قصب على اكتافها الى أكمامها وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار وكذلك فلتيوس وتعمموا بالعمائم الكشميري وركبوا البغال الفارهة وأظهروا البشر والسرور في ذلك اليوم الى الغاية ثم نزل عظماؤهم وصحبتهم المشايخ والقاضي وكتخدا الباشا فركبوا وذهبوا الى عند الصاري الكبير الموضوع بوسط البركة وقد كانوا فرشوا في أسفله بسطا كثيرة ثم ان العساكر لعبوا ميدانهم وعملوا هيئة حربهم وضربوا البنادق والمدافع فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفا حول ذلك الصاري وقرأ عليهم كبيرهم قسيس ورقة بلغتهم لا يدري

وفي هذه السنة توفي المنصور لست خلون من ذي الحجة ببئر ميمون وكان على ما قيل قد هتف به هاتف من قصره فسمعه يقول .

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
عليك يا نفس ان أسات وان * أحسنت بالقصد كل ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
الا بنقل السلطان عن ملك * اذا انتهى ملكه الى ملك
حتى يصير به الى ملك * ما عز سلطانه بمشترك
ذلك بديع السماء والارض والـ * مرسي الجبال المسخر الفلك

فقال المنصور هذا أوان أجلي قال الطبري وقد حكى عبد العزيز بن مسلم انه قال دخلت على المنصور يوما فسلمت عليه فاذا هو باهت لا يحار جوابا فوثبت لما ارى منه لانصرف فقال بعد ساعة اني رأيت في المنام كان رجلا ينشدني هذه

أأخي خفض من مناكا * فكأن يومك قد أتاكا
ولقد أراك الدهر من * تصريفه ما قد أراكا
فاذا أردت الناقص الـ * عبد الذليل فأنت ذاكا
ملكت ما ملكته * والامر فيه الى سواكا

هذا الذي ترى من قلقي وغمي لما سمعت ورأيت فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين فلم يلبث ان خرج الى مكة فلما سار من بغداد ليحج نزل قصر عبدويه فانقض في مقامه هنالك كوكب لثلاث بقين من شوال بعد اضاءة الفجر فبقي اثره بينا الى طلوع الشمس فاحضر المهدي وكان قد صحبه ليودعه فوصاه بالمال والسلطان يفعل ذلك كل يوم من أيام مقامه بكرة وعشية فلما كان اليوم الذي ارتحل فيه قال له اني لم ادع شيئا الا وقد تقدمت اليك فيه وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره فقال للمهدي انظر الى هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة فان احزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير فان أصبت فيه ما تريد والا ففي الثاني والثالث حتى بلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد فيها ما تريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة واياك أن تستبدل بها غيرها وقد جمعت لك فيها من الاموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لارزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل واوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم وتحسن اليهم وتقدمهم وتوطئ الناس اعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر مواليك فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدتك ان نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك باهل خراسان خيرا فانهم

سعد بن عبادة وامتنع بها فاتهم قارله ملك الافرنج سليمان فقبض عليه وأخذه معه الى بلاده فلما ابعد من بلاد المسلمين واطمان هجم عليه مطروح وعيشون ابنا سليمان فى اصحابهما فاستنقذا اباهما ورجعا به الى سرقسطة ودخلوا مع الحسين ووافقوا على خلاف عبد الرحمن

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة)

(ذكر عزل موسى عن الموصل وولاية خالد بن برمك)

هذه السنة عزل المنصور موسى بن كعب عن الموصل وكان قد بلغه عنه ما اسخطه عليه فامر ابنه المهدى ان يسير الى الرقة واظهر أنه يريد بيت المقدس وأمره أن يجعل طريقه على الموصل فاذا صار بالبلد اخذ موسى وقيده واستعمل خالد بن برمك وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم واجله ثلاثة أيام فان احضر المال والا قتله فقال لابنه يحيى يابنى الق اخواننا عمارة بن حمزة ومباركا التركى وصالحا صاحب المصلى وغيرهم وأعلمهم حالنا قال يحيى فاتيتهم فمنهم من منعنى من الدخول عليه ووجه المال ومنهم من تجهمنى بالرد ووجه المال قال فاتيت عمارة بن حمزة ووجهه الى الحائط فما اقبل به على فسلمت فرد ردا ضعيفا وقال كيف أبوك فعرفته الحال وطلبت قرض مائة ألف فقال ان امكننى شئ فسياتيك فانصرفت وانا العنه من تيهه وحدثت أبى بحديثه واذ قد انفذ المال قال فجمعنا فى يومين الفى ألف وسبعمائة ألف وبقى ثلثمائة ألف تبطل الجميع بتعذرها قال فعبرت على الجسر وانا مهموم فوثب الى زاجر فقال فرخ الطائر اخبرك فطويته فلحقنى واخذ بلجام دابتى وقال لى أنت مهموم ووالله لتفرحن ولتمرن غدا فى هذا الموضع واللواء بين يديك فعجبت من قوله فقال ان كان ذلك فلى عليك خمسة آلاف درهم فقلت نعم وانا أستبعد ذلك وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الاكراد بها فقال من لها فقال المسيب ابن زهير عندى رأى أعلم أنك لا تقبله منى وأعلم انك ترده على ولكنى لا ادع نصحك قال قل قال ما لها مثل خالد بن برمك قال فكيف يصلح لنا بعد ما فعلنا قال انما قومته بذلك وأنا الضامن له قال فليحضرنى غدا فاحضره فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية وعقد له وعقد لابنه يحيى على اذربيجان فاجتاز يحيى بالزاجر فاخذه معه وأعطاه خمسين ألف درهم وانفذ خالدا الى عمارة بالمائة ألف التى اخذها منه مع ابنه يحيى فقال له صيرفيا كنت لابيك قم عنى لا قمت فعاد بالمال وسار مع المهدى فعزل موسى بن كعب وولاهما فلم يزل خالد على الموصل وابنه يحيى على اذربيجان الى ان توفى المنصور فذكر أحمد بن محمد بن سوار الموصلى ما هبنا اميرا قط هيبتنا خالدا من غير أن يشتد علينا ولا هيبة كانت له فى صدورنا

(ذكر موت المنصور ووصيته)

كان سال عنها بونابارته فارسلوها له وقرئت عليه فقال المماليك كذابون ووافق أيضا انه حضر أغا رومى وكان معوقا بالاسكندرية فمر بالشارع وذهب لزيارة المشهد الحسينى فشاهده الناس فاستغربوا هيئته وفرحوا برؤيته وقالوا ان هذا رسول الحق حضر من عند السلطان بجواب للفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم وتجمعوا بالمشهد الحسينى وتبع بعضهم بعضا وصادف ذلك ان بونابارته فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس انه ورد مكتوب الى المشايخ أيضا واخفوه فركب من فوره وحضر الى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى وكان الوقت بعد الظهر فدخل على حين غفلة ولم يكن تقدم له مجئ وهو فى كبكبة وخيول كثيرة وعساكر فانزعج الشيخ وكان منحرف المزاج ونزل اليه وهو لا يعرف السبب فى مجيئه فى مثل هذا الوقت على هذه الصورة فعند ما شاهده ساله عن ذلك المكتوب فقال لا علم لى بذلك ولم يكن بلغه الخبر ثم جلس مقدار ساعة وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة وهم يلغطون ويخلطون فلما نظروه وشاهدوا جمعيتهم داخله امر من ذلك فصاحوا باجمعهم وقالوا بصوت عال الفاتحة فشخص اليهم وصار يسال من معه عن ازدحامهم فلاطفوه القول وقالوا انهم يدعون لك وذهب الى داره وكانت نكتة غريبة وساعة اتفاقية عجيبة كاينشأ منها

وفى

الفراش الى بعد الغروب فلم يحضر فقال لهم المشايخ دعوها تذهب الى بيتها وفي غد تأتي ونحقق هذه القضية فقال
دبوي نونو ومعناه بلغتهم النفي أي لاتذهب فقالوا له دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها
فلم يرض أيضا وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها ومضوا فباتت عندهم في ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات فلما أصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معا وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير فأحضرها وسلمها الى القاضي ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسه وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته (وفي يوم الخميس) نادوا في الاسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائمقام ببركة الفيل و يأخذ ثمنها واذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا وان أحضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا قلت قيمتها أو كثرت فغنم صاحب الخسيس، وخسر صاحب النفيس ثم ترك ذلك وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والاسواق وان يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وان
يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات (وفيه) نادوا
على الاغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل

وجعه جعل يقول للربيع بادرني حرم ربي هاربا من ذنوبي وكان الربيع عديله ووصاه بما أراد فلما وصل الى بئر ميمون مات بها مع السحر لست خلون من ذي الحجة ولم يحضره عند وفاته الا خدمه والربيع مولاه فكتم الربيع موته ومنع من البكاء عليه ثم أصبح فحضر أهل بيته كما كانوا يحضرون وكان أول من دعا عمه عيسى بن علي فمكث ساعة ثم اذن لابن أخيه عيسى بن موسى وكان فيما خلا يقدم على عيسى بن علي ثم اذن للاكابر وذوي الاسنان منهم ثم لعامتهم فبايعهم الربيع للمهدي ولعيسى بن موسى بعده على يدي موسى الهادي بن المهدي فلما فرغ من بيعة بني هاشم بايع القواد وبايع عامة الناس وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان الى مكة ليبايعا الناس فبايعوا بين الركن والمقام واشتغلوا بتجهيز المنصور ففرغوا منه العصر وكفن وغطي وجهه وبدنه وجعل رأسه مكشوفا لاجل احرامه وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل ابراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس ودفن في مقبرة المعلاة وحفروا له مائة قبر ليغموا على الناس ودفن في غيرها ونزل في قبره عيسى بن علي وعيسى بن محمد والعباس بن محمد والربيع والريان مولياه ويقطين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل اربعا وستين وقيل ثمانيا وستين سنة فكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا اربعة وعشرين يوما وقيل الا ثلاثة أيام وقيل الا ستة أيام وقيل الا يومين وقيل في موته انه لما نزل آخر منزل بطريق مكة نظر في صدر البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أم منجم * لك اليوم من حر المنية مانع

فأحضر متولي المنازل وقال له ألم آمرك أن لا يدخل المنازل احد من الناس قال والله مادخلها أحد منذ فرغ فقال اقرأ ما في صدر البيت فقال ما أرى شيئا فأحضر غيره فلم ير شيئا فأملى البيتين ثم قال لحاجبه اقرأ آية فقرأ وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فأمر به فضرب ورحل من المنزل تطيرا فسقط عن دابته فاندق ظهره ومات فدفن ببئر ميمون والصحيح ما تقدم

(ذكر صفة المنصور وأولاده)

كان اسمر نحيفا خفيف العارضين ولد بالحميمة من أرض الشراة واما أولاده فالمهدي محمد وجعفر الاكبر وامهما اروى بنت منصور اخت يزيد بن منصور الحميري وكانت تكنى أم موسى ومات جعفر قبل المنصور ومنهم سليمان وعيسى ويعقوب امهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله وجعفر الاصغر امه أم ولد كردية وكان يقال له ابن الكردية وصالح المسكين أمه أم ولد رومية والقاسم مات قبل المنصور وله عشر سنين أمه أم ولد تعرف بأم القاسم ولها بباب الشام بستان يعرف ببستان أم القاسم والعالية امها امرأة من بني أمية

معناها الاهم وكانها كالوصية او النصيحة او الوعظ ثم قاموا وانفض الجمع ورجع صارى عسكر الى داره فمد سماطا عظيما للحاضرين فلما كان عند ٨ الغروب أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال والتماثيل والاحمال التى على البيوت وعند العشاء عملوا حراقة بارود وسواريخ ونفوط وشبه سواقى ودواليب من قاروا ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة و بقيت البوابة المقابلة لباب الهواء والصارى الكبير وتحته جماعة ملازمون الاقامة عنده ليلا ونهارا من عساكرهم لانه شعارهم واشارة الى قيام دولتهم فى زعمهم (وفى ثانى ليلة) منه ركب كبيرهم الى بر الجيزة وسفر عساكر الى الجهة التى بها مراد بك وكذلك الى جهة الشرقية ومعهم مدافع على عجل وفيه ارسل دبوى قائمقام الى الست نفيسة وطلب منها احضار زوجة عثمان بك الطنبرجى فارسلت الى المشايخ تستغيث بهم فحضر اليها الشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى وقصدوا منعها فلم يمكنهم فذهبوا بصحبتها ونظروا فى قصتها والسبب فى طلبها انهم وجدوا رجلا فراشا معه جانب دخان و بعض ثياب فقبضوا عليه وقرروه فاخبر انه تابعها وانها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع اليها فسلمه شبكى دخان وفروة وخمسمائة محبوب ليوصل ذلك الى سيده فهذا هو السبب فى طلبها فقالوا واين الفراش فبعثوا لاحضاره وسالوها فانكرت ذلك بالمرة فانتظروا احضاره

وجعه

انصارك وشيعتك الذين بذلوا اموالهم ودماءهم فى دولتك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده وما اظنك تفعل واياك ان تبنى مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها واظنك ستفعل واياك ان تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل واياك ان تدخل النساء فى أمرك واظنك ستفعل وقيل قال له انى ولدت فى ذى الحجة ووليت فى ذى الحجة وقد هجس فى نفسى أنى اموت فى ذى الحجة من هذه السنة وانما حدانى على الحج ذلك فاتق الله فيما عهد اليك من أمور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب يا بنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى امته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك واياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار فى الدنيا لازم مقيم والزم الحدود فان فيها خلاصك فى الآجل وصلاحك فى العاجل ولا تعتد فيها فتبور فان الله تعالى لو علم أن شيئا اصلح منها لدينه وازجر عن معاصيه لامر به فى كتابه (واعلم) ان من شدة غضب الله لسلطانه أنه أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى فى الارض فسادا مع ما ذخر له من العذاب العظيم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا الآية فالسلطان يا بنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القيم فاحفظه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما أمر الله به فى محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطط فان ذلك اقطع للشغب واحسم للعدو وانجع فى الدواء وعف عن الفئ فليس بك اليه حاجة مع ما خلفه الله لك وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة واياك والاثرة والتبذير لاموال الرعية واشحن الثغور واضبط الاطراف وأمن السبل وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم وادفع المكاره عنهم وأعد الاموال واخزنها واياك والتبذير فان النوائب غير مأمونة وهى من شيم الزمان وأعد الكراع والرجال والجند ما استطعت واياك وتأخير عمل اليوم الى الغد فيتدارك عليك الامور وتضيع وجد فى احكام الامور النازلات لاوقاتها اولا واجتهد وشمر فيها واعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن الظن وأسئ الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من تثبت على بابك وسهل اذنك للناس وانظر فى أمر النزاع اليك ووكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير لاهية ولا تنم واياك فان أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى اليك والله خليفتى عليك ثم ودعه وبكى كل واحد منهما الى صاحبه ثم سار الى الكوفة وجمع بين الحج والعمرة وساق الهدى واشعره وقلده لايام خلت من ذى القعدة فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذى مات به وهو القيام فلما اشتد

عذره وامر بصرفهم اليه فلما قرأ معن الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه وشكر اصحابه واجازهم على اقدارهم وامرهم بالرحيل الى المنصور فقال مجاعة

آليت في مجلس من وائل قسما * ان لا ابيعك يا معن باطماع
يا معن انك قد اوليتني نعما * عمت لجيما وخصت آل مجاع
فلا زال اليك الدهر منقطعا * حتى يشيد بهلكي هتفه الناعي

وكان نعم معن على مجاعة انه قضى له ثلاث حوائج منها انه كان يتعشق جارية من اهل بيت معن اسمها زهراء فطلبها فلم يجب لفقره فطلبها من معن فاحضر اباها فزوجه اياها على عشرة آلاف درهم وامهرها من عنده ومنها انه طلب منه حائطا بعينه فاشتراه له ومنها أنه استوهب منه شيئا فوهب له ثلاثين ألف درهم تمام مائة الف قيل وكان المنصور يقول ما احوجني ان يكون على بابي اربعة نفر لا يكونون على بابي اعف منهم هم اركان الدولة ولا يصلح الملك الا بهم اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قيل ما هو يا امير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة وقيل دعا المنصور بعامل قد كسر خراجه فقال له ادّ ما عليك فقال والله ما املك شيئا واذن مؤذن اشهد ان لا اله الا الله فقال يا امير المؤمنين هب ما علي لله وشهادة ان لا اله الا الله فخلى سبيله وقيل اتى بعامل فحبسه وطالبه فقال العامل عبدك يا امير المؤمنين فقال بئس العبد انت فقال لكنك نعم المولى قال اما لك فلا قيل واتى بخارجي قد هزم له جيوشا فاراد ضرب رقبته ثم ازدراه فقال يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال له ويلك وسوأة لك امس بيني وبينك السيف واليوم القذف والسب وما كان يؤمنك ان اردّ عليك وقد يئست من الحياة فلا تستقيلها ابدا فاستحيا منه المنصور وأطلقه قيل وكان شغل المنصور في صدر نهاره بالامر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور والاطراف وأمن السبل والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية والتلطف بسكونهم وهديهم فاذا صلى العصر جلس لاهل بيته فاذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظر فيما ورد من كتب الثغور والاطراف والآفاق وشاور سماره فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره واذا مضى الثلث الثاني قام فتوضا وصلى حتى يطلع الفجر ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه قيل وقال للمهدي لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكر العاقل مرآته تريه حسنه وسيئه يا بني لا يصلح السلطان الا بالتقوى ولا تصلح رعيته الا بالطاعة ولا تعمر البلاد بمثل العدل وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة وأعجز الناس من ظلم من هو دونه واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختباره يا ابا عبد الله لا تجلس مجلسا الا ومعك من العلم من يحدثك ومن أحب أن يحمد أحسن

الاملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك فاذا احضروها وبينوا وجه تملكهم لها اما بالبيع أو الانتقال لهم بالارث لا يكتفى بذلك بل يؤمر بالكشف عليها في السجلات ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر ريعه في ذلك الطومار فان وجد تمسكه مقيدا بالسجل طلب منه بعد ذلك الثبوت ويدفع على ذلك الاشهاد بعد ثبوته وقبوله قدرا آخر ويأخذ بذلك تصحيحا ويكتب له بعد ذلك تمكين وينظر بعد ذلك في قيمته ويدفع على كل مائة اثنين فان لم يكن له حجة او كانت ولم تكن مقيدة بالسجل أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد فانها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم وهذا شيء متعذر وذلك ان الناس انما وضعوا أيديهم على أملاكهم اما بالشراء أو بالولاية لهم من مورثهم أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد أو بحجج اسلافهم ومورثيهم فاذا طولبوا باثبات مضمونها تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الاسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل فان قبلت فعل بها ما ذكر ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة في القلة والكثرة كقولهم اذا مات الميت يشاورون عليه ويدفعون معلوما لذلك ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة فاذا بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان أيضا ولا حق فيها للورثة وان فتحت على الرسم باذن الديوان يدفع على ذلك الاذن مقررا وكذلك على ثبوت الوراثة ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر وكذلك من يدعي دينا على الميت يثبته بديوان الحشر باتو يدفع على

الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة فذهبت جماعة من المغاربة الى صاري عسكر وقالوا له أرنا طريقا للذهاب فان طريق البر غير مسلوكة والانكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر على المقام في الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم (وفيه) جعلوا ابراهيم اغات المتفرقة المعمار قبطان السويس وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوي فخرج عليهم العربان في الطريق فنهبوهم وقتلوا ابراهيم اغا المذكور ومن بصحبته ولم يسلم منهم الا القليل وفيه أهمل أمر الديوان الذي يحضره المشايخ ببيت قائد أغا فاستمروا أياما يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا الذهاب فلم يطلبوا (وفيه) شرعوا في ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا وكتبوا في شأن ذلك طومارا وشرطوا فيه شروطا وتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين وجعلوا قاضيه الكبير ملطي القبطي الذي كان كاتبا عند ايوب بك الدفتردار وفوضوا اليهم القضايا في امور التجار والعامة والمواريث والدعاوي وجعلوا لذلك الديوان قواعد واركانا من البدع السيئة وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة ارسلوا منها الى الاعيان ولصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورؤس العطف وأبواب المساجد وشرطوا في ضمنه شروطا وفي ضمن تلك الشروط شروطا اخرى بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ومحصله التحيل على اخذ الاموال كقولهم بان اصحاب

(ذكر بعض سيرة المنصور)

قال سلام الابرش كنت اخدم المنصور داخلا وكان من احسن الناس خلقا ما لم يخرج الى الناس واشد احتمالا لما يكون من عبث الصبيان فاذا لبس ثوبه اربد لونه واحمرت عيناه فيخرج منه ما يكون وقال لي يوما يا بني اذا رأيتني قد لبست ثيابي أو رجعت من مجلسي فلا يدنون مني منكم أحد مخافة ان اعره بشئ قال ولم ير في دار المنصور لهو ولا شئ يشبه اللهو واللعب والعبث الا مرة واحدة رؤي بعض أولاده وقد ركب راحلة وهو صبي وتنكب قوسا في هيئة الغلام الاعرابي بين جوالقين فيهما مقل ومساويك وما يهديه الاعراب فعجب الناس من ذلك وأنكروه فعبر الى المهدي بالرصافة فاهداه له فقبله وملأ الجوالقين دراهم فعاد بينهما فعلم انه ضرب من عبث الملوك قال حماد التركي كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة فقال انظر ما هذا فذهبت فاذا خادم له قد جلس حوله الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فاخبرته فقال وأي شئ الطنبور فوصفته له فقال ما يدريك أنت ما الطنبور قلت رأيته بخراسان فقام ومشى اليهن فلما رأينه تفرقن فامر بالخادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور وأخرج الخادم فباعه قال وكان المنصور قد استعمل معن بن زائدة على اليمن لما بلغه من الاختلاف هناك فسار اليه وأصلحه وقصده الناس من أقطار الارض لاشتهار جوده ففرق فيهم الاموال فسخط عليه المنصور فارسل اليه معن بن زائدة وفدا من قومه فيهم مجاعة بن الازهر وسيرهم الى المنصور ليزيلوا غيظه وغضبه فلما دخل على المنصور ابتدأ مجاعة بحمد الله والثناء عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاطنب في ذلك حتى عجب القوم ثم ذكر المنصور وما شرفه الله به وذكر بعد ذلك صاحبه فلما انقضى كلامه قال اما ما ذكرت من حمد الله فالله أجل من أن تبلغه الصفات واما ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله تعالى باكثر مما قلت واما ما وصفت به أمير المؤمنين فانه فضله الله بذلك وهو معينه على طاعته ان شاء الله تعالى وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولؤمت أخرج فلا يقبل ما ذكرته فلما صاروا بآخر الابواب أمر برده مع أصحابه فقال ما قلت فاعاده عليه فاخرجوا ثم أمر بهم فاوقفوا ثم التفت الى من حضر من مضر فقال هل تعرفون فيكم مثل هذا والله لقد تكلم حتى حسدته وما منعني ان أتم على رده الا أن يقال حسده لانه من ربيعة وما رأيت مثله رجلا أربط جاشا ولا أظهر بيانا رده يا غلام فلما صار بين يديه قال اقصد لحاجتك قال يا امير المؤمنين معن بن زائدة عبدك وسيفك وسهمك رميت به عدوك فضرب وطعن ورمى حتى سهل ما حزن وذل ما صعب واستوى ما كان معوجا من اليمن فاضحوا من خول امير المؤمنين اطال الله بقاءه فان كان في نفس امير المؤمنين هنة من ساع او واش فامير المؤمنين اولى بالفضل على عبده ومن افنى عمره في طاعته فقبل

عذره

بهمن معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء وما كان في الابوابها العظام من الاسلحة والدرق والبلاط والحوادث
والحرب الهندية وآكر الغداوية وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك

ما وليتك عملا قط ولا بيني وبينك رحم ولا قرابة قال بلى تزوجت امراة لعيينة بن موسى ابن كعب فورثتك مالا وكان قد عصى بالسند واخذ مالي فهذا المال من ذاك وقيل لجعفر الصادق ان المنصور يكثر من لبس جبة هروية وانه يرقع قميصه فقال جعفر الحمد لله الذي لطف به حتى ابتلاه بفقر نفسه في ملكه قيل وكان المنصور اذا عزل عاملا اخذ ماله وتركه في بيت مال مفرد سماه بيت مال المظالم وكتب عليه اسم صاحبه وقال للمهدي قد هيأت لك شيئا فاذا انا مت فادع من اخذت ماله فاردده اعليه فانك تستحمد بذلك اليهم والى العامة ففعل المهدي ذلك وله في ضد ذلك اشياء كثيرة قيل وذكر زيد مولى عيسى بن نهيك قال دعاني المنصور بعد موت مولاي فسالني كم خلف من مال قلت الف دينار وانفقته امرأته في مأتمه قال كم خلف من البنات قلت ستا فاطرق ثم رفع راسه وقال اغد الى المهدي فغدوت اليه فاعطاني مائة الف وثمانين الف دينار لكل واحدة منهن ثلاثون الفا ثم دعاني المنصور فقال عد علي باكفائهن حتى ازوجهن ففعلت فزوجهن وامران تحمل اليهن صدقاتهن من ماله لكل واحدة منهن ثلاثون الف درهم وامرني ان اشترى بما لهن ضياعا لهن يكون معاشهن منها قيل وفرق المنصور على جماعة من اهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف الف درهم وامر لجماعة من اعمامه منهم سليمان وعيسى وصالح واسمعيل لكل رجل منهم بالف الف وهو اول من وصل بها اوله في ذلك ايضا اخبار كثيرة واما غير ذلك قال يزيد بن عمر بن هبيرة ما رايت رجلا قط في حرب ولا سمعت به في سلم انكر ولا امكر ولا اشد تيقظا من المنصور لقد حصرني تسعة اشهر ومعي فرسان العرب فجهدنا بكل الجهد ان ننال من عسكره شيئا فما تهيا ولقد حصرني وما في راسي شعرة بيضاء فخرجت اليه وما في راسي شعرة سوداء قيل وارسل ابن هبيرة الى المنصور وهو محاصره يدعوه الى المبارزة فكتب اليه انك متعد طورك جار في عنان غيك يعدك الله ما هو مصدقه ويمنيك الشيطان ما هو مكذبه ويقرب ما الله مباعده فرويدا يتم الكتاب اجله وقد ضربت مثلي ومثلك بلغني ان اسدا لقي خنزيرا فقال له الخنزير قاتلني فقال الاسد انما انت خنزير ولست بكفء لي ولا نظير ومتى قاتلتك فقتلتك قيل لي قتل خنزيرا فلا اعتقد فخرا ولا ذكرا وان نالني منك شئ كان سبة علي فقال الخنزير ان لم تفعل اعلمت السباع انك تنكل عني فقال الاسد احتمال عار كذبك علي ايسر من لطخ شراني بدمك قيل وكان المنصور اول من عمل الخيش فان الاكاسرة كانوا يطينون كل يوم بيتا يسكنونه في الصيف وكذلك بنو امية قيل واتى برجل من بني امية فقال اني اسألك عن اشياء فاصدقني ولك الامان قال نعم قال من اين اتى بنو امية قال من تضييع الاخبار قال فاي الاموال وجدوها انفع قال الجوهر قال فعند من وجدوا الوفاء قال عند مواليهم فاراد المنصور ان يستعين في الاخبار باهل بيته فقال اضيع منهم فاستعان بمواليه

والسلاطين ذوات الاركان الشاهقة والاعمدة الباسقة (وفيه) عينت عساكر الى مراد بك وذهبوا اليه ببحر يوسف جهة الفيوم (وفي يوم الخميس سادس عشره) نودي بان كل من تشاجر مع نصراني أو يهودي أو تشاجر معه نصراني أو يهودي يشهد أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صاري عسكر (وفيه) قتلوا شخصين وطافوا برؤسهما وهم ينادون عليهما ويقولون هذا جزاء من يأتي بمكاتيب من عند المماليك أو يذهب اليهم بمكاتيب (وفيه) نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الازبكية والرويعي ولا يدفنون الموتى الا في القرافات البعيدة والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته في ترب المماليك واذا دفنوا يبالغون في تسفيل الحفر ونادوا أيضا بنشر الثياب والامتعة والفرش بالاسطحة عدة أيام وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة كل ذلك لخوف من حصول الطاعون وعدوه ويقولون ان العفونة تنحبس باغوار الارض فاذا دخل الشتاء وبردت الاغوار بسريان النيل والامطار والرطوبة خرج ما كان منحبسا بالارض من الابخرة الفاسدة فيتعفن الهواء فيحصل الوباء والطاعون ومن قولهم أيضا ان مريض لا بد من الاخبار عنه فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه ان كان مرضه

السيرة ومن أبغض الحمد أساءها وما أبغض الحمد أحد الا استذم وما استذم الا كره يا أبا
عبد الله ليس العاقل الذي يحتال للامر الذي غشيه بل العاقل الذي يحتال للامر حتى
لا يقع فيه وقال للمهدي يوما كم راية عندك قال لا أدري قال انا لله أنت لامر الخلافة أشد
تضييعا ولكن قد جمعت لك مالا يضرك معه ماضيعت فاتق الله فيما خولك قيل
وقال اسحق بن عيسى لم يكن أحد من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة
غير المنصور وأخيه العباس بن محمد وعمهما داود بن علي قيل وخطب المنصور يوما
فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له فاعترضه انسان فقال أيها الانسان اذكرك من ذكرت به فقطع الخطبة
ثم قال سمعا سمعا لمن حفظ عن الله وأعوذ بالله أن أكون جبارا عنيدا أو تأخذني العزة
بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بهذا القول
الله ولكنك أردت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها ويلك لقد هممت
واغتنمها اذ عفوت واياك واياكم معاشر المسلمين أختها فان الحكمة علينا نزلت
ومن عندنا فصلت فردوا الامر الى أهله توردوه موارده وتصدروه مصادره ثم عاد الى
خطبته كأنما يقرؤها فقال واشهد ان محمدا عبده ورسوله (وقال) عبد الله بن صاعد
خطب المنصور بمكة بعد بناء بغداد فكان مما قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
أن الارض يرثها عبادي الصالحون أمر مبرم وقول عدل وقضاء فصل والحمد لله الذي
أفلج حجته وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء ارثا وجعلوا
القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فكم من بئر معطلة وقصر مشيد
أهملهم الله حين بدلوا السنة واهملوا العبرة وعندوا واعتدوا واستكبروا وخاب
كل جبار عنيد فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا (قال) وكتب اليه رجل
يشكو بعض عماله فوقع الى العامل في الرقعة ان آثرت العدل صحبتك السلامة وان
آثرت الجور فما اقربك من الندامة فانصف هذا المتظلم من الظلامة * قيل وكتب
الى المنصور صاحب أرمينية يخبره ان الجند قد شغبوا عليه ونهبوا ما في بيت المال
فوقع في كتابه اعتزل عملنا مذموما مدحورا فلو عقلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا
وهذا وما تقدم من كلامه ووصاياه يدل على فصاحته وبلاغته وقد تقدم له ايضا من
الكتب وغيرها ما يدل على انه كان واحد زمانه الا انه كان يبخل وما نقل عنه من ذلك
قال الوضين بن عطاء استزارني المنصور وكان بيني وبينه خلة قبل الخلافة فخلونا يوما
فقال يا ابا عبد الله مالك قلت الخبر الذي تعرفه قال وما عيالك قلت ثلاث بنات
والمرأة وخادم لهن فقال اربع في بيتك قلت نعم فرددها حتى ظننت انه سيعينني ثم
قال انت ايسر العرب اربع مغازل يدرن في بيتك * قيل رفع غلام لابي عطاء الخراساني
ان له عشرة آلاف درهم فأخذها منه وقال هذا مالي قال من اين يكون مالك ووالله

اثباته مقررا او يأخذه ورقة يستلم بها دينه فاذا استلمه دفع مقررا أيضا ومثل ذلك في الرزق والاطيان بشروط وأنواع
وكيفية أخرى غير ذلك والهبات والمبايعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والاشهادات
الجزئيات والكليات والمسافر
كذلك لا يسافر الا بورقة
ويدفع عليها قدرا وكذلك
المولود اذا ولد ويقال له اثبات
الحياة وكذلك المؤاجرات
وقبض أجر الاملاك وغير ذلك
(وفيه) نادى أصحاب الدرك
على العامة بترك الفضول
والكلام في أمور الدولة فاذا
مر عليهم جماعة من العسكر
مجروحون أو منهزمون
لا يسخرون بهم ولا يصفقون
عليهم كما هي عادتهم (وفيه)
نهبوا أمتعة عسكر القليونجية
الذين كانوا عسكرا عند
الامراء فاخذوا مكانا بوكالة
على بك بساحل بولاق
و بالجمالية واخذوا امتاعهم
ومتاع شركائهم محتجين بانهم
قاتلوا مع المماليك وهربوا
معهم (وفيه) أحضروا محمد
كتخدا أباسيف الذي كان
سردارا بدمياط من طرف
الامراء المصريين وكان سابقا
كتخدا حسن بك الجداوي
فلما حضر حبسوه في القلعة
وحبسوا معه فراشا لابراهيم
بك (وفيه) أمروا سكان
القلعة بالخروج من منازلهم
والنزول الى المدينة ليسكنوا
بها فنزلوا وأصعدوا الى القلعة
مدافع ركزوها بعدة مواضع
وهدموا بها أبنية كثيرة وشرعوا في بناء حيطان وكرانك وأسوار وهدموا أبنية عالية وأعلوا
مواضع منخفضة وبنوا أعلى بدنات باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ما كان

وأمرهم عنه بتجديد البيعة للمهدي فبايعوا ثم اخرجهم وخرج اليهم باكيا مشقق الجيب لاطما رأسه فلما بلغ ذلك المهدي انكره على الربيع وقال اما منعتك جلالة أمير المؤمنين أن فعلت به ما فعلت وقيل ضربه ولم يصح ضربه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل المنصور المسيب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيدا وسبب ذلك انه ضرب أبان بن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله لانه كان شريك أخيه عمرو بن زهير في ولاية الكوفة واستعمل على شرطته الحكم بن يوسف صاحب الحراب ثم كلم المهدي أباه في المسيب فرضي عنه وأعاده الى شرطته وفيها استعمل المنصور نصر بن حرب بن عبد الله على فارس وفيها عاد المهدي من الرقة في شهر رمضان وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقي العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفيها حبس محمد ابن ابراهيم الامام وهو أمير مكة جماعة امر المنصور بحبسهم وهم رجل من آل علي بن أبي طالب كان بمكة وابن جريج وعباد بن كثير وسفيان الثوري ثم أطلقهم من الحبس بغير امر المنصور فغضب وكان سبب اطلاقهم انه انكر وقال عمدت الى ذي رحم تحبسه يعني بعض ولد علي والى نفر من اعلام المسلمين تحبسهم وتقدم أمير المؤمنين فلعله يأمر بقتلهم فيشتد سلطانه واهلك فاطلقهم وتحلل منهم فلما قارب المنصور مكة أرسل اليه محمد بن ابراهيم بهدايا فردها عليه وفيها أشخص المنصور من بغداد الى مكة فمات في الطريق قبل أن يبلغها وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن صاحب الاندلس مدينة قورية وقصد البربر الذين كانوا أسلموا عامله الى شقنا فقتل منهم خلقا من أعيانهم واتبع شقنا حتى جاوز القصر الابيض والدرب ففاته وفيها مات أورالي ملك جليقية وكان ملكه ست سنين وملك بعده شيالون وفيها توفي مالك بن مغول الفقيه البجلي بالكوفة وحيوة بن شريح بن مسلم الحضرمي المصري وكان العامل على مكة والطائف ابراهيم ابن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله وعلى المدينة عبد الصمد بن علي وعلى الكوفة عمرو ابن زهير الضبي وقيل اسمعيل بن اسمعيل الثقفي وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى خراسان حميد بن قحطبة وعلى قضاء بغداد عبيد الله بن محمد بن صفوان وعلى الشرطة بها عمر بن عبد العزيز أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن وقيل موسى بن كعب وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة بن حمزة وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبري وأصاب الناس هذه السنة وباء عظيم

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة)

(ذكر الحسن بن ابراهيم بن عبد الله)

في هذه السنة حول المهدي الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي

وعملوا له شيانا ورونقا استجلابا للسرور للمؤمنين وانفقوا أموالا برسم الصدقة على الفقراء وكذلك اعتنوا بالمولد النبوي وأنفقوا أموالا في شأن انتظامه واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناب المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا والي مصر حالا فاستحسنا ذلك لبقاء علاقة الدولة العلية وهم أيضا مجتهدون في اتمام مهمات الحرمين وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام (وفيه) وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات وهو ان رجلا صيرفيا بجوار حارة الجوانية وقع من لفظه انه قال السيد احمد البدوي بالشرق والسيد ابراهيم الدسوقي بالغرب يقتلان كل من يمر عليهما من النصارى وكان هذا الكلام بحضر من النصارى الشوام فجاء به بعضهم واسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر فقام النصراني وذهب الى دبوى وأخبره بالقصة فأرسل وقبض على ذلك الصيرفي وحبسه وسمر حانوته وختم على داره وتشفع فيه المشايخ عدة مرار فاطلقوه بعد يومين وأرسلوه الى بيت الشيخ البكري ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسه فضرب مائة سوط وأطلق الى سبيله وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين (وفي يوم الاثنين) طاف أصحاب الدرك على الاخطاط والوكائل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين وأمروهم أن لا يسكنوا احدا من الاغراب ولا يطلقوا أحدا يسافر بلا اذن من اغات مستحفظان (وفي يوم الثلاثاء) عمل المولد الحسيني وكان من العزم تركه في هذا العام فدس بعض المنافقين دسيسة عند الفرنسيس

بالطاعون او بغيره ثم يرون رأيهم فيه (وفي يوم السبت ثامن عشره) ذهبت جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنساوية وشرعوا في هدم التراكيب ٤ المبنية على المقابر بتربة الازبكية وتمهيدها بالارض فشاع الخبر بذلك وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة فخرجوا من كل حدب ينسلون وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدابغ وباب اللوق وكوم الشيخ سلامة والفوالة والمناصرة وقنطرة الامير حسين وقلعة الكلاب الى أن صاروا كالجراد المنتشر ولهم صياح وضجيج واجتمعوا بالازبكية ووقفوا تحت بيت صارى عسكر فنزل لهم المترجمون واعتذروا بان صارى عسكر لا علم له بذلك الهدم ولم يأمر به وانما أمر بمنع الدفن فقط فرجعوا الى أماكنهم ورفع الهدم عنهم (وفيه) كتبوا من المشايخ كتابا ارسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة ثم انهم بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق وصورته ملخصا بعد الصدر وذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم وان جماعة من العلماء ذهبت اليهم بالبر الغربي فامنوهم وكذلك الرعية دون المماليك وذكروا فيه انهم من احصاء السلطان العثماني وأعداء أعدائه وان السكة والخطبة باسمه وشعائر الاسلام مقامة على ما هي عليه و باقية بمعنى الكلام السابق من قولهم انهم مسلمون وانهم محترمون القرآن والنبي وانهم أوصلوا الحجاج وأعزهم المنقطعين وأكرموهم وأركبوا الماشي وأطعموا الجيعان وسقوا العطشان واعتنوا بيوم الزينة يوم جبر البحر

(ذكر خلافة المهدي والبيعة له)

ذكر علي بن محمد النوفلي عن ابيه قال خرجت من البصرة حاجا فاجتمعت بالمنصور بذات عرق فكنت اسلم عليه كلما ركب وقد اشفى على الموت فلما صار ببئر ميمون نزل به ودخلنا مكة فقضيت عمرتي وكنت اختلف الى المنصور فلما كان في الليلة التي مات فيها ولم نعلم صليت الصبح بمكة وركبت أنا ومحمد بن عون بن عبد الله بن الحرث وكان من مشايخ بني هاشم وسادتهم فلما صرنا بالابطح لقينا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان في خيل الى مكة فسلمنا عليهما ومضينا فقلت لمحمد أحسب الرجل قد مات فكان كذلك ثم أتينا العسكر فاذا موسى بن المهدي قد صدر عند عمود السرادق والقاسم بن المنصور في ناحية من السرادق وقد كان قبل ذلك يسير بين المنصور وبين صاحب الشرطة ورفع الناس اليه القصص فلما رأيته علمت ان المنصور قد مات وأقبل الحسن بن زيد العلوي وجاء الناس حتى ملؤا السرادق وسمعنا همسا من بكاء وخرج أبو العنبر خادم المنصور مشقق الاقبية وعلى رأسه التراب وصاح وا أمير المؤمنيناه فما بقي احد الا قام ثم تقدموا ليدخلوا عليه فمنعهم الخدم وقال ابن عياش المنتوف سبحان الله اما شهدتم موت خليفة قط اجلسوا فجلسوا وقام القاسم فشق ثيابه ووضع التراب على رأسه وموسى على حاله ثم خرج الربيع وفي يده قرطاس ففتحه فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور امير المؤمنين الى من خلف من بني هاشم وشيعته من اهل خراسان وعامة المسلمين ثم بكى وبكى الناس ثم قال قد امكنكم البكاء فانصتوا رحمكم الله ثم قرأ اما بعد فاني كتبت كتابي هذا وانا حي في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة اقرأ عليكم السلام وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعا ولا يذيق بعضكم بأس بعض ثم اخذ في وصيتهم بالمهدي واذكارهم البيعة له وحثهم على الوفاء بعهده ثم تناول يد الحسن بن زيد وقال قم فبايع فقام الى موسى فبايعه ثم بايعه الناس الاول فالاول ثم ادخل بنو هاشم على المنصور وهو في أكفانه مكشوف الرأس فحملناه حتى اتينا به مكة ثلاثة اميال فكأني انظر اليه والريح تحرك شعر صدغيه وذلك انه كان وفر شعره للحلاق وقد نصل خضابه حتى اتينا به حفرته وكان اول شيء ارتفع به علي بن عيسى بن ماهان ان عيسى بن موسى ابى من البيعة فقال علي بن عيسى بن ماهان والله لتبايعن اولاضربن عنقك فبايع ثم وجه موسى بن المهدي والربيع الى المهدي بخبر وفاة المنصور وبالبيعة له مع منارة مولى المنصور وبعثا ايضا بالقضيب وبردة النبي صلى الله عليه وسلم وبخاتم الخلافة وخرجوا من مكة فقدم الخبر على المهدي مع منارة منتصف ذي الحجة فبايعه اهل بغداد وقيل ان الربيع كتم موت المنصور وألبسه وسنده وجعل على وجهه كلة خفيفة يرى شخصه منها ولا يفهم أمره وادنى أهله منه ثم قرب منه الربيع كأنه يخاطبه ثم رجع اليهم

أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر مرة بعد مرة وقتلوا حسان بن تميم بن نصر بن سيار ومحمد بن نصر وغيرهما وأنفذ اليهم جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارا فقاتلوهم أربعة أشهر في مدينة بومجكث ونقبها عليهم فقتل منهم سبعمائة وقتل الحكم ولحق منهزموهم بالمقنع وتبعهم جبرائيل وحاربهم ثم سير المهدي أبا عون لمحاربة المقنع فلم يبالغ في قتاله واستعمل معاذ بن مسلم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل المهدي اسمعيل عن الكوفة واستعمل عليها اسحق بن الصباح الكندي ثم الاشعثي وقيل عيسى بن لقمان بن محمد بن خاطب الجمحي وفيها عزل سعيد بن دعلج عن احداث البصرة وعبيد الله بن الحسن عن الصلاة واستعمل مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري وأمره بانصاف من تظلم من سعيد بن دعلج ثم صرفت الاحداث فيها الى عمارة بن حمزة فولاها المسور بن عبد الله الباهلي وفيها عزل قثم بن العباس عن اليمامة فوصل كتاب عزله وقد مات واستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلي وفيها عزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة واستعمل عليها الفضل بن صالح وفيها أعتق المهدي الخيزران أم ولده وتزوجها وتزوج أم عبد الله بنت صالح بن علي أخت الفضل وعبد الملك وفيها احترقت السفن عند قصر عيسى ببغداد بما فيها واحترق ناس كثير وفيها عزل مطر مولى المنصور عن مصر واستعمل عليها أبو ضمرة محمد بن سليمان وفيها غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية وعلى المقدمة الحسن الوصيف فبلغوا أنقرة وفتحوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من المسلمين أحد ورجعوا سالمين وفيها ولي حمزة بن يحيى سجستان وجبرائيل بن يحيى سمرقند فبنى سورها وحفر خندقها وفيها عزل عبد الصمد بن علي عن المدينة واستعمل عليها محمد بن عبد الله الكثيري ثم عزله واستعمل مكانه محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحي وفيها بنى المهدي سور الرصافة ومسجدها وحفر خندقها وفيها توفي معبد بن الخليل بالسند وهو عامل المهدي عليها واستعمل مكانه روح بن حاتم أشار به أبو عبيد الله وزير المهدي وفيها أطلق المهدي من كان في حبوس المنصور الا من كان عنده تبعة من دم أو مال أو من يسعى في الارض بالفساد وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود مولى بني سليم وفيها توفي حميد بن قحطبة وهو على خراسان واستعمل المهدي بعده عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد * وحج بالناس هذه السنة يزيد بن منصور خال المهدي عند قدومه من اليمن وكان المهدي قد كتب اليه بالقدوم عليه وتوليته الموسم وكان أمير المدينة عبد الله بن صفوان الجمحي وعلى احداث الكوفة اسحق بن الصباح الكندي وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها شريك وعلى صلاة البصرة عبد الملك بن أيوب وعلى احداثها عمارة بن حمزة وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن وعلى كور دجلة وكور الاهواز وكور فارس عمارة بن حمزة وعلى السند بسطام بن عمرو وعلى اليمن رجاء بن

فتوجها المشايخ المصرية والذين حضروا من الثغور والبلاد وحضر الوجاقات وأعيان التجار ونصارى القبط والشوام ومدبروا الديوان من الفرنسيس وغيرهم جمعا وفورا فلما استقر بهم الجلوس شرع ملطي القبطي الذي عملوه قاضي في قراءة فرمان الشروط وفي المناقشة فابتدر كبير المدبرين في اخراج طومار آخر وناوله للترجمان فنشره وقرأه وملخصه ومضمونه الاخبار بان قطر مصر هو المركز الوحيد وانه اخصب البلاد وكان يجلب اليه المتاجر من البلاد البعيدة وان العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الاول ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الامم في تملكه فملكه أهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن الا ان دولة الترك شددت في خرابه لانها اذا حصلت الثمرة قطعت عروقها فلذلك لم يبقوا بايدي الناس الا القدر اليسير وصار الناس لاجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر وقاية لانفسهم من سوء ظلمهم ثم ان طائفة الفرنساوية بعدما تعودأمرهم وبعد صيتهم بقيامهم بامور الحروب اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هي فيه واراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلا وغباوة فقاموا وحصل لهم النصرة

من محبسه وسبب ذلك انه كان محبوسا مع يعقوب بن داود فى موضع واحد فلما أطلق يعقوب و بقى هو ساء ظنه فالتمس مخرجا فارسل الى بعض من يثق اليه فحفر سربا الى الموضع الذى هو فيه فبلغ ذلك يعقوب فاتى ابن علاثة القاضى وكان قد اتصل به فقال عندى نصيحة للمهدى وطلب اليه ايصاله الى ابى عبيد الله وزيره ليرفعها اليه فأحضره عنده فلما ساله عن نصيحته ساله عن ايصاله الى المهدى ليعلمه بها فاوصله اليه فاستخلاه فاعلمه المهدى ثقته بوزيره وابن علاثة فلم يقل شيئا حتى قاما فاخبره خبر الحسن فانفذ من يثق اليه فاتاه بتحقيق الحال فامر بتحويل الحسن فحول ثم احتيل له فيما بعد فهرب وطلب فلم يظفر به فاحضر المهدى يعقوب وساله عنه فاخبره انه لا يعلم مكانه وانه ان أعطاه الامان أتاه به فامنه وضمن له الاحسان فقال له اترك طلبه فان ذلك يوحشه فترك طلبه ثم ان يعقوب تقدم عند المهدى فاحضر الحسن بن ابراهيم عنده

(ذكر تقدم يعقوب عند المهدى)

قد تقدم ذكر وصوله اليه فلما احضره المهدى عنده فى أمر الحسن بن ابراهيم كما تقدم قال له يا أمير المؤمنين انك قد بسطت عدلك لرعيتك وأنصفتهم وأحسنت اليهم فعظم رجاؤهم وقد بقيت أشياء لو ذكرتها لم تدع النظر فيها وأشياء خلف بابك تعمل ولا تعلم بها فان جعلت الى السبيل اليك رفعتها فامر بذلك فكان يدخل عليه كلما أراد ويرفع اليه النصائح فى الامور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب وفكاك الاسرى والمحبسين والقضاء عن الغارمين والصدقة على المتعففين فحظى عنده بذلك وعلت منزلته حتى سقطت منزلة أبى عبيد الله وحبس وكتب المهدى توقيعا بانه قد اتخذه أخا فى الله ووصله بمائة ألف

(ذكر ظهور المقنع بخراسان)

وفى هذه السنة قبل موت حميد بن قحطبة ظهر المقنع بخراسان وكان رجلا أعور قصيرا من أهل مرو ويسمى حكيما وكان اتخذ وجها من ذهب فجعله على وجهه لئلا يرى فسمى المقنع وادعى الالوهية ولم يظهر ذلك الى جميع أصحابه وكان يقول ان الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح وهلم جرا الى أبى مسلم الخراسانى ثم تحول الى هاشم وهاشم فى دعواه هو المقنع ويقول بالتناسخ وتابعه خلق من ضلال الناس وكانوا يسجدون له من أى النواحى كانوا وكانوا يقولون فى الحرب يا هاشم أعنا واجتمع اليه خلق كثير وتحصنوا فى قلعة بسيام وسنجردة وهى من رساتيق كش وظهرت المبيضة ببخارا والصغد معاونين له واعانه كفار الاتراك وأغاروا على أموال المسلمين وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم وكان ينكر قتل يحيى بن زيد وادعى انه يقتل قاتليه واجتمعوا بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نوا كشو حاربهم

وذلك انه وقعت المذاكرة بان من المعتادات بعمل المولد الحسينى بعد مولد النبى فقال بونابارته ولم يعملوه فقال ذلك المنافق غرض الشيخ السادات عدم عمله الا اذا حضر المسلمون فبلغ شيخ السادات ذلك فشرع فى عمله على سبيل الاختصار وحضر صارى عسكر وشاهد الوقدة ورجع الى داره بعد العشاء (وفيه) حضر علماء الاسكندرية واعيانها وكذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء صارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه (وفيه) سافر أيضا جماعة من الفرنسيس الى جهة مراد بك ومن معه التقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم وأطمعوهم فى أنفسهم فتبعوهم الى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة (وفيه) سقطت البوابة المصنوعة ببركة الازبكية المقابلة لباب الهواء التى كانوا وضعوها فى يوم عيدهم وقد تقدم شرحها ووصفها وسبب سقوطها انهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة وسدوا القنطرة كما تقدم علا الماء فى أرض البركة وتخللت الارض فسقطت تلك البوابة (وفى يوم الجمعة رابع عشرينه) نبهوا على المشايخ والاعيان والتجار ومن حضر من الاقطار بالحضور الى الديوان العام ومحكمة النظام بكرة تاريخه وذلك ببيت ابو مرزوق بك بحارة عابدين فلما أصبح يوم السبت أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد أغا بالازبكية

فوصلوا سحرا وضربوا طبولهم فارتاع عيسى روعا شديدا ودخل عليه أبو هريرة وأمره بالشخوص معه فاعتل بالشكوى فلم يقبل منه وأخذه معه فلما قدم عيسى بن موسى نزل دار محمد بن سليمان فى عسكر المهدى فاقام أياما يختلف الى المهدى ولا يكلم بشئ ولا يرى مكروها فحضر الدار يوما قبل جلوس المهدى فجلس فى مقصورة للربيع وقد اجتمع شيعة رؤساء المهدى على خلعه فثاروا به وهو فى المقصورة فاغلق الباب دونهم فضربوا الباب بالعمد حتى هشموه وشتموا عيسى اقبح الشتم واظهر المهدى انكارا لما فعلوه فلم يرجعوا فبقوا فى ذلك اياما الى ان كاشفه أكابر اهل بيته وكان اشدهم عليه محمد بن سليمان والح عليه المهدى فابى وذكر ان عليه أيمانا فى اهله وماله فاحضر له من القضاة والفقهاء عدة منهم محمد بن عبد الله بن علاثة ومسلم بن خالد الزنجى فافتوه بما رأوا فاجاب الى خلع نفسه فاعطاه المهدى عشرة آلاف الف درهم وضياعا بالزاب وكسكر وخلع نفسه لاربع بقين من المحرم وبايع للمهدى ولابنه موسى الهادى ثم جلس المهدى من الغد واحضر اهل بيته واخذ بيعتهم ثم خرج الى الجامع وعيسى معه فخطب الناس واعلمهم بخلع عيسى والبيعة للهادى ودعاهم الى البيعة فسارع الناس اليها وأشهد على عيسى بالخلع فقال بعض الشعراء

كره الموت أبو موسى وقد * كان فى الموت نجاة وكرم
خلع الملك وأضحى ملبسا * ثوب لوم ما ترى منه القدم

(الرحبة بضم الراء قرية عند الكوفة وصبيح بضم الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة)

(ذكر فتح مدينة باربد)

كان المهدى قد سير سنة تسع وخمسين ومائة جيشا فى البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعى الى بلاد الهند فى جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا أهلها ففتحها الله عليهم هذه السنة عنوة واحتمى أهلها بالبد الذى لهم فاحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وافاءها الله عليهم فهاج عليهم البحر فاقاموا الى ان يطيب فاصابهم مرض فى افواههم فمات منهم نحو من الف رجل فيهم الربيع بن صبيح ثم رجعوا فلما بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حران عصفت بهم الريح ليلا فانكسر عامة مراكبهم فغرق البعض ونجا البعض قيل وفيها جعل ابان بن صدقة كاتبا لهرون الرشيد ووزيرا له وفيها عزل ابو عون عن خراسان عن سخطه واستعمل عليها معاذ بن مسلم وفيها غزا ثمامة بن العبس الصائفة وغزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشام

(ذكر رد نسب آل ابى بكرة وآل زياد)

وفى هذه السنة امر المهدى برد نسب آل ابى بكرة من ثقيف الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان رجلا منهم رفع فى ظلامة الى المهدى وتقرب اليه بولاء رسول

فى الذهاب وأزنة وهم بالحضور

فى كل يوم (وفيه) وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربى التاجر الطرابلسى وهو انه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام المترجمين منافسة فانهى الى عظماء الفرنسيس انه ذو مال وانه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بك فارسلوا بطلبه فذهب الى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوى لقرابة بينهما فقال الشيخ للقواسة المرسلين بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له فقالوا الدعوة ليست شرعية فقال لهم فى غد احضروا خصمه ويتداعى معه فان توجه الحق عليه الزمناه بدفعه فرجعت الرسل وتغيب الرجل لخوفه فبعد مضى مقدار نحو ساعة حضر نحو الخمسين عسكريا من الفرنسيس الى بيت الشيخ وطالبوه به فاخبرهم انه هرب فلم يقبلوا عذره والحوا فى طلبه ووقفوا ببنادقهم وأرهبوا فركب المهدى والدواخلى الى صارى عسكر وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل فقال ولاى شئ يهرب فقالوا من خوفه فقال لولا ان جرمه كبير لما هرب وانتم غيبتموه وأظهر الحنق والغيظ فلاطفاه واستعطفا خاطر الترجمان فكلمه وسكن غيظه ثم سال عن منزله ومخزنه فاخبراه عنهما فقال يذهب معكما من يختم عليهما

روح وعلى اليمامة بشر بن المنذر وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد وكان حميد ابن قحطبة قد مات فيها فولى المهدى أبا عون وكان على الجزيرة الفضل بن صالح وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر أبو ضمرة محمد بن سليمان * وفيها كان شقنا قد انتشر فى نواحى شذونة فسير اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا ففارق مكانه وصعد الجبال كعادته فعاد الجيش عنه * وفيها مات محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب الفقيه بالكوفة وهو مدنى وعمره تسع وسبعون سنة وفيها توفى عبد العزيز بن أبى داود مولى المغيرة بن المهلب ويونس بن أبى اسحق السبيعى الهمدانى ومخرمة بن بكير بن عبد الله ابن الاشج المصرى وحسين بن واقد مولى ابن عامر وكان على قضاء مرو وكان يشترى الشئ من السوق فيحمله الى عياله

(ثم دخلت سنة ستين ومائة)

(ذكر خروج يوسف البرم)

فى هذه السنة خرج يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم بخراسان منكرا هو ومن معه على المهدى سيرته التى يسير بها واجتمع معه بشر كثير فتوجه اليه يزيد بن مزيد الشيبانى وهو ابن أخى معن بن زائدة فلقيه فاقتتلا حتى صارا الى المعانقة فأسره يزيد بن مزيد وبعث به الى المهدى وبعث معه وجوه أصحابه فلما بلغوا النهروان حمل يوسف على بعير قد حوّل وجهه الى ذنبه وأصحابه مثله فادخلوهم الرصافة على تلك الحال وقطعت يدا يوسف ورجلاه وقتل هو وأصحابه وصلبوا على الجسر وقد قيل انه كان حروريا وتغلب على بوشنج وعليها مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين فهرب منه وتغلب أيضا على مرو الروذ والطالقان والجوزجان وقد كان من جملة أصحابه أبو معاذ الفريابى فقبض معه

(ذكر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى)

كان جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى قد خاضوا فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادى بن المهدى فلما علم المهدى بذلك سره وكتب الى عيسى بن موسى بالقدوم عليه وهو بقرية الرحبة من أعمال الكوفة فاحس عيسى بالذى يراد منه فامتنع من القدوم فاستعمل المهدى على الكوفة روح بن حاتم للاضرار به فلم يجد روح الى الاضرار به سبيلا لانه كان لا يقرب البلد الا كل جمعة أو يوم عيد وألح المهدى عليه وقال له انك ان لم تجبنى الى ان تنخلع من ولاية العهد لموسى وهرون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من أهل المعاصى وان أجبتنى عوضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعا فلم يقدم عليه وخيف انتقاضه فوجه اليه المهدى عمه العباس بن محمد برسالة وكتاب يستدعيه فلم يحضر معه فلما عاد العباس وجه المهدى اليه أبا هريرة محمد بن فروخ القائد فى ألف من أصحابه ذوى البصائر فى التشيع للمهدى وجعل مع كل واحد منهم طبلا وأمرهم أن يضربوا بطبولهم جميعا عند قدومهم اليه

بقسوة وان غرضهم تنظيم أمور مصر واجراء خلجانها التى دثرت ويصير لها طريقان طريق الى البحر الاسود وطريق الى البحر الاحمر فيزداد خصبها وريعها ومنع القوى من ظلم الضعيف وغير ذلك استجلابا للخواطر أهلها وابقاء للذكر الحسن فالمناسب من أهلها ترك الشغب واخلاص المودة وان هذه الطوائف المحضرة من الاقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة لانهم أهل خبرة وعقل فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها فينتج اصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه الى آخر ما سطروه من الكلام (قلت ولم يعجبنى فى هذا التركيب الا قوله المفعمة جهلا وغباوة بعد قوله اشتاقت أنفسهم ومنها قوله بعد ذلك ومع ذلك لم يتعرضوا لاحد الى آخر العبارة ثم قال الترجمان نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم ممتثلين أمره واشارته فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى فقال نونو انما ذلك يكون بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق فطلع الاكثر على الشيخ الشرقاوى فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس فلم يتم هذا الامر حتى زالت الشمس فأذنوا لهم

فوصلوا

سليمان الثلج الى مكة وكان أول خليفة حمل اليه الثلج الى مكة وورد المهدى على أهل بيته وغيرهم وظائفهم التى كانت مقبوضة عنهم وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس محمد بن سليمان وعلى خراسان معاذ بن مسلم وباقى الامصار على ما تقدم ذكره * وفيها أرسل عبد الرحمن الاموى بالاندلس أبا عثمان عبيد الله بن عثمان وتمام بن علقمة الى شقنا فحاصراه شهورا بحصن شبطران وأعياهما أمره فقفلا عنه ثم ان شقنا بعد عودهما عنه خرج من شبطران الى قرية من قرى شنت برية راكبا على بغلته التى تسمى الخلاصة فاغتاله أبو معن وأبو خزيم وهما من أصحابه فقتلاه ولحقا بعبد الرحمن ومعهما رأسه فاستراح الناس من شره وفيها مات داود بن نصير الطائى الزاهد وكان من أصحاب أبى حنيفة وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله ابن مسعود المسعودى أيضا وشعبة بن الحجاج أبو بسطام وكان عمره سبعا وسبعين سنة واسرائيل بن يونس بن أبى اسحاق السبيعى وقيل توفى سنة أربع وستين وفيها توفى الربيع بن مالك بن أبى عامر عم مالك بن أنس الفقيه كنيته أبو مالك وكانوا أربعة اخوة أكبرهم أنس والد مالك ثم أويس جد اسمعيل بن أويس ثم نافع ثم الربيع وفيها توفى خليفة بن خياط العصفرى الليثى وهو جد خليفة بن خياط (خياط بالخاء المعجمة وبالياء المثناة من تحت) وفيها توفى الخليل بن أحمد البصرى الفرهودى النحوى الامام المشهور فى النحو استاذ سيبويه

* (ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة) *

* (ذكر هلاك المقنع) *

فى هذه السنة سار معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر الى المقنع وعلى مقدمته سعيد الحرشى وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع فهزموهم فقصد المنهزمون الى المقنع بسنام فعمل خندقها وحصنها وأتاهم معاذ فحاربهم فجرى بينه وبين الحرشى نفرة فكتب الحرشى الى المهدى يقع فى معاذ ويضمن له الكفاية ان أفرده بحرب المقنع فأجابه المهدى الى ذلك فانفرد الحرشى بحربه وأمده معاذ بابنه رجاء فى جيش وبكل ما التمسه منه وطال الحصار على المقنع فطلب أصحابه الامان سرا منه فأجابهم الحرشى الى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفا وبقى معه زهاء ألفين من أرباب البصائر وتحول رجاء بن معاذ وغيره فنزلوا خندق المقنع فى أصل القلعة وضايقوه فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فأتى عليهم وأمر ان يحرق هو بالنار لئلا يقدر على جثته وقيل بل أحرق كل ما فى قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ثم قال من أحب أن يرتفع معى الى السماء فليلق نفسه معى فى هذه النار وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا ودخل العسكر القلعة فوجدوها خالية خاوية وكان ذلك مما زاد فى افتتان من بقى من أصحابه والذين يسمون المبيضة بما وراء النهر من أصحابه الا انهم يسرون اعتقادهم وقيل بل شرب هو أيضا من السم

واجتمعوا بالديوان ومعهم ما حضروه واستأصلوه فى الجملة فأما أمر المحاكم والقضايا قالوا الاولى ابقاؤها على ترتيبها ونظامها وعرفوهم عن كيفية ذلك ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد فاستحسنوا ذلك الا انهم قالوا يحتاج الى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاة ولا نوابهم فقرروا ذلك وهو انه اذا كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفا واذا كان المبلغ مائة يكون على الالف خمسة عشر فان زاد على ذلك فعشرة واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك وأما حجج العقارات فانه امر شاق طويل الذيل فالمناسب فيه والاولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادئ الرأى ليسهل تحصيلها ويحسن عليها السكوت ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط وبينوا القدر المناسب بتفصيل الاماكن وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه وانفض الديوان وفى ذلك اليوم نودى فى الاسواق بنشر الثياب والامتعة خمسة عشر يوما وقيدوا على مشايخ الاخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة الى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ثم

الله صلى الله عليه وسلم فقال له المهدى ان هذا نسب ما يقرون به الا عند الحاجة والاضرار الى التقرب الينا فقال له من جحد ذلك يا أمير المؤمنين فانا سنقر وانا اسالك ان تردني ومعشر آل ابي بكرة الى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتامر بآل زياد فيخرجوا من نسبهم الذي الحقوا به ورغبوا عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر ويردوا الى عبيد في موالي ثقيف فامر المهدى برد آل ابي بكرة الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب فيه الى محمد بن موسى بذلك وان من أقر منهم بذلك ترك ماله بيده ومن اباه اصطفى ماله فعرضهم فاجابوا جميعا الا ثلاثة نفر وكذلك أيضا امر برد نسب آل زياد الى عبيد واخرجهم من قريش فكان الذى حمل المهدى على ذلك مع الذى ذكرناه ان رجلا من آل زياد قدم عليه يقال له الصغدى بن سلم بن حرب بن زياد فقال له المهدى من أنت فقال ابن عمك فقال اى بنى عمى أنت فذكر نسبه فقال المهدى يا ابن سمية الزانية متى كنت ابن عمى وغضب وأمر به فوجئ في عنقه وأخرج وسال عن استلحاق زياد ثم كتب الى العامل بالبصرة باخراج آل زياد من ديوان قريش والعرب وردهم الى ثقيف وكتب في ذلك كتابا بالغا يذكر فيه استلحاق زياد ومخالفة حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فاسقطوا من ديوان قريش ثم انهم بعد ذلك رشوا العمال حتى ردوهم الى ما كانوا عليه فقال خالد النجار

ان زيادا ونافعا وابا * بكرة عندى من اعجب العجب
*ذا قرشى كما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربى

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن صفوان الجمحي أمير المدينة واستعمل عليها مكانه محمد ابن عبد الله الكثيري ثم عزل واستعمل مكانه زفر بن عاصم الهلالي وجعل على القضاء عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي وفيها اخرج عبد السلام الخارجي بنواحي الموصل وفيها عزل بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليها روح بن حاتم وحج بالناس هذه السنة المهدى واستخلف على بغداد ابنه موسى وخاله يزيد بن منصور واستصحب معه جماعة من أهل بيته وابنه هرون الرشيد وكان معه يعقوب بن داود فاتى بمكة بالحسن بن ابراهيم بن عبد الله العلوي الذى كان استأمن له فوصله المهدى واقطعه وفيها نزع المهدى كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة وكان سبب نزعها ان حجبة الكعبة ذكروا انهم يخافون على الكعبة ان تتهدم لكثرة ما عليها من الكسوة فنزعها وكانت كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين وما قبلها من عمل اليمن وقسم مالا عظيما وكان معه من العراق ثلاثون ألف ألف درهم ووصل اليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار ففرق ذلك كله وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ خمسمائة من الانصار يكونون حرسا له بالعراق واقطعهم بالعراق واجرى عليهم الارزاق وحمل اليه محمد بن

حتى يظهر في غد فاطمانوا وختموا على مخزنه ومنزله فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل فاخذوا ما وجدوه فيه مما من البضائع والامانات (وفي يوم الاحد) ذهبوا الى الديوان وعملوا مثل عملهم الاول حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور والمشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق (وفي يوم الاثنين) اجتمعوا بالديوان ونادى المنادى في ذلك اليوم بالاسواق على الناس باحضار حجج أملاكهم الى الديوان والمهلة ثلاثون يوما فان تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ومهلة البلاد ستون يوما ولما تكامل الجميع شرع ملطي في قراءة المنشور وتعداد ما به من الشروط مسطور ذكر من ذلك أشياء منها أمر المحاكم والقضايا الشرعية وحجج العقارات وأمر المواريث وتناقشوا في ذلك حصة من الزمن وكتبوا هذه الاربعة أشياء أرباب ديوان الخاصة يدبرون رأيهم في ذلك وينظرون المناسب والاحسن وما فيه الراحة لهم وللرعية ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس وما بين ذلك له مهلة وانفض المجلس

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الخميس الموعود سنة ١٢١٣)

ضيقا على الصقلبي فى الحرب فقصد الصقلبي جبلا منيعا بناحية بلنسية فبذل الاموى ألف دينار لمن أتاه برأسه فاغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه الى عبد الرحمن فاعطاه ألف دينار وكان قتله سنة اثنتين وستين ومائة

(ذكر عدة حوادث)

وفيها ظفر نصر بن محمد بن الاشعث بعبد الله بن مروان بالشام فاخذه وقدم به على المهدى فحبسه فى المطبق وجاء عمرو بن سهلة الاشعرى فادعى ان عبد الله قتل أباه وحاكمه عند عافية القاضى فتوجه الحكم على عبد الله فجاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي الى القاضى فقال زعم عمرو بن سهلة ان عبد الله قتل أباه وكذب والله ماقتل اباه غيرى انا قتلته بامر مروان وعبد الله برىء من دمه فترك عبد الله ولم يعرض المهدى لعبد العزيز لانه قتله بامر مروان * وفيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم مع ميخائيل فى ثمانين ألفا فاتى عمق مرعش فقتل وسبى وغنم وأتى مرعش فحاصرها فقاتلهم فقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن على مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان وبلغ الخبر المهدى فعظم عليه وتجهز لغزو الروم على ماسنذكره سنة اثنتين وستين ومائة فلم يكن للمسلمين صائفة من أجل ذلك * وفيها أمر المهدى ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التى بناها السفاح من القادسية الى زبالة وأمر باتخاذ المصانع فى كل منهل منها وبتجديد الاميال والبرك وبحفر الركايا وولى ذلك يقطين بن موسى وأمر بالزيادة فى مسجد البصرة وتقصير المنابر فى البلاد وجعلها بمقدار منبر النبى صلى الله عليه وسلم الى اليوم وفيها امر المهدى يعقوب بن داود بتوجيه الامناء فى جميع الآفاق ففعل فكان لا ينفذ المهدى كتابا الى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب الى أمينه بانفاذ ذلك وفيها غزا الغمر بن العباس فى البحر وفيها ولى نصر بن محمد بن الاشعث السند ثم عزل بعبد الملك بن شهاب فبقى عبد الملك ثمانية عشر يوما ثم عزل وأعيد نصر من الطريق وفيها استقضى المهدى عافية القاضى مع ابن علاثة بالرصافة وفيها عزل الفضل بن صالح عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الصمد بن على واستعمل عيسى بن لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان الشروى على الموصل وبسطام بن عمرو التغلبي على اذربيجان وفيها توفى نصر بن مالك من فالج أصابه وولى المهدى بعده شرطته حمزة بن مالك وصرف أبان بن صدقة عن هرون الرشيد وجعل مع موسى الهادى وجعل مع هرون يحيى بن خالد بن برمك وفيها عزل محمد بن سليمان أبو ضمرة عن مصر فى ذى الحجة ووليها سلمة بن رجاء وحج بالناس موسى الهادى وهو ولى عهد وكان عامل مكة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان وعامل اليمن على بن سليمان وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى أحداثها اسحق بن منصور وفيها توفى سفيان الثورى كان مولده سنة سبع وتسعين وزائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفى الكوفى وابراهيم

الولد أقدر على التكسب من البنت فقال ميخائيل كحيل الشامى وهو من أهل الديوان أيضا نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمون ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها فسايروهم ووعدوهم بذلك وانفضوا وفى ذلك اليوم عزلوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان وجعلوه كتخدا أمير الحاج واستقروا بمصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقا عوضا عنه ونودى بذلك (وفى يوم الاثنين) عملوا لهم ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة والآيات المتعلقة بذلك فاستحسنوا ذلك (وفى يوم السبت عاشر جمادى الاولى) عملوا الديوان واحضروا قائمة مقررات الاملاك والعقار فجعلوا على الاعلى ثمانية فرانسة والاوسط ستة والادنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ماجعلوا عليه اثنين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم والصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخا

يذهبون بعد التاكد على أهل المنزل والتحذير من ترك

فمات فانفذ الحرشي رأسه الى المهدي فوصل اليه وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة في غزواته

(ذكر تغير حال أبي عبيد الله)

في هذه السنة تغيرت حال أبي عبيد الله وزير المهدي وقد ذكرنا فيما تقدم سبب اتصاله به أيام المنصور ومسيره معه الى خراسان فحكى الفضل بن الربيع ان الموالي كانوا يقعون في أبي عبيد الله عند المهدي و يحرضونه عليه وكانت كتب أبي عبيد الله ترد على المنصور بما يفعل و يعرضها على الربيع و يكتب الكتب الى المهدي بالوصاية به وترك القول فيه ثم ان الربيع حج مع المنصور حين مات وفعل في بيعة المهدي ما ذكرناه فلما قدم جاء الى باب أبي عبيد الله قبل المهدي وقبل ان يأتي أهله فقال له ابنه الفضل تترك أمير المؤمنين ومنزلك وتأتيه قال هو صاحب الرجل و ينبغي ان نعامله غير ما كنا نعامله به ونترك ذكر نصرتنا له فوقف على بابه من المغرب الى أن صليت العشاء الآخرة ثم اذن له فدخل فلم يقم له وكان متكئا فلم يجلس ولا أقبل عليه وأراد الربيع ان يذكر له ما كان منه في أمر البيعة فقال قد بلغنا أمركم فاوغر صدر الربيع فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل لقد بلغ فعل هذا بك ما فعل وكان الرأي أن لا تأتيه وحيث أتيته وحجبك ان تعود وحيث دخلت عليه فلم يقم لك أن تعود فقال لابنه أنت أحمق حيث تقول كان ينبغي ان لا تجيء وحيث جئت وحجبت أن تعود ولما دخلت فلم يقم لك كان ينبغي ان تعود ولم يكن الصواب الا ما عملته ولكن والله وأكد اليمين لاخلعن جاهي ولا نفقن مالي حتى ابلغ مكروهه وسعى في أمره فلم يجد عليه طريقا لاحتياطه في أمر دينه وأعماله فاتاه من قبل ابنه محمد فلم يزل يحتال و يدس الى المهدي و يتهمه ببعض حرمه و بانه زنديق حتى استحكمت التهمة عند المهدي بابنه فامر به فاحضر واخرج أبوه ثم قال له يا محمد اقرأ فلم يحسن يقرأ شيئا فقال لابيه ألم تعلمني ان ابنك يحفظ القرآن قال بلى ولكنه فارقني منذ سنين وقد نسي قال فقم فتقرب الى الله بدمه فقام ليقتل ولده فعثر فوقع فقال العباس بن محمد ان رأيت ان تعفي الشيخ فافعل فامر بابنه فضربت عنقه وقال له الربيع يا أمير المؤمنين تقتل ابنه وتثق اليه لا ينبغي ذلك فاستوحش منه وكان من أمره ما نذكره

(ذكر عبور الصقلبي الى الاندلس وقتله)

وفي هذه السنة وقيل سنة ستين عبر عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي وانما سمي به لطوله وزرقته وشقرته من افريقية الى الاندلس محاربا لهم ليدخلوا في الطاعة للدولة العباسية وكان عبوره في ساحل تدمير وكاتب سليمان بن يقظان بالدخول في أمره ومحاربة عبد الرحمن الاموي والدعاء الى طاعة المهدي وكان سليمان ببرشلونة فلم يجبه فاغتاظ عليه وقصد بلده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان فعاد الصقلبي الى تدمير وسار عبد الرحمن الاموي نحوه في العدد والعدة وأحرق السفن

الفعل وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون وكتبوا بذلك أوراقا ألصقوها بحيطان الاسواق على عادتهم في ذلك (وفيه) حضر الى بيت البكري جم غفير من اولاد الكتاتيب والفقهاء والعميان والمؤذنين وأرباب الوظائف والمستحقين من الزمنى والمرضى بالمارستان المنصوري واوقاف عبد الرحمن كتخدا وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم لان الاوقاف تعطل ايرادها واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام وجعلوا ذلك مغنما لهم فواعدهم على حضورهم الديوان و ينهوا شكواهم ويتشفع لهم فذهبوا راجعين (وفيه) قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحين (وفيه) وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضا فاكثر الناس من اللغط ولم يعلموا سبب ذلك (وفي يوم الاحد) اجتمعوا بالديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر المواريث فقال ملطي مشايخ أخبرونا عما تصنعونه في قسمة المواريث فاخبروه بفروض المواريث الشرعية فقال ومن أين لكم ذلك فقالوا من القرآن وتلوا عليهم بعض آيات المواريث فقال الافرنج نحن عندنا لا نورث الولد و نورث

تضييقا

عند يزيد بن حاتم سمكا ثم شرب لبنا وكان يحيى بن ماسويه الطبيب حاضرا فقال ان كان الطب صحيحا مات الشيخ الليلة فتوفى من ليلته تلك والله أعلم

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة)

(ذكر غزو الروم)

فى هذه السنة تجهز المهدى لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها وكان قد توفى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس فى جمادى الآخرة وسار المهدى من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادى واستصحب معه ابنه هرون الرشيد وسار على الموصل والجزيرة وعزل عنها عبد الصمد بن على فى مسيره ذلك ولما حاذى قصر مسلمة بن عبد الملك قال العباس بن محمد بن على للمهدى ان لمسلمة فى اعناقنا منة كان محمد بن على مر به فاعطاه أربعة آلاف دينار وقال له اذا نفدت فلا تحتشمنا فاحضر المهدى ولد مسلمة ومواليه وأمر لهم بعشرين ألف دينار وأجرى عليهم الارزاق وعبر الفرات الى حلب وأرسل وهو بحلب فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين وسار عنها مشيعا لابنه هرون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان فسار هرون ومعه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والربيع والحسن بن قحطبة والحسن وسليمان بن برمك ويحيى ابن خالد بن برمك وكان اليه أمر العسكر والنفقات والكتابة وغير ذلك فساروا فنزلوا على حصن سمالو فحصره هرون ثمانية وثلاثين يوما ونصب عليه المجانيق ففتحه الله عليهم بالامان ووفى لهم وفتحوا فتوحا كثيرة ولما عاد المهدى من الغزاة زار بيت المقدس ومعه يزيد بن منصور والعباس بن محمد بن على والفضل بن صالح بن على وعلى بن سليمان بن على وقفل المسلمون سالمين الا من قتل منهم وعزل المهدى ابراهيم بن صالح عن فلسطين ثم رده

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ولى المهدى ابنه هرون المغرب كله واذربيجان وارمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك وفيها عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الله بن صالح وفيها عزل المهدى معاذ بن مسلم عن خراسان واستعمل عليها المسيب بن زهير الضبى وعزل يحيى الحرشى عن اصبهان وولى مكانه الحكم بن سعيد وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان وولاهما عمر بن العلاء وعزل مهلهل بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد وكان على مكة والمدينة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان وكان على الكوفة اسحق بن الصباح وعلى البصرة وفارس والبحرين والاهواز محمد بن سليمان وعلى السند نصر بن محمد بن الاشعث وعلى الموصل محمد بن الفضل وحج بالناس هذه السنة على بن المهدى وفيها أظهر عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس التجهز للخروج الى الشام بزعمه لمحو

وذهب الى بيت القاضى فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة وتلك الاخطاط بالخلائق مزحومة فبادروا اليه وضربوه وأثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وابطاله وشجعانه فعند ذلك اخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون وملأوا الاطراف الدائرة بمعظم اخطاط القاهرة كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين وماحاذاها ولم يتعدوا جهة سواها وهدموا مساطب الحوانيت وجعلوا احجارها متاريس للكرنكة لتعوق هجوم العدو فى وقت المعركة ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس واما الجهات البرانية والنواحى الفوقانية فلم يفزع منهم فازع ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق وعذرهم الاكبر قربهم من مساكن العسكر ولم تزل طائفة المحاربين فى الازقة متترسين فوصل جماعة من الفرنساوية وظهروا من ناحية المناخلية وبندقوا على متراس الشوائين وبه جماعة من مغاربة الفحامين فقاتلوهم حتى أجلوهم وعن المناخلية أزالوهم وعند ذلك زاد الخلل وكثر الرجف والزلازل وخرجت العامة

ابن أدهم بن منصور أبو اسحق الزاهد وكان مولده ببلخ وانتقل الى الشام فأقام به مرابطا وهو من بكر بن وائل ذكره أبو حاتم البستى

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة)

(ذكر قتل عبد السلام الخارجى)

وفى هذه السنة قتل عبد السلام بن هاشم اليشكرى بقنسرين وكان قد خرج بالجزيرة فاشتدت شوكته وكثر اتباعه فلقيه عدة من قواد المهدى فيهم عيسى بن موسى القائد فقتله فى عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المروروذى فندب المهدى الى شبيب ألف فارس وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة فوافوا شبيبا فخرج بهم فى طلب عبد السلام فهرب منه فادركه بقنسرين فقاتله فقتله بها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وضع المهدى ديوان الازمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه وأجرى المهدى على المجذمين وأهل السجون فى جميع الآفاق وفيها خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة فى ثمانين ألف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ حمة اذرولية وأكثر التحريق والتخريب فى بلاد الروم ولم يفتح حصنا ولا لقى جمعا وسمته الروم التنين وقالوا انما أتى الحمة ليغتسل من مائها للوضح الذى به ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمى من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى وفيها عزل على بن سليمان عن اليمن واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان وعزل سلمة بن رجاء من مصر ووليها عيسى بن لقمان فى المحرم وعزل عنها فى جمادى الآخرة ووليها واضح مولى المهدى ثم عزل فى ذى القعدة ووليها يحيى الحرشى وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهار فغلب عليها وقتل بشرا كثيرا فغزاه عمر ابن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه وكان العمال من تقدم ذكرهم فكانت الجزيرة مع عبد الصمد بن على وطبرستان والرويان مع سعيد بن دعلج وجرجان مع مهلهل بن صفوان وفيها أرسل عبد الرحمن صاحب الاندلس شهيد بن عيسى الى دحية الغسانى وكان عاصيا فى بعض حصون البيرة فقتله وسير بدرا مولاه الى ابراهيم ابن شجرة البرلسى وكان قد عصى فقتله وسير أيضا تمامة بن علقمة الى العباس البربرى وهو فى جمع من البربر وقد أظهر العصيان فقتله أيضا وفرق جموعه وفيها سير جيشا مع حبيب بن عبد الملك القرشى الى القائد السلمى وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن أمير الاندلس فشرب ليلة وقصد باب القنطرة ليفتحه على سكر منه فمنعه الحرس فعاد فلما صحى خاف فهرب الى طليطلة فاجتمع اليه كثير ممن يريد الخلاف والشر فعاجله عبد الرحمن بانفاذ الجيوش اليه فنازله فى موضع قد تحصن فيه وحصره ثم ان السلمى طلب البراز فبرز اليه مملوك اسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين ثم ماتا جميعا وفيها توفى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضى افريقية وقد جاوز تسعين سنة وسبب موته انه أكل

عند

الأعيان وعينوا المهندسين ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الادنى وشرعوا فى الضبط والاحصاء وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أربابها ولما أشيع ذلك فى الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك والبعض استسلم للقضاء فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذى لم ينظر فى عواقب الامور ولم يتفكر أنه فى القبضة ماسور فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الاحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية وزعر الحارات البرانية ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح فى الكلام نصر الله دين الاسلام فذهبوا الى بيت قاضى العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الالف والاكثر فخاف القاضى العاقبة وأغلق ابوابه واوقف حجابه فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب وكذلك اجتمع بالازهر العالم الاكبر وفى ذلك الوقت حضر ديوى بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه فمر بشارع الغوريه وعطف على خط الصنادقية

وجرى بينهم حروب كثيرة قتل فيها خلق كثير من الطائفتين وكانت وقائعهم مشهورة وفيها مات شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية التيمي النحوي البصري وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور وقيل مات سنة ثلاث وستين وكان عمره ثمانيا وسبعين سنة وقيل ثمانين سنة وسعيد ابن عبد العزيز الدمشقي وسلام بن مسكين الغري الازدي أبو روح والمبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي مولى عمر بن الخطاب

(ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة)

(ذكر غزو الروم)

في هذه السنة سير المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم صائفة في جمادى الآخرة في خمسة وتسعين ألفا وتسعمائة وثلاثة وتسعين رجلا ومعه الربيع فاوغل هرون في بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد الشيباني فأثخنه يزيد وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وساروا الى الدمستق وهو صاحب المسالح فحمل لهم مائة ألف دينار وثلاثة وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين دينارا ومن الورق احدا وعشرين ألف ألف درهم وأربعة عشر ألفا وثمانمائة درهم وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ غطسة امرأة أليون وذلك ان ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو في حجرها فجرى الصلح بينها وبين الرشيد على الفدية وأن تقيم له الادلاء والاسواق في الطريق وذلك انه دخل مدخلا ضيقا مخوفا فاجابته الى ذلك ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى أن اصطلحوا خمسة آلاف رأس سبي وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا ومن الدواب الذلل بأدواتها عشرين ألف رأس وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفا وقتل من الاسارى صبرا ألفان وتسعون أسيرا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل خلف بن عبد الله عن الري ووليها عيسى مولى جعفر وحج بالناس هذه السنة صالح بن المنصور وكان العمال من تقدم ذكرهم غير ان البصرة كان على أحداثها والصلاة بها روح بن حاتم وكان على كور دجلة والبحرين وعمان وكسكر والاهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدي وكان على الموصل احمد بن اسماعيل ابن علي بن عبد الله بن عباس وفيها غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة فنكث مع عبد الرحمن فسير اليه عبد الرحمن غالب بن ثمامة بن علقمة في جند كثيف فاقتتلوا فاسر جماعة من أصحاب الحسين فيهم ابنه يحيى فسيرهم الى الامير عبد الرحمن فقتلهم وأقام ثمامة بن علقمة على الحسين يحصره ثم ان الامير عبد الرحمن سار سنة ست وستين ومائة الى سرقسطة بنفسه فحصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق ستة وثلاثين

تخاف وهربوا من كل سوق ودخلوا في الشقوق وتتابع الرمي من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الاركان وهدمت في مرورها حيطان الدور وسقطت في بعض القصور ونزلت في البيوت والوكائل وأصمت الآذان بصوتها الهائل فلما عظم هذا الخطب وزاد الحال والكرب ركب المشايخ الى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ويمنع عسكره من الرمي المتراسل ويكفهم كما تكف المسلمون عن القتال والحرب خدعة وسجال فلما ذهبوا اليه واجتمعوا عليه عاتبهم في التأخير واتهمهم في التقصير فاعتذروا اليه فقبل عذرهم وأمر برفع الرمي عنهم وقاموا من عنده وهم ينادون بالامان في المسالك وتسامع الناس بذلك فردت فيهم الحرارة وتسابقوا لبعضهم بالبشارة واطمأنت منهم القلوب وكان الوقت قبل الغروب وانقضى النهار وأقبل الليل وغلب على الظن ان القضية لها ذيل وأما أهل الحسينية والعطوف البرانية فانهم لم يزالوا مستمرين وعلى الرمي والقتال ملازمين ولكن خانهم المقصود وفرغ منهم البارود والافرنج أثخنوهم بالرمي المتتابع بالقنابر والمدافع الى ان مضى من الليل نحو ثلاث ساعات وفرغت من عندهم الادوات

الدولة العباسية واخذ ثاره منهم فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصارى بسرقسطة واشتد أمرهما فترك ما كان عزم عليه وفيها مات موسى بن على بن رباح اللخمى (على بضم العين مصغرا ورباح بالباء الموحدة) وفيها مات ابراهيم بن طهمان وكان عالما فاضلا وكان مرجئا من اهل نيسابور ومات بمكة وفيها توفى ابو الاشهب جعفر بن حيان بالبصرة وفيها توفى بكار بن شريح قاضى الموصل بها وكان فاضلا وولى القضاء بها أبو مكرز الفهرى واسمه يحيى بن عبد الله بن كرز

(ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة)

فى هذه السنة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث فاتاه ميخائيل البطريق وطاراذ الارمنى البطريق فى تسعين ألفا فخاف عبد الكبير ومنع الناس من القتال ورجع بهم فاراد المهدى قتله فشفع فيه فحبسه وفيها عزل المهدى محمد بن سليمان عن البصرة وسائر اعماله واستعمل صالح ابن داود مكانه وفيها سار المهدى ليحج فلما بلغ العقبة ورأى قلة الماء خاف ان الماء لا يحمل الناس وأخذته أيضا حمى فرجع وسير أخاه صالحا ليحج بالناس ولحق الناس عطش شديد حتى كادوا يهلكون وغضب المهدى على يقطين لانه صاحب المصانع وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطة ووجه من يستقبله ويفتش متاعه واستعمل على اليمن منصور بن يزيد بن منصور وعلى أفريقية يزيد بن حاتم وكان العمال من تقدم ذكرهم وعلى الموصل محمد بن الفضل وفيها سار عبد الرحمن الاموى الى سرقسطة بعد ان كان قد سير اليها ثعلبة بن عبيد فى عسكر كثيف وكان سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن كما ذكرنا وهما بها فقاتلهما ثعلبة قتالا شديدا وفى بعض الايام عاد الى مخيمه فاغتنم سليمان غرته فخرج اليه وقبض عليه وأخذه وتفرق عسكره واستدعى سليمان قارله ملك الافرنج ووعده بتسليم البلد وثعلبة اليه فلما وصل اليه لم يصح بيده غير ثعلبة فاخذه وعاد الى بلاده وهو يظن انه يأخذ به عظيم الفداء فاهمله عبد الرحمن مدة ثم وضع من طلبه من الفرنج فاطلقوه فلما كان هذه السنة سار عبد الرحمن الى سرقسطة وفرق أولاده فى الجهات ليدفعوا كل مخالف ثم يجتمعون بسرقسطة فسبقهم عبد الرحمن اليها وكان الحسين بن يحيى قد قتل سليمان بن يقظان وانفرد بسرقسطة فوافاه عبد الرحمن على أثر ذلك فضيق على أهلها تضييقا شديدا وأتاه أولاده من النواحى ومعهم كل من كان خالفهم وأخبروه عن طاعة غيرهم فرغب الحسين فى الصلح وأذعن للطاعة فاجابه عبد الرحمن وصالحه وأخذ ابنه سعيدا رهينة ورجع عنه وغزا بلاد الفرنج فدوخها ونهب وسبى وبلغ قلهرة وفتح مدينة فكيرة وهدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد البشكنس ونزل على حصن مثمين الاقرع فافتتحه ثم تقدم الى ملدونون بن اطلال وحصر قلعته وقصد الناس جبلها وقاتلوهم فيها فملكوها عنوة وخربها ثم رجع الى قرطبة وفيها ثارت فتنة بين بربر بلنسية وبربر شنت برية من الاندلس

وجرى

فمن الحد وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد وامتدت أيديهم الى النهب والخطف والسلب فهجموا على حارة الجوانية ونهبوا دور النصارى الشوام والاروام وماجاورهم من بيوت المسلمين على التمام وأخذوا الودائع والامانات وسبوا النساء والبنات وكذلك نهبوا خان الملايات ومابه من الامتعة والموجودات واكثروا من المعايب ولم يفكروا فى العواقب وباتوا تلك الليلة سهرانين وعلى هذا الحال مستمرين وأما الافرنج فانهم أصبحوا مستعدين وعلى تلال البرقية والقلعة واقفين وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبنبات ووقفوا مستحضرين ولامر كبيرهم منتظرين وكان كبير الفرنسيس أرسل الى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها ومل من المطاولة هذا والرمى متتابع من الجهتين وتضاعف الحال ضعفين حتى مضى وقت العصر وزاد القهر والحصر فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات وتعمدوا بالخصوص الجامع الازهر وجرروا عليه المدافع والقنبر وكذلك ماجاوره من اماكن المحاربين كسوق الغورية والفحامين فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه نادوا بالسلام من هذه الآلام

اليه تبسم وساله عن مبيته وكان المهدي مستهترا بالنساء فيخوض يعقوب معه في ذلك
فيفترقان عن رضا ثم انه كان ليعقوب برذون كان يركبه فخرج يوما من عند المهدي
وعليه طيلسان يتقعقع من كثرة دقه والبرذون مع الغلام وقد نام الغلام فركب
يعقوب وأراد تسوية الطيلسان فنفر من قعقعته فسقط فدنا من دابته فرفسه فانكسر
ساقه فانقطع عن الركوب فعاده المهدي من الغد ثم انقطع عنه فتمكن السعاة منه فاظهر
المهدي السخط عليه ثم أمر به فحبس في سجن نصر وأخذ عماله وأصحابه فحبسوا وقال
يعقوب بن داود بعث الى المهدي يوما فدخلت عليه وهو في مجلس مفروش بفرش مورد
على بستان فيه شجر ورؤس الشجر مع صحن المجلس وقد اكتسى ذلك الشجر بالازهار
فما رأيت شيأ أحسن منه وعنده جارية عليها نحو ذلك الفرش ما رأيت أحسن منها
فقال لي يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قلت على غاية الحسن فمتع الله امير المؤمنين به
قال هو لك بما فيه وهذه الجارية ليتم سرورك به قال فدعوت له ثم قال لي يا يعقوب ولي
اليك حاجة احب ان تضمن لي قضاءها قلت الامر لامير المؤمنين وعلى السمع والطاعة
فاستحلفني بالله وبراسه فحلفت لاعملن بما قال فقال هذا فلان بن فلان من ولد علي بن
أبي طالب واحب ان تكفيني مؤنته وتريحني منه وتعجل ذلك قلت افعل فاخذته
وأخذت الجارية وجميع ما في المجلس وامر لي بمائة الف درهم فلشدة سروري بالجارية
صيرتها في مجلس بيني وبينها ستر وادخلت العلوي الي وسالته عن حاله فاخبرني واذا هو
أعقل الناس واحسنهم ابانة عن نفسه ثم قال ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمي وانا رجل
من ولد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم قلت لا والله فهل فيك خير قال ان
فعلت خيرا شكرت ولك عندي دعاء واستغفار فقلت اي الطريق أحب اليك قال
كذا وكذا فارسلت الى من يثق اليه العلوي فاخذه واعطيته مالا وارسلت الجارية
الى المهدي تعلمه الحال فارسل الى الطريق فاخذ العلوي وصاحبه والمال فلما كان
الغد استحضرني المهدي وسالني عن العلوي فاخبرته أني قتلته فاستحلفني بالله وبراسه
فحلفت له فقال يا غلام اخرج الينا ما في هذا البيت فاخرج العلوي وصاحبه والمال
فبقيت متحيرا وامتنع مني الكلام فما ادري ما اقول فقال المهدي قد حل لي دمك
ولكن احبسوه في المطبق ولا اذكر به فحبست في المطبق واتخذ لي فيه بئر فدليت فيها
فبقيت مدة لا أعرف عددها وأصيب بصري قال فاني لكذلك اذ دعي بي وقيل لي
سلم على أمير المؤمنين فسلمت قال اي أمير المؤمنين انا قلت المهدي قال رحم الله المهدي
قلت فالهادي قال رحم الله الهادي قلت فالرشيد قال نعم سل حاجتك قلت المقام بمكة
فما بقي في مستمتع لشئ ولا بلاغ فاذن لي فسرت الى مكة قال فلم تطل ايامه بها حتى مات
وكان يعقوب قد ضجر بموضعه قبل حبسه وكان اصحاب المهدي يشربون عنده فكان
يعقوب ينهاه عن ذلك ويعظه ويقول ليس على هذا استوزرتني ولا عليه صحبتك بعد
الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ فضيق على المهدي حتى قيل

فدع عنك يعقوب بن داود جانبا * وأقبل على صهباء طيبة النشر

وأحاطوا بها احاطة السوار ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على النهب وآلة السلاح والضرب وخرجت سكان تلك الجهة يهرعون وللنجاة بانفسهم طالبون وانتهكت حرمة تلك البقعة بعدان كانت أشرف البقاع ويرغب الناس في سكناها ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع والفرنساوية لا يمرون بها الا في النادر ويحترمونها عن غيرها في الباطن والظاهر فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع والمخفض على غير القياس المرفوع ثم ترددوا في الاسواق ووقفوا صفوفا مثنى والوفا فان مر بهم أحد فتشوه وأخذوا ما معه وربما قتلوه ورفعوا القتلى والمطروحين من الافرنج والمسلمين ووقف جماعة من الفرنسيس ونظفوا مراكز المتاريس وأزالوا ما بها من الاتربة والاحجار المتراكمة ووضعوها في ناحية لتصير طرق المرور خالية وتحزبت نصارى الشوام وجماعة أيضا من الاروام الذين انتهبت دورهم بالحارة الجوانية ليشكوا الكبير الفرنسيس ما لحقهم من الرزية واغتنموا الفرصة في المسلمين وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين وضربوا فيهم المضارب وكانهم شاركوا

منجنيقا فلكها عنوة وقتل الحسين أقبح قتله ونفى أهل سر قسطة منها ليمين تقدمت منه ثم ردهم اليها وفيها مات يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب وهو من ولد شهر ذى الجناح الحميرى خال المهدى وقد كان ولى اليمن والبصرة والحج وفيها توفى فتح بن الوشاح الموصلى الزاهد

(ثم دخلت سنة ست وستين ومائة)

فى هذه السنة أخذ المهدى البيعة لولده هرون الرشيد بولاية العهد بعد أخيه موسى الهادى ولقبه الرشيد وفيها عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى عن قضاء البصرة واستقضى خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى أهل البصرة منه

(ذكر القبض على يعقوب بن داود)

وفى هذه السنة سخط المهدى على وزيره يعقوب بن داود بن طهمان وكان أول أمرهم ان داود بن طهمان وهو أبو يعقوب كان يكتب لنصر بن سيار هو واخوته فلما كان أيام يحيى بن زيد كان داود يعلمه ما يسمعه من نصر فلما طلب أبو مسلم الخراسانى بدم يحيى ابن زيد أتاه داود لما كان بينه وبين يحيى فامنه ابو مسلم فى نفسه وأخذ ماله الذى استفاد أيام نصر فلما مات داود خرج أولاده أهل أدب وعلم ولم يكن لهم عند بنى العباس منزلة فلم يطمعوا فى خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر وأظهروا مقالة الزيدية ودنوا من آل الحسين وطمعوا ان تكون لهم دولة فكان داود يصحب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن أحيانا وخرج معه هو وعدة من اخوته فلما قتل ابراهيم طلبهم المنصور فاخذ يعقوب وعليا وحبسهما فلما توفى المنصور أطلقهما المهدى مع من أطلقه وكان معهما الحسن بن ابراهيم فاتصل الى المهدى بسببه كما تقدم ذكره وقيل اتصل به بالسعاية بآل على ولم يزل أمره يرتفع حتى استوزره وكان المهدى يقول وصف لى يعقوب فى منامى فقيل لى استوزره فلما رأيته رأيت الخلقة التى وصفت لى فاتخذته وزيرا فلما ولى الوزارة أرسل الى الزيدية فجمعهم وولاهم أمور الخلافة فى المشرق والمغرب ولذلك قال بشار بن برد

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

فحسده موالى المهدى وسعوا به وقيل له ان الشرق والغرب فى يد يعقوب وأصحابه وانما يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد فيأخذوا الدنيا فملأ ذلك قلب المهدى ولما بنى المهدى عيساباذ أتاه خادم من خدمه فقال له ان أحمد بن اسمعيل بن على قال لى ابنى متنزها أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت المال فحفظها المهدى ونسى أحمد بن اسمعيل وظن أن يعقوب قالها فبينما يعقوب بين يديه اذ لببه فضرب به الارض وقال ألست القائل كيت وكيت فقال والله ما قلته ولا سمعته قال وكان السعاة يسعون بيعقوب ليلا ويتفرقون وهم يعتقدون انه يقبضه بكرة فاذا أصبح غدا عليه فاذا نظر اليه

و بعد هجعة من الليل دخل الافرنج المدينة كالسيل وجروا فى الازقة والشوارع لايجدون لهم ممانع كانهم الشياطين أوجند ابليس وهدموا ماوجدوه من المتاريس ودخل طائفة من باب البرقية ومشوا الى الغورية وكروا ورجعوا وترددوا وماهجعوا وعلموا باليقين أن لادافع لهم ولا كمين وتراسلوا ارسالا ركبانا ورجالا ثم دخلوا الى الجامع الازهر وهم راكبون الخيول وبينهم المشاة كالوعول وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالاروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ونهبوا ماوجدوه من المتاع والاوانى والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ودشتوا الكتب والمصاحف وعلى الارض طرحوها وبارجلهم ونعالهم داسوها وأحدثوا فيه وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه وأصبح يوم الثلاثاء فاصطف منهم حزب بباب الجامع فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ويسارع وتفرقت طوائفهم بتلك

وفيها عزل المهدى أباعبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع وفيها كان الوباء ببغداد والبصرة وفشا فى الناس سعال شديد وفيها توفى أبان بن صدقة كاتب الهادى فوجه المهدى مكانه أباخالد الاحول وفيها أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت فيه دور كثيرة وكان المتولى لبنائه يقطين بن موسى فبقى البناء فيه الى أن توفى المهدى وكذلك أمر بالزيادة فى المسجد الجامع بالموصل ورأيت لوحا فيه ذكر ذلك وهو فى حائط الجامع سنة ثلاث وستمائة وهو باق وفيها عزل يحيى الحرشى عن طبرستان والرويان وما كان اليه ووليه عمر بن العلاء وولى جرجان فراشة مولى المهدى وفيها أظلمت الدنيا لثلاث مضين من ذى الحجة حتى تعالى النهار ولم يكن صائفة للهدنة وحج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وهو على المدينة ثم توفى بعد فراغه من الحج بايام وتولى مكانه اسحق بن عيسى بن على وفيها طعن عقبة بن سلم الهنائى اغتاله رجل بخنجر فمات ببغداد وكان على اليمن سليمان بن يزيد الحارثى وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيرى وكان على البصرة محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمى وعلى الموصل أحمد بن اسمعيل الهاشمى وقيل موسى بن كعب وباقى الامصار كما تقدم وفى هذه السنة توفى جعفر الاحمر أبو شيبة والحسن بن صالح بن حى وكان شيعيا عابدا وسعيد بن عبد الله بن عامر التنوخى وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن مسلم وفيها أفسد العرب فى بادية البصرة بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطريق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة فارسل المهدى اليهم جيشا فقاتلهم واشتد القتال وصبر العرب فظفروا وقتلوا عامة العسكر المنفذ اليهم فقويت شوكتهم وزاد شرهم

(ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة)

فى هذه السنة فى رمضان نقض الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين وكان من أوله الى ان نقضوه اثنان وثلاثون شهرا فوجه على بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين يزيد بن البدر بن البطال فى خيل فغنموا وظفروا

(ذكر الخوارج بالموصل)

وفيها خرج بارض الموصل خارجى اسمه ياسين من بنى تميم فخرج اليه عسكر الموصل فهزمهم وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة وكان يميل الى مقالة صالح بن مسرح الخارجى فوجه اليه المهدى أباهريرة محمد بن فروخ القائد وهرثمة بن اعين مولى بنى ضبة فحارباه فصبر لهما حتى قتل هو وعدة من أصحابه وانهزم الباقون

(ذكر مخالفة ابى الاسود بالاندلس)

فى هذه السنة ثار أبو الاسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى بالاندلس وكان من حديثه انه كان فى سجن عبد الرحمن بقرطبة من حين هرب أبوه وقتل اخوه عبد الرحمن على ما تقدم وحبس أبو الاسود وتعامى فى الحبس فصار يحاكى العميان ولا

الا الله وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم وأصبح يوم الاربع فركب فيه المشايخ أجمع وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه وخاطبوه فى العفو ولاطفوه والتمسوا منه أمانا كافيا وعفوا ينادون به باللغتين شافيا لتطمئن بذلك قلوب الرعية ويسكن روعهم من هذه الرزية فوعدهم وعدا مشوبا بالتسويف وطالبهم بالتبيين والتعريف عمن تسبب من المتعممين فى اثارة العوام وحرضهم على الخلاف والقيام فغالطوه عن تلك المقاصد فقال على لسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد فترجوا عنده فى اخراج العسكر من الجامع الازهر فاجابهم لذلك السؤال وأمر باخراجهم فى الحال وأبقوا منهم السبعين أسكنوهم فى الخطة كالضابطين ليكونوا للامور كالراصدين وبالاحكام متقيدين ثم انهم خصوا على المتهمين فى اثارة الفتنة فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان والشيخ احمد الشرقاوى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ اسمعيل البراوى وحبسوهم ببيت البكرى وأما السيد بدر المقدسى فانه تغيب وسافر الى جهة الشام وخصوا عليه فلم يجدوه

وقال يعقوب يوماً للمهدي في أمر أراده هذا والله السرف فقال المهدي ويحك يا يعقوب انما يحسن السرف باهل الشرف ولولا السرف لم يعرف المكثرون من المقلين

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة سار المهدي الى جرجان وجعل على قضائه أبا يوسف وفيها أمر المهدي باقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن ببغال وابل ولم يكن هنالك بريد قبل ذلك وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير فولاها الفضل بن سليمان الطوسي أبا العباس وأضاف اليه سجستان فاستخلف على سجستان تميم بن سعيد بن دعلج وفيها أخذ المهدي داود بن روح بن حاتم واسمعيل بن مجالد ومحمد بن أبي أيوب المكي ومحمد بن طيفور في الزندقة فاستتابهم وخلى سبيلهم وبعث داود الى أبيه وهو على البصرة وأمره بتأديبه وفيها استعمل ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله على المدينة وكان على مكة والطائف عبيد الله بن قثم وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن واستعمل عبد الله بن سليمان الربعي وفيها أطلق المهدي عبد الصمد بن علي من حبسه وحج بالناس ابراهيم بن يحيى وكان على الكوفة هاشم بن سعيد وعلى البصرة روح بن حاتم وعلى قضائها خالد بن طليق وعلى كور دجلة وكسكر واعمال البصرة والبحرين والاهواز وفارس وكرمان المعلى مولى المهدي وعلى مصر ابراهيم بن صالح وعلى افريقية يزيد ابن حاتم وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشي وعلى دنباوند وقومس فراشة مولى المهدي وعلى الري سعد مولاه وعلى الموصل أحمد بن اسمعيل الهاشمي وقيل موسى بن كعب الخثعمي وعلى قضائها علي بن مسهر بن عمير ولم يكن في هذه السنة صائفة للهدنة وفيها قتل بشار بن برد الشاعر الاعمى على الزندقة وكان خلق ممسوح العينين وفيها توفي الجراح بن مليح الرؤاسي وهو والد وكيع وفيها توفي المبارك ابن فضالة وحماد بن سلمة البصري وفيها قتل عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام وهذيل بن الصميل وسمرة بن جبلة لانهم اجتمعوا على خلعه مع العلاء بن حميد القشيري فتقرب بهم

(ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة)

في هذه السنة سار موسى الهادي الى جرجان في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز أحد بمثله لمحاربة ونداهرمز وشروين صاحبي طبرستان وجعل المهدي على رسائل موسى أبان بن صدقة ومحمد بن جميل على جنده ونفيعا مولى المنصور على حجابته وعلى بن عيسى بن ماهان على حرسه فسير الهادي الجنود اليهما وأمر عليهم يزيد بن مزيد فحاصرهما وفيها توفي عيسى بن موسى بالكوفة فاشهد روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الوجوه ودفن وكان عمره خمسا وستين سنة ومدة ولايته العهد ثلاثا وعشرين سنة وقد تقدم ذكر ولايته العهد وعزله عنه وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة فأخذ يزيد ابن الفيض فأقر فحبس فهرب فلم يقدر عليه وكان المتولي لامر الزنادقة الكلوذاني

الافرنج في النواشب وما ماليهم الا السكوت منسوبين اليهم مع أن المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الزعر أيضا وسلبوهم وكذلك خان الملايات المعلوم الذي عند باب حارة الروم وفيه بضائع المسلمين وودائع الغائبين فسكت المصاب على غصته واستعوض الله في قضيته لانه ان تكلم لا تسمع دعواه ولا يلتفت الى شكواه وانتدب مرطلمين للعسس على من حمل السلاح أو اختلس وبث أعوانه في الجهات يتجسسون في الطرقات فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم وما ينهيه النصارى من أبغاضهم فيحكم فيهم بمراده ويعمل برأيه واجتهاده ويأخذ منهم الكثير ويركب في موكبه ويسيرهم موثوقين بين يديه بالحبال ويسحبهم الاعوان بالقهر والنكال فيودعونهم البيوتات ويطالبونهم بالمنهوبات ويقررونهم بالعقاب والضرب ويسالونهم عن السلاح وآلات الحرب ويدل بعضهم على بعض فيقبضون على المدلول عليهم أيضا القبض وكذلك فعل مثل ما فعله اللعين الاغا وتجبر في أفعاله وطغى وكثير من الناس ذبحوهم وفي بحر النيل قذفوهم ومات في هذين اليومين وما بعدهما أمم كثيرة لا يحصى عددها

أكل طعاما ثم قال انى داخل الى البهو أنام فلا توقظونى حتى أكون أنا الذى انتبه فدخله فنام ونام أصحابه فاستيقظوا ببكائه فاتوه مسرعين فقال وقف على الباب رجل فقال

كانى بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة * وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى عليه معولات حلائله

فبقى بعد ذلك عشرة أيام ومات وقد اختلف فى سبب موته فقيل انه كان يتصيد فطردت الكلاب ظبيا وتبعته فدخل باب خربة ودخلت الكلاب خلفه ثم تبعها فرس المهدى فدخلها فدق الباب ظهره فمات من ساعته وقيل بل بعثت جارية من جواريه الى ضرة لها باناء فيه سم فدعا به المهدى فاكل منه فخافت الجارية أن تقول انه مسموم فمات من ساعته وقيل بل أهدت حسنة جارية له الى كمثرى فاهدته الى جارية أخرى كان المهدى يحظاها وسمت منه كمثراة هى أحسن الكمثرى فاجتاز بالمهدى فدعا به وكان يحب الكمثرى فاخذ تلك الكمثراة المسمومة فاكلها فلما وصلت الى جوفه صاح جوفى جوفى فسمعت صوته فجاءت تلطم وجهها وتبكى وتقول أردت أن أنفرد بك فقتلتك فمات من يومه ورجعت حسنة وعلى قبها المسوح فقال أبو العتاهية فى ذلك

رحن فى الوشى وأقبلـ * ـن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـ * ـر له يوم نطوح
لست بالباقى ولو عمـ * ـرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان * كنت لابد تنوح

وكان موته فى المحرم لثمان بقين منه وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وقيل عشر سنين وتسعا وأربعين يوما وتوفى وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ودفن تحت جوزة كان يجلس تحتها وصلى عليه ابنه الرشيد وكان أبيض طويلا وقيل اسمر باحدى عينيه نكتة بياض

(ذكر بعض سيرته)

كان المهدى اذا جلس للمظالم قال أدخلوا على القضاة فلو لم يكن ردى للمظالم الا للحياء منهم وعتب المهدى على بعض القواد غير مرة وقال له فى آخر ذلك الى متى تذنب قال الى أبد نسىء ويبقيك الله فتعفو عنا فاستحيا منه ورضى عنه وقال مسور بن مساور ظلمنى وكيل المهدى وغصبنى ضيعة لى فكتبت الى المهدى أتظلم فوصلت الرقعة وعنده عمه العباس ومحمد بن علاثة وعافية القاضى فاستدنانى المهدى وسالنى عن حالى فذكرته فقال أترضى باحد هذين قلت نعم فاستدنانى حتى التزقت بالفراش وحاكمنى فقال له القاضى أطلقها له يا أمير المؤمنين قال قد فعلت فقال عمه العباس والله لهذا المجلس أحب الى من عشرين ألف ألف درهم وخرج المهدى متنزها ومعه عمر بن بزيع

الفتنة وضربوا عشما وقتلوا كبيرها المنعى بابن شعير ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهائمه وكان شيئا كثيرا جدا واحضروا اخوته وأولاده وقتلوهم ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخا وضاع عن أبيهم وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة ورتبوا له من الفرنسيس جماعة يأتون اليهم فى كل يوم ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ومعنى اشاراتهم فى مصافاتهم فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفا وبايديهم بنادقهم فيشير اليهم بالفاظ بلغتهم كأن يقول مردبوش فيرفعونها قابضين باكفهم على أسافلها ثم يقول مرش فيمشون صفوفا الى غير ذلك (وفيه) سافر برطلمين الى ناحية بر ياقوس ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين الى جهة الشرق فلم يدركهم وأخذ من فى البلاد وعسف فى تحصيلها ورجع بعد أيام (وفى يوم الاربعاء) خاطب الشيخ محمد المهدى صارى عسكر فى أمر ابراهيم افندى كاتب البهار وتلطف به بمعونة بوسليك المعروف بمدير الحدود وهو عبارة عن الروزنامجى ونقله من بيت الاغا الى داره وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار (وفى يوم الخميس) سافر عدة من المراكب نحو الاربعين بها عساكر الفرنسيس الى

يطرف عينه لشيء وبقي دهرا طويلا حتى صح عند الامير عبد الرحمن الاموي ذلك وكان في أقصى السجن سرداب يفضي الى النهر الاعظم يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره وكان الموكلون يهملون أبا الاسود لعماه فاذا رجع من النهر يقول من يدل الاعمى على موضعه وكان مولى له يحادثه على شاطئ النهر ولا ينكر عليه فواعده أن يأتيه بخيل يحمله عليها فخرج يوما ومولاه ينتظره فعبر النهر سباحة وركب الخيل ولحق بطليطلة فاجتمع له خلق كثير فرجع بهم الى قتال عبد الرحمن الاموي فالتقيا على الوادي الاحمر بقسطلونة واشتد القتال ثم انهزم أبو الاسود وقتل من أصحابه أربعة آلاف سوى من تردى في النهر واتبعه الاموي يقتل من لحق حتى جاوز قلعة الرباح ثم جمع وعاد الى قتال الاموي في سنة تسع وستين فلما أحس بمقدمة الاموي انهزم أصحابه وهو معهم فاخذ عياله وقتل أكثر رجاله وبقي الى سنة سبعين فهلك بقرية من أعمال طليطلة وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمعا فغزاه الامير فجاء اليه بغير أمان فقتله

(ذكر عدة حوادث)

وفيها هلك شيلون ملك جليقية فولوا مكانه اذفونش فوثب عليه مورقاط فقتله فاختلف أمرهم فدخل عليهم نائب عبد الرحمن بطليطلة في عساكره فقتل وغنم وسبى ثم عاد سالما وفيها توفي أبو القاسم بن واسول مقدم الخوارج الصفرية بسجلماسة فجأة في صلاة العشاء الآخرة وكانت امارته اثنتي عشرة سنة وشهرا وولي بعده ابنه الياس وفيها سير المهدي سعيدا الحرشي في أربعين ألفا الى طبرستان وفيها مات عمر الكلواذاني صاحب الزنادقة وولي مكانه محمد بن عيسى بن حمدويه فقتل من الزنادقة خلقا كثيرا وحج بالناس علي بن المهدي الذي يقال له ابن ريطة وفيها توفي يحيى بن سلمة بن كهيل وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ومندل بن علي ومحمد بن عبد الله بن علاثة ابن علقمة القاضي والحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان قد استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ثم عزله وحبسه ببغداد وأخذ ماله فلما ولي المهدي أخرجه ورد عليه ماله وكان جوادا الا انه كان منحرفا عن أهل بيته مائلا الى المنصور وفيها توفي بشر بن الربيع وعبثر بن القاسم (عبثر بفتح العين المهملة وبالباء الموحدة والثاء المثلثة

(ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة)

(ذكر موت المهدي)

في هذه السنة مات المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بماسبذان وسبب خروجه اليها انه قد عزم على خلع ابنه موسى الهادي والبيعة للرشيد بولاية العهد وتقديمه على الهادي فبعث اليه وهو بجرجان في المعنى فلم يفعل فبعث اليه في القدوم عليه فضرب الرسول وامتنع من القدوم عليه فسار المهدي يريده فلما بلغ ماسبذان

اكل

المعوقين فغولطوا واتهم أيضا

وتردد المشايخ لتخليص الجماعة ابراهيم افندي كاتب البهار بأنه جمع له جمعا من الشطار وأعطاهم الاسلحة والمساوق وكان عنده عدة من المماليك المخفيين والرجال المعدودين فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الاغا (وفي يوم الاحد ثامن عشره) توجه شيخ السادات وباقي المشايخ الى بيت صاري عسكر الفرنسيس وتشفعوا عنده في الجماعة المسجونين ببيت الاغا والقلعة فقيل لهم وسعوا بالكم ولا تستعجلوا فقاموا وانصرفوا (وفيه) نادوا في الاسواق بالامان ولا أحد يشوش على أحد مع استمرار القبض على الناس وكبس البيوت بأدنى شبهة وورد بعضهم الامتعة التي نهبت للنصارى (وفيه) توسط عمر القلقجي لمغاربة الفحامين وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة وعرضهم على صاري عسكر فاختار منهم الشباب وأولي القوة وأعطاهم سلاحا وآلات حرب ورتب لهم عسكرا ورئيسهم عمر المذكور وخرجوا وامامهم الطبل الشامي على عادة عسكر المغاربة وسافروا الى جهة بحري بسبب ان بعض البلاد قام على عسكر الفرنساوية وقت الفتنة وقاتلوهم وضربوا أيضا مركبين بها عدة من عساكرهم فحاربوهم وقاتلوهم فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا

الوليد فقال أرى اسم الوليد الى اليوم فدعا بكرسي فالقى في صحن المسجد وقال ما أنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمي مكانه ففعل ذلك وهو جالس وخرج المهدي يطوف بالبيت ليلا فسمع اعرابية تقول قومي مقترون نبت عنهم العيون فدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم وكثرت عيالهم أبناء سبيل وانضاء طريق وصية الله ووصية الرسول فهل من آمر لي بخير كلأه الله في سفره وخلفه في أهله قال فامر لها بخمسمائة درهم وقال المهدي ما توسل أحد الي بوسيلة هي أقرب من تذكيري يدا اسلفت مني اليه اتبعها أختها وأحسن ربها فان منع الاواخر يقطع شكر الاوائل وكان بشار بن برد قد هجا صالح بن داود أخا يعقوب حين ولى فقال .

هم حملوا فوق المنابر صالحا * أخاك فضجت من اخيك المنابر

فبلغ يعقوب هجاؤه فدخل على المهدي فقال له ان هذا الاعمى المشرك قد هجا امير المؤمنين قال وما قال قال يعفيني امير المؤمنين من انشاده فابى ان يعفيه فانشده

خليفة يزني بعماته * يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره * ودس موسى في حر الخيزران

فوجه في حمله فخاف يعقوب ان يقدم على المهدي فيمدحه فيعفو عنه فوجه اليه من يلقيه في البطيحة في الحارة وماتت الياقوتة بنت المهدي وكان معجبا بها لا يطيق الصبر عنها حتى انه كان يلبسها لبسة الغلمان ويركبها معه فلما ماتت وجد عليها وامر ان لا يحجب عنه احد فدخل الناس يعزونه واجمعوا على انهم لم يسمعوا تعزية أبلغ ولا اوجز من تعزية شبيب بن شيبة فانه قال يا أمير المؤمنين ما عند الله مما عندك خير لها منك وثواب الله خير لك منها وانا أسال الله ان لا يحزنك ولا يفتنك وان يعطيك على ما رزئت اجرا ويعقبك صبرا ولا يجهد لك بلاء ولا ينزع منك نعمة واحق ما صبر عليه ما لا سبيل الى رده

(ذكر خلافة الهادي)

و بويع لابنه موسى الهادي في اليوم الذي مات فيه المهدي وهو مقيم بجرجان يحارب اهل طبرستان ولما توفي المهدي كان الرشيد معه بماسبذان فاتاه الموالي والقواد وقالوا له ان علم الجند بوفاة المهدي لم يؤمن الشغب والرأي ان تنادي فيهم بالرجوع حتى تواريه ببغداد فقال هرون ادعوا الى أبا يحيى بن خالد وكان يحيى يتولى ما كان الى الرشيد من اعمال المغرب من الانبار الى افريقية فاستدعى يحيى الى الرشيد فقال ما تقول فيما رأى هؤلاء وأخبره الخبر قال لا أرى ذلك لان هذا لا يخفى ولا آمن اذا علم الجند أن يتعلقوا بمحمله ويقولوا لا نخلي حتى يعطى لثلاث سنين وأكثر أو يتحكموا ويشتطوا ولكني أرى أن يوارى رحمه الله ههنا وتوجه نصيرا الى امير المؤمنين الهادي بالخاتم والقضيب والتعزية والتهنئة فان الناس لا ينكرون خروجه اذ هو على بريد الناحية وأن تامر لمن تبعك من الجند بجوائز مائتين مائتين وتنادي فيهم بالرجوع فلا تكون لهم همة سوى أهلهم ففعل ذلك فلما قبض الجند الدراهم تنادوا ببغداد بغداد

التلول المحيطة بالبلد ووضعوا بها عدة مدافع وقتابز وهدموا أماكن بالجيزة وحصنوها تحصينا زائدا وكذلك مصر العتيقة ونواحي شبرا وهدموا عدة مساجد منها المساجد المجاورة لقنطرة انبابة الرمة ومسجد المقس المعروف الآن باولاد عنان على الخليج الناصري بباب البحر وقطعوا نخيلا كثيرة واشجارا لعمل الحصون والمتاريس وهدموا جامع الكازروني بالروضة وأشجار الجيزة التي عند أبي هريرة قطعوها وحفروا هناك خنادق كثيرة وغير ذلك وقطعوا النخيل جهة الحلي وبولاق وخربوا دورا كثيرة وكسروا شبابيكها وأبوابها وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل والوقود وغير ذلك (وفي ليلة الاحد) حضر جماعة من عسكر الفرنسيس الى بيت البكري نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صاري عسكر ليتحدث معهم فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدة كثيرة في انتظارهم فقبضوا عليهم وذهبوا بهم الى بيت قائمقام بدرب الجماميز وهو الذي كان به دبوي قائمقام المقتول وسكنه بعده الذي تولى مكانه فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى القلعة فسجنوهم الى الصباح فاخرجوهم وقتلوهم بالبنادق وألقوهم من السور

هولاه فانقطعا فى الصيد من العسكر وأصاب المهدى جوع فقال هل من شئ فقيل له نرى كوخا فقصدوه فاذا فيه نبطى وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالوا هل من طعام فقال عندى ربيثاء وهو نوع من الصحناة وعندى خبز شعير فقال المهدى ان كان عندك زيت فقد أكملت قال نعم وكراث فأتاهما بذلك فأكلا حتى شبعا فقال المهدى لعمر بن ربيع قل فى هذا شعرا فقال

ان من يطعم الربيثاء بالزيـ * ـت وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة أو بثنتيـ * ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدى بئسما قلت انما هو

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ * ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

قال ووافاهم العسكر والخزائن والخدم فأمر للنبطى بثلاث بدر وانصرف وقال الحسن الوصيف أصابتنا ريح شديدة أيام المهدى حتى ظننا انها تسوقنا الى المحشر فخرجت أطلب المهدى فوجدته واضعا خده على الارض وهو يقول اللهم احفظ محمدا فى امته اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الامم اللهم ان كنت أخذت هذا العالم بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك قال فما لبثنا الا يسيرا حتى انكشفت الريح وزال عنا ما كنا فيه ولما حضرت القاسم بن مجاشع التميمى المروزى الوفاة أوصى الى المهدى فكتب شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم الآية ثم كتب والقاسم يشهد بذلك ويشهد أن محمدا عبده ورسوله وان على بن أبى طالب وصى رسول الله ووارث الامامة من بعده فعرضت الوصية على المهدى بعد موته فلما بلغ الى هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها وقال الربيع رأيت المهدى يصلى فى بهوله فى ليلة مقمرة فما أدرى أهو أحسن ام البهو أم القمر ام ثيابه فقرأ فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال فأتم صلاته ثم التفت وقال يا ربيع قلت لبيك قال موسى فقلت فى نفسى من موسى ابنه أم موسى بن جعفر وكان محبوسا عندى فجعلت أفكر فقلت ما هو الا موسى ابن جعفر فأحضرته فقطع صلاته ثم قال يا موسى انى قرأت هذه الآية فخفت أن أكون قد قطعت رحمك فوثق لى انك لا تخرج قال نعم فوثق له فخلاه وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رأيت فيما يرى النائم فى آخر سلطان بنى أمية كأنى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسى فنظرت فى الكتاب الذى فى المسجد بالفسيفساء فاذا فيه مما أمر به أمير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك واذا قائل يقول يمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بنى هاشم يقال له محمد قلت فانا من بنى هاشم واسمى محمد فابن من قال ابن عبد الله قلت فانا ابن عبد الله فابن من قال ابن محمد قلت فانا ابن محمد فابن من قال ابن على قلت فانا ابن على فابن من قال ابن عبد الله قلت فانا ابن عبد الله فابن من قال ابن عباس فلو لم يبلغ العباس ما شككت أنى صاحب الامر قال فتحدثت بها ذلك الزمان ونحن لا نعرف المهدى حتى ولى المهدى فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فرأى اسم

الوليد

جهة بحرى (وفى ليلة السبت رابع عشريته) حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات وهى صورة فرمان وعليه طرة ومكتوب من أحمد باشا الجزار وآخر من بكر باشا الى كتخدائه مصطفى بيك ومكتوب من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ وذلك كله بالعربى ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والاحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الافرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم وتحيلهم وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك فأخذها مصطفى بيك كتخدا وذهب بها الى صارى عسكر فلما اطلع عليها قال هذا تزوير من ابراهيم بك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة وأما أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن واليا بالشام ولا مصر لان والى الشام ابراهيم باشا وأما والى مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم الذى هو الآن والى الشام فانا أعلم بذلك وسيأتى بعد أيام والى ويقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة وورد خبر أيضا بانفصال محمد باشا عزت عن الصدارة وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة وفى مدة هذه الايام بطل الاجتماع بالديوان المعتاد وأخذوا فى الاهتمام فى تحصين النواحى والجهات و بنوا أبنية على

الميعادوكانوا قدتواعدوا على ان يظهروابمنى و بمكة فى الموسم فقال يحيى قد كان ذلك فانطلقا وعملا فى ذلك من ليلتهم وخرجوا آخر الليل وجاء يحيى حتى ضرب على العمرى باب داره فلم يجده وجاؤافاقتحموا المسجد وقت الصبح فلما صلى الحسين وقت الصبح أتاه الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد وجاء خالد البريدى فى مائتين من الجند وجاء العمرى ووزير بن اسحق الازرق ومحمد بن واقد الشروى ومعهم ناس كثير فدنا خالد منهم فقام اليه يحيى وادريس ابنا عبد الله بن الحسن فضربه يحيى على انفه فقطعه ودار له ادريس من خلفه فضربه فصرعه ثم قتلاه فانهزم أصحابه ودخل العمرى فى المسودة فحمل عليهم أصحاب الحسين فهزموهم من المسجد وانتهبوا بيت المال وكان فيه بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعون ألفا وتفرق الناس واغلق اهل المدينة أبوابهم فلما كان الغد اجتمع عليهم شيعة بنى العباس فقاتلوهم وفشت الجراحات فى الفريقين واقتتلوا الى الظهر ثم افترقوا ثم ان مباركا التركى أتى شيعة بنى العباس من الغد وكان قدم حاجا فقاتل معهم فاقتتلوا أشد قتال الى منتصف النهار ثم تفرقوا ورجع أصحاب الحسين الى المسجد وواعد مبارك الناس فى الرواح الى القتال فلما غفلوا عنه ركب رواحله وانطلق وراح الناس فلم يجدوه فقاتلوا شيئا من قتال الى المغرب ثم تفرقوا وقيل ان مباركا أرسل الى الحسين يقول له والله لان أسقط من السماء فتخطفنى الطير أيسر على من ان تشوكك شوكة أو أقطع من رأسك شعرة ولكن لابد من الاعذار فبيتنى فانى منهزم عنك فوجه اليه الحسن وخرج اليه فى نفر فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا فانهزم هو واصحابه وأقام الحسين واصحابه اياما يتجهزون فكان مقامهم بالمدينة احد عشر يوما ثم خرجوا لست بقين من ذى القعدة فلما خرجوا عاد الناس الى المسجد فوجدوا فيه العظام التى كانوا يأكلون وآثارهم فدعوا عليهم ولما فارق المدينة قال يا أهل المدينة لا أخلف الله عليكم بخير فقالوا بل انت لا أخلف الله عليك ولا ردك علينا وكان اصحابه يحدثون فى المسجد فغسله اهل المدينة ولما أتى الحسين مكة أمر فنودى ايما عبد أتانا فهو حر فأتاه العبيد فانتهى الخبر الى الهادى وكان قد حج تلك السنة رجال من أهل بيته منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن على والعباس بن محمد بن على وموسى واسمعيل ابنا عيسى بن موسى فكتب الهادى الى محمد بن سليمان بتوليته على الحرب وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق فاجتمعوا بذى طوى وكانوا قد أحرموا بعمرة فلما قدموا مكة طافوا وسعوا وحلوا من العمرة وعسكروا بذى طوى وانضم اليه من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم ثم انهم اقتتلوا يوم التروية فانهزم اصحاب الحسين وقتل منهم وجرح وانصرف محمد بن سليمان ومن معه الى مكة ولا يعلمون ما حال الحسين فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من اهل خراسان يقول البشرى البشرى هذا رأس الحسين فاخرجه وبجبهته ضربة طولى وعلى قفاه ضربة اخرى وكانوا قد نادوا الامان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله ابو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فاخذه موسى بن

تتضمن العفو والتحذير من اثارة الفتنة وان من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس (وفيه) شرعوا فى احصاء الاملاك والمطالبة بالمقرر فلم يعارض فى ذلك معارض ولم يتفوه بكلمة والذى لم يرض بالسكوت يرضى بخطبه (وفيه) ايضا قلعوا ابواب الدروب والحارات الصغيرة الغير النافذة وهى التى كانت تركت وسومح اصحابها وبرطلوا عليها وصالحوا عليها قبل الحادثة وبرطلوا القلقات والوسايط على ابقائها وكذلك دروب الحسينية فلما انقضت هذه الحادثة ارجعوا عليها وقلعوها ونقلوها الى ما جمعوه من البوابات بالازبكية ثم كسروا جميعها وفصلوا اخشابها ورفعوا بعضها على العربات الى حيث اعمالهم بالنواحى والجهات وباعوا بعضها حطبا للوقود وكذلك ما بها من الحديد وغيره (وفى ليلة الخميس) هجم النسر على بوابة سوق طولون وكسروها وعبروا منها الى السوق فكسروا القناديل وفتحوا ثلاثة حوانيت واخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار وقتلوا القلق الذى هنالك وخرجوا بدون مدافع ولا منازع (وفى يوم الخميس المذكور) ذهب المشايخ الى صارى عسكر وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العميان الذى قتل ابوه وكان معوقا ببيتهم

وأسرعوا اليها فلما بلغوها وعلموا خبر المهدى أتوا باب الربيع وأحرقوه وأخرجوا من كان فى الحبوس وطالبوا بالارزاق فلما قدم الرشيد بغداد أرسلت الخيزران الى الربيع والى يحيى بن خالد تستدعيهما لتشاورهما فى ذلك فاما الربيع فدخل عليها وأما يحيى فامتنع لما يعلم من غيرة الهادى وجمع الاموال حتى أعطى الجند لسنتين فسكنوا وكتب الهادى الى الربيع كتابا يتهدده بالقتل وكتب الى يحيى يشكره ويامره بان يقوم بامر الرشيد وكان الربيع يود يحيى ويثق به فاستشاره فيما يفعل خوفا من الهادى فاشار عليه بان يرسل ولده الفضل الى طريق الهادى بالهدايا والتحف ويعتذر اليه ففعل ورضى الهادى عنه وكان الربيع قد أوصى الى يحيى بن خالد وأخذت البيعة للهادى ببغداد وكتب الرشيد الى الآفاق بوفاة المهدى وأخذ البيعة للهادى وسار نصير الوصيف الى الهادى بجرجان فعلم بوفاة المهدى والبيعة له فنادى بالرحيل وركب على البريد مجدا فبلغ بغداد فى عشرين يوما ولما قدمها استوزر الربيع وفى هذه السنة أيضا هلك الربيع وفيها اشتد طلب المهدى للزنادقة فقتل منهم جماعة منهم على بن يقطين وقتل أيضا يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان سبب قتله انه أتى به الى المهدى فاقر بالزندقة فقال لو كان ما تقول حقا لكنت حقيقا أن لا تتعصب لمحمد ولولا محمد ما كنت أما والله لولا انى جعلت على نفسى ان لا أقتل هاشميا لقتلتك ثم قال للهادى أقسمت عليك ان وليت هذا الامر لتقتلنه ثم حبسه فلما مات المهدى قتله الهادى وكذلك أيضا كان عهد اليه بقتل ولد لداود بن على بن عبد الله بن عباس كان زنديقا فمات فى الحبس قبل الهادى ولما قتل يعقوب ادخل اولاده على الهادى فاقرت ابنته فاطمة انها حبلى من أبيها فخوفت فماتت من الفزع

* (ذكر ظهور الحسين بن على بن الحسن) *

وفى هذه السنة ظهر الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة وهو المقتول بفخ عند مكة وكان سبب ذلك ان الهادى استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلما وليها أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله ابن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلى وعمر بن سلام مولى آل عمر على نبيذ لهم فامر بهم فضربوا جميعا وجعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة فجاء الحسين بن على الى العمرى وقال له قد ضربتهم ولم يكن لك ان تضربهم لان أهل العراق لا يرون به باسا فلم تطوف بهم فامر بهم فردوا وحبسهم ثم ان الحسين بن على ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفلا الحسن بن محمد فاخرجه العمرى من الحبس وكان قد ضمن بعض آل أبى طالب بعضا وكانوا يعرضون فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين فاحضر الحسين ابن على ويحيى بن عبد الله وسالهما عنه وأغلظ لهما فحلف له يحيى أنه لا ينام حتى يأتيه به أو يدق عليه باب داره حتى يعلم انه جاءه به فلما خرجا قال له الحسين سبحان الله ما دعاك الى هذا ومن أين تجد حسنا احلفت له بشئ لا تقدر عليه فقال والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف فقال له الحسين ان هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من

خلف القلعة وتغيب خالهم ذلك اليوم ركب بعض المشايخ الى مصطفى بك كتخدا الباشا وكلموه فى أن يذهب معهم الى صارى عسكر ويشفع معهم فى الجماعة المذكورين ظنا منهم أنهم فى قيد الحياة فركب معهم اليه وكلموه فى ذلك فقال لهم الترجمان اصبروا اما هذا وقته وتركهم وقام ليذهب فى بعض أشغاله فنهض الجماعة أيضا وركبوا الى دورهم (وفى يوم الثلاثاء) حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الازهر فتخيل الناس منهم المكروه ووقعت فيهم كرشة وأغلقوا الدكاكين وتسابقوا الى الهروب وذهبوا الى البيوت والمساجد واختلفت آراؤهم ورأوا فى ذلك اقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد تخيلهم فذهب بعض المشايخ الى صارى عسكر واخبروه بذلك وتخوف الناس فارسل اليهم وامرهم بالذهاب فذهبوا وتراجع الناس وفتحوا الدكاكين وبر الاغا والوالى ومرطلمين ينادون بالامان وسكن الحال وقيل ان بعض كبرائهم حضر عند الفلق الساكن بالمشهد وجلس عنده حصة وهؤلاء كانوا اتباعه ووقفوا ينتظرونه ولعل ذلك قصدا للتخويف والارهاب خشية من قيام فتنة لما اشيع قتل المشايخ المذكورين وهو

مطيع بن اياس الليثى الكنانى الشاعر وأبو عبيد الله معاوية بن عبد الله بن بشار الاشعرى مولاهم وكان وزير المهدى وقيل مات سنة سبعين ومائة وفيها توفى نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المقرى صاحب القراءة أحد القراء السبعة والربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه

(ثم دخلت سنة سبعين ومائة)

(ذكر ما جرى للهادى فى خلع الرشيد)

كان الهادى قد جد فى خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر وكان سبب ذلك ان الهادى لما عزم على خلعه ذكره لقواده فاجابه اليه يزيد بن مزيد الشيبانى وعبد الله بن مالك وعلى ابن عيسى وغيرهم فخلعوا هرون وبايعوا لجعفر ووضعوا الشيعة فتكلموا فى ذلك وتنقصوا الرشيد فى مجلس الجماعة وقالوا لا نرضى به وصعب أمرهم وأمر الهادى ان لا يسار بين يدى هرون بالحربة فاجتنبه الناس وتركوا السلام عليه وكان يحيى بن خالد بن برمك يتولى أمور الرشيد بامر الهادى فقيل للهادى ليس عليك من أخيك خلاف انما يحيى يفسده فبعث اليه وتهدده ورماه بالكفر ثم انه استدعاه ليلة فخاف وأوصى وتحنط وحضر عنده فقال له يا يحيى مالى ولك قال ما يكون من العبد الى مولاه الا طاعته فقال لم تدخل بينى وبين أخى وتفسده على فقال من أنا حتى أدخل بينكما انما صيرنى المهدى معه ثم أمرتنى أنت بالقيام بامره فانتهيت الى أمرك فسكن غضبه وقد كان هرون طاب نفسا بالخلع فمنعه يحيى عنه فلما أحضره الهادى وقال له فى ذلك قال يحيى يا أمير المؤمنين انك ان حملت الناس على نكث الايمان هانت عليهم ايمانهم وان تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد للبيعة قال صدقت وسكت عنه فعاد أولئك الذين بايعوه من القواد والشيعة فحملوه على معاودة الرشيد بالخلع فاحضر يحيى وحبسه فكتب اليه ان عندى نصيحة فاحضره فقال له يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان الامر الذى لا تبلغه ونسأل الله ان يعدمنا قبله يعنى موت الهادى أتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو لم يبلغ الحنث أو يرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما أظن ذلك قال يا أمير المؤمنين أفتأمن ان يسمو اليها أكابر اهلك مثل فلان ويطمع فيها غيرهم فتخرج من ولد أبيك والله لو أن هذا الامر لم يعقده المهدى لاخيك لقد كان ينبغى ان تعقده أنت له فكيف بان تحله عنه وقد عقده المهدى ولكنى أرى ان تقر الامر على أخيك فاذا بلغ جعفر أتيت بالرشيد فخلع نفسه له وبايعه فقبل قوله وقال نبهتنى على أمر لم أتنبه له وأطلقه ثم ان أولئك القواد عاودوا القول فيه فارسل الهادى الى الرشيد فى ذلك وضيق عليه فقال له يحيى استأذنه فى الصيد فاذا خرجت فابعد ودافع الايام ففعل ذلك وأذن له فمضى الى قصر بنى مقاتل فقام أربعين يوما فانكر الهادى أمره وخافه فكتب اليه بالعود فتعلل عليه فاظهر الهادى شتمه وبسط مواليه وقواده فيه ألسنتهم فلما طال الامر عاد الرشيد وقد كان الهادى فى أول خلافته جلس وعنده نفر من قواده وعنده الرشيد وهو ينظر اليه ثم قال له يا هرون

وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ويحكم ما يريد ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة فتلوا من آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بايديكم الى التهلكة واشتغلوا باسباب معايشكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذى عليكم الدين النصيحة والسلام (وفيه) أمروا بقية السكان على بركة الازبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين منهم ليكون الكل فى حومة واحدة وذلك لما داخلهم من المسلمين حتى ان الشخص منهم صار لا يمشى بدون سلاح بعد ان كانوا من حين دخولهم البلد لا يمشون به أصلا الا لغرض والذى لم يكن معه سلاح يأخذ بيده عصا أو سوطا أو نحو ذلك وتنافرت قلوبهم من المسلمين وتحذروا منهم وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالاسواق من الغروب الى طلوع النهار ومن جملة من انتقل من الدرب الاحمر الى الازبكية كفرلى المسمى بابى خشبة وهو يمشى بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة وكان من جملة المشار اليهم فيهم والمدبر لامور القلاع وصفوف الحروب

عيسى وعبد الله بن العباس بن محمد فقتلاه فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا واخذ رؤس القتلى فكانت مائة رأس ونيفا وفيها راس الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي واخذت أخت الحسين فتركت عند زينب بنت سليمان واختلط المنهزمون بالحاج وأتى الهادى بستة أسرى فقتل بعضهم واستبقى بعضهم وغضب على موسى بن عيسى فى قتل الحسن بن محمد وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات وغضب على مبارك التركى واخذ ماله وجعله سائس الدواب فبقى كذلك حتى مات الهادى وافلت من المنهزمين ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على فاتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور وكان شيعيا لعلى فحمله على البريد الى ارض المغرب فوقع بارض طنجة بمدينة وليلة فاستجاب له من بها من البربر فضرب الهادى عنق واضح وصلبه وقيل ان الرشيد هو الذى قتله وان الرشيد دس الى ادريس الشماخ اليمامى مولى المهدى فاتاه واظهر انه من شيعتهم وعظمه وآثره على نفسه فمال اليه ادريس وانزله عنده ثم ان ادريس شكا اليه مرضا فى اسنانه فوصف له دواء وجعل فيه سما وامره ان يستن به عند طلوع الفجر فاخذه منه وهرب الشماخ ثم استعمل ادريس الدواء فمات منه فولى الرشيد الشماخ بريد مصر ولما مات ادريس بن عبد الله خلف مكانه ابنه ادريس بن ادريس واعقب بها وملكوها ونازعوا بنى أمية فى امارة الاندلس على ما نذكره ان شاء الله تعالى وحملت الرؤس الى الهادى فلما وضع رأس الحسين بين يدى الهادي قال كانكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ان اقل ما اجزيكم ان احرمكم جوائزكم فلم يعطهم شيئا وكان الحسين شجاعا كريما قدم على المهدى فاعطاه اربعين الف دينار ففرقها فى الناس ببغداد والكوفة وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه الا فروا ليس تحته قميص

(ذكر عدة حوادث)

وغزا الصائفة هذه السنة معيوف بن يحيى من درب الراهب وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحديثة فهرب الوالى واهل السوق فدخلها الروم فقصدهم معيوف فبلغ مدينة اشنة فغنم وسبى وحج بالناس هذه السنة سليمان بن منصور وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمرى وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم وعلى اليمن ابراهيم بن سلم بن قتيبة وعلى اليمامة والبحرين سويد بن أبى سويد القائد الخراسانى وعلى عمان الحسن بن نسيم الحوارى وعلى الكوفة موسى بن عيسى وعلى البصرة محمد ابن سليمان وعلى جرجان الحجاج مولى الهادى وعلى قومس زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن شيخ بن عميرة الاسدى وعلى أصبهان طيفور مولى الهادى وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد فاساء السيرة فى أهلها فعزله الهادى وولاها عبد الملك بن صالح الهاشمى وفيها خرج بالجزيرة حمزة بن مالك الخزاعى وعلى خراجها منصور بن زياد فسير جيشا الى الخارجى فالتقوا بباعربايا من بلد الموصل فهزمهم الخارجى وغنم اموالهم وقوى امره فاتى رجلان وصحباه ثم اغتالاه فقتلاه وفيها مات

البكرى فشفعهم فيه واطلقوه الثانية بيوم السبت سنة ١٢١٣)*

فيه كتبوا عدة اوراق على لسان المشايخ وارسلوها الى البلاد والصقوا منها نسخا بالاسواق والشوارع *(وصورتها)* نصيحة من كافة علماء الاسلام بمصر المحروسة نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونبرأ الى الله من الساعين فى الارض بالفساد نعرف اهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية واشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية بعدما كانوا اصحابا واحبابا بالسوية وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت الطاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته وارتفعت هذه البلية لانه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة الى الفقراء والمساكين ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميع الاموال وقتلوا كامل أهل مصر فعليكم أن لا تحركوا الفتن ولا تطيعوا امر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الاشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرؤن العواقب لاجل أن تحفظوا اوطانكم

لا ابالي والله فغضبت وقامت مغضبة فقال مكانك والله والا انا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك احد من قوادي وخاصتي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله ماهذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك أمالك مغزل يشغلك أومصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك واياك لاتفتحي بابك لمسلم ولاذمي فانصرفت وهي لاتعقل فلم تنطق عنده بعدها ثم انه قال لاصحابه ايما خير أنا أم أنتم وأمي أم أمهاتكم قالوا بل انت وأمك خير قال فايكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال فعلت أم فلان وصنعت قالوا لانحب ذلك قال فما بالكم تاتون أمي فتتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ثم بعث بارز وقال قد استطبتها فكلي منها فقيل لها امسكي حتى تنظري فجاؤا بكلب فاطعموه فسقط لحمه لوقته فارسل اليها كيف رأيت الارز قالت طيبا قال ما اكلتي منها ولو أكلتي منها لاسترحت منك متى افلح خليفة له أم وقيل كان سبب أمرها بذلك ان الهادي لما جد في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جواريها عليه لما مرض فقتلنه بالغم والجلوس على وجهه فمات فارسلت الى يحيي بن خالد تعلمه بموته

(ذكر وفاته ومبلغ سنه وصفته واولاده)

كانت وفاته ليلة الجمعة للنصف من ربيع الاول وقيل لاربع عشرة خلت من ربيع الاول وقيل لست عشرة منه قيل وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وقيل كانت أربعة عشر شهرا وكان عمره ستا وعشرين سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة وصلى عليه الرشيد وكانت كنيته أبا محمد وامه الخيزران أم ولد ودفن بعيساباذ الكبرى في بستانه وكان طويلا جسيما أبيض مشربا بحمرة وكان بشفته العليا نقص وتقلص وكان المهدي قد وكل به خادما يقول له موسى أطبق فيضم شفته فلقب موسى اطبق وكان له من الاولاد تسعة سبعة ذكور وابنتان فمن الذكور جعفر وهو الذي كان يريد البيعة له والعباس وعبد الله واسحق واسمعيل وسليمان وموسى بن موسى الاعمى كلهم لامهات أولاد والابنتان أم عيسى كانت عند المامون وام العباس وكانت تلقب نونة

(ذكر بعض سيرته)

تاخر الهادي عن المظالم ثلاثة أيام فقال له الحراني يا أمير المؤمنين ان العامة لاتحتمل هذا فقال لعلي بن صالح ائذن للناس على الجفلى لا النقرى فخرج من عنده ولم يفهم قوله ولم يجسر على مراجعته فاحضر اعرابيا فساله عن ذلك فقال الجفلى ان تاذن لعامة الناس فاذن لهم فدخل الناس عن آخرهم ونظر في أمورهم الى الليل فلما تقوض المجلس قال له علي بن صالح ماجرى له وساله مجازاة الاعرابي فامر له بمائة ألف درهم فقال علي يا أمير المؤمنين انه اعرابي ويغنيه عشرة آلاف فقال يا علي اجود انا وتبخل انت وقيل خرج يوما الى عيادة أمه الخيزران وكانت مريضة فقال له عمر بن ربيع يا أمير المؤمنين ألا أدلك على ماهو انفع لك من هذا تنظر في المظالم فرجع الى دار المظالم

لذلك القبطة (وفيه) كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخا للبلاد والصقوا منها بالاخطاط والاسواق وذلك على لسان المشايخ أيضا ولكن تزيد صورتها عن الاولى *(وصورتها)* نصيحة من علماء الاسلام بمصر المحروسة نخبركم يا أهل المدائن والامصار من المؤمنين ويا سكان الارياف من العربان والفلاحين أن ابراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الاقاليم المصرية لاجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظا شديدا من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ويتركوا عيالهم وأوطانهم فارادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية لاجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية وذلك لشدة ماحصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين بانها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهارا مع اغوات معينين ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص

كانى بك وأنت محدث نفسك بتمام الرؤيا ودون ذلك خرط القتاد فقال له هرون ياموسى انك ان تجبرت وضعت وان تواضعت رفعت وان ظلمت قتلت وان أنصفت سلمت وانى لارجوان يفضى الامر الى فانصف من ظلمت وأصل من قطعت واجعل أولادك أعلى من أولادى وأزوجهم بناتى وأبلغ ماتحب من حق الامام المهدى فقال له الهادى ذلك الظن بك يا أباجعفر ادن منى فدنا منه فقبل يده ثم أراد العود الى مكانه فقال لا والشيخ الجليل والملك النبيل أعنى المنصور لاجلست الامعى فاجلسه فى صدر مجلسه ثم أمران يحمل اليه ألف ألف دينار وان يحمل اليه نصف الخراج وقال لابراهيم الحرانى اعرض عليه مافى الخزائن من مالنا وماأخذ من أهل بيت اللعنة يعنى بنى أمية فليأخذ منه ماأراد ففعل ذلك فقام عنه وسئل الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت فى منامى كانى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فاورق من قضيب موسى أعلاه وأورق قضيب هرون من أوله الى آخره فعبرت لهما انهما يملكان معا فاما موسى فتقل أيامه وأما هرون فيبلغ آخر ماعاش خليفة وتكون أيامه أحسن أيام ودهره أحسن دهر فكان كذلك وذكر ان الهادى خرج الى حديثة الموصل فمرض بها واشتد مرضه فانصرف وكتب الى جميع عماله شرقا وغربا بالقدوم عليه فلما ثقل أجمع القواد الذين كانوا بايعوا جعفرا وتآمروا فى قتل يحيى بن خالد وقالوا ان صار الامر اليه قتلنا وعزموا على ذلك ثم قالوا لعل الهادى يفيق فما عذرنا عنده فامسكوا ولما اشتد مرض الهادى أرسلت الخيزران الى يحيى تأمره بالاستعداد فاحضر يحيى كتابا فكتبوا الكتب من الرشيد الى العمال بوفاة الهادى وأنه قد ولاهم ما كانوا يكونون فلما مات الهادى سيرت الكتب وقيل ان يحيى كان محبوسا وكان الهادى قد عزم على قتله تلك الليلة وان هرثمة بن أعين هو الذى اقعد الرشيد على ماسنذكره ولما مات الهادى قالت الخيزران قد كنا نتحدث انه يموت فى هذه الليلة خليفة ويملك خليفة ويولد خليفة فمات الهادى وولى الرشيد وولد المامون وكانت الخيزران قد أخذت العلم عن الاوزاعى وكان موت الهادى بعيساباذ

(ذكر وفاة الهادى)

وفى هذه السنة توفى الهادى موسى بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى شهر ربيع الاول واختلف فى سبب وفاته فقيل كان سببها قرحة كانت فى جوفه وقيل مرض بحديثة الموصل وعاد مريضا فتوفى على ماذكره ان شاء الله تعالى وقيل ان وفاته كانت من قبل جوار لامه الخيزران كانت أمرتهن بقتله وكان سبب أمرها بذلك انه لما ولى الخلافة كانت تستبد بالامور دونه وتسلك به مسلك المهدى حتى مضى أربعة اشهر فانثال الناس الى بابها وكانت المواكب تغدو وتروح الى بابها فكلمته يوما فى أمر لم يجد الى اجابتها اليه سبيلا فقالت لابد من اجابتى اليه فانى قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادى وقال ويلى على ابن الفاعلة قد علمت انه صاحبها والله لاقضيتها لك قالت اذا والله لا اسألك حاجة

ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد كان يسكن بيت مصطفى كاشف طرا وفى وقت الحادثة هجمت على الدار العامة ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون فاخبروا من بالقلعة الكبيرة فنزل منهم عدة وافرة ووقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها وضربوهم بالبندق ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين وكانوا جملة كثيرة وكان بتلك الدار شئ كثير من آلات الصنائع والنظارات الغريبة والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية وغير ذلك مما هو معدوم النظير كل آلة لاقيمة لها عند من يعرف صنعتها ومنفعتها فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعا وصعب ذلك على الفرنسيس جدا وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات وممن قتل فى وقعة هذه الدار الشيخ محمد الزهار (وفى خامسه) افرجوا عن ابراهيم أفندى كاتب البهار وتوجه الى بيته (وفى ثامنه) قتلوا أربعة أنفار من القبط منهم إثنان من التجار بن قيل انهم سكروا فى الخمارة ومروا فى سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء وقد تكرر منهم ذلك عدة مرار فاغتاظ

الا امرأة امير المؤمنين فقال ماحرم الله على خلقه الا نساء جدى صلى الله عليه وسلم فاما غيرهن فلا فشجه بمخصرة كانت فى يده وجلده خمسمائة سوط واراده ان يطلقها فلم يفعل وكان قد غشى عليه من الضرب وكان فى يده خاتم نفيس فاهوى بعض الخدم الى الخاتم لياخذه فقبض على يده فدقها فصاح واتى الهادى فاراه يده فغضب وقال تفعل هذا بخادمى مع استخفافك بابى وقولك لى ما قلت فقال سله واستحلفه ان يصدقك ففعل فاخبره الخادم وصدقه فقال احسن والله اشهد انه ابن عمى ولو لم يفعل ذلك لانتفيت منه وامر باطلاقه قيل وكان المهدى قد قال للهادى يوما وقد قدم اليه زنديق فقتله وامر بصلبه يا بنى اذا صار الامر اليك فتجرد لهذه العصابة يعنى اصحاب مانى فانها تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها من هذا الى تحريم اللحوم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا ثم تخرجها الى عبادة اثنين احدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الاخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الاطفال من الطرق لينقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور فارفع فيها الخشب وجرد السيف فيها وتقرب بامرها الى الله فانى رأيت جدى العباس رضى الله عنه فى المنام قلدنى سيفين لقتل اصحاب الاثنين فلما ولى الهادى قال لاقتلن هذه الفرقة وامر ان يهيا له الف جذع فمات بعد هذا القول بشهرين قيل وكان عيسى بن داب من اكثر اهل الحجاز ادبا واعذبهم الفاظا وكان قد حظى عند الهادى حظوة لم تكن لاحد قبله وكان يدعو له بما يتكئ عليه فى مجلسه وما كان يفعل ذلك بغيره وكان يقول له ما استطلت بك يوما ولا ليلا ولا غبت عن عينى الا تمنيت ان لا ارى غيرك وامر له بثلاثين الف دينار فى دفعة واحدة فلما اصبح ابن داب ارسل قهرمانه الى الحاجب فى قبضها فقال الحاجب هذا ليس الى فانطلق الى صاحب التوقيع والى الديوان فعاد الى ابن داب فاخبره فقال اتركها فبينما الهادى فى مستشرف له ببغداد رأى ابن داب وليس معه الا غلام واحد فقال للحرانى الا ترى ابن داب ما غير حاله وقد وصلناه ليرى اثرنا عليه فقال ان امرتنى عرضت له بالحال فقال لا هو اعلم بحاله ودخل ابن داب واخذ فى حديثه فعرض له الهادى بشئ وقال ارى ثوبك غسيلا وهذا شتاء يحتاج فيه الى الجديد فقال باعى قصير فقال وكيف وقد صرفنا اليك ما فيه صلاح شانك فقال ما وصل الى فدعا صاحب بيت مال الخاصة فقال عجل الساعة ثلاثين الف دينار فاحضرت وحملت بين يديه

(ذكر خلافة الرشيد بن المهدى)

وفى هذه السنة بويع للرشيد هرون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بالخلافة فى الليلة التى مات فيها الهادى وكان عمره حين ولى اثنتين وعشرين سنة وامه الخيزران ام ولد يمانية جرشية وكان مولده بالرى فى آخر ذى الحجة سنة خمس واربعين ومائة وقيل ولد مستهل محرم سنة تسع واربعين وكان مولد الفضل بن يحيى البرمكى قبله بسبعة ايام وارضعت ام ابن يحيى الرشيد وارضعت الخيزران الفضل

الظالمة من المغارم فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الاكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الامم عليه أفضل الصلاة والسلام (وفى ثالث عشره) قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودى لم يتحقق السبب فى قتلهما (وفيه) أخرجوا من بيت نسيب ابراهيم كتخدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوانى ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة (وفى خامس عشره) حضر جماعة من الفرنساوية بباب زويلة وفتحوا بعض دكاكين السكرية وأخذوا منها سكرا وضاع على أصحابه (وفيه) دلوا على انسان عنده صندوقان وديعة لايوب بك الدفتردار فطلبوه وأمروه باحضارهما فاحضرهما بعد الانكار والجحود عدة مرار فوجدوا ضمنهما أسلحة جواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك (وفى عشرينه) كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالاسواق مضمونها أن فى يوم الجمعة حادى عشرينه قصدنا ان نطير مركبا ببركة الازبكية فى الهوا بحيلة فرنساوية فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع الناس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة

وأذن للناس وأرسل الى امه يتعرف اخبارها وقيل كان عبد الله بن مالك يتولى شرطة المهدي قال فكان المهدي يأمرني بضرب ندماء الهادي ومغنيه وحبسهم صيانة له عنهم فكنت افعل وكان الهادي يرسل الي بالتخفيف عنهم ولا افعل فلما ولي الهادي أيقنت بالتلف فاستحضرني يوما فدخلت اليه متحنطا متكفنا وهو على كرسي والسيف والنطع بين يديه فسلمت فقال لا سلم الله عليك أتذكر يوم بعثت اليك في أمر الحراني وضربه فلم تجبني وفي فلان وفلان فعدد ندماءه فلم تلتفت الى قولي فقلت نعم أفتأذن في ذكر الحجة قال نعم قلت نشدتك الله أيسرك انك وليتني ما ولاني المهدي وأمرتني بما امر فبعث الي بعض بنيك بما يخالف امرك فاتبعت أمره وخالفت امرك قال لا قلت فكذلك انا لك وكذا كنت لابيك فاستدناني فقبلت يده ثم امر لي بالخلع وقال وليتك ما كنت تتولاه فامض راشدا فصرت الى منزلي مفكرا في أمري وامره وقلت حدث يشرب والقوم الذين عصيته في امرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكاني بهم حين يغلب عليه الشراب قد ازالوه عن رأيه قال فاني لجالس وعندي بنية لي والكانون بين يدي ورقاق اشطوره بكامخ وأسخنه واطعم الصبية وآكل واذا بوقع الحوافر فظننت ان الدنيا قد زلزلت لوقعها ولكثرة الضوضاء فقلت هذا ما كنت اخافه واذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا واذا الهادي في وسطهم على دابته فلما رأيته وثبت فقبلت يده ورجله وحافر دابته فقال لي يا عبد الله اني فكرت في أمرك فقلت يسبق الي وهمك اني اذا شربت وحولي اعداؤك ازالوا حسن رأيي فيك فيقلقك ذلك فصرت الى منزلك لأونسك واعلمك أن ما كان عندي لك من الحقد قد زال فهات واطعمني مما كنت تأكل لتعلم اني قد تحرمت بطعامك فيزول خوفك فادنيت اليه من ذلك الرقاق والكامخ فأكل ثم قال هاتوا الزلة التي ازللتها لعبد الله من مجلسي فادخلت الي اربعمائة بغل موقرة دراهم وغيرها فقال هذه لك فاستعن بها على امرك واحفظ هذه البغال عندك لعلي احتاج اليها لبعض اسفاري ثم انصرف قيل وكان يعقوب بن داود يقول ما العربي ولا العجمي عندي ما لعلي بن عيسى بن ماهان فانه دخل الى الحبس وقال لي امرني أمير المؤمنين الهادي ان اضربك مائة سوط فاقبل يضع السوط على يدي ومنكبي يمسني به مسا الى ان عد مائة سوط ثم خرج فقال له الهادي ما صنعت به قال صنعت الذي أمرتني به وقد مات الرجل فقال الهادي انا لله وانا اليه راجعون فضحتني والله عند الناس يقولون قتل يعقوب بن داود فلما رأى شدة جزعه قال هو والله حي يا امير المؤمنين قال الحمد لله على ذلك وقيل كان ابراهيم بن مسلم بن قتيبة من الهادي بمنزلة عظيمة فمات له ولد فاتاه الهادي يعزيه فقال له يا ابراهيم سرك وهو عدو وفتنة وحزنك وهو صلاة ورحمة فقال يا أمير المؤمنين ما بقي مني جزء فيه حزن الا وقد امتلأ عزاء فلما مات ابراهيم صارت منزلته لسعيد بن مسلم قيل كان علي بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب الذي يلقب الجزري قد تزوج رقية بنت عمرو العثمانية وكانت تحت المهدي فبلغ ذلك الهادي فارسل اليه فحمل اليه فقال له اعياك النساء

من بقية الطوائف الافرنجية دائما يحبون المسلمين وملتهم و يبغضون المشركين وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان قائمين بنصرته وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه و يبغضون من عاداه ولذلك بين الفرنساوية والموسكوف غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله تعالى ولا يبقون منهم بقية فننصحكم أيها الاقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الاذية فيحصل لكم الضرر والهلاك ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا باوطانكم سالمين وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين لان حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الاحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج و يزيل ما أحدثه

الا

الرشيد وقسم بالحرمين عطاء كثيرا وقيل انه غزا الصائفة بنفسه وغزا الصائفة سليمان ابن عبد الله البكائى وكان على مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى الكوفة موسى بن عيسى وعلى البصرة والبحرين واليمامة وعمان والاهواز وفارس محمد بن سليمان بن على وكان على خراسان الفضل بن سليمان الطوسى وعلى الموصل عبد الملك وفيها اوقع عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس ببرابرة نفزة فاذلهم وقتل فيهم وفيها أمر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة وكان موضعه كنيسة واخرج عليه مائة ألف دينار

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة)

(ذكر وفاة عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس)

فيها مات عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك صاحب الاندلس فى ربيع الآخر وقيل سنة اثنتين وسبعين ومائة وهو اصح وكان مولده بارض دمشق وقيل بالعليا من ناحية تدمر سنة ثلاث عشرة ومائة وكان موته بقرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان عهد الى ابنه هشام وكان هشام بمدينة ماردة واليا عليها وكان ابنه سليمان ابن عبد الرحمن وهو الاكبر بطليطلة واليا عليها فلم يحضرا موت ابيهما وحضره عبد الله المعروف بالبلنسى وأخذ البيعة لاخيه هشام وكتب اليه بنعى ابيه وبالامارة فسار الى قرطبة وكانت دولة عبد الرحمن ثلاثا وثلاثين سنة واشهرا وكانت كنيته ابا المطرف وقيل ابا سليمان وقيل ابا زيد وكان له من الولد احد عشر ذكرا وتسع بنات وكانت أمه بربرية من سبى افريقية وكان اصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم اعور له ضفيرتان وكان فصيحا لسنا شاعرا حليما عالما حازما سريع النهضة فى طلب الخارجين عليه لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد فى الامور برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحذر سخيا جوادا يكثر لبس البياض وكان يقاس بالمنصور فى حزمه وشدته وضبط المملكة * وبنى الرصافة بقرطبة تشبيها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ولما سكنها رأى فيها نخلة منفردة فقال

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى * وطول التنائى عن بنى وعن اهلى
نشأت بارض أنت فيها غريبة * فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى
سقتك غوادى المزن من صوبها الذى * يسح ويستمرى السماكين بالوبل

وقصده بنو امية من المشرق فمن المشهورين عبد الملك بن عمر بن مروان وهو قعدد بنى أمية وهو الذى كان سبب قطع الدعوة العباسية بالاندلس على ما تقدم وكان معه احد عشر ولدا له

(ذكر امارة ابنه هشام)

كان عبد الرحمن قد عهد الى ابنه هشام ولم يكن اكبر ولده فان سليمان كان اكبر منه

مقاطف بها لحوم مسمومة فاطعموها للكلاب فمات منها جملة كثيرة فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية وطرحى بالاسواق وهى موتى فاستأجروا لها من أخرجها الى الكيمان وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون بالاسواق فى الليل وهم سكوت كانت الكلاب تنبحهم وتعدو خلفهم ففعلوا بها ذلك وارتاحوا منها والناس منها (وفى خامس عشرينه) سافر عدة عساكر الى جهة مراديك وكذلك الى جهة كرداسة بسبب العربان وكذلك الى السويس والصالحية وأخذوا احمال السقائين بروايها وحميرهم ولكن يعطونهم أجرتهم فشح الماء وغلا وبلغت القربة عشرة انصاف فضة (وفيه) ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأوانى صينى وأوانى نحاس قناطير وغير ذلك وانقضى هذا الشهر وما حصل به من الحوادث الكلية والجزئية التى لا يمكن ضبطها لكثرتها *منها انهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للازبكية ابنية على هيئة مخصوصة منتزهة يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه أو يكون

بلبان الرشيد ولما مات الهادى كان يحيى بن خالد البرمكى محبوسا فى قول بعضهم وكان الهادى عازما على قتله فجاء هرثمة بن اعين الى الرشيد فاخرجه واجلسه للخلافة فارسل الرشيد الى يحيى فاخرجه من الحبس واستوزره وأمر بانشاء الكتب الى الاطراف بجلوسه للخلافة وموت الهادى وقيل لما مات الهادى جاء يحيى بن خالد الى الرشيد وهو نائم فى فراشه فقال له قم يا أمير المؤمنين فقال كم تروعنى اعجابا منك بخلافتى فكيف يكون حالى مع الهادى ان بلغه هذا فاعلمه بموته واعطاه خاتمه فبينما هو يكلمه اذ اتاه رسول آخر يبشره بمولود فسماه عبد الله وهو المامون ولبس ثيابه وخرج فصلى على الهادى بعيساباذ وقتل اباعصمة وسار الى بغداد وكان سبب قتل أبى عصمة ان الرشيد كان سائرا هو وجعفر بن الهادى فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ فقال له أبو عصمة مكانك حتى يجوز ولى العهد فقال الرشيد السمع والطاعة للامير ووقف حتى جاز جعفر فكان هذا سبب قتله ولما وصل الرشيد الى بغداد وبلغ الجسر دعا الغواصين وقال كان المهدى قد وهب لى خاتما شراؤه بمائة ألف دينار يسمى الجبل فاتانى رسول الهادى يطلب الخاتم وانا هنا فالقيته فى الماء فغاصوا عليه واخرجوه فسربه ولما مات الهادى هجم خزيمة بن خازم تلك الليلة على جعفر بن الهادى فاخذه من فراشه وقال له لتخلعنها أو لاضربن عنقك فاجاب الى الخلع وركب من الغد خزيمة واظهر جعفر للناس فاشهدهم بالخلع واقال الناس من بيعتهم فحظى بها خزيمة

(ذكر عدة حوادث)

وفيها ولد الامين واسمه محمد فى شوال فكان المامون اكبر منه وفيها استوزر الرشيد يحيى بن خالد وقال له قد قلدتك أمر الرعية فاحكم فيها بما ترى واعزل من رأيت واستعمل من رأيت ودفع اليه خاتمه فقال ابراهيم الموصلى فى ذلك

الم تران الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون اشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وكان يحيى يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد وفيها توفى يزيد بن حاتم المهلبى والى افريقية واستخلف عليها ابنه داود وانتقضت جبال باجة وخرج فيها الاباضية فسير اليهم داود جيشا فظفر بهم الاباضية وهزموهم فجهز اليهم جيشا آخر فهزمت الاباضية فتبعهم الجيش فقتلوا منهم فاكثروا وبقى داود اميرا الى ان استعمل الرشيد عمه روح ابن حاتم المهلبى ميرا على افريقية وكانت امارة داود تسعة اشهر وفيها عزل الرشيد عمر ابن عبد العزيز العمرى عن المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام واستعمل عليها اسحق بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وفيها ظهر من كان مستخفيا منهم طباطبا العلوى وهو ابراهيم بن اسمعيل بن على بن الحسين بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وبقى نفر من الزنادقة لم يظهروا منهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحدا وسميت العواصم وامر بعمارة طرسوس على يدى فرج الخادم التركى ونزلها الناس وحج بالناس

وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغربال وفى وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الادهان وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة وهى مشدودة ببكر وأحبال وأطراف الاحبال بايدى اناس قائمين باسطحة البيوت القريبة منها فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها الى ذلك القماش وملأه فانتفخ وصار مثل الكرة وطلب الدخان الصعود الى مركزه فلم يجد منفذا فجذبها معه الى العلو فجذبوها بتلك الاحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الارض فقطعوا تلك الحبال فصعدت الى الجو مع الهواء ومشت هنيهة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة وسقط أيضا ذلك القماش وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الاوراق المصومة فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير فى الهواء محكمة مصنوعة ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الاخبار وارسال المراسلات بل ظهر أنها مثل الطيارة التى يعملها الفراشون بالمواسيم والافراح

(ذكر عدة حوادث)

فيها قدم أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي من خراسان واستعمل الرشيد عليها جعفر بن محمد بن الاشعث فلما قدم خراسان سير ابنه العباس الى كابل فقاتل أهلها حتى افتتحها ثم افتتح سانها روغنم ما كان بها وفيها قتل الرشيد أباهريرة محمد بن فروخ وكان على الجزيرة فوجه اليه الرشيد أباحنيفة حرب بن قيس فاحضره الى بغداد وقتله وفيها أمر الرشيد باخراج الطالبين من بغداد الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن عباس وفيها اخرج الفضل بن سعيد الحروري فقتله أبو خالد المروروذي * وفيها قدم روح بن حاتم افريقية وحج بالناس هذه السنة عبد الصمد ابن علي بن عبد الله بن عباس

(* ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة *)

ذكر خروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على اخيهما هشام في هذه السنة وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائة وهو الصحيح خرج سليمان وعبد الله ابنا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أمير الاندلس عن طاعة اخيهما هشام بالاندلس وكان هشام قد ملك بعد ابيه كما ذكرناه فلما استقر له الملك كان معه أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي وكان هشام يؤثره ويبره ويقدمه فلم يرض عبد الله الا بالمشاركة في أمره ثم انه خاف من اخيه هشام فمضى هاربا الى اخيه سليمان وهو بطليطلة فلما خرج من قرطبة ارسل هشام جمعا في أثره ليردوه فلم يلحقوه فجمع هشام عساكره وسار الى طليطلة فحصر أخويه بها وكان سليمان قد جمع وحشد خلقا كثيرا فلما حصرهما هشام سار سليمان من طليطلة وترك ابنه واخاه عبد الله يحفظان البلد وسار هو الى قرطبة ليملكها فعلم هشام الحال فلم يتحرك ولا فارق طليطلة بل أقام يحصرها وسار سليمان فوصل الى شقندة فدخلها وخرج اليه اهل قرطبة مقاتلين ودافعين عن انفسهم ثم ان هشاما سير في اثره ابنه عبد الملك في قطعة من الجيش فلما قاربه مضى سليمان هاربا فقصد مدينة ماردة فخرج اليه الوالي بها لهشام فحاربه فانهزم سليمان وبقي هشام على طليطلة شهرين وايا ما محاصرا لها ثم عاد عنها وقد قطع اشجارها وسار الى قرطبة فاتاه اخوه عبد الله بغير امان فاكرمه وأحسن اليه فلما دخلت سنة اربع وسبعين سير هشام ابنه معاوية في جيش كثيف الى تدمير وبها سليمان فحاربه وخربوا أعمال تدمير ودوخوا أهلها ومن بها وبلغوا البحر فخرج سليمان من تدمير هاربا فالتجأ الى البرابرة بناحية بلنسية فاعتصم بتلك الناحية الوعرة المسالك فعاد معاوية الى قرطبة ثم ان الحال استقر بين هشام وسليمان أن يأخذ سليمان اهله وأولاده وأمواله ويفارق الاندلس واعطاه هشام ستين الف دينار مصالحة عن تركة أبيه عبد الرحمن فسار الى بلد البرابرة فاقام بها

(ذكر خروج جماعة على هشام أيضا)

خندقين وغرسوا بجانبه أشجارا وسيسبانا واخذوا طريقا اخرى فيما بين باب الحديد و باب العدوى عند المكان المعروف بالشيخ شعيب حيث معمل الفواخير وردموا جسرا ممتدا ممهدا مستطيلا يبتدي من الحد المذكور و ينتهي الى جهة المذبح خارج الحسينية وازالوا ما يتخلل بين ذلك من الابنية والغيطان والاشجار والتلول وقطعوا جانبا كبيرا من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب وردموا في طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلي وقطعوا اشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلي واشجار الجسر ايضا والابنية التي بين باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع المقس وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقا ممتدة من الازبكية الى جهة قبة النصر المعروفة بقبة العزب جهة العادلية على خط مستقيم من الجهتين وقيدوا بذلك انفارا منهم يتعاهدون تلك الطرق و يصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبغال والحمير وفعلوا هذا الشغل الكبير والفعل العظيم في اقرب زمن ولم يسخروا أحدا في العمل بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن اجرتهم المعتادة ويصرفونهم من بعد الظهيرة و يستعينون في الاشغال وسرعة العمل

وانما كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الامر فلهذا عهد اليه ولما توفي ابوه كان هو بماردة متوليا لها وناظرا في امرها وكان اخوه سليمان وهو اكبر منه بمدينة طليطلة وكان يروم الامر لنفسه ويحسد اخاه هشاما على تقديم والده له عليه واضمر له الغش والعصيان وكان اخوه عبد الله المعروف بالبلنسي حاضرا بقرطبة عند والده فلما توفي جدد عبد الله البيعة لاخيه هشام بعد ان صلى على والده وكتب الى اخيه هشام يعرفه موت والده والبيعة له فسار من ساعته الى قرطبة فدخلها في ستة أيام واستولى على الملك وخرج عبد الله الى داره مظهر الطاعة وفي نفسه غير هذا وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

(ذكر الصحصح الخارجي)

وفيها خرج الصحصح الخارجي بالجزيرة وكان عليها ابو هريرة فوجه عسكرا الى الصحصح فلقوه فهزمهم وسار الصحصح الى الموصل فلقيه عسكرها بباجرمى فقتل منهم كثيرا ورجع الى الجزيرة فغلب على ديار ربيعة فسير الرشيد اليه جيشا فلقوه بدورين فقتلوه وعزل الرشيد أباهريرة عن الجزيرة

(ذكر قتل روح بن صالح)

وفيها استعمل الرشيد على صدقات بني تغلب روح بن صالح الهمداني وهو من قواد الموصل فجرى بينه وبين تغلب خلاف فجمع جمعا وقصدهم فبلغهم الخبر فاجتمعوا وساروا الى روح فبيتوه فقتل هو وجماعة من اصحابه فسمع حاتم بن صالح وهو بالسكير فجمع جمعا كثيرا وسار الى تغلب فبيتهم وقتل منهم خلقا كثيرا واسر مثلهم وفيها عزل الرشيد عبد الملك بن صالح الهاشمي عن الموصل واستعمل عليها اسحق بن محمد

(ذكر استعمال روح بن حاتم على افريقية)

وفيها استعمل الرشيد على افريقية روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة لما بلغه وفاة اخيه يزيد بن حاتم بها على ما ذكرناه فقدمها في رجب وكان داود بن يزيد اخيه على افريقية فلما وصل عمه روح سار داود الى الرشيد فاستعمله قال روح كنت عاملا على فلسطين فاحضرني الرشيد فوصلت وقد بلغه موت أخي يزيد فقال احسن الله عزاءك في أخيك وقد وليتك مكانه لتحفظ صنائعه ومواليه فسار اليها ولم تزل البلاد معه آمنة ساكنة من فتنة لان أخاه يزيد كان قد أكثر القتل في الخوارج بافريقية فذلوا ثم توفي روح بالقيروان ودفن الى جانب قبر أخيه يزيد وكانت وفاته في رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ولما استعمل المنصور يزيد بن حاتم على افريقية استعمل أخاه روحا على السند فقيل له يا أمير المؤمنين لقد باعدت ما بين قبريهما فتوفي يزيد بالقيروان ثم وليها روح فتوفي بها ودفن الى جانب اخيه يزيد وكان روح اشهر بالشرق من يزيد ويزيد أشهر بالغرب من روح لطول مدة ولايته وكثرة خروجه فيها والخارجين عليه

مادونا وبيده ورقة * ومنها والروضة وهدموا اماكن بالجيزة ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون وجعلوا في أعلاه طاحونا تدور في الهواء عجيبة وتطحن الارادب من البر وهي باربعة أحجار وطاحونا أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة وشرعوا في ردم جهات حوالي بركة الازبكية وهدموا الاماكن المقابلة لبيت صاري عسكر حتى جعلوها رحبة متسعة وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الاخرى والجنائن التي خلف ذلك وقطعوا اشجارها وردموا مكانها بالاتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين مبتدا من حد بيت صاري عسكر الى قنطرة المغربي وجددوا القنطرة المذكورة وكانت آلت الى السقوط وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق بحيث صار جسرا عظيما ممتدا ممهدا مستويا على خط مستقيم من الازبكية الى بولاق وينقسم بقرب بولاق قسمين قسم الى طريق أبي العلا وقسم يذهب الى جهة التبانة وساحل النيل وبطريقه الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبي العلا وجامع الخطيري الى ناحيه المدابغ وحفروا في جانبي ذلك الجسر من مبدئه الى منتهاه

الفزاري أبو عبد الله وكان موته بمكة فجأة

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة)

فيها استعمل الرشيد إسحق بن سليمان على السند ومكران وفيها استقضى الرشيد يوسف بن أبي يوسف وأبوه حي وفيها هلك روح بن حاتم وسار الرشيد الى الجودي ونزل بقردي وبازبدي من أعمال جزيرة ابن عمر فابتنى بها قصرا وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح وحج بالناس الرشيد فقسم في الناس مالا كثيرا وفيها عزل علي بن مسهر عن قضاء الموصل وولي القضاء بها اسمعيل بن زياد الدولابي

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة)

في هذه السنة عقد الرشيد لابنه محمد بن زبيدة بولاية العهد ولقبه الامين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين وكان سبب البيعة ان خاله عيسى بن جعفر بن المنصور جاء الى الفضل بن يحيى بن خالد فسأله في ذلك وقال له انه ولدك وخلافته لك فوعده بذلك وسعى فيها حتى بايع الناس له بولاية العهد وفيها عزل الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر وولاها خالد الغطريف بن عطاء وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ أقريطية وقيل غزاها عبد الملك نفسه فاصابهم برد شديد سقط منه كثير من أيدي الجند وأرجلهم وفيها سار يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي الى الديلم فتحرك هناك وحج بالناس هذه السنة هرون الرشيد .

(ذكر ظفر هشام باخويه ومطروح)

وفيها افرغ هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس من أخويه سليمان وعبد الله واجلاهما عن الاندلس فلما خلا سره منهما انتدب لمطروح بن سليمان بن يقظان فسير اليه جيشا كثيفا وجعل عليهم أبا عثمان عبيد الله بن عثمان فساروا الى مطروح وهو بسرقسطة فحصروه بها فلم يظفروا به فرجع أبو عثمان عنه ونزل بحصن طرسونة بالقرب من سرقسطة وبث سراياه على أهل سرقسطة يغيرون ويمنعون عنهم الميرة ثم ان مطروحا خرج في بعض الايام آخر النهار يتصيد فارسل البازي على طائر فاقتنصه فنزل مطروح ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه فقتلاه وأخذا رأسه واتيا به أبا عثمان فسار الى سرقسطة فكاتبه أهلها بالطاعة فقبل منهم وسار اليها فنزلها وارسل رأس مطروح الى هشام

(ذكر غزاة هشام بالاندلس)

ثم ان أبا عثمان لما فرغ من مطروح أخذ الجيش وسار بهم الى بلاد الفرنج فقصد ألبة والقلاع فلقيه العدو فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفيها سير هشام ايضا يوسف بن بخت في جيش الى جليقية فلقي ملكهم وهو برمند الكبير فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الجلالقة وقتل منهم عالم كثير وفيها انقاد أهل طليطلة

وأفردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية حيث الدرب الجديد وما به من البيوت مثل بيت قاسم بك وأمير الحاج المعروف بابي يوسف وبيت حسن كاشف جركس القديم والجديد الذي أنشاه وشيده وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة من مظالم العباد وعند تمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ففر مع الفارين وتركه فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسي منصوبة موازية لتختاة عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر واذا حضر اليهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لا يمنعونه الدخول الى أعز أماكنهم ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم وخصوصا اذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر في المعارف بذلوا له مودتهم ومحبتهم ويحضرون

وفيها خرج بالاندلس ايضا سعيد بن الحسين بن يحيي الانصارى بشاغنت من اقاليم طرطوشة فى شرق الاندلس وكان قد التجا اليها حين قتل أبوه كما تقدم ودعا الى اليمانية وتعصب لهم فاجتمع له خلق كثير وملك مدينة طرطوشة وأخرج عامله يوسف القيسى فعارضه موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ووافقته مضر فاقتتلا فانهزم سعيد وقتل وسار موسى الى سرقسطة فلكها فخرج عليه مولى للحسين بن يحيي اسمه جحدر فى جمع كثير فقاتله وقتل موسى وخرج أيضا مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة وخرج معه جمع كثير فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقة وتغلب على تلك الناحية وقوى امره وكان هشام مشغولا بمحاربة اخويه سليمان وعبد الله

(ذكر عدة حوادث)

وفيها عزل الرشيد اسحق بن محمد عن الموصل واستعمل سعيد بن سلم الباهلى وعزل الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة وهو ابن أخى معن بن زائدة عن ارمينية واستعمل عليها أخاه عبيد الله بن المهدى وفيها غزا الصائفة اسحق بن سليمان بن على وفيها وضع الرشيد على أهل السواد العشر الذى كان يؤخذ منهم بعد النصف وحج بالناس يعقوب بن المنصور وفيها مات الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس وهو أخو عبد الملك وتوفى سليمان بن بلال مولى ابن أبى عتيق وتوفى أبو يزيد رياح بن يزيد اللخمى الزاهد بمدينة القيروان وكان مجاب الدعوة

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة)

فيها توفى محمد بن سليمان بن على بالبصرة فارسل الرشيد من قبض تركته وكانت عظيمة من المال والمتاع والدواب فحملوا منه ما يصلح للخلافة وتركوا ما لا يصلح وكان من جملة ما اخذوا ستون ألف الف فلما قدموا بذلك عليه اطلق منه للندماء والمغنين شيئا كثيرا ورفع الباقى الى خزانته وكان سبب اخذ الرشيد تركته ان أخاه جعفر بن سليمان كان يسعى به الى الرشيد حسدا له و يقول انه لا مال له ولا ضيعة الا وقد اخذ اكثر من ثمنها ليتقوى به على ما تحدث به نفسه يعنى الخلافة وان امواله حل طلق لامير المؤمنين وكان الرشيد يامر بالاحتفاظ بكتبه فلما توفى محمد بن سليمان أخرجت كتبه الى جعفر أخيه واحتج عليه بها ولم يكن له أخ لابيه وامه غير جعفر فاقر بها فلهذا قبضت امواله وفيها ماتت الخيزران ام الرشيد فحمل الرشيد جنازتها ودفنها فى مقابر قريش ولما فرغ من دفنها اعطى الخاتم الفضل بن الربيع وأخذه من جعفر بن يحيي بن خالد وفيها استقدم الرشيد جعفر بن محمد بن الاشعث من خراسان واستعمل عليها ابنه العباس بن جعفر وحج بالناس الرشيد أحرم من بغداد وفيها مات مورقاط ملك جليقية من بلاد الاندلس وولى بعده برمند بن قلوريه القس ثم تبرأ من الملك وترهب وجعل ابن أخيه فى الملك وكان ملك ابن أخيه سنة خمس وسبعين ومائة وفيها توفى سلام بن أبى مطيع (بتشديد اللام) وجويرية بن أسماء بن عبيد البصرى ومروان بن معاوية بن الحرث بن اسماء الفزارى

بالآلات القريبة المأخذ العمل وقلة الكلفة كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاع عربات صغيرة و يداها ممتدتان من خلف يملؤها الفاعل ترابا أو طينا او احجارا من مقدمها بسهولة بحيث تسع مقدار خمسة غلقان ثم يقبض بيديه على خشبتيها المذكورتين و يدفعها امامه فتجرى على عجلتها بادنى مساعدة الى محل العمل فيميلها باحدى يديه و يفرغ مافيها من غير تعب ولا مشقة وكذلك لهم فؤس وقزم محكمة الصنعة متقنة الوضع وغالب الصناع من جنسهم ولا يقطعون الاحجار والاخشاب الا بالطرق الهندسية على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة ومنارته برجا ووضعوا على أسواره مدافع واسكنوا به جماعة من العسكر و بنوا فى داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة و باع نظاره منه أنقاضا وعمدا كثيرة (ومنها) أنهم احدثوا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية ابنية وكرانك وابراجا ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه وهدموا عدة دور من دور الامراء وأخذوا انقاضها ورخامها لابنيتهم

الرشيد أتسير الى مصر أميرا فقال أتولاها على شرائط احداها ان يكون اذني الى نفسي اذا أصلحت البلاد انصرفت فاجابه الى ذلك فسار فلما وصل اليها أتى دار موسى فجلس في أخريات الناس فلما تفرقوا قال ألك حاجة قال نعم ثم دفع اليه الكتب فلما قرأها قال هل يقدم أبو حفص ابقاه الله قال انا أبو حفص قال موسى لعن الله فرعون حيث قال أليس لي ملك مصر ثم سلم له العمل فتقدم عمر الى كاتبه ان لا يقبل هدية الا ما يدخل في الكيس فبعث الناس بهداياهم فلم يقبل دابة ولا جارية ولم يقبل الا المال والثياب فاخذها وكتب عليها اسماء اصحابها وتركها وكان أهل مصر قد اعتادوا المطل بالخراج وكسره فبدأ عمر برجل منهم فطالبه بالخراج فلواه فاقسم أن لا يؤديه الا بمدينة السلام فبذل الخراج فلم يقبله منه وحمله الى بغداد فادى الخراج بها فلم يمطله أحد فاخذ النجم الاول والنجم الثاني فلما كان النجم الثالث وقعت المطاولة والمطل وشكوا الضيق فاحضر تلك الهدايا وحسبها لاربابها وأمرهم بتعجيل الباقي فاسرعوا في ذلك فاستوفى خراج مصر عن آخره ولم يفعل ذلك غيره ثم انصرف الى بغداد

❊(ذكر الفتنة بدمشق)❊

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية وكان رأس المضرية أبو الهيذام واسمه عامر بن عمارة بن خريم الناعم بن عمرو بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان المري أحد فرسان العرب المشهورين وكان سبب الفتنة ان عاملا للرشيد بسجستان قتل أخا لابي الهيذام فخرج أبو الهيذام بالشام وجمع جمعا عظيما وقال يرثي أخاه

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ❊ فان بها ما يدرك الطالب الوترا
ولسنا كمن ينعى أخاه بغيره ❊ يعصرها من ماء مقلته عصرا
وانا أناس ما تفيض دموعنا ❊ على هالك منا وان قصم الظهرا
ولكنني أشفي الفؤاد بغارة ❊ الهب في قطري كتائبها جمرا

وقيل ان هذه الابيات لغيره والصحيح انها له ثم ان الرشيد احتال عليه باخ له كتب اليه فارغبه ثم شد عليه فكتفه وأتى به الرشيد فمن عليه وأطلقه وقيل كان أول ما هاجت الفتنة في الشام أن رجلا من بني القين خرج بطعام له يطحنه في الرحى بالبلقاء فمر بحائط رجل من لخم أو جذام وفيه بطيخ وقثاء فتناول منه فشتمه صاحبه وتضاربا وسار القيني فجمع صاحب البطيخ قوما من أهل اليمن ليضربوه اذا عاد فلما عاد ضربوه وأعانه قوم آخرون فقتل رجل من اليمانية وطلبوا بدمه فاجتمعوا لذلك وكان على دمشق حينئذ عبد الصمد بن علي فلما خاف الناس ان يتفاقم ذلك اجتمع أهل الفضل والرؤساء ليصلحوا بينهم فاتوا بني القين فكلموهم فاجابوهم الى ما طلبوا فاتوا اليمانية فكلموهم فقالوا انصرفوا عنا حتى ننظر ثم ساروا فبيتوا بني القين فقتلوا منهم ستمائة وقيل ثلثمائة فاستنجد بنو القين قضاعة وسليحا فلم ينجدوهم فاستنجدوا

والصور والاشكال والاقلام المرسومة بها وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والاعشاب وعلوم الطب والتشريح والهندسيات وجر الاثقال وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضي عياض ويعبرون عنه بقولهم شفاء شريف والبردة للبوصيري ويحفظون جملة من أبياتها وترجموها بلغتهم ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق ويدأبون في ذلك الليل والنهار وعندهم كتب مفردة لانواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أي لغة كانت الى لغتهم في أقرب وقت وعند توت الفلكي وتلامذته في مكان مخصوص بهم الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن المصنوعة من الصفر المموه وهي تركب ببراريم مصنوعة محكمة كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة بحيث اذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر

الى طاعة الامير هشام فامنهم وفيها سجن هشام أيضا ابنه عبد الملك لشئ بلغه عنه فبقى مسجونا حياة أبيه و بعض ولاية أخيه فتوفى محبوسا سنة ثمان وتسعين ومائة

(ذكر عدة حوادث)

وفيها خرج بخراسان حصين الخارجى وهو من موالى قيس بن ثعلبة من أهل أوق وكان على سجستان عثمان بن عمارة فارسل جيشا فلقيهم حصين فهزمهم ثم أتى خراسان وقصد باذغيس و بوشنج وهراة وكتب الرشيد الى الغطريف فى طلبه فسير اليه الغطريف داود بن يزيد فى اثنى عشر ألفا فلقيهم حصين فى ستمائة فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا ثم سار فى خراسان الى ان قتل سنة سبع وسبعين ومائة * وفيها مات الليث بن سعد الفقيه بمصر ومحمد بن اسحق بن ابراهيم أبو العنبس الشاعر وفيها توفى المسيب بن زهير بن عمر بن مسلم الضبى وقيل سنة ست وسبعين وكان على شرط المنصور والمهدى وولاه المهدى خراسان وفيها ولد ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

(ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة)

(ذكر ظهور يحيى بن عبد الله بالديلم)

فى هذه السنة ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم واشتدت شوكته وكثر جوعه وأتاه الناس من الامصار فاغتم الرشيد لذلك فندب اليه الفضل بن يحيى فى خمسين ألفا وولاه جرجان وطبرستان والرى وغيرها وحمل معه الاموال فكاتب يحيى ابن عبد الله ولطف به وحذره وأشار عليه و بسط أمله ونزل الفضل بالطالقان بمكان يقال له اشب ووالى كتبه الى يحيى وكاتب صاحب الديلم وبذل له ألف ألف درهم على ان يسهل له خروج يحيى بن عبد الله فاجاب يحيى الى الصلح على ان يكتب له الرشيد امانا بخطه يشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وجلة بنى هاشم ومشايخهم منهم عبد الصمد ابن على فاجابه الرشيد الى ذلك وسر به وعظمت منزلة الفضل عنده وسير الامان مع هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل بغداد فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بمال كثير ثم ان الرشيد حبسه فمات فى الحبس وكان الرشيد قد عرض كتاب امان يحيى على محمد بن الحسن الفقيه وعلى أبى البخترى القاضى فقال محمد الامان صحيح فحاجه الرشيد فقال محمد وما يصنع بالامان لو كان محاربا ثم ولى وكان آمنا وقال أبو البخترى هذا أمان منتقض من وجه كذا فمزقه الرشيد

(ذكر ولاية عمر بن مهران مصر)

وفيها عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر ورد امرها الى جعفر بن يحيى بن خالد فاستعمل عليها جعفر عمر بن مهران وكان سبب عزله ان الرشيد بلغه ان موسى عازم على الخلع فقال والله لا أعزله الا باخس من على بابى فامر جعفرا فاحضر عمر بن مهران وكان أحول مشوه الخلق وكان لباسه خسيسا وكان يردف غلامه خلفه فلما قال له

والاقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الامم وقصص الانبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم مما يحير الافكار ولقد ذهبت اليهم مرارا واطلعوني على ذلك فمن جملة ما رأيته كتاب كبير يشتمل على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم وهو قائم على قدميه ناظر الى السماء كالمرهب للخليقة و بيده اليمنى السيف وفى اليسرى الكتاب وحوله الصحابة رضى الله عنهم بايديهم السيوف وفى صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين وفى الاخرى صورة المعراج والبراق وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليه من صخرة بيت المقدس وصورة بيت المقدس والحرم المكى والمدنى وكذلك صورة الائمة المجتهدين و بقية الخلفاء والسلاطين ومثال اسلامبول وما بها من المساجد العظام كآيا صوفيه وجامع السلطان محمد وهيئة المولد النبوى وجمعية أصناف الناس لذلك وكذلك السلطان سليمان وهيئة صلاة الجمعة فيه وأبى أيوب الانصارى وهيئة صلاة الجنازة فيه وصور البلدان والسواحل والبحار والاهرام و برابى الصعيد

كان مستهل صفر جمع اسحق الجند وعسكروا عند قصر الحجاج وأعلم أبو الهيذام أصحابه فأتاه بنو القين وغيرهم واجتمعت اليمن الى اسحق فالتقى بعض العسكر فاقتتلوا فانهزمت اليمانية وقتل منهم ونهب أصحاب أبي الهيذام بعض داريا وأحرقوا فيها ورجعوا وأغار هؤلاء فنهبوا وأحرقوا واقتتلوا غير مرة فانهزمت اليمانية أيضا فارسلت ابنة الضحاك بن رمل السكسكي وهي يمانية الى ابي الهيذام تطلب منه الامان فاجابها وكتب لها ونهب القرى التي لليمانية بنواحي دمشق واحرقها فلما رأت اليمانية ذلك ارسل اليه ابن خارجة الحرشي وابن عزة الخشني وأتاه الاوزاع والاوصاب ومقرا وأهل كفرسوسية والحميريون وغيرهم يطلبون الامان فامنهم فسكن الناس وأمنوا وفرق أبو الهيذام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق فطمع فيه اسحق فبذل الاموال للجنود ليواقع أبا الهيذام فارسل العذافر السكسكي في جمع الى ابي الهيذام فقاتلوهم فانهزم العذافر ودامت الحرب بين ابي الهيذام وبين الجنود من الظهر الى المساء وحمل خيل ابي الهيذام على الجند فجالوا ثم تراجعوا وانصرفوا وقد جرح منهم أربعمائة ولم يقتل منهم أحد وذلك نصف صفر فلما كان الغد لم يقتتلوا الى المساء فلما كان آخر النهار تقدم اسحق في الجند فقاتلهم عامة الليل وهم بالمدينة واستمد أبو الهيذام اصحابه وأصبحوا من الغد فاقتتلوا والجند في اثني عشر ألفا وجاءتهم اليمانية وخرج أبو الهيذام من المدينة فقال لاصحابه وهم قليلون انزلوا فنزلوا وقاتلوهم على باب الجابية حتى أزالوهم عنه ثم ان جمعا من أهل حمص اغاروا على قرية لابي الهيذام فارسل طائفة من اصحابه اليهم فقاتلوهم فانهزم اهل حمص وقتل منهم بشر كثير واحرقوا قرى في الغوطة لليمانية واحرقوا داريا ثم بقوا نيفا وسبعين يوما لم تكن حرب فقدم السندي مستهل ربيع الآخر في الجنود من عند الرشيد فاتته اليمانية تغريه بابي الهيذام وارسل ابو الهيذام اليه يخبره انه على الطاعة فاقبل حتى دخل دمشق واسحق بدار الحجاج فلما كان الغد أرسل السندي قائدا في ثلاثة آلاف واخرج اليهم أبو الهيذام ألفا فلما رآهم القائد رجع الى السندي فقال اعط هؤلاء ما أرادوا فقد رأيت قوما الموت أحب اليهم من الحياة فصالح أبا الهيذام وأمن اهل دمشق والناس وسار ابو الهيذام الى حوران واقام السندي بدمشق ثلاثة أيام وقدم موسى بن عيسى واليا عليها فلما دخلها أقام بها عشرين يوما واغتنم غرة أبي الهيذام فارسل من يأتيه به فكبسوا داره فخرج هو وابنه خريم وعبد له فقاتلوهم ونجا منهم وانهزم الجند وسمعت خيل أبي الهيذام فأتته من كل ناحية وقصد بصرى وقاتل جنود موسى بطرف اللجاة فقتل منهم وانهزموا ومضى أبو الهيذام فلما أصبح أتاه خمسة فوارس فكلموه فاوصى أصحابه بما أرادوا وتركهم ومضى وذلك لعشر بقين من رمضان سنة سبع وسبعين ومائة وكان اولئك النفر قد أتوه من عند أخيه يأمره بالكف ففعل ومضى معهم وأمر أصحابه بالتفرق وكان آخر الفتنة ومات أبو الهيذام سنة اثنتين وثمانين ومائة هذا ما أردنا ذكره على سبيل الاختصار (خريم) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء وحارثة بالحاء المهملة

وجعل له مكانا أسفل وأعلى وبها رفوف عليها القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة وبها كذلك عدة من الاطباء والجرائحية وأفردوا مكانا في بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع وآلات تصاعيد الارواح وتقاطير المياه وخلاصات المفردات وأملاح الارمدة المستخرجة من الاعشاب والنباتات واستخراج المياه الجلاءة والحلالة وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلوري المختلف الاشكال والهيئات على الرفوف والسدلات وبداخلها أنواع المستخرجات (ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان) ان بعض المتقيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة فصب منها شيئا في كأس ثم صب عليها شيئا من زجاجة أخرى فعلا الماآن وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما في الكأس وصار حجرا أصفر فقلبه على البرجات حجرا يابسا أخذناه بايدينا ونظرناه ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجرا أزرق وبأخرى فجمد حجرا أحمر ياقوتيا وأخذ مرة شيئا قليلا جدا من غبار أبيض ووضعه على

قيسا فاجابوهم وساروا معهم الى الصواليك من أرض البلقاء فقتلوا من اليمانية
ثمانمائة وكثر القتال بينهم فالتقوا مرات وعزل عبد الصمد عن دمشق واستعمل عليها
ابراهيم بن صالح بن علي فدام ذلك الشر بينهم نحو سنتين والتقوا بالبثنية فقتل من
اليمانية نحو ثمانمائة ثم اصطلحوا بعد شر طويل ووفد ابراهيم بن صالح على الرشيد
وكان ميله مع اليمانية فوقع في قيس عند الرشيد فاعتذر عنهم عبد الواحد
ابن بشر النصري من بني نصر فقبل عذرهم ورجعوا واستخلف ابراهيم بن صالح على
دمشق ابنه اسحق وكان ميله أيضا مع اليمانية فاخذ جماعة من قيس فحبسهم وضربهم
وحلق لحاهم فنفر الناس ووثبت غسان برجل من ولد قيس بن العبسي فقتلوه فجاء
أخوه الى ناس من الزواقيل بحوران فاستنجدهم فانجدوه وقتلوا من اليمانية نفرا ثم
ثارت اليمانية بكليب بن عمرو بن الجنيد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوه فجاءت
ام الغلام بثيابه الى أبي الهيذام فالقتها بين يديه فقال انصرفي حتى ننظر فاني لا أخبط
خبط العشواء حتى يأتي الأمير ونرفع اليه دماءنا فان نظر فيها والا فامير المؤمنين ينظر
فيها ثم أرسل اسحق فاحضر ابا الهيذام فحضر فلم ياذن له ثم ان ناسا من الزواقيل قتلوا
رجلا من اليمانية وقتلت اليمانية رجلا من سليم ونهبت اهل تلفيا وهم جيران
محارب فجاءت محارب الى أبي الهيذام فركب معهم الى اسحق في ذلك فوعدهم الجميل
فرضي فلما انصرف أرسل اسحق الى اليمانية يغريهم بابي الهيذام فاجتمعوا وأتوا
أبا الهيذام من باب الجابية فخرج اليهم في نفر يسير فهزمهم واستولى على دمشق
وأخرج أهل السجون عامة ثم ان أهل اليمانية استجمعت واستنجدت كلبا وغيرهم
فامدوهم وبلغ الخبر أبا الهيذام فارسل الى المضرية فاتته الامداد وهو يقاتل اليمانية
عند باب توما فانهزمت اليمانية ثم ان اليمانية أتت قرية لقيس عند دمشق فارسل
أبو الهيذام اليهم الزواقيل فقاتلوهم فانهزمت اليمانية أيضا ثم لقيهم جمع آخر
فانهزموا أيضا ثم أتاهم الصريخ أدركوا باب توما فاتوه فقاتلوا اليمانية فانهزمت أيضا
فهزموهم في يوم واحد أربع مرات ثم رجعوا الى أبي الهيذام ثم أرسل اسحق الى أبي
الهيذام يامره بالكف ففعل وأرسل الى اليمانية قد كففته عنكم فدونكم الرجل فهو غار
فاتوه من باب شرقي متسللين فاتى الصريخ أبا الهيذام فركب في فوارس من أهله فقاتلهم
فهزمهم ثم بلغه خبر جمع آخر لهم على باب توما فاتاهم فهزمهم أيضا ثم جمعت اليمانية
أهل الاردن والخولان وكلبا وغيرهم وأتى الخبر أبا الهيذام فارسل من ياتيه بخبرهم
فلم يقف لهم على خبر في ذلك وجاؤا من جهة أخرى كان آمنا منها لبناء فيها فلما انتصف
النهار ولم ير شيئا فرق أصحابه فدخلوا المدينة ودخلها معهم وخلف طليعة فلما رآه
اسحق قد دخل أرسل الى ذلك البناء فهدمه وأمر اليمانية بالعبور ففعلوا فجاءت
الطليعة الى أبي الهيذام فاخبروه الخبر وهو عند باب الصغير ودخلت اليمانية المدينة
وحملوا على أبي الهيذام فلم يبرح وأمر بعض أصحابه ان ياتي اليمانية من ورائهم ففعلوا
فلما رأتهم اليمانية تنادوا الكمين الكمين وانهزموا وأخذ منهم سلاحا وخيلا فلما

منها الى المرقى واذا انحل تركيبها وضعت في ظرف
صغير وكذلك نظارات النظر
في الكواكب وارصادها
ومعرفة مقاديرها واجرامها
وارتفاعاتها واتصالاتها
ومناظراتها وأنواع المنكابات
والساعات التي تسير بثواني
الدقائق الغريبة الشكل
الغالية الثمن وغير ذلك وأفردوا
لجماعة منهم بيت ابراهيم
كتخدا السناري وهم المصورون
لكل شئ ومنهم ار يجو المصور
وهو يصور صور الآدميين
تصويرا يظن من يراه انه بارز
في الفراغ مجسم يكاد ينطق
حتى انه صور صورة المشايخ
كل واحد على حدته في دائرة
وكذلك غيرهم من الاعيان
وعلقوا ذلك في بعض مجالس
سارى عسكر وآخر في مكان
آخر يصور الحيوانات والحشرات
وآخر يصور الاسماك والحيتان
بانواعها وأسمائها ويأخذون
الحيوان أو الحوت الغريب
الذي لا يوجد ببلادهم
فيضعون جسمه بذاته في ماء
مصنوع حافظ للجسم فيبقى
على حالته وهيئته لا يتغير ولا
يبلى ولو بقي زمنا طويلا *
وكذلك أفردوا اماكن
للمهندسين وصناع الدقائق
وسكن الحكيم رويا ببيت
ذي الفقار كتخدا بجوار ذلك
ووضع آلاته ومساحقه
وأهوانه في ناحية وركب له
بتنانير وكوانين لتقطير المياه والادهان واستخراج الاملاح

كان

ابن الفارسي كل جماعة لا رئيس لها فهي الى الهلاك أقرب فانظروا رجلا يدبر أمركم قالوا صدقت فاتفقوا على تقديم قائد منهم يقال له عبد الله بن الجارود يعرف بعبدويه الانباري فقدموه عليهم وبايعوه على السمع والطاعة واخرجوا المغيرة عنهم وكتبوا الى الفضل يقولون انا لم نخرج يدا عن طاعته ولكنه اساء السيرة فاخرجناه فول علينا من نرضاه فاستعمل عليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن حاتم وسيره اليهم فلما كان على مرحلة من تونس ارسل اليه ابن الجارود جماعة لينظروا في أي شئ قدم ولا يحدثوا حدثا الا بامر فساروا اليه وقال بعضهم لبعض ان الفضل يخدعكم بولاية هذا ثم ينتقم منكم باخراجكم اخاه فعدوا على عبد الله بن يزيد فقتلوه واخذوا من معه من القواد اسارى فاضطر حينئذ عبد الله بن الجارود ومن معه الى القيام والجد في ازالة الفضل فتولى ابن الفارسي الامر وصار يكتب الى كل قائد بافريقية ومتولي مدينة يقول له انا نظرنا في صنيع الفضل في بلاد أمير المؤمنين وسوء سيرته فلم يسعنا الا الخروج عليه لنخرجه عنا ثم نظرنا فلم نجد احدا اولى بنصيحة امير المؤمنين لبعد صونه وعطفه على جنده منك فراينا ان نجعل نفوسنا دونك فان ظفرنا جعلناك اميرنا وكتبنا الى امير المؤمنين نساله ولايتك وان كانت الاخرى لم يعلم احد اننا اردناك والسلام فافسد بهذا كافة الجند على الفضل وكثر الجمع عندهم فسير اليهم الفضل عسكرا كثيرا فخرجوا اليه فقاتلوه فانهزم عسكره وعاد الى القيروان منهزما وتبعهم اصحاب ابن الجارود فحاصروا القيروان يومهم ذلك ثم فتح اهل القيروان الابواب ودخل ابن الجارود وعسكره في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين ومائة واخرج الفضل من القيروان ووكل به وبمن معه من اهله ان يوصلهم الى قابس فساروا يومهم ثم ردهم ابن الجارود وقتل الفضل بن روح ابن حاتم فلما قتل الفضل غضب جماعة من الجند واجتمعوا على قتال ابن الجارود فسير اليهم عسكرا فانهزم عسكره وعاد اليه بعد قتال شديد واستولى اولئك الجند على القيروان وكان ابن الجارود بمدينة تونس فسار اليهم وقد تفرقوا بعد دخول القيروان فوصل اليهم ابن الجارود فلقوه واقتتلوا فهزمهم ابن الجارود وقتل جماعة من أعيانهم فانهزموا فلحقوا بالاربس وقدموا عليهم العلاء بن سعيد والي بلد الزاب وساروا الى القيروان

(ذكر ولاية هرثمة بن اعين بلاد افريقية)

اتفق وصول يحيى بن موسى من عند الرشيد لما قصد العلاء ومن معه القيروان وكان سبب وصوله ان الرشيد بلغه ما صنع ابن الجارود وافساده افريقية فوجه هرثمة بن اعين ومعه يحيى بن موسى لمحله عند اهل خراسان وامر أن يتقدم يحيى في تلطف بابن الجارود ويستميله ليعاود الطاعة قبل وصول هرثمة فقدم يحيى القيروان فجرى بينه وبين ابن الجارود كلام كثير ودفع اليه كتاب الرشيد فقال انا على السمع والطاعة وقد قرب مني العلاء بن سعيد ومعه البربر فان تركت القيروان وثب البربر فملكوها فاكون قد ضيعت بلاد امير المؤمنين ولكني اخرج الى العلاء فان ظفر بي فشانكم والثغور وان

عقول أمثالنا وأفردوا أيضا مكانا للنجارين وصناع الآلات والاخشاب وطواحين الهواء والعربات واللوازم لهم في اشغالهم وهندساتهم وأرباب صنائعهم * ومكان آخر للحدادين وبنوا فيه كوانين عظاما وعليها منافيخ كبار يخرج منها الهواء متصلا كثيرا بحيث يجذبه النافخ من أعلى بحركة لطيفة وصنعوا السندانات والمطارق العظام لصناعات الآلات من الحديد والمخارط وركبوا مخارط عظيمة لخرط القلوزات الحديد العظيمة ولهم فلكات مثقلة يديرها الرجال للعلم الخراط للحديد بالاقلام المتينة الجافية وعليها حق صغير معلق مثقوب وفيه ماء يقطر على محل الخرط لتبريد النارية الحادثة من الاصطكاك وبأعلى هذه الامكنة صناع الامور الدقيقة مثل البركارات وآلات الساعات والآلات الهندسية المتقنة وغير ذلك

(شهر رجب سنة ١٢١٣)

استهل بيوم الاحد في ثالثه قتلوا شخصا من الاجناد يقال له مصطفى كاشف من جماعة حسين بك المعروف بشفت وكان قد فر مع الفارين ثم رجع من غير استئذان وأقام أياما مستترا ببيت الشيخ سليمان الفيومي فسلمه لمصطفى اغا مستحفظان ليأخذ له أمانا فأخبر الفرنسيس بشأنه وأغراهم عليه فأمروه بقتله فقطع رأسه

والثاء المثلثة ونشبة بضم النون وسكون الشين المعجمة وبعده باء موحدة ويغيض بالباء الموحدة وكسر الغين المعجمة وآخره ضاد معجمة وريث بالراء والياء تحتها نقطتان وآخره ثاء مثلثة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث صاحب الاندلس بلاد الفرنج فبلغ ألبة والقلاع فغنم وسلم وفيها استعمل هشام ابنه الحكم على طليطلة وسيره اليها فضبطها وأقام بها وولد له بها ابنه عبد الرحمن بن الحكم وهو الذي ولي الاندلس بعد أبيه وفيها استعمل الرشيد على الموصل الحاكم بن سليمان وفيها اخرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين فاخذ من أهلها مالا وسار الى دارا وآمد وارزن فاخذ منهم مالا وكذلك فعل بخلاط ثم رجع الى نصيبين وأتى الموصل فخرج اليه عسكرها فهزمهم على الزاب ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه وفيها مات الفرج بن فضالة وصالح بن بشر المري القارئ وكان ضعيفا في الحديث وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم أبو طاهر الانصاري وكان قاضيا ببغداد وفيها توفي نعيم بن ميسرة النحوي الكوفي وأبو الاحوص وابو عوانة واسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء الليثي وكان مولده سنة اثنتين وتسعين

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة)

(ذكر غزو الفرنج بالاندلس)

فيها سير هشام صاحب الاندلس جيشا كثيفا واستعمل عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فدخلوا بلاد العدو فبلغوا أربونة وجرندة فبدأ بجرندة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها الى اربونة ففعل مثل ذلك وأوغل في بلادهم ووطئ أرض شرطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل في بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم مالا يعلمه الا الله تعالى وهي من أشهر مغازي المسلمين بالاندلس

(ذكر استعمال الفضل بن روح بن حاتم على افريقية)

وفي هذه السنة وهي سنة سبع وسبعين استعمل الرشيد على افريقية الفضل بن روح ابن حاتم وكان الرشيد لما توفي روح استعمل بعده حبيب بن نصر المهلبي فسار الفضل الى باب الرشيد وخطب ولايته افريقية فولاه فعاد اليها فقدم في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة فاستعمل على مدينة تونس ابن اخيه المغيرة بن بشر بن روح وكان غارا فاستخف بالجند وكان الفضل أيضا قد أوحشهم وأساء السيرة معهم بسبب ميلهم الى نصر بن حبيب الوالي قبله فاجتمع من بتونس وكتبوا الى الفضل يستعفون من ابن أخيه فلم يجبهم عن كتابهم فاجتمعوا على ترك طاعته فقال لهم قائد من الخراسانية يقال له محمد

كصوت القرابانه انزعجنا منه فضحكوا وامنا واخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة في مقدار الشبر ضيقة الفم فغمسها في ماء قراح موضوع في صندوق من الخشب مصفح الداخل بالرصاص وأدخل معها أخرى على غير هيئتها وأنزلهما في الماء وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء في أحدهما وأتى آخر بفتيلة مشتعلة وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء وقرب الآخر الشعلة اليها في الحال فخرج ما فيها من الهواء المحبوس وفرقع بصوت هائل أيضا وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكمية تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة الطبائع ومثل الفلكة المستديرة التي يديرون بها الزجاجة فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شئ كثيف ويظهر له صوت وطقطقة واذا مسك علاقتها شخص ولو خيطا لطيفا متصلا بها ولمس آخر الزجاجة الدائرة أو ما قرب منها بيده الاخرى ارتج بدنه وارتعد جسمه وطقطقت عظام أكتافه وسواعده في الحال برجة سريعة ومن لمس هذا اللامس أو شيئا من ثيابه أو شيئا متصلا به حصل له ذلك ولو كانوا ألفا أو أكثر ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها

في هذه السنة عزل الرشيد جعفر بن يحيى عن مصر واستعمل عليها اسحق بن سليمان وعزل حمزة بن مالك عن خراسان واستعمل عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافا الى ما كان اليه من الاعمال وهي الري وسجستان وغيرهما وفيها غزا الصائفة عبد الرزاق ابن عبد الحميد التغلبي وفيها في المحرم هاجت ريح شديدة وظلمة ثم عادت مرة ثانية في صفر وحج بالناس الرشيد وفيها توفي عبد الواحد بن زيد وقيل سنة ثمان وسبعين وفيها توفي شريك بن عبد الله النخعي وجعفر بن سليمان

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة)

(ذكر الفتنة بمصر)

في هذه السنة وثبت الحوفية بمصر على عاملهم اسحق بن سليمان وقاتلوه وأمده الرشيد بهرثمة بن أعين وكان عامل فلسطين فقاتلوا الحوفية وهم من قيس وقضاعة فاذعنوا بالطاعة وادّوا ما عليهم للسلطان فعزل الرشيد اسحق عن مصر واستعمل عليها هرثمة مقدار شهر ثم عزله واستعمل عليها عبد الملك بن صالح

(ذكر خروج الوليد بن طريف الخارجي)

وفيها خرج الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة ففتك بابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ثم قويت شوكة الوليد فدخل الى أرمينية وحصر خلاط عشرين يوما فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفا ثم سار الى أذربيجان ثم الى حلوان وأرض السواد ثم عبر الى غرب دجلة وقصد مدينة بلد فافتدوا منه بمائة ألف وعاث في أرض الجزيرة فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وهو ابن أخي معن بن زائدة فقال الوليد

ستعلم يا يزيد اذا التقينا * بشط الزاب أي فتى يكون

فجعل يزيد يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فقالوا للرشيد انما يتجافى يزيد عن الوليد للرحم لانهما كلاهما من وائل وهوّنوا أمر الوليد فكتب اليه الرشيد كتاب مغضب وقال له لو وجهت أحد الخدم لقام باكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأقسم بالله ان أخرت مناجزته لاوجهن اليك من يحمل رأسك فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان سنة تسع وسبعين فيقال جهد عطشا حتى رمى بخاتمه في فيه وجعل يلوكه ويقول اللهم انها شدة شديدة فاسترها وقال لاصحابه فدا كم أبي وأمي انما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا فاذا انقضت حملتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا فكان كما قال حملوا عليهم حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته ثم حمل عليهم فانكشفوا فيقال ان أسد بن يزيد كان شبيها بابيه حدا لا يفصل بينهما الا ضربة في وجه يزيد تاخذ من قصاص شعره منحرفة على جبهته فكان أسد يتمنى مثلها فهوت اليه ضربة فاخرج وجهه من الترس فاصابته في ذلك الموضع فيقال لو خطت على ضربة أبيه ماعدا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه فاخذ رأسه فقال بعض الشعراء

بونابارته الى السويس وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقي وابراهيم افندى كاتب البهار وأخذ معه أيضا بعض المدبرين والمهندسين والمصوّرين وجرجس الجوهري والطون أبو طاقية وغيرهم وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية (وفيه) شرعوا في ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرا منهم أربعة عشر يقال لهم خصوص وهم الذين يحضرون دائما ويقال لهم الديوان الخصوصي والديوان العمومي والباقي بحسب الاقتضاء والاربعة عشر هم من المشايخ الشرقاوي والمهدى والصاوى والبكري والفيومي ومن التجار المحروقي وأحمد محرم ومن النصارى القبطة لطف الله المصري ومن الشوام يوسف فرحات ومخاييل كحيل وورواحة الانكليزي وبودني وموسى كافر الفرنساوي ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيس ومترجمون وأما العمومي فاكثره مشايخ حرف وكتبوا بذلك طومارا كبيرا بصموا منه نسخا كثيرة وأرسلوا منها نسخا كثيرة للاعيان وألصقوا منها بالاسواق على العادة وأرسلوا للذين عينوا بالديوان أوراقا باسمائهم شبه التقارير

ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة فاسلم البلاد اليه واسير الى امير المؤمنين وكان قصده المغالطة فان ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد فعلم يحيى ذلك وخلا بابن الفارسى وعاتبه على ترك الطاعة فاعتذر وحلف انه عليها وبذل من نفسه المساعدة على ابن الجارود فسعى ابن الفارسى فى افساد حاله واستمال جماعة من اجناده فاجابوه وكثر جمعه وخرج الى قتال ابن الجارود فقال ابن الجارود لرجل من اصحابه اسمه طالب اذا تواقفنا فانى سابدء وابن الفارسى لاعاتبه فاقصده انت وهو غافل فاقتله فاجابه الى ذلك وتواقف العسكران ودعا ابن الجارود محمد بن الفارسى وكلمه وحمل طالب عليه وهو غافل فقتله وانهزم اصحابه وتوجه يحيى بن موسى الى هرثمة بطرابلس واما العلاء بن سعيد فانه لما علم الناس بقرب هرثمة منهم كثر جمعه واقبلوا اليه من كل ناحية وساروا الى ابن الجارود فعلم ابن الجارود انه لا قوة له به فكتب الى يحيى بن موسى يستدعيه ليسلم اليه القيروان فسار اليه فى جند طرابلس فى المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فلما وصل قابسا تلقاه عامة الجند وخرج ابن الجارود من القيروان مستهل صفر وكانت ولايته سبعة أشهر وأقبل العلاء بن سعيد ويحيى بن موسى يستبقان الى القيروان كل منهما يريد أن يكون الذكر له فسبقه العلاء ودخلها وقتل جماعة من اصحاب ابن الجارود وسار الى هرثمة وسار ابن الجارود أيضا الى هرثمة فسيره هرثمة الى الرشيد وكتب اليه يعلمه ان العلاء كان سبب خروجه فكتب الرشيد يامره بارسال العلاء اليه فسيره فلما وصل لقيه صلة كثيرة من الرشيد وخلع فلم يلبث بمصر الا قليلا حتى توفى وأما ابن الجارود فانه اعتقل ببغداد وسار هرثمة الى القيروان فقدمها فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة فامن الناس وسكنهم وبنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين ومائة وبنى سور مدينة طرابلس مما يلى البحر وكان ابراهيم بن الاغلب بولاية الزاب فاكثر الهدية الى هرثمة ولاطفه فولاه هرثمة ناحية من الزاب فحسن أثره فيها ثم ان عياض بن وهب الهوارى وكليب بن جميع الكلبى جمعا جموعا وأرادا قتال هرثمة فسير اليهما يحيى بن موسى فى جيش كثير ففرق جموعهما وقتل كثيرا من أصحابهما وعاد الى القيروان ولما رأى هرثمة ما بافريقية من الاختلاف واصل كتبه الى الرشيد يستعفى فامره بالقدوم عليه الى العراق فسار عن أفريقية فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا

(ذكر الفتنة بالموصل)

وفيها خالف العطاف بن سفيان الازدى على الرشيد وكان من فرسان أهل الموصل واجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج وكان عامل الرشيد على الموصل محمد ابن العباس الهاشمى وقيل عبد الملك بن صالح والعطاف غالب على الامر كله وهو يجبى الخراج وأقام على هذا سنتين حتى خرج الرشيد الى الموصل فهدم سورها بسببه

(ذكر عدة حوادث)

وطافوا بها ينادون عليها بقولهم هذا جزاء من يدخل الى مصر بغير اذن الفرنسيس (وفى يوم الخميس) حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليوب وصحبته سليمان الشوربجى شيخ الناحية وكبيرها فلما حضر حبسوه بالقلعة قيل انهم عثروا له على مكتوب ارسله وقت الفتنة السابقة الى سرياقوس ليهض أهل تلك النواحى فى القيام ويامرهم بالحضور وقت ان يرى الغلبة على الفرنسيس ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الاجناد أيضا (وفيه) احدثوا مزمارا بمصر يضرب بونه فى كل يوم وقت الزوال لان ذلك الوقت عندهم ابتداء اليوم (وفى يوم الاربعاء عاشره) نادوا فى الاسواق بان من أراد أن يشترى فرسا أو حمارا فليحضر يوم الجمعة ثالث عشره ببولاق ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالاسواق والازقة وهى مطبوعة وعليها الصورة ونصها اعلموا يكن معلوما عند كافة الرعايا المصرية ان فى يوم الجمعة ثلاثة عشر من شهر رجب الساعة اثنين يباع فى بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية فلاجل هذا المشترى كل من أراد أن يقتنى خيلا فممنحاله الاجازة انه يقتنى كما يريد ويشاء انتهى (وفى يوم الاثنين سادس

خالية من الناس سبع سنين

(ذكر عدة حوادث)

وفيها غزا الصائفة معاوية بن زفر بن عاصم وغزا الشاتية سليمان بن راشد ومعه البند بطريق صقلية وحج بالناس هذه السنة محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي وفيها فوض الرشيد أمور دولته كلها الى يحيى بن خالد البرمكي وفيها وصل الفضل بن يحيى الى خراسان وغزا ماوراء النهر من بخارى فحضر عنده صاحب اشروسنة وكان ممتنعا وبنى الفضل بخراسان المساجد والرباطات وفيها توفي عبد الوارث بن سعيد والمفضل ابن يونس وجعفر بن سليمان الضبعي

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة)

(ذكر غزو الفرنج بالاندلس)

فيها سير هشام صاحب الاندلس جيشا كثيفا عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الى جليقية فساروا حتى انتهوا الى استرقة وكان اذفونش ملك الجلالقة قد جمع وحشد وامده ملك البشكنس وهم جيرانه ومن يليهم من المجوس وأهل تلك النواحي فصار في جمع عظيم فاقدم عليه عبد الملك فرجع اذفونش هيبة له وتبعهم عبد الملك يقفو أثرهم ويهلك كل من تخلف منهم فدوخ بلادهم وأوغل فيها وأقام فيها يغنم ويقتل ويخرب وهتك حريم اذفونش ورجع سالما وكان قد سير هشام جيشا آخر من ناحية أخرى فدخلوا أيضا على ميعاد من عبد الملك فاخربوا ونهبوا وغنموا فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو اعترضهم عسكر للفرنج فنال منهم وقتل نفرا من المسلمين ثم تخلصوا وسلموا وعادوا سالمين سوى من قتل منهم

(ذكر عدة حوادث)

فيها عاد الفضل بن يحيى من خراسان فاستعمل الرشيد منصور بن يزيد بن منصور الحميري خال المهدي واعتمر الرشيد في شهر رمضان شكرا لله تعالى على قتل الوليد بن طريف وعاد الى المدينة فاقام بها الى وقت الحج وحج بالناس ومشى من مكة الى منى ثم الى عرفات وشهد المشاعر كلها ماشيا ورجع على طريق البصرة وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني وفيها توفي حماد بن زيد بن درهم الازدي مولاهم أبو اسمعيل ومالك بن أنس الاصبحي الامام أستاذ الشافعي وفيها توفي مسلم بن خالد الزنجي أبو عبد الله الفقيه المكي وصحبه الشافعي قبل مالك وأخذ عنه الفقه وانما قيل له الزنجي لانه كان أبيض مشربا بحمرة وعباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة المهلبي البصري وأبو الاحوص سلام بن سليم الحنفي (سلام بتشديد اللام)

(ثم دخلت سنة ثمانين ومائة)

(ذكر وفاة هشام)

الذي يعاديني ويخاصمني انما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد لمحاولا مخاصا ينجيه مني في هذا العالم ولا ينجو من بين يدي الله لعدم رضته لمقادير الله سبحانه وتعالى والعاقل يعرف ان مافعلناه بتقدير الله تعالى وارادته وقضائه ومن يشك في ذلك فهو احمق واعمى البصيرة وأعلموا ايضا امتكم ان الله قدر في الازل هلاك أعداء الاسلام وتكسير الصلبان على يدي وقدر في الازل ان أجيء من المغرب الى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها واجراء الامر الذي أمرت به ولا يشك العاقل ان هذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه وأعلموا ايضا امتكم ان القرآن العظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل وأشار في آيات أخرى الى أمور تقع في المستقبل وكلام الله في كتابه صدق وحق لا يتخلف اذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات في آذانكم فلترجع أمتكم جميعا الى صفاء النية واخلاص الطوية فان منهم من يمتنع عن الغي واظهار عداوتي خوفا من سلاحي وشدة سطوتي ولم يعلموا ان الله مطلع على السرائر يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والذي يفعل ذلك يكون معارضا لاحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة

وائل بعضهم يقتل بعضا * لا يفل الحديد الا الحديد

فلما قتل الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال اعزبي عزب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول ترثي الوليد

بتل تباثا رسم قبر كأنه * على علم فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميا ونائلا * وسورة مقدام وقلب حصيف
ألا قاتل الله الجثى كيف أضمرت * فتى كان بالمعروف غير عفيف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد * فيارب خيل فضها وصفوف
ألا يا لقومي للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب قد هوى * وللشمس همت بعده بكسوف
فيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الخيل الا كل جرداء شطبة * وكل حصان باليدين عروف
فلا تجزعا يا ابني طريف فانني * أرى الموت نزالا بكل شريف
فقد نال فقدان الربيع فليتنا * فديناك من دهمائنا بألوف

وقال مسلم بن الوليد في قتل الوليد ورفق يزيد في قتاله من قصيدة هذه الابيات

يفتر عند افترار الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل
ينال بالرفق ما يعيي الرجال به * كالموت مستعجلا يأتي على مهل

وهي حسنة جدا

(ذكر غزو الفرنج والجلالقة بالاندلس)

فيها سير هشام صاحب الاندلس عسكرا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الى بلاد الفرنج فغزا ألبة والقلاع فغنم وسلم وسير أيضا جيشا آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد الجلالقة فخرب دار ملكهم اذفونش وكنائسه وغنم فلما قفل المسلمون ضل الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة ومات منهم بشر كثير ونفقت دوابهم وتلفت آلاتهم ثم سلموا وعادوا

(ذكر فتنة تاكرتا)

وفيها هاجت فتنة تاكرتا بالاندلس وخلع بربرها الطاعة وأظهروا الفساد وأغاروا على البلاد وقطعوا الطريق فسير هشام اليهم جندا كثيفا عليهم عبد القادر بن ابان بن عبد الله مولى معاوية بن أبي سفيان فقصدوها وتابعوا القتال من فيها الى أن أبادوهم قتلا وسبيا وفر من بقي منهم فدخل في سائر القبائل وبقيت كورة تاكرتا وجبالها

خالية

وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب في شأن ذلك وقد أوردت ذلك وان كان فيه بعض طول للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التي تنادي على بطلانها بديهة العقل فضلا عن النظر وهي مقولة على لسان بونابارته كبير الفرنسيس ونصه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من أمير الجيوش الفرنساوية خطابا الى كافة أهالي مصر الخاص والعام نعلمكم ان بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وادراك العواقب سابقا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فاهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة والباري سبحانه وتعالى أمرني بالشفقة والرحمة على العباد فامتثلت أمره وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم ولكن كان حصل عندي غيظ وغم شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ولاجل ذلك أبطلت الديوان الذي كنت رتبته لنظام البلد وصلاح أحوالكم من مدة شهرين والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان لان حسن أحوالكم ومعاملتكم في المدة المذكورة أنسانا ذنوب الاشرار وأهل الفتنة التي وقعت سابقا أيها العلماء والاشراف أعلموا

الى واد وعر المسالك على طريقهم فجمع عبد الكريم عساكره وسار على تعبية وجد السير فلم يشعر الكفار الا وقد خالطهم المسلمون فوضعوا السيف فيهم فانهزموا وغنم مامعهم وعاد سالما هو ومن معه

(ذكر ولاية على بن عيسى خراسان)

وفيها عزل الرشيد منصور بن يزيد عن خراسان واستعمل عليها على بن عيسى بن ماهان فوليها عشر سنين وفى ولايته خرج حمزة بن اترك الخارجى أيضا فجاء الى بوشنج فخرج اليه عمرويه بن يزيد الازدى وكان على هراة فى ستة آلاف فقاتله فهزمه حمزة وقتل من أصحابه جماعة ومات عمرويه فى الزحام فوجه اليه على بن عيسى ابنه الحسين فى عشرة آلاف فلم يحارب حمزة فعزله وسير عوضه ابنه عيسى بن على فقاتل حمزة فهزمه حمزة فرده أبوه اليه أيضا فقاتله بباخرز وكان حمزة بنيسابور فانهزم حمزة وقتل أصحابه وبقى فى أربعين رجلا فقصد قهستان وأرسل عيسى أصحابه الى أوق وجوين فقتلوا من بهامن الخوارج وقصد القرى التى كان أهلها يعينون حمزة فاحرقها وقتل من فيها حتى وصل الى زرنج فقتل ثلاثين ألفا ورجع وخلف بزرنج عبد الله بن العباس النسفى فجبى الاموال وسار بها فلقيه حمزة باسفزار فقاتله فصبرله عبد الله ومن معه من الصغد فانهزم حمزة وقتل كثير من أصحابه وجرح فى وجهه واختفى هو ومن سلم من أصحابه فى الكروم ثم خرج وسار فى القرى يقتل ولا يبقى على أحد وكان على بن عيسى قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فسار اليه حمزة وانتهى الى مكتب فيه ثلاثون غلاما فقتلهم وقتل معلمهم وبلغ طاهرا الخبر فاتى قرية فيها قعد الخوارج وهم الذين لا يقاتلون ولا ديوان لهم فقتلهم طاهر وأخذ أموالهم وكان يشد الرجل منهم فى شجرتين يجمعهما ثم يرسلهما فتاخذ كل شجرة نصفه فكتب القعد الى حمزة بالكف فكف وواعدهم وأمن الناس مدة وكانت بينه وبين أصحاب على ابن عيسى حروب كثيرة

(ذكر عدة حوادث)

وفيها سار جعفر بن يحيى بن خالد الى الشام للعصبية التى بها ومعه القواد والعساكر والسلاح والاموال فسكن الفتنة وأطفأ النائرة وعاد الناس الى الامن والسكون وفيها أخذ الرشيد الخاتم من جعفر فدفعه الى يحيى بن خالد وفيها ولى جعفر خراسان وسجستان ثم عزله عنها بعد عشرين ليلة واستعمل عليها عيسى بن جعفر وولى جعفر ابن يحيى الحرس وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب العطاف بن سفيان الازدى سار اليها بنفسه وهدم سورها وأقسم ليقتلن من لقى من أهلها فافتاه القاضى أبو يوسف ومنعه من ذلك وكان العطاف قد سار عنها نحو أرمينية فلم يظفر به الرشيد ومضى الى الرقة فاتخذها وطنا وفيها عزل هرثمة بن أعين عن افريقية واستقدمه الى بغداد واستخلفه جعفر بن يحيى على الحرس وفيها كانت بمصر زلزلة عظيمة سقط منها

وهدموا الدور وكسروا الاخشاب وخوابى الماء فلما حضر كبيرهم وكان متأخرا عنهم كلمه التجار الذاهبون معه وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح فاسترد من العسكر بعض الذى أخذوه ووعدهم باسترجاع الباقى أودفع ثمنه بمصر وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات ثم انه وجد مركبان حضرا الى قريب من السويس بهما بن ومتاجر فغرقت احداهما فنزلت طائفة من الفرنسيس فى مراكب صغار وذهبوا اليها فى الغاطس وأخرجوها بالآلات وركبوها واصطنعوها من علم جر الاثقال وفى مدة اقامته بالسويس صار يركب ويتامل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ليلا ونهارا وكان معه من الادم فى هذه السفرة ثلاثة طيور دجاج محمرة ملفوفة فى ورق وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولا خيمة وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق فى عنقه (وفى يوم السبت) حضر عدة من العسكر الفرنساوية من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفرا موثقون بالحبال وأسروا أيضا عدة من أولادهم ذكورا وأناثا ودخلوا بهم الى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم

فيها مات هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان صاحب الاندلس فى صفر وكانت امارته سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وقيل تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وكنيته أبو الوليد وكانت أمه أم ولد وكان أبيض أشهل مشربا بحمرة بعينيه حول وخلف خمسة بنين وكان عاملا حازما ذا رأى وشجاعة وعدل خيرا محبا لاهل الخير والصلاح شديدا على الاعداء راغبا فى الجهاد ومن أحسن عمله انه أخرج مصدقا يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه أيام ولايته وهو الذى تمم بناء الجامع بمدينة قرطبة وكان أبوه قد مات قبل فراغه منه وبنى عدة مساجد معه وبلغ من عز الاسلام فى أيامه وذل الكفر ان رجلا مات فى أيامه وكان وصى أن يفك أسير من المسلمين من تركته فطلب ذلك فلم يوجد فى دار الكفار أسير يشترى و يفك لضعف العدو وقوة المسلمين ومناقبه كثيرة قد ذكرها أهل الاندلس كثيرا و بالغوا حتى قالوا كان يشبه فى سيرته بعمر بن عبد العزيز رحمه الله

(ذكر ولاية ابنه الحكم ولقبه المنتصر)

ولما مات استخلف بعده ابنه الحكم وكان الحكم صارما حازما وهو أول من استكثر من المماليك بالاندلس وارتبط الخيل ببابه وتشبه بالجبابرة وكان يباشر الامور بنفسه وكان فصيحا شاعرا ولما ولى خرج عليه عماه سليمان وعبد الله وكانا فى بر العدوة الغربية فعبر عبد الله البلنسى الى الاندلس فتولى بلنسية وتبعه أخوه سليمان وكان بطنجة وأبلا يؤلبان الناس على الحكم ويثيران الفتنة فتحاربوا مدة والظفر للحكم ثم ان الحكم ظفر بعمه سليمان فقتله سنة أربع وثمانين ومائة (وأما عبد الله) فاقام ببلنسية وقد كف عن الفتنة وخاف فراسل الحكم فى الصلح فاجابه الى ذلك فوقع الصلح بينهما سنة ست وثمانين وزوج أولاد عبد الله باخواته وسكنت الفتنة ولما اشتغل الحكم بالفتنة مع عميه اغتنم الفرنج الفرصة فقصدوا بلاد الاسلام وأخذوا مدينة برشلونة واتخذوها دارا ونقلوا أصحابهم اليها وتأخرت عساكر المسلمين عنها وكان أخذها سنة خمس وثمانين ومائة

(ذكر غزو الفرنج بالاندلس)

فى هذه السنة سير الحكم صاحب الاندلس جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فدخل البلاد وبث السرايا ينهبون ويقتلون ويحرقون البلاد وسير سرية فجازوا خليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه وكان الفرنج قد جعلوا أموالهم وأهليهم وراء ذلك الخليج ظنا منهم ان أحدا لا يقدر ان يعبر اليهم فجاءهم ما لم يكن فى حسابهم فغنم المسلمون جميع مالهم وأسروا الرجال وقتلوا منهم فاكثروا وسبوا الحريم وعادوا سالمين الى عبد الكريم وسير طائفة أخرى فخربوا كثيرا من بلاد فرنسية وغنم أموال أهلها وأسر والرجال فاخبره بعض الاسرى ان جماعة من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين الى

من الله علام الغيوب واعلموا ما فى نفس كل أحد منكم لانى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه وان كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ولكن يأتى وقت و يوم يظهر لكم بالمعاينة ان كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم الهى لا يرد وان اجتهاد الانسان غاية جهده ما يمنعه عن قضاء الله الذى قدره وأجراه على يدى فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم مع صفاء النية واخلاص السريرة والسلام (ورتبوا) لارباب الديوان الديوان شهرية تدفع اليهم نظير تقييدهم بمصالح العامة والدعاوى وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين (وفى ثامن عشره) طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرسا أخذوها (وفى رابع عشرينه) حضر السيد المحروقى وكاتب البهار من السويس وكان سارى عسكر ذهب الى ناحية بلبيس فاستأذنوه فى ذهابهم الى مصر فاذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكريا اليوصلوهم الى مصر فلما حضروا حكوا ان أهل السويس لما بلغهم مجئ الفرنساوية هربوا وأخلوا البلدة فذهبوا الى الطور وذهب البعض الى العرب بالبادية فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالبندر من البن

ابراهيم بن الاغلب على ان كتب الى الرشيد يطلب منه ولاية افريقية فكتب اليه فى ذلك وكان على ديار مصر كل سنة مائة ألف دينار تحمل الى افريقية معونة فنزل ابراهيم عن ذلك وبذل ان يحمل كل سنة أربعين ألف دينار فاحضر الرشيد ثقاته واستشارهم فيمن يوليه افريقية وذكر لهم كراهة أهلها ولاية محمد بن مقاتل فاشار هرثمة بابراهيم بن الاغلب وذكر له ما رآه من عقله ودينه وكفايته وانه قام بحفظ افريقية على ابن مقاتل فولاه الرشيد فى المحرم سنة أربع وثمانين ومائة فانقمع الشر وضبط الامور وسير تماما وكل من يتوثب على الولاة الى الرشيد فسكنت البلاد وبنى مدينة سماها العباسية بقرب القيروان وانتقل اليها باهله وعبيده وخرج عليه سنة ست وثمانين ومائة رجل من أبناء العرب بمدينة تونس اسمه حمديس فنزع السواد وكثر جمعه فبعث اليه ابن الاغلب عمران بن مخلد فى عساكر كثيرة وأمره ان لا يبقى على أحد منهم ان ظفر بهم فسار عمران والتقوا واقتتلوا وصار أصحاب حمديس يقولون بغداذ بغداذ وصبر الفريقان فانهزم حمديس ومن معه وأخذهم السيف فقتل منهم عشرة آلاف رجل ودخل عمران تونس ثم بلغ ابن الاغلب ان ادريس بن ادريس العلوى قد كثر جمعه باقاصى المغرب فاراد قصده فنهاه أصحابه وقالوا اتركه ما تركك فاعمل الحيلة وكاتب القيم بامره من المغاربة واسمه بهلول بن عبد الواحد واهدى اليه ولم يزل به حتى فارق ادريس وأطاع ابراهيم وتفرق جمع ادريس فكتب الى ابراهيم يستعطفه ويساله الكف عن ناحيته ويذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه ثم ان عمران بن مخلد المقدم ذكره وكان من بطانة ابراهيم بن الاغلب وينزل معه فى قصره ركب يوما مع ابراهيم وجعل يحدثه فلم يفهم من حديثه شيئا لاشتغال قلبه بهم كان له فاستعاد الحديث من عمران فغضب وفارق ابراهيم وجمع جمعا كثيرا وثار عليه فنزل بين القيروان والعباسية وصارت القيروان وأكثر بلاد افريقية معه فخندق ابراهيم على العباسية وامتنع فيها ودامت الحرب بينهما سنة كاملة فسمع الرشيد الخبر فانفذ الى ابراهيم خزانة مال فلما صارت اليه الاموال أمر مناديا ينادى من كان من جند أمير المؤمنين فليحضر لاخذ العطاء ففارق عمران أصحابه وتفرقوا عنه فوثب عليهم أصحاب ابراهيم فانهزموا فنادى ابراهيم بالامان والحضور لقبض العطاء فحضروا فاعطاهم وقلع أبواب القيروان وهدم فى سورها وأما عمران فسار حتى لحق بالزاب فاقام به حتى مات ابراهيم وولى بعده ابنه عبد الله فامن عمران فحضر عنده وأسكنه معه فقيل لعبد الله ان هذا ثائر بابيك ولا نامنه عليك فقتله ولما انهزم عمران سكن الشر بافريقية وأمن الناس فبقى كذلك الى أن توفى ابراهيم فى شوال سنة ست وتسعين ومائة وعمره ست وخمسون سنة وامارته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام

(ذكر ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية)

ولما توفى ابراهيم بن الاغلب ولى بعده ابنه عبد الله وكان عبد الله غائبا بطرابلس قد

فاستيقظ النساء وصرخن فضربوهن وقتلوا منهن امرأة واختفت البنت فى جهة وعاثوا فى الدار وأخذوا متاعا ومصاغا ونزلوا واستيقظ البواب فاختفى خوفا منهم فلما طلع النهار وشاع الخبر وكان سارى عسكر غائبا فلم يقع كلام فى شان ذلك فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه فاغتم لذلك وأظهر الغيظ وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذى يلحقه واهتم فى الفحص عمن فعل ذلك وقتله (ومنها) كثرة تعدى القلقات وتشديدهم على وقود القناديل بالازقة وهم من أهل البلد واذا مروا بالليل ووجدوا قنديلا اطفاه الهواء اوفرغ زيته سمروا الحانوت او الدار التى هو عليها ولا يقلعون المسمار حتى يصالحهم صاحبها على ما احبوه من الدراهم وربما تعمدوا كسر القناديل لاجل ذلك واتفق ان المطر اطفا عدة قناديل بسوق امير الجيوش بسبب كونها فى ظروف من الورق والحر يدفا بتل الورق وسال الماء فاطفا القناديل فسمروا حوانيت السوق واصبح اهلها صالحوا عليها ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة فجمعوا فى ذلك اليوم جملة من الدراهم وامثال ذلك حتى فى الازقة والعطف الغير النافذة حتى كان الناس

رأس منارة الاسكندرية وفيها اخرج خراشة الشيباني بالجزيرة فقتله مسلم بن بكار العقيلي وفيها خرجت المحمرة بجرجان وفيها عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان ووليها عبد الله بن خازم وولي سعيد بن سلم الجزيرة وغزا الصائفة محمد بن معاوية بن زفر بن عاصم وفيها سار الرشيد الى الحيرة وابتنى بها المنازل فاقطع أصحابه القطائع فثار بهم أهل الكوفة وأساؤا مجاورته فعاد الى بغداد وحج بالناس هذه السنة موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي وفيها استعمل الرشيد على الموصل يحيى بن سعيد الحرشي فأساء السيرة في أهلها وظلمهم وطالبهم بخراج سنين مضت فخلا أكثر أهل البلد وفي هذه السنة توفي المبارك بن سعيد الثوري أخو سفيان وسلمة الاحمر وسعيد ابن خثيم وأبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد وعبد العزيز بن أبي حازم وتوفي وهو ساجد وأبو ضمرة أنس ابن عياض الليثي المدني وفيها أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة وحصنها وسير اليها جندا من أهل خراسان وغيرهم فاقطعهم بها المنازل

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة)

(ذكر ولاية محمد بن مقاتل افريقية)

وفي هذه السنة استعمل الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكي لما استعفى منها هرثمة بن أعين على ما ذكرناه سنة سبع وسبعين ومائة وكان محمد هذا رضيع الرشيد فقدم القيروان أول رمضان فتسلمها وعاد هرثمة الى الرشيد فلما استقر فيها لم يكن بالمحمود السيرة فاختلف الجند عليه واتفقوا على تقديم مخلد بن مرة الازدي واجتمع كثير من الجند والبربر وغيرهم فسير اليه محمد بن مقاتل جيشا فقاتلوه فانهزم مخلد واختفى في مسجد فاخذ وذبح وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي في جمع كثير وساروا الى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين وخرج اليه محمد بن مقاتل العكي في الذين معه فاقتتلوا بمنية الخيل فانهزم ابن العكي الى القيروان وسار تمام فدخل القيروان وآمن ابن العكي على أن يخرج عن افريقية فسار في رمضان الى طرابلس فجمع ابراهيم بن الاغلب التميمي جمعا كثيرا وسار الى القيروان منكرا ما فعله تمام فلما قاربها سار عنها الى تونس ودخل ابراهيم القيروان وكتب الى محمد بن مقاتل يعلمه الخبر ويستدعيه الى عمله فعاد الى القيروان فثقل ذلك على أهل البلد وبلغ الخبر الى تمام فجمع جمعا وسار الى القيروان ظنا منه ان الناس يكرهون محمدا ويساعدونه عليه فلما وصل قال ابن الاغلب لمحمد ان تماما انهزم مني وأنا في قلة فلما وصلت الى البلاد تجدد له طمع لعلمه ان الجند يخذلونك والراي ان اسير انا ومن معي من اصحابي فنقاتله ففعل ذلك وسار اليه فقاتله فانهزم تمام وقتل جماعة من اصحابه ولحق بمدينة تونس فسار ابراهيم بن الاغلب اليه ليحصره فطلب منه الامان فآمنه

(ذكر ولاية ابراهيم بن الاغلب افريقية)

لما استقر الامر لمحمد بن مقاتل ببلاد افريقية وأطاعه تمام كره اهل البلاد ذلك وحملوا

ابراهيم

ومعهم أيضا ثلاثة جمول من جمول التجار وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج (وفي ليلة الاثنين غايته) حضر ساري عسكر من ناحية بلبيس الى مصر ليلا وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباظة أخو سليمان أباظة شيخ العبايدة وخلافه رهائن وضربوا أبو زعبل والمنير وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم الى القاهرة وخلفهم أصحابهم رجالا ونساء وصغارا وفي ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربي شيخ قليوب ومعه أيضا ثلاثة رجال يقال لهم عرب الشرقية فانزلوهم من القلعة الى الرميلة على يد الاغا وقطعوا رؤسهم وحملوا جثة الشواربي مع رأسه في تابوت وأخذه اتباعه في بلده قليوب ليدفن هناك عند أسلافه وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية (منها) ان في ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة الى دار الشيخ محمد بن الجوهري الكائن بالازبكية بالقرب من باب الهواء فخلعوا الشباك المطل على البركة ودخلوا منه وصعدوا الى أعلى الدار وكان بها ثلاثة من النساء الخدامات وابنة خدامة أيضا وبواب الدار ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم بل كانوا قد انتقلوا الى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالازبكية

ميسرة الصنعاني من صنعاء دمشق (البريد بفتح الباء الموحدة وكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان)

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة)

في هذه السنة بايع الرشيد لعبد الله المامون بولاية العهد بعد الامين وولاه خراسان وما يتصل بها الى همدان ولقبه المامون وسلمه الى جعفر بن يحيى وهذا من العجائب فان الرشيد قد رأى ماصنع أبوه وجده المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد وماصنع أخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد فلو لم يعاجله الموت لخلعه ثم هو يبايع للمامون بعد الامين وحب الشئ يعمي ويصم وفيها احملت ابنة خاقان ملك الخزر الى الفضل بن يحيى فماتت ببرذعة فرجع من معها الى أبيها فاخبروه انها قتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ أفسوس مدينة أصحاب الكهف وفيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن أليون وأقروا أمه ريني وتلقب اغطسة وحج بالناس موسى بن عيسى بن موسى وكان على الموصل هرثمة بن أعين وفيها جاز سليمان بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الاندلس من الشرق وتعرض لحرب ابن أخيه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب البلاد فسار اليه الحكم في جيوش كثيرة وقد اجتمع الى سليمان كثير من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة فالتقيا واقتتلا واشتدت الحرب فانهزم سليمان واتبعه عسكر الحكم وعادت الحرب بينهم ثانية في ذي الحجة فانهزم فيها سليمان واعتصم بالوعر والجبال فعاد الحكم ثم عاد سليمان فجمع برابر وأقبل الى جانب استجة فسار اليهم الحكم فالتقوا واقتتلوا سنة ثلاث وثمانين ومائة واشتد القتال فانهزم سليمان واحتمى بقرية بخصره الحكم وعاد سليمان منهزما الى ناحية قريش وفيها كان بقرطبة سيل عظيم فغرق كثير من ربضها القبلي وخرب كثير منه وبلغ السيل شقندة وفي هذه السنة مات جعفر الطيالسي المحدث وعمار بن محمد بن أخت سفيان الثوري وعبد العزيز ابن محمد بن أبي عبيد الدراوردي مولى جهينة وكان أبوه من دارابجرد فاستثقلوا نسبته اليها فقالوا دراوردي وفيها توفي دراج أبو السمح واسمه عبد الله بن السمح وقيل عبد الرحمن بن السمح بن اسامة التجيبي المصري وكان مولده سنة خمس وعشرين ومائة وعفيف بن سالم الموصلي

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة)

(ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام)

وفيها خرج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الابواب فاوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وانتهكوا أمرا عظيما لم يسمع بمثله في الارض فولى الرشيد ارمينية يزيد بن مزيد مضافا الى اذربيجان ووجهه اليهم وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين ردأ لاهل ارمينية وقيل ان سبب خروجهم ان سعيد بن سلم قتل المنجم السلمي

المسجد والقبة قناديل وبعض شموع ورتب فقهاء يقرؤن القرآن بالنهار مدارسة وآخرين بالمسجد يقرؤن بالليل دلائل الخيرات للجزولي ثم زاد الحال وانضم اليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفي والسمان والعربي والعيسوية فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصائد والموالات ومنهم من يقول أبياتا من بردة المديح للبوصيري ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة ومادخل فيهم من أهل الاهواء ينسبون الى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدي محمد بن عيسى وطريقتهم انهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لايخرج واحد عن الآخر ويلتوون ويتعصبون ويرتفعون وينخفضون ويضربون الارض بارجلهم كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة بحيث لايقوم هذا المقام الا كل من عرف بالقوة وهذه الحركات

حصره البربر على ماذكر سنة ست وتسعين ومائة فعهد اليه أبوه بالامارة وأمر ابنه زيادة الله بن ابراهيم أن يبايع لاخيه عبد الله بالامارة فكتب الى أخيه بموت أبيه وبالامارة ففارق طرابلس ووصل الى القيروان فاستقامت الامور ولم يكن في أيامه شر ولا حرب وسكن الناس فعمرت البلاد وتوفي في ذي الحجة سنة احدى ومائتين

(ذكر من خالف بالاندلس على صاحبها)

وفي هذه السنة خالف بهلول بن مرزوق المعروف بابي الحجاج في ناحية الثغر من بلاد الاندلس ودخل سرقسطة وملكها فتقدم على بهلول فيها عبد الله بن عبد الرحمن عم صاحبها الحكم ويعرف بالبلنسي وكان متوجها الى الفرنج وخالف فيها عبيدة بن حميد بطليطلة وأمر الحكم القائد عمروس بن يوسف وهو بمدينة طلبيرة أن يحارب أهل طليطلة فكان يكثر قتالهم وضيق عليهم ثم ان عمروس بن يوسف كاتب رجالا من أهل طليطلة يعرفون ببني مخشي واستمالهم فوثبوا على عبيدة بن حميد وقتلوه وحملوا رأسه الى عمروس فسير الرأس الى الحكم وأنزل بني مخشي عنده وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طلبيرة ذحول فثار البربر بهم فقتلوهم فسير عمروس رؤسهم مع رأس عبيدة الى الحكم وأخبره الخبر من باب آخر فمن دخل منهم عدل به الى موضع آخر فقتلوه حتى قتل منهم سبعمائة رجل فاستقامت تلك الناحية

(ذكر عدة حوادث)

فيها غزا الرشيد أرض الروم فافتتح حصن الصفصاف وفيها غزا عبد الملك بن صالح أرض الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفيها توفي حمزة بن مالك وفيها غلبت المحمرة على خراسان وفيها احدث الرشيد في صدر كتبه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج بالناس الرشيد وفي هذه السنة كان الفداء بين الروم والمسلمين وهو أول فداء كان أيام بني العباس وكان القاسم بن الرشيد هو المتولي له وكان الملك نقفور ففرح بذلك الناس ففودي بكل أسير في بلاد الروم وكان الفداء باللامس على جانب البحر بينه وبين طرسوس اثنا عشر فرسخا وحضر ثلاثون الفا من المرتزقة مع أبي سليمان فرج الخادم متولي طرسوس وخلق كثير من أهل الثغور وغيرهم من العلماء والاعيان وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وقيل أكثر من ذلك وفيها توفي الحسن بن قحطبة وهو من قواد المنصور هو وابوه وكان عمره أربعا وثمانين سنة وعبد الله بن المبارك المروزي توفي في رمضان بهيت وعمره ثلاث وستون سنة وعلي بن حمزة أبو الحسن الازدي المعروف بالكسائي المقرئ النحوي بالري وقيل مات سنة ثلاث وثمانين وفيها توفي مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة الشاعر وكان مولده سنة خمس ومائة وفيها توفي أبو يوسف القاضي واسمه يعقوب بن ابراهيم وهو أكبر أصحاب أبي حنيفة وفيها توفي يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان مولى عبد الله بن خازم السلمي وكان يعقوب وزير المهدي وهاشم بن البريد ويزيد بن زريع وحفص بن

ليس لهم شغل الا القناديل وتفقد حالها وخصوصا في ليل الشتاء الطويل

(شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٣)

استهل بيوم الثلاثاء فيه قتلوا ثلاثة انفار من الفرنسيس وبندقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل انهم من المتسلقين على الدور (وفيه) أخبر السفار بان مراد بك ومن معه ترفعوا الى قبلي ووصلوا الى عقبة الهواء وكلما قرب منهم عسكر الفرنساوية انتقلوا وقبلوا ولقد داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال (وفيه) قدمت رباعة تحمل البن الذي حضر من السويس بالمركب الداو بصحبته جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق (وفي يوم الاحد سادسه) نادى القبطان الفرنساوي الساكن بالمشهد الحسيني على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والاسواق لاجل مولد الحسين وشدد في ذلك وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسه مكافأة له على ذلك وكان السبب في ذلك والاصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوي بن فتيح مباشر وقف المشهد فكان قد اعتراه مرض الحب الافرنجي فنذر على نفسه هذا المولد ان شفاه الله تعالى فحصلت له

ويحيى الحرشي الجبل ومهرويه الرازى طبرستان وقام بامر افريقية ابراهيم بن الاغلب فولاه اياها الرشيد وفيها خرج أبو عمرو الشارى فوجه اليه زهيرا القصاب فقتله بشهر زور وفيها طلب أبو الخصيب الامان فامنه على بن عيسى بن ماهان وحج بالناس ابراهيم ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن على وكان على الموصل واعمالها يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وفيها سار عبد الله بن عبد الرحمن البلنسى الى مدينة اشقة من الاندلس فنزل بجامع ابى عمران ومع العرب فسار اليهم بهلول بن مرزوق وحاصرهم فيها فتفرق العرب عنهم ودخل بهلول مدينة اشقة وسار عبد الله الى مدينة بلنسية فاقام بها وفيها توفى المعافى بن عمران الموصلى الازدى وقيل سنة خمس وثمانين وفيها توفى عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب الذى يقال له العابد وعبد السلام بن شعيب بن الحجاب الازدى وعبد الاعلى بن عبد الله الشامى المصرى من بنى شامة بن لؤى وعبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفى أبو محمد

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة)

فى هذه السنة قتل أهل طبرستان مهرويه الرازى وهو واليها فولى الرشيد مكانه عبد الله بن سعيد الحرشى وفيها قتل عبد الرحمن الانبارى ابان بن قحطبة الخارجى بمرج القلعة وفيها عاث حمزة الخارجى بباذغيس فقتل عيسى بن على بن عيسى من أصحابه عشرة آلاف وبلغ عيسى كابل وزابلستان وفيها غدر أبو الخصيب بابنه وغلب على ابيورد وطوس ونيسابور وحصر مرو ثم انهزم عنها وعاد الى سرخس وعاد أمره قويا وفيها استاذن جعفر بن يحيى فى الحج والمجاورة فاذن له فخرج فى شعبان واعتمر فى رمضان وأقام بجدة مرابطا الى ان حج وفيها جمع الحكم صاحب الاندلس عساكره وسار الى عمه سليمان بن عبد الرحمن وهو بناحية قريش فقاتله فانهزم سليمان وقصد ماردة فتبعه طائفة من عسكر الحكم فاسروه فلما حضر عند الحكم قتله وبعث برأسه الى قرطبة وكتب الى أولاد سليمان وهم بسرقسطة كتاب أمان واستدعاهم فحضروا عنده بقرطبة وفيها وقعت فى المسجد الحرام صاعقة قتلت رجلين وحج بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن على وفيها مات عبد الصمد بن على بن عبد الله ابن عباس ولم يكن سقط له سن وقيل كانت أسنانه قطعة واحدة من اسفل وقطعة واحدة من فوق وهو قعدد بنى عبد مناف لانه كان فى القرب الى عبد مناف بمنزلة يزيد ابن معاوية وبين موتهما مايزيد على مائة وعشرين سنة وفيها ملك الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس وأخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وتاخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشتغال الحكم صاحب الاندلس بمحاربة عميه عبد الله وسليمان على ما تقدم وفيها سار الرشيد من الرقة الى بغداد على طريق الموصل وفيها مات يقطين بن موسى ببغداد وفيها أيضا توفى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وهو ابن أخى معن بن زائدة بمدينة برذعة وولى مكانه أسد بن يزيد وكان يزيد ممدحا جوادا كريما شجاعا وأكثر الشعراء مراثيه ومن أحسن ما قيل فى المراثى

والزمارة وكل يجتمع عليه ماهو من أمثالهم من الحرافيش ثم يقطع ليلته تلك سهرانا ويصبح دائخا كسلانا ويظن انه بات يتعبد ويذكر ويتهجد واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ولم يزدد الناظر لذلك الا رضا ومقتا واستجلب خدمة الضريح مالاح لهم من خساف العقول مثل الشمع والدراهم واتخذوا ذلك حبالة لاكل أموال الناس بالباطل فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ترك هذا المولد فى جملة المتروكات ثم حصلت الفتنة التى حصلت وسكن هذا الفرنساوى فى خط المشهد الحسينى اضبط تلك الجهة وفيه مسايرة ومداهنة فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم ويدخل بيوت الجيران ويقبل شفاعة المتشفعين ويجل الفقهاء ويعظمهم ويكرمهم وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم فى غير هذه الجهة وكذلك منع ما يفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس فى مثل القناديل فاطمان به أهل الخطة وتراجعوا للبكور الى الصلاة فى المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معهم وتركهم التبكير فلما انسوا به وعرفوا اخلاقه رجعوا لعادتهم ومشوا بالليل أيضا بدون فزع وخوف وترجمانه على مثل طريقته وهو رجل شريف من أهل حلب كان اسيرا بمالطة

فدخل ابنه الخزر واستجاشهم على سعيد فخرجوا ودخلوا ارمينية من الثلمة فانهزم سعيد وأقاموا نحو سبعين يوما فوجه الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد فاصلحا ما أفسد سعيد وأخرجا الخزر وسدا الثلمة

(ذكر عدة حوادث)

وفيها استقدم الرشيد على بن عيسى من خراسان ثم رده عليها من قبل ابنه المامون وأمره بحرب أبي الخصيب وفيها خرج بنسا من خراسان أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائي وحج بالناس العباس بن الهادي وفيها مات موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب ببغداد فى حبس الرشيد وكان سبب حبسه ان الرشيد اعتمر فى شهر رمضان من سنة تسع وسبعين ومائة فلما عاد الى المدينة على ساكنها الصلاة والسلام دخل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يزوره ومعه الناس فلما انتهى الى القبر وقف فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فدنا موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا ابت فتغير وجه الرشيد وقال هذا الفخر يا أبا الحسن جدا ثم أخذه معه الى العراق فحبسه عند السندى بن شاهك وتولى حبسه أخت السندى بن شاهك وكانت تتدين فحكت عنه انه كان اذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه الى ان يزول الليل ثم يقوم فيصلى حتى يصلى الصبح ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال ثم يتوضأ ويصلى حتى يصلى العصر ثم يذكر الله حتى يصلى المغرب ثم يصلى ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه الى ان مات وكانت اذا رأته قالت خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح وكان يلقب الكاظم لانه كان يحسن الى من يسىء اليه كان هذا عادته أبدا ولما كان محبوسا بعث الى الرشيد برسالة انه لن ينقضى عنى يوم من البلاء الا ينقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضيا جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون وفيها كانت بالاندلس فتنة وحرب بين قائد كبير يقال له أبو عمران وبين بهلول بن مرزوق وهو من اعيان الاندلس وكان عبد الله البلنسي مع ابي عمران فانهزم أصحاب بهلول وقتل كثير منهم وفيها توفى يونس بن حبيب النحوى المشهور وأخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء وغيره وكان عمره قد زاد على مائة سنة وفيها مات موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ومحمد بن صبيح أبو العباس المذكر المعروف بابن السماك وهشيم بن بشر الواسطى توفى فى شعبان وكان ثقة الا انه كان يصحف ويحيى ابن زكريا بن أبي زائدة قاضى المدائن بها وكان عمره ثلاثا وستين سنة ويوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (صبيح بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة وبشر بضم الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة)

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة)

وفيها ولى الرشيد حمادا البربرى اليمن ومكة وولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي السند

عظيم وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء كل أحد له طريقة وكيفية تباين الاخرى هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والاضاحيك والتلفت الى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم ورمى قشور اللب والمكسرات والماكولات فى المسجد وطواف الباعة بالماكولات على الناس فيه وسقاة الماء فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتحقا بالاسواق الممتهنة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الاشاير من الحارات البعيدة والقريبة وبين أيديهم منلور القناديل والجوامع العظيمة التى تحملها الرجال والشموع والطبول والزمور ويتكلمون بكلام محرف يظنون انه ذكر وتوسلات يثابون عليها وينسبون من يلومهم أو يعترضهم الى الاعتزال والخروج والزندقة وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة ومن لا يملك قوت ليلته فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ويبيع متاعه أو يستدين الجملة من الدراهم ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة

واستقرت القاعدة بينهم على يدي يحيى بن يحيى صاحب مالك وغيره من العلماء وزوج الحكم اخواته من أولاد عمه عبد الله وسار اليه عبد الله فاكرمه الحكم وعظم محله واجرى له ولاولاده الارزاق الواسعة والصلات السنية وقيل ان المراسلة فى الصلح كانت هذه السنة واستقر الصلح سنة سبع وثمانين ومائة

(ذكر حج الرشيد وامر كتاب ولاية العهد)

فى هذه السنة حج بالناس هرون الرشيد سار الى مكة من انبار فبدأ بالمدينة فاعطى فيها ثلاثة أعطية أعطى هو عطاء ومحمد الامين عطاء وعبد الله المامون عطاء وسار الى مكة فاعطى أهلها فبلغ ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار وكان الرشيد قد ولى الامين العراق والشام والى آخر المغرب وضم الى المامون من همدان الى آخر المشرق ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المامون ولقبه المؤتمن وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم وكان فى حجر عبد الملك بن صالح وجعل خلعه واثباته الى المامون ولما وصل الرشيد الى مكة ومعه اولاده والفقهاء والقضاة والقواد كتب كتابا اشهد فيه على محمد الامين واشهد فيه من حضر بالوفاء للمامون وكتب كتابا للمامون أشهدهم عليه فيه بالوفاء للامين وعلق الكتابين فى الكعبة وجدد العهود عليهما فى الكعبة ولما فعل الرشيد ذلك قال الناس قد ألقى بينهم شرا وحربا وخافوا عاقبة ذلك فكان ماخافوه ثم ان الرشيد فى سنة تسع وثمانين شخص الى قرماسين ومعه المامون واشهد على نفسه من عنده من القضاة والفقهاء ان جميع مافى عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمامون وجدد له البيعة عليهم وأرسل الى بغداد فجدد له البيعة على محمد الامين

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سار على بن عيسى بن ماهان من مرو الى نسا لحرب أبى الخصيب فحاربه فقتله وسبى نساءه وذراريه واستقامت خراسان وفيها توفى خالد بن الحرث وبشر بن المفضل وأبو اسحق ابراهيم بن محمد الفزارى وفيها مات عبد الله بن صالح بن عبد الله بن عباس بسلمية فى ربيع الاول وفيها توفى على بن عباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى رجب وعمره خمس وستون سنة وستة أشهر وهو ابن أخى السفاح والمنصور وفيها توفى عمر بن يونس منصرفه من الحج باليمامة وفيها توفى عباد بن عباد بن العوام الفقيه ببغداد وتوفى شقران بن على الزاهد بالاندلس وكان فقيها وفيها توفى راشد مولى عيسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان قد دخل المغرب مع ادريس بن عبد الله بن الحسن وقام بعده بامر البربر أبو خالد يزيد بن الياس

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة)

(ذكر ايقاع الرشيد بالبرامكة)

وفى هذه السنة أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وكان سبب ذلك ان الرشيد

الريح وغابت من الاعين لتمت الحيلة وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم (وفيه) سافر الخواجه مجلون الى الصعيد والباشا الى جرجا لتحرير البلاد وقبض الاموال والغلال المتاخرة بالنواحى للغز (وفيه) سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواش ونساء افرنجيات وصناديق قيل انهم أرسلوها الى الطور وصحبتهم عدة من العسكر (وفى يوم الخميس عاشره) حضر طائفة من العسكر الفرنساوى الى وكالة ذى الفقار بالجمالية ففتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى وأخذوا ماوجدوه بها من الامتعة وختموا على عدة حواصل وطباق بذلك الخان وبالوكالة الجديدة وغيرها للمسافرين والهاربين والقليونجية وضبطوا ابوابها وقبضوا على جماعة من الاتراك والقليونجية التجار وسجنوهم بالقلعة وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق خصوصا العسكرتلية الذين كانوا عسكر المراد بك وأخذوا الكثير من نصارى الاروام والقليونجية الذين كانوا مع مراد بك وبعضهم كان بمصر فادخلوهم فى عسكرهم وزيوهم بزيهم واعطوهم اسلحة وانتظموا فى سلكهم (وفيه) تواترت الاخبار ان على باشا ونصوح باشا فارقا مراد بك وذهبا من خلف الجبل على الهجن الى جهة الشام

ماقاله أبو محمد التيمي رثيه به فانه لجوده

أحقا انه أودى يزيد * تبين أيها الناعي المشيد
أتدري من نعيت وكيف فاهت * به شفتاك كان بها الصعيد
أحامي المجد والاسلام أودى * فما للارض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل مالت سيوف بني نزار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * بدرتها وهل يخضر عود
اما هدت لمصرعه نزار * بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه اذ حل فيه * طريف المجد والحسب التليد
أما والله ماتنفك عيني * عليك بدمعها أبدا تجود
فان تجمد دموع لئيم قوم * فليس لدمع ذي حسب جمود
أبعد يزيد تختزن البواكي * دموعا أو يصان لها خدود
لتبكك قبة الاسلام لما * وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر * له نسبا وقد كسد القصيد
فمن يدعو الامام لكل خطب * ينوب وكل معضلة تؤود
ومن يحمي الخميس اذا تعايا * بحيلة نفسه البطل النجيد
فان يهلك يزيد فكل حي * فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له ان المنايا * فتكن به وهن له جنود
قصدن له وكن يحدن عنه * اذا ما الحرب شب لها وقود
لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

وكان الرشيد اذا سمع هذه المرثية بكى وكان يستجيدها ويستحسنها وفيها توفي محمد بن ابراهيم الامام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ببغداد وعبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير والمغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن عياش المخزومي ويعرف بالحزامي وكان مولده سنة أربع وعشرين ومائة وحجاج الصواف وهو ابن أبي عثمان ميسرة (عياش بالشين المعجمة والياء المثناة من تحت الحزامي بالحاء المهملة والزاي)

(ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة)

(ذكر اتفاق الحكم صاحب الاندلس وعمه عبد الله)

في هذه السنة اتفق الحكم بن هشام بن عبد الرحمن أمير الاندلس وعمه عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي وسبب ذلك ان عبد الله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه وخاف على نفسه ولزم بلنسية ولم يفارقها ولم يتحرك لاثارة فتنة وأرسل الى الحكم يطلب المسالمة والدخول في طاعته وقيل بل الحكم أرسل اليه رسلا وكتب اليه يعرض عليه المسالمة ويؤمنه ويبذل له الارزاق الواسعة ولاولاده فاجاب عبد الله الى الاتفاق

فاستخلصه الفرنسيس فى جملة من استخلصوه من أسرى مالطة وقدم معهم مصر فلما أجلس هذا الضبط الخط كان ترجمانه يهوديا فاحتال بعض اعيان الجهة ورتب هذا الشريف المذكور ليكون فيه راحة للناس ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل وامرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارا من الليل كعادتهم القديمة فاستأنسوا بالاجتماعات والتسلي والخلاعات وعم ذلك جهات تلك الخطة ووافق ذلك هوى العامة لان اكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة وتلك هي طبيعة الفرنساوية فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث واللعب والممازحة ويحضر معهم ذلك الضابط ومعه زوجته وهي من اولاد البلد الخلوعين ايضا فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهري وما يقع في لياليه من الجمعيات والمهرجان وحسنوا له اعادته فوافقهم على ذلك وأمر بالمنادات وفتح الحوانيت ووقود القناديل وشدد في ذلك (وفي يوم الاربعاء) كتبوا اوراقا بتطيير طيارة ببركة الازبكية مثل التي سبق ذكرها وفسدت فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر وطيروها وصعدت الى الاعلى ومرت الى ان وصلت تلال البرقية وسقطت ولو ساعدها

واستقرت

المؤمنين كره ما كان يحب فاذا قد علمت فاني سا كون في الطبقة التي تجعلني فيها فاستحيى هرون قال ما أردت ما تكره وكان يحيى اذا دخل على الرشيد قام له الغلمان فقال الرشيد لمسرور مر الغلمان لا يقومون ليحيى اذا دخل الدار فدخلها فلم يقوموا فتغير لونه وكانوا بعد ذلك اذا رأوه أعرضوا عنه فلما رجع الرشيد من الحج نزل العمر الذي عند الانبار سلخ المحرم وأرسل مسرورا الخادم ومعه جماعة من الجند الى جعفر ليلا وعنده ابن بختيشوع الطبيب وأبو زكار المغني وهو في لهوه وأبو زكار يغني

فلا تبعد فكل فتى سياتي * عليه الموت يطرق أو يغادى

وكل ذخيرة لابد يوما * وان كرمت تصير الى نفاد

قال مسرور فقلت له يا أبا الفضل الذي جئت له هو والله ذاك قد طرقك أجب أمير المؤمنين فوقع على رجلي يقبلها وقال حتى ادخل فاوصي فقلت أما الدخول فلا سبيل اليه وأما الوصية فاصنع ما شئت فاوصى بما أراد واعتق مماليكه وأتتني رسل الرشيد تستحثني فمضيت به اليه فاعلمته وهو في فراشه فقال ائتني برأسه فاتيت جعفرا فاخبرته فقال الله الله والله ما أمرك الا وهو سكران فدافع حتى اصبح أو راجعه في ثانية فعدت لا راجعة فلما سمع حسي قال يا ماص بظر امه ائتني برأسه فرجعت اليه فاخبرته فقال آمره فرجعت فحذفني بعمود كان في يده وقال نفيت من المهدان لم تاتني برأسه لاقتلنك قال فخرجت فقتلته وجئت رأسه اليه وأمر بتوجيه من أحاط بيحيى وولده وجميع اسبابه وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبس في بعض منازل الرشيد وحبس يحيى في منزله وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك وأرسل من ليلته الى سائر البلاد في قبض أموالهم ووكلائهم ورقيقهم واسبابهم وكل مالهم فلما اصبح ارسل جيفة جعفر الى بغداد وأمر أن ينصب رأسه على جسر و يقطع بدنه قطعتين تنصب كل قطعة على جسر ولم يتعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك وولده وأسبابه لانه علم براءته مما دخل فيه أهله وقيل كان يسعى بهم ثم حبس يحيى و بنيه الفضل ومحمدا وموسى محبسا سهلا ولم يفرق بينهم و بين عدة من خدمهم ولا ما يحتاجون اليه من جارية وغيرها ولم تزل حالهم سهلة حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح فعمهم بسخطه وجدد له ولهم التهمة عند الرشيد فضيق عليهم ولما قتل جعفر بن يحيى قيل لابيه قتل الرشيد ابنك قال كذلك يقتل ابنه وقيل وقد أخرب ديارك قال كذلك تخرب دياره فلما بلغ ذلك الرشيد قال قد خفت أن يكون ما قاله لانه ما قال شيئا الا ورأيت تاويله قال سلام الابرش دخلت على يحيى بن خالد وقت قبضه وقد هتكت الستور وجمع المتاع فقال هكذا تقوم القيامة قال فحدثت الرشيد فاطرق مفكرا وكان قتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وكانت الوزارة اليهم سبع عشرة سنة ولما نكبوا قال الرقاشي وقيل أبو نواس

الآن استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يحدى ومن كان يحتدى

فقل للطايا قد أمنت من السرى * وطى الفيافي فدفدا بعد فدفد

واشيع سفر سارى عسكر الى جهة الشام والاغارة عليها (وفي ليلة الاحد ثالث عشره) كان انتقال الشمس لبرج الدلو وهو أول شهر من شهورهم وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ كما هي عادتهم عند كل انتقال الشمس من برج الى برج (وفي يوم الاثنين رابع عشره) نادى المحتسب على اللحم الضاني بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية واللحم الجاموسي بخمسة وكان بستة (وفيه) ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحي الخانكة وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية واسلحتهم جملة فاخذوا ذلك مع ما أخذوه وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة وفيه ذهب عدة من العسكر الى صنافير واجهور الورد وقرنفيل وكفر منصور و بلاد أخرى للتفتيش على العرب فاخذ واما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها والذي عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضا ونهبوا جمالا و بهائم ممن لم يعص أيضا ودخلوا بذلك المدينة فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة والنعجة وابنها بريال فاشترى غالب ذلك نصارى القبط (وفي يوم السبت) قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرا

كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدى وكان يحضرهما اذا جلس للشرب فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فانى لا أطيق الصبر عنها فاجابه الى ذلك فزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاما فخافت الرشيد فسيرته مع حواضن له الى مكة فاعطته الجواهر والنفقات ثم ان عباسة وقع بينها وبين بعض جواريها شر فانهت الى الرشيد فحج هرون هذه السنة وبحث عن الامر فعلمه وكان جعفر يصنع للرشيد طعاما بعسفان اذا حج فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده فكان ذلك أول تغير أمرهم وقيل كان سبب ذلك ان الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن على الى جعفر بن يحيى ابن خالد فحبسه ثم دعا به ليلة وسأله عن بعض أمره فقال له اتق الله فى امرى ولا تتعرض ان يكون غدا خصمك محمد صلى الله عليه وسلم فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق له وقال اذهب حيث شئت من بلاد الله قال فكيف اذهب ولا آمن ان أوخذ فوجه معه من أداه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد فقال ما انت وهذا فعله عن أمرى ثم أحضر جعفرا للطعام فجعل يلقمه ويحادثه ثم سأله عن يحيى فقال هو بحاله فى الحبس فقال بحياتى ففطن جعفر فقال لا وحياتك وقص عليه أمره وقال علمت انه لا مكروه عنده فقال نعم ما فعلت ما عدوت ما فى نفسى فلما قام عنه قال قتلنى الله ان لم اقتلك فكان من أمره ما كان وقيل كان من الاسباب ان جعفرا ابتنى دارا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم فرفع ذلك الى الرشيد وقيل هذه غرامته على دار فما ظنك بنفقاته وصلاته وغير ذلك فاستعظمه وكان من الاسباب أيضا مالا تعده العامة سببا وهو أقوى الاسباب ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول وقد تعلق باستار الكعبة فى حجته هذه اللهم ان كان رضاك أن تسلبنى نعمك عندى فاسلبنى اللهم ان كان رضاك ان تسلبنى مالى وأهلى وولدى فاسلبنى الا الفضل ثم ولى فلما كان عند باب المسجد رجع فقال مثل ذلك وجعل يقول اللهم انه سمج بمثلى ان يستثنى عليك اللهم والفضل وسمع أيضا يقول فى ذلك المقام اللهم ان ذنوبى جمة عظيمة لا يحصيها غيرك اللهم ان كنت تعاقبنى فاجعل عقوبتى بذلك فى الدنيا وان أحاط ذلك بسمعى وبصرى وولدى ومالى حتى يبلغ رضاك ولا تجعل عقوبتى فى الآخرة فاستجيب له فلما انصرفوا من الحج ونزلوا الانبار ونزل الرشيد العمر نكبهم وكان أول ما ظهر من فساد حالهم ان على بن عيسى بن ماهان سعى بموسى بن يحيى بن خالد واتهمه فى أمر خراسان وأعلم الرشيد انه يكاتبهم ليسير اليهم ويخرجهم عن الطاعة فحبسه ثم أطلقه وكان يحيى بن خالد يدخل على الرشيد بغير اذن فدخل عليه يوما وعنده جبرائيل بن بختيشوع الطبيب فسلم فرد الرشيد ردا ضعيفا ثم أقبل الرشيد على جبرائيل فقال ايدخل عليك منزلك أحد بغير اذن فقال لا قال فما بالنا يدخل علينا بغير اذن فقال يحيى يا أمير المؤمنين ما ابتدأت ذلك الساعة ولكن أمير المؤمنين خصنى به حتى ان كنت لادخل وهو فى فراشه مجردا وما علمت ان أمير

وصحبتهم جماعة ابراهيم بك (وفيه) نادوا بابطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين وان يوقدوا عوضها فى وسط السوق مجامع فى كل مجمع اربع قناديل بين كل مجمع ثلاثون ذراعا ويقوم بذلك الاغنياء دون الفقراء ولا علاقة للتعلقات فى ذلك ففرح بذلك فقراء الناس وانفرجت عنهم هذه الكربة (وفيه) نادوا ايضا ان كل من كان له دعوى شرعية او ظلامة فليذهب الى العلماء والقاضى (وفيه) ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل ورجعوا بابلهم وباتهم من الغنم والمعز والدجاج والاوز والحمير وغير ذلك (وفيه) حضر رجل من ناحية غزة يطلب امانا للست فاطمة زوجة مراد بك ولابنة المرحوم محمد افندى البكرى وزوجها الامير ذى الفقار وخشداشينه والخطاب للشيخ خليل البكرى فعرض ذلك على سارى عسكر وترجى عنده فكتب له امانا بحضورهم وارسل لهم نفقة وكان ذلك حيلة منهم لتأتيهم النفقة وبعض الاحتياجات واخبر ذلك الرسول ان عبد الله باشا ابن العظم بغزة وابراهيم بك ومن معه خارج البلد وهم فى ضيق وحصر وحريمهم داخل البلد (وفيه) ذهب عدة من العسكر الفرنساوية الى قطيا

المؤمنين

حلول داهية خبوط باليد لبوط بالرجل فقال عبد الملك اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك من رعيته التي استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت أواخي ملكك بأثقل من ركني يلملم وتركت عدوك مشتغلا فالله الله في ذمي الى رحمك ان تقطعه بعد ان وصلته بظن أوضح الكتاب بعضه أو ببغي باغ ينهس اللحم ويلغ الدم فقد والله سهلت لك الوعور وذللت لك الامور وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور فكم ليل تمام فيك كابدته ومقام ضيق قمته كنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب يعني لبيدا

ومقام ضيق فرجته * ببنان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي وزحل

فقال له الرشيد والله لولا ابقائي على بني هاشم لضربت عنقك ثم أعاده الى محبسه فدخل عبد الله بن مالك على الرشيد كان على شرطته فقال له والله العظيم يا أمير المؤمنين ما علمت عبد الملك الا ناصحا فعلام حبسته فقال بلغني عنه ما أوحشني ولم آمنه ان يضرب بين ابني هذين يعني الامين والمامون فان كنت ترى ان نطلقه من الحبس أطلقناه فقال أما اذا حبسته فلست أرى في قرب المدة ان تطلقه ولكن تحبسه محبسا كريما قال فاني أفعل فأمر الفضل بن الربيع ان يمضي اليه وينظر ما يحتاج اليه فيوظفه له ففعل ولم يزل عبد الملك محبوسا حتى مات الرشيد فأخرجه الامين واستعمله على الشام فأقام بالرقة وجعل لمحمد الامين عهد الله لئن قتل وهو حي لا يعطي المامون طاعة أبدا فمات قبل الامين وكان ما قال للامين ان خفت فالجأ الي فوالله لاصوننك وقال الرشيد يوما لعبد الملك ما انت لصالح قال فلمن أنا قال لمروان الجعدي قال ما أبالي أي الفحلين غلب علي وأرسل الرشيد يوما الى يحيى بن خالد بن برمك ان عبد الملك أراد الخروج علي ومنازعتي في الملك وعلمت ذلك فأعلمني ما عندك فيه فانك ان صدقتني أعدتك الى حالك فقال والله ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا ولو اطلعت عليه لكنت صاحبه دونك لان ملكك كان ملكي وسلطانك كان سلطاني والخير والشر كان فيه علي وكيف يطمع عبد الملك في ذلك مني وهل كان اذا فعلت به ذلك يفعل معي أكثر من فعلك وأعيذك بالله ان تظن بي هذا الظن ولكنه كان رجلا محتملا يسرني ان يكون في أهلك مثله فوليته لما حمدت أثره ومذهبه وملت اليه لادبه واحتماله فلما أتاه الرسول بهذا أعاده عليه فقال له ان انت لم تقر عليه قتلت الفضل ابنك فقال له أنت مسلط علينا فافعل ما أردت فأخذ الرسول الفضل فأقامه فودع أباه وقال له ألست راضيا عني قال بلى فرضي الله عنك ففرق بينهما ثلاثة أيام فلما لم يجد عندهما في ذلك شيئا جمعهما

(ذكر غزو الروم)

وفي هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان فأناخ على قرة وحصرها ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد أهلها

والتجار الفخام نعلمكم معاشر أهل مصر ان حضرة ساري عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية صفح الصفح الكلي عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية وعفا عفوا شاملا وأعاد الديوان الخصوصي في بيت قائد أغا بالازبكية ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان وذلك لاجل قضايا حوائج الرعايا وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام وتنظيمها على أكمل نظام واحكام كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه لمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لاجل خلاص المظلوم من الظالم وقد اقتص من عسكره الذين أساؤا بمنزل الشيخ محمد الجوهري وقتل منهم اثنين بقراميدان وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالي الى أدنى مقام لان الخيانة ليست من عادة الفرنساويس خصوصا مع النساء الارامل فان ذلك قبيح عندهم لا يفعله الا كل خسيس ووضع القبض بالقلعة على رجل نصراني مكاس لانه بلغه انه زاد الظلم في الجمرك

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولن تظفري من بعده بمسوّد
وقل للعطايا بعد فضل تعطلى * وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمي مهند

وقال يحيى بن خالد لما نكب الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا اسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ووقع يحيى على قصة محبوس العدوان أو بقه والتوبة تطلقه وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به تفصل شذورها وينظم منثورها قال ثمامة قلت لجعفر ما البيان قال ان يكون الاسم محيطا بمعناك مخبرا عن مغزاك مخرجا من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة *

(ذكر القبض على عبد الملك بن صالح)

وفى هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس وكان سبب ذلك انه كان له ولد اسمه عبد الرحمن وبه كان يكنى وكان من رجال الناس فسعى بابيه هو وقمامة كاتب أبيه وقالا للرشيد انه يطلب الخلافة ويطمع فيها فاخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع واحضره يوما حين سخط عليه وقال له كفرا بالنعمة وجحودا لجليل المنة والتكرمة فقال يا أمير المؤمنين لقد بؤت اذا بالندم وتعرضت لاستحلال النقم وماذاك الا بغى حاسد نافس فيك مودة القرابة وتقديم الولاية انك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله على امته وامينه على عترته لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك العدل فى حكمها والغفران لذنوبها والتثبت فى حادثها فقال له الرشيد اتضع من لسانك وترفع من جنانك هذا كاتبك قمامة يخبر بغلك وفساد نيتك فاسمع كلامه فقال عبد الملك اعطاك ماليس فى عقده ولعله لا يقدر أن يعضهنى أو يبهتنى بما لم يعرفه منى فاحضر قمامة فقال له الرشيد تكلم غير هائب ولا خائف فقال أقول انه عازم على الغدر بك والخلاف عليك فقال عبد الملك كيف لا يكذب على من خلفى من يبهتنى فى وجهى فقال الرشيد فهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعتوك وفساد نيتك ولو أردت أن احتج عليك لم أجد اعدل من هذين الاثنين لك فلم تدفعهما عنك فقال عبد الملك هو مامور أو عاق مجبور فان كان مامورا فمعذور وان كان عاقا ففاجر كفور اخبر الله عز وجل بعداوته وحذر منه بقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم فنهض الرشيد وهو يقول ما أمرك الا قد وضح ولكنى لا أعجل حتى اعلم الذى يرضى الله عز وجل فيك فانه الحكم بينى وبينك فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبامير المؤمنين حاكما فانى اعلم انه لن يؤثر هواه على رضا ربه وأحضره الرشيد يوما آخر فكان مما قال له

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال أما والله لكانى أنظر الى شؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكانى بالوعيد قد اورى زنادا يسطع فأقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم فمهلا مهلا بنى هاشم فبى والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فنذار لكم نذار قبل

والذين عض عليهم الخبث الاغا وبرظلمين والقلقات ووجدوهم مختفين فى البيوت (وفيه) قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين فالقوا الجميع فى بحر النيل وفيه نادوا بان كل من اشترى شيئا من منهوبات العرب التى نهبتها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر (وفيه) كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس الى جهة الشام وطلبوا وهيؤا جملة من الهجن وأحضروا اجمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ثم رسموا على الاهالى عدة كبيرة من الحمير وكذلك عدة من البغال فطلب شيخ الحارة وأمر بجمع ذلك وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال فاختفى غالب أصحاب الحمير وخاف الناس على حميرهم فامتنع خروج السقائين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير وسقائين الجمال والبراميه فحصل للناس ضيق بسبب ذلك (وفى يوم الاثنين حادى عشر ينه) كتبوا أوراقا ولصقوها بالاسواق على العادة ونصها الحمد لله وحده هذا خطاب الى جميع أهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصى من عقلاء الانام علماء الإسلام والوجاقات

وأوطات العشوة في أمره وأين يوجد في الدنيا مثله فقال الرشيد قم عليك لعنة الله يا ابن اللخناء فقام وما يعقل فما كان بين هذا وبين ان دخل عليه ابنه وضربه بالسيف الا ليال قلائل

❁(ذكر ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس)❁

في هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس وسبب ذلك ان الحكم صاحب الاندلس استعمل على ثغور الاندلس قائدا كبيرا من اجناده اسمه عمروس بن يوسف فاستعمل ابنه يوسف على تطيلة وكان قد انهزم من الحكم أهل بيت من الاندلس أولو قوة وباس لانهم خرجوا عن طاعته فالتحقوا بالمشركين فقوى أمرهم واشتدت شوكتهم وتقدموا الى مدينة تطيلة فحصروها وملكوها من المسلمين فاسروا أميرها يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس واستقر عمروس بن يوسف بمدينة سرقسطة ليحفظها من الكفار وجمع العساكر وسيرها مع ابن عم له فلقي المشركين وقاتلهم ففض جمعهم وهزمهم وقتل اكثرهم ونجا الباقون منكوبين وسار الجيش الى صخرة قيس فحصروها وافتتحوها ولم يقدر المشركون على منعها منهم لما نالهم من الوهن بالهزيمة ولما فتحها المسلمون خلصوا يوسف بن عمروس امير الثغر وسيروه الى أبيه وعظم أمر عمروس عند المشركين وبعد صوته فيهم وأقام في الثغر اميرا عليه

❁(ذكر ايقاع الحكم باهل قرطبة)❁

كان الحكم في صدر ولايته تظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللذات وكانت قرطبة دار علم وبها فضلاء في العلم والورع منهم يحيى بن يحيى الليثي راوي موطا مالك عنه وغيره فثار أهل قرطبة وانكروا فعله ورجموه بالحجارة وارادوا قتله فامتنع منهم بمن حضر من الجند وسكن الحال ثم بعد ايام اجتمع وجوه اهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني عم هشام بن حمزة وأخذوا له البيعة على اهل البلد وعرفوه ان الناس قد ارتضوه كافة فاستنظرهم ليلة ليرى رأيه ويستخير الله سبحانه وتعالى فانصرفوا فحضر عند الحكم واعلمه على الحال واعلمه انه على بيعته فطلب الحكم تصحيح الحال عنده فأخذ معه بعض ثقات الحكم واجلسه في قبة في داره وأخفى أمره وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل تقلد أمرهم أم لا فأراهم المخافة على نفسه وعظم الخطب عليهم وسألهم تعداد اسمائهم ومن معهم فذكروا له جميع من معهم من أعيان البلد وصاحب الحكم يكتب اسماءهم فقال لهم محمد بن القاسم يكون هذا الامر يوم الجمعة ان شاء الله في المسجد الجامع ومشى الى الحكم مع صاحبه فأعلمه جلية الحال وكان ذلك يوم الخميس فما أتى عليه الليل حتى حبس الجماعة المذكورين عن آخرهم ثم أمر بهم بعد ايام فصلبوا عند قصره وكانوا اثنين وسبعين رجلا منهم اخو يحيى بن يحيى وابن أبي كعب وكان يومهم يوما شنيعا فتمكنت عداوة الناس للحكم

❁(ذكر عدة حوادث)❁

وهم الفيومي والصاوي والعريشي والدواخلي وجماعة أيضا من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام (وفي سادس عشرينه) نادوا للناس بالامان وفتح الاسواق ليلا في رمضان حكم المعتاد (وفيه) انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة الفيل وهو بيت ابراهيم بك الوالي وسكن بيت أيوب بك الكبير المطل على بركة الفيل وانتقلوا جميعهم الى بركة الازبكية (وفيه) أعرض حسن أغا محرم المحتسب لساري عسكر امر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زائدا وعمل ولائم عظيمة في بيته أربعة أيام أولها السبت وآخرها الثلاثاء دعا في أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوجاقلية وغيرهم وفي ثاني يوم التجار والاعيان وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم وركب يوم الثلاثاء بالابهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام وامير الحاج وساري عسكر بونابارته ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضي بين القصرين فاثبتوا هلال رمضان ليلة الاربعاء ثم ركب من هناك

فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين على أن يرحل عنهم فاجابهم ورحل عنهم صلحا ومات على بن عيسى فى هذه الغزاة بارض الروم وكان يملك الروم حينئذ امرأة اسمها رينى فخلعتها الروم وملكت نقفور وتزعم الروم انه من أولاد جفنة ابن غسان وكان قبل ان يملك يلى ديوان الخراج وماتت رينى بعد خمسة أشهر من خلعها فلما استوثقت الروم لنقفور كتب الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هرون ملك العرب أما بعد فان الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابى هذا فاردد ما حصل لك من أموالها وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك والا فالسيف بيننا و بينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون أن يخاطبه وتفرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح وغنم واحرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقة نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فامن رجعة الرشيد اليه فلما جاء الخبر بنقضه ما جسر أحد على اخبار الرشيد خوفا على أنفسهم من العود فى مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتيل له بشاعر من أهل جنده وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف وقيل هو الحجاج بن يوسف التيمى فقال أبياتا منها

نقض الذى اعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور
أبشر امير المؤمنين فانه * فتح اتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لواؤك المنصور

فى ابيات غيرها فلما سمع الرشيد ذلك قال أوقد فعل ذلك نقفور وعلم ان الوزراء قد احتالوا له فى ذلك فرجع الى بلاد الروم فى اشد زمان واعظم كافة حتى بلغ بلادهم فاقام بها حتى شفى واشتفى و بلغ ما اراد وقيل كان فعل نقفور وهذه الابيات سببا لسير الرشيد وفتح هرقلة على ما نذكره سنة تسعين ومائة ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك)

وفيها قتل الرشيد ابراهيم بن عثمان بن نهيك وسبب قتله انه كان كثيرا ما يذكر جعفر ابن يحيى والبرامكة و يبكى عليهم الى ان خرج من البكاء الى حد طالبى الثار فكان اذا شرب النبيذ مع جواريه اخذ سيفه و يقول واجعفراه واسيداه والله لاقتلن قاتلك ولاثارن بدمك فلما كثر هذا منه جاء ابنه فاعلم الرشيد هو وخصى كان لابراهيم فاحضر ابراهيم وسقاه نبيذا فلما اخذ منه النبيذ قال له انى قد ندمت على قتل جعفر بن يحيى ووددت انى خرجت من ملكى وانه كان بقى لى فما وجدت طعم النوم مذ فارقته فلما سمعها ابراهيم أسبل دموعه وقال رحم الله أبا الفضل والله يا سيدى لقد اخطأت فى قتله

غيره من الظلم ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق و يفتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف اجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الافخم و يحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق فاشتغلوا بامر دينكم واسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الاستقامة لاجل خلاصكم من اسباب العطب والوقوع فى الندامة رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ومن كانت له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم الامن كان له دعوى شرعية فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية والسلام على أفضل الرسل على الدوام (وفيه) أرسلوا المنادى لينبه على السقائين بنقل الماء وعدم التعرض لهم وتجهيزهم (وفى ليلة الاربعاء ثالث عشرينه) خرج عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معه مصطفى بك كتخدا الباشا المتولى أمير الحاج ويأخذ أيضا قاضى العسكر بجمقجى زاده وأربعة أنفار من المتعممين

لمرزبان بن جستان صاحب الديلم فقدم جستان وونداهرمز فاكرمهما واحسن اليهما وضمن ونداهرمز السمع والطاعة واداء الخراج عن شروين ورجع الرشيد الى العراق ودخل بغداد فى آخر ذى الحجة فلما مر بالجسر أمر باحراق جثة جعفر بن يحيى ولم ينزل بغداد ومضى من فوره الى الرقة ولما جاز بغداد قال والله انى لاطوى مدينة ما وضع بشرق ولا غرب مدينة ايمن ولا ايسر منها وانها الدار مملكة بنى العباس ما بقوا وحافظوا عليها ولا رأى احد من آبائى سوأ ولا نكبة منها ولنعم الدار هى ولكنى اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق والنفاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة بنى أمية مع ما فيهم من المارقة والمتلصصة ومخيفى السبيل ولولا ذلك ما فارقت بغداد فقال العباس بن الاحنف فى طى الرشيد بغداد

ما انخنا حتى ارتحلنا فانفرق * رق بين المناخ والارتحال
سالونا عن حالنا اذ قدمنا * فقرنا وداعهم بالسؤال

(ذكر الفتنة بطرابلس الغرب)

فى هذه السنة كثر شغب اهل طرابلس الغرب على ولاتهم وكان ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية قد استعمل عليهم عدة ولاة فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم ويولى غيرهم فاستعمل عليهم هذه السنة سفيان بن المضاء وهى ولايته الرابعة فاتفق اهل البلد على اخراجه عنهم واعادته الى القيروان فزحفوا اليه فاخذ سلاحه وقاتلهم هو وجماعة ممن معه فاخرجوه من داره فدخل المسجد الجامع فقاتلهم فيه فقتلوا اصحابه ثم أمنوه فخرج عنهم فى شعبان من هذه السنة فكانت ولايته سبعا وعشرين يوما واستعمل الجند الذين بطرابلس على البلد واهله ابراهيم بن سفيان التميمى ثم وقع بين الابناء بطرابلس ايضا وبين قوم يعرفون ببنى ابى كنانة وبنى يوسف حروب كثيرة وقتال حتى فسدت طرابلس فبلغ ذلك ابراهيم بن الاغلب فارسل جمعا من الجند وأمرهم ان يحضر والابناء وبنى ابى كنانة وبنى يوسف فاحضروهم عنده بالقيروان فى ذى الحجة فلما قدموا عليه سألوه العفو عنهم فى الذى فعلوه فعفا عنهم فعادوا الى بلدهم

(ذكر عدة حوادث)

بها كان الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بارض الروم مسلم الافودى وحج بالناس العباس بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وفيها ولى الرشيد عبد الله بن مالك طبرستان والرى ودنباوند وقومس وهمذان وهو متوجه الى الرى فقال ابو العتاهية فى مسيره اليها وكان الرشيد ولد بها

ان امين الله فى خلقه * حن به البر الى مولده
ليصلح الرى واقطارها * ويمطر الخير بها من يده

وفيها مات محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه صاحب ابى حنيفة وحميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى ابو عوف وسابق بن عبد الله الموصلى وكان من الصالحين البكائين من

تزدحم بها الحمير التي تكرى
الازقة خصوصا جهات العسكر
للتردد فى شوارع مصر فان للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ومغالاة فى الاجرة بحيث ان الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى ان يجرى به مسرعا فى الشارع وكذلك تجتمع الجماعة منهم ويركبون الحمير ويجهدونها فى المشى والاسراع وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون ويشاركهم المكارية فى ذلك كما ان لهم العناية وبذل الاموال والتردد الى حانات الراح والتغالى فى شراء الفواكه والبواطى والاقداح كما قال فى ذلك صاحبنا الشيخ حسن العطار

ان الفرنسيس قد ضاعت دراهمهم
فى مصرنا بين حمار وخمار
وعن قريب لهم فى الشام مهلكة
يضيع لهم فيها آجال اعمار

ومن طبعهم فى الشرب انهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس فان زادوا عن ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم ومن سكر وخرج الى السوق ووقع منه امر مخل عاقبوه وعزروه (ومنها) ترفع اسافل النصارى من القبط والشوام والاروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم الفرنسيس ومشيهم الخيلاء وتجاهرهم

في هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين المضرية واليمانية فارسل الرشيد فاصلح بينهم وفيها زلزلت المصيصة فانهدم سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل وفيها خرج عبد السلام بآمد فحكم فقتله يحيى بن سعيد العقيلي وفيها اغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة ووهبه لله وجعله قربانا له وولاه العواصم وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن العباس بن محمد بن علي وفيها توفي الفضيل بن عياض الزاهد وكان مولده بسمرقند وانتقل الى مكة فمات بها وفيها توفي المعمر بن سليمان بن طرخان التيمي ابو محمد البصري وكان مولده سنة ست او سبع ومائة وعمر بن عبيد الطنافسي الكوفي وفيها توفي ابو مسلم معاذ الهراء النحوي وقيل كنيته ابو علي وعنه اخذ الكسائي النحو وولد ايام يزيد بن عبد الملك.

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة)

في هذه السنة غزا ابراهيم بن جبرائيل الصائفة فدخل ارض الروم من درب الصفصاف فخرج اليه نقفور ملك الروم فاتاه من ورائه امر صرفه عنه ولقي جمعا من المسلمين فجرح ثلاث جراحات وقتل من الروم فيما قيل اربعون الفا وسبعمائة وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدابق وحج بالناس فيها الرشيد فقسم اموالا كثيرة وهي آخر حجة حجها في قول بعضهم وفيها توفي جرير بن عبد الحميد الضبي الرازي وله ثمان وسبعون سنة وفيها توفي العباس ابن الاحنف الشاعر وقيل سنة ثلاث وتسعين ومات ابوه الاحنف سنة خمسين ومائة وفيها توفي شهيد بن عيسى بالاندلس وعمره ثلاث وتسعون سنة وكان دخوله الاندلس مع عبد الرحمن بن معاوية (شهيد بضم الشين المعجمة وفتح الهاء)

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة)

(ذكر مسير هرون الرشيد الى الري)

وفي هذه السنة سار الرشيد الى الري وسبب ذلك ان الرشيد لما استعمل علي بن عيسى بن ماهان على خراسان ظلم اهلها واساء السيرة فيهم فكتب كبراء اهلها واشرافها الى الرشيد يشكون سوء سيرته وظلمه واستخفافه بهم واخذ اموالهم وقيل للرشيد ان علي بن عيسى قد اجمع على الخلاف فسار الى الري في جمادى الاولى ومعه ابناه عبد الله المامون والقاسم وكان قد جعله ولي عهد بعد المامون وجعل امره الى المامون ان شاء اقره وان شاء خلعه واحضر القضاة والشهود واشهدهم ان جميع ما في عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمامون وليس له فيه شيء واقام الرشيد بالري اربعة اشهر حتى اتاه علي بن عيسى من خراسان فلما قدم عليه اهدى له الهدايا الكثيرة والاموال العظيمة واهدى لجميع من معه من اهل بيته وولده وكتابه وقواده من الطرف والجواهر وغير ذلك ورأى الرشيد خلاف ما كان يظن فرده الى خراسان ولما اقام الرشيد بالري سير حسينا الخادم الى طبرستان وكتب معه امانا لشروين ابي قارن وامانا لونداهرمز جد مازيار وامانا

لمرزبان

بالموكب وامامه المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم وخلفه عدة خيالة عارية رؤسهم وشعورهم مرخية على اقفيتهم بشكل بشيع مهول وانقضى شهر شعبان وحوادثه (فمنها) ان اهل مصر جروا على عادتهم في بدعهم التي كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها واحتشموها خوفا من الفرنسيس فلما تدرجوا فيها واطلق لهم الفرنساوية القيود ورخصوا لهم وسايروهم رجعوا اليها وانهمكوا في عمل مواليد الاضرحة التي يرون فرضيتها وانها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك وتقربهم الى الله زلفى في المسالك فتمحوا في غفلاتهم مع ماهم فيه من الاسر وكساد غالب البضائع وغلوها وانقطاع الاخبار ومنع الجالب ووقوف الانكليز في البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد حتى غلت اسعار جميع الاصناف المجلوبة من البحر الرومي وانقطع اثر كثير من ارباب الصنائع التي كسدت لعدم طلابها واحتاجوا الى التكسب بالحرف الدنيئة كبيع الفطير وقلي السمك وطبخ الاطعمة والماكولات والاكل في الدكاكين واحداث عدة قهاوي واما ارباب الحرف الدنيئة فلكسادها فاكثرهم عمل حاراته كاربا حتى صارت

الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد فقتله بعين النورة وفيها نقض أهل قبرس العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها وحج بالناس عيسى بن موسى الهادى وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون وقيل بل أسلم أبوه سهل على يد المهدى وكان مجوسيا وقيل أسلم الفضل وأخوه الحسن على يد يحيى بن خالد فاختاره يحيى لخدمة المأمون فلهذا كان الفضل يرعى البرامكة و يثنى عليهم ولقب بذى الرياستين لانه تقلد الوزارة والسيف وكان يتشيع وهو الذى اشار على المأمون بالعهد لعلى بن موسى الرضا عليه السلام وكان على الموصل هذه السنة خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب ولما دخل الموصل انكسر لواؤه فى باب المدينة فتطير منه وكان معه ابو الشيص الشاعر فقال فى ذلك

ما كان منكسر اللواء لطيرة * تخشى ولا أمر يكون موبلا

لكن هذا الرمح اضعف ركنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسرى عن خالد وفيها اغزا الرشيد الصائفة واستخلف المأمون بالرقة وفوض اليه الامور وكتب الى الآفاق بذلك ودفع اليه خاتم المنصور وتيمنا به ونقشه الله ثقتى آمنت به وفيها خرجت الروم الى عين زربة والكنيسة السوداء واغاروا فاستنقذ أهل المصيصة ما كان معهم من الغنيمة وفيها توفى اسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلى الكوفى صاحب أبى حنيفة وفيها توفى يحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرافقة فى المحرم وعمره سبعون سنة وعمر بن على بن عطاء بن مقدم المقدمى البصرى

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة)

(ذكر الفتنة من أهل طليطلة وهو وقعة الحفرة)

فى هذه السنة أوقع الامير الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس باهل طليطلة فقتل منهم مايزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان اهلها وسبب ذلك ان أهل طليطلة كانوا قد طمعوا فى الامراء وخلعوهم مرة بعد أخرى وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة اموالهم فلم يكونوا يطيعوا امراءهم طاعة مرضية فلما اعيا الحكم شانهم اعمل الحيلة فى الظفر بهم فاستعان فى ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد وكان قد ظهر فى هذا الوقت بالثغر الاعلى فاظهر طاعة الحكم ودعا اليه فاطمان اليه بهذا السبب وكان من اهل مدينة وشقة فاستحضره فحضر عنده فا كرمه الحكم و بالغ فى اكرامه واطلعه على عزمه فى أهل طليطلة وواطاه على التدبير عليهم فولاه طليطلة وكتب الى أهلها يقول انى قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمئن قلوبكم اليه واعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا وموالينا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم فمضى عمروس اليهم ودخل طليطلة فانس به أهلها واطمانوا اليه واحسن عشرتهم وكان أول ماعمل عليهم من الحيلة ان أظهر لهم موافقتهم على بغض بنى أمية وخلع طاعتهم فمالوا اليه ووثقوا بما يفعله ثم قال لهم ان سبب الشر بينكم وبين اصحاب الامير انما هو اختلاطهم بكم وقد رأيت ان ابنى بناء اعتزل فيه أناو اصحاب السلطان رفقا بكم فاجابوه الى ذلك

حسن تابعه ووقع بين اهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع و ينفصل الفريقان بدون طائل (ومنها) ان الفرنسيس عملوا كرنتيله بجزيرة بولاق و بنوا هنالك بناء فيحجزون بها القادمين من السفر اياما معدودة من كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها والله اعلم

(ثم استهل شهر رمضان المعظم بيوم الاربعاء سنة ١٢١٣)

(فيه) اخذ بونابارته فى الاهتمام بالسفر الى جهة الشام وجهز واطلبا كثيرا وصاروا فى كل يوم يخرج منهم طائفة بعد طائفة (وفى يوم السبت) عمل سارى عسكر ديوانا واحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى امر توجهه للسفر وانهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد واجلوا باقيهم الى اقصى الصعيد وانهم متوجهون الى الفرقة الاخرى بناحية غزة فيقطعونهم و يمهدون البلاد الشامية لاجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات براو بحرا لعمار القطر وصلاح الاحوال واننا نغيب عنكم شهرا ثم نعود وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرائع وغير ذلك فعليكم ضبط البلد والرعية

خشية الله تعالى

(ثم دخلت سنة تسعين ومائة)

(ذكر خلع رافع بن الليث بن نصر بن سيار)

وفي هذه السنة ظهر رافع بن الليث بن نصر بما وراء النهر مخالفا للرشيد بسمرقند وكان سبب ذلك ان يحيى بن الاشعث بن يحيى الطائي تزوج ابنة لعمه ابي النعمان وكانت ذات يسار ولسان ثم تركها بسمرقند واقام ببغداد واتخذ السراري فلما طال ذلك عليها ارادت التخلص منه وبلغ رافعا خبرها فطمع فيها وفي مالها فدس اليها من قال لها انه لا سبيل الى الخلاص من زوجها الا ان تشهد عليها قوما انها اشركت بالله ثم تتوب فينفسخ نكاحها وتحل للازواج ففعلت ذلك وتزوجها رافع فبلغ الخبر يحيى بن الاشعث فشكا الى الرشيد فكتب الى على بن عيسى بن ماهان يامره ان يفرق بينهما وان يعاقب رافعا ويجلده الحد ويقيده ويطوف به في سمرقند على حمار ليكون عظة لغيره ففعل به ذلك ولم يحده وطلقها رافع وحبس بسمرقند فهرب من الحبس فلحق بعلى بن عيسى ببلخ فاراد ضرب عنقه فشفع فيه عيسى بن على بن عيسى وامره بالانصراف الى سمرقند فرجع اليها ووثب بعامل على بن عيسى عليها فقتله واستولى عليها فوجه اليه ابنه فلقيه فهزمه رافع فاخذ على بن عيسى في جمع الرجال والتاهب لمحاربته وانقضت السنة

(ذكر فتح هرقلة)

وفي هذه السنة فتح الرشيد هرقلة واخربها وكان سبب مسيره اليها ما ذكرناه سنة سبع وثمانين ومائة من غدر نقفور وكان فتحها في شوال وكان حصرها ثلاثين يوما وسبى اهلها وكان قد دخل البلاد في مائة الف وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة ومن لا ديوان له وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائرا في أرض الروم في سبعين ألفا يخرب وينهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس فهدم واحرق وسبي من اهلها سبعة عشر ألفا فقدمهم الرافقة فبيعوا بها وبلغ فداء اسقف قبرس الفي دينار ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك وكتب نقفور الى الرشيد في جارية من سبي هرقلة كان خطبها لولده فارسلها اليه

(ذكر عدة حوادث)

وخرج في هذه السنة خارجي من ناحية عبد القيس يقال له سيف بن بكير فوجه اليه الرشيد

بفاحش القول واستذلالهم ايديهم وما ربك بظلام للعبيد والحاصل الحال والمركوز في الطبع ما زال والبعض استهوته الشياطين ومرق والعياذ بالله من الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (ومنها) تواتر الاخبار من ابتداء شهر رجب بان رجلا مغربيا يقال له الشيخ الكيلاني كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف فلما وردت اخبار الفرنسيس الى الحجاز وانهم ملكوا الديار المصرية انزعج اهل الحجاز لذلك وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة وان هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم الى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين وقرا بالحرم كتابا مؤلفا في معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا اموالهم وانفسهم واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر الى القصير مع ما انضم اليهم من اهل ينبع وخلافه فورد الخبر في اواخره انه انضم اليهم جملة من اهل الصعيد وبعض اتراك ومغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عندوقعة انبابة وركب الغز معهم ايضا وحاربوا الفرنسيس فلم تثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد والمجتمعة من القرى وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم وذلك بناحية جهينة وهرب الغز والمماليك

(ذكر غزو الفرنج بالاندلس)

في هذه السنة تجهز لذريق ملك الافرنج بالاندلس وجمع جموعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فساروا فلقوا الافرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيأ فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فانزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت أموالهم وأثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين

(ذكر عصيان حزم على الحكم)

في هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافقه غيره وقصدوا الشبونة وكان الحكم يسمى حزما في كتبه النبطي فلما سمع الحكم خبره سير اليه ابنه هشاما في جمع كثير فاذله ومن معه وقطع الاشجار وضيق عليهم حتى اذعنوا لطلب الامان فآمنه

(ذكر عزل على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرثمة)

وفيها عزل الرشيد على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وكان سبب ذلك ماذكرناه من قتل ابنه عيسى فلما قتل خرج عليه أبوه فخرج عن بلخ الى مرو مخافة عليها ان يسير اليها رافع بن الليث ليأخذها وكان ابنه عيسى قد دفن في بستان في داره ببلخ أموالا عظيمة قيل كانت ثلاثين ألف ألف ولم يعلم بها أبوه ولم يطلع عليها الا جارية له فلما سار على بن عيسى الى مرو أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم وتحدث به الناس واجتمعوا ودخلوا البستان ونهبوا المال وبلغ الرشيد الخبر فقال خرج عن بلخ من غير امرى وخلف مثل هذا المال وهو يزعم انه قد باع حلي نسائه فيما انفق على محاربة رافع فعزله واستعمل هرثمة بن أعين وكان قد نقم الرشيد عليه ما كان يبلغه من سوء سيرته واهانته اعيان الناس واستخفافه بهم فمن ذلك أنه دخل عليه يوما الحسين بن مصعب والد طاهر بن الحسين وهشام بن فرخسرو فسلما عليه فقال للحسين لا سلم الله عليك يا ابن الملحد والله انى لاعرف ما أنت عليه من عداوة الاسلام والطعن في الدين ولم انتظر بقتلك الا أمر الخليفة ألست المرجف في منزلي هذا بعد أن ثملت من الخمر وزعمت أنك جاءتك كتب من بغداد بعزلي أخرج الى سخط الله لعنك الله فعن قريب ما يكون منها فاعتذر اليه فلم يقبل عذره وأمر باخراجه فاخرج وقال لهشام بن فرخسرو صارت دارك دار الندوة يجتمع اليك السفهاء تطعن على الولاة سفك الله دمى ان لم اسفك دمك فاعتذر اليه فلم يعذره فاخرجه فاما الحسين فسار الى الرشيد فاستجار به وشكا اليه فاجاره وأما هشام فانه قال لبنت له انى أخاف الامير على دمى وانا مفض اليك بامر ان أنت أظهرته قتلت وان أنت كتمتيه سلمت قالت وما هو قال قد عزمت على ان أظهر ان الفالج قد أصابني فاذا كان في السحر فاجمعي جواريك واقصدي فراشي وحركيني فاذا رأيت حركتي ثقلت فصيحي أنت وجواريك واجمعي اخوتك فاعلميهم علتي ففعلت

وابقى ايضا بعض اكابرهم بمصر ثم تراسل المتخلفون فى الخروج كل يوم تخرج منهم جماعة (وفى يوم الثلاثاء) سابعه انتدب للنميمة ثلاث من النصارى الشوام وعرفوهم ان المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه فارسل قائمقام خلف المهدى والاغا فاحضرهما وذكر لهما ذلك فقالا له هذا كذب لا أصل له وانما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين ففحص عمن اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة مانقلوه فابقاهم فى الاعتقال ثم ان نصارى الشوام رجعوا الى عادتهم القديمة فى لبس العمائم السود والزرق وتركوا لبس العمائم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك ونبهوا ايضا بالمناداة فى أول رمضان بان نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ولا يتجاهرون بالاكل والشرب فى الاسواق ولا يشربون الدخان ولا شيأ من ذلك بمرأى منهم كل ذلك للاستجلاب لخواطر الرعية حتى ان بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهره فرد عليه ردا شنيعا

فبنى فى وسط البلد ما أراد فلما مضى لذلك مدة كتب الامير الحكم الى عامل له على الثغر الاعلى سرا يأمره ان يرسل اليه يستغيث من جيوش الكفرة ويطلب النجدة والعساكر ففعل العامل ذلك فحشد الحكم الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قواده ووزراءه فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها فاتاه وهو عندها الخبر من ذلك العامل ان عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها فتفرق العسكر وعزم عبد الرحمن على العود الى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لاهل طليطلة قد ترون نزول ولد الحكم الى جانبى وانه يلزمنى الخروج اليه وقضاء حقه فان نشطتم لذلك والا سرت اليه وحدى فخرج معه وجوه أهل طليطلة فاكرمهم عبد الرحمن واحسن اليهم وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادما له ومعه كتاب لطيف الى عمروس فاتاه الخادم وصافحه وسلم الكتاب اليه من غير ان يحادثه فلما قرأ عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة فاشار الى أعيان أهلها بان يسالوا عبد الرحمن الدخول اليهم ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم ومنعتهم وقوتهم فظنوه ينصحهم ففعلوا ذلك وأدخلوا عبد الرحمن البلد ونزل مع عمروس فى داره وأتاه أهل طليطلة ارسالا يسلمون عليه واشاع عمروس ان عبد الرحمن يريد ان يتخذ لهم وليمة عظيمة وشرع فى الاستعداد لذلك وواعدهم يوما ذكره وقرر معهم انهم يدخلون من باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام ففعلوا ذلك فلما كان اليوم المذكور أتاه الناس أفواجا فكان كلما دخل فوج أخذوا وحملوا الى جماعة من الجند على حفرة كبيرة فى ذلك القصر فضربت رقابهم عليها فلما تعالى النهار أتى بعضهم فلم ير أحدا فقال أين الناس فقيل انهم يدخلون من هذا الباب ويخرجون من الباب الآخر فقال ما لقينى منهم أحد وعلم الحال وصاح واعلم الناس هلاك أصحابهم فكان سبب نجاة من بقى منهم فذلت رقابهم بعدها وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وأيام ولده عبد الرحمن ثم انجبرت مصيبتهم وكثروا فلما هلك عبد الرحمن وولى ابنه محمد عاجلوه بالخلع على ما نذكره

(ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله باهل قرطبة)

وفيها عصى أصبغ بن عبد الله ووافقه اهل مدينة ماردة من الاندلس على الحكم وأخرجوا عامله واتصل الخبر بالحكم فسار اليها وحاصرها فبينما هو مجد فى الحصار أتاه الخبر عن أهل قرطبة انهم أعلنوا بالعصيان له فرجع مبادرا فوصل الى قرطبة فى ثلاثة أيام وكشف عن الذين أثاروا الفتنة فصلبهم منكسين وضرب اعناق جماعة فارتدع الباقون بذلك واشتدت كراهيتهم له ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون ومرة يعصون الى سنة ثنتين وتسعين فضعف امر اصبغ لان الحكم تابع ارسال الجيوش اليه واستمال جماعة من أعيان اهل ماردة وثقاته من اصحابه فمالوا اليه وفارقوا اصبغ حتى أخوه فتحير اصبغ وضعفت نفسه فارسل يطلب الامان فامنه الحكم ففارق ماردة وحضر عند الحكم وأقام عنده بقرطبة

*(ذكر

في مدة غيابنا ونهبوا امشايخ كثير يضبط طائفته خوفا من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر فالتزموا له بذلك وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك وألصقوها بالطرق وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر الى جهة العادلية وخرج أيضا عدة كبيرة من عسكرهم ومعهم احمال كثيرة حتى الاسرة والفرش والحصر وعدة مواهى ومحفات للنساء والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتى أخذوها من بيوت الامراء وتزيا اكثرهن بزى نسائهم الافرنجيات وغير ذلك (وفى يوم الاحد خامسه) ركب سارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضا الى العادلية وذلك فى الساعة الرابعة بطالع الحمل وفيه القمر فى تربيع زحل وابقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والابراج التى بنوها على التلول وقائمقام وبوسليك وسارى عسكر ويزه بجملة من العسكر فى الصعيد وكذلك سوارى عسكر الاقاليم كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات وأخذ معه المدبرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسين الحروب وكبيرهم أبو خشبة

عشرة ومائة (السيناني بكسر السين المهملة وبالياء المثناة من تحت وبالنون قبل الالف ثم بنون بعده منسوب الى سينان وهي قرية من قرى مرو)

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة)

(ذكر مسير الرشيد الى خراسان)

فيها سار الرشيد من الرقة الى بغداد يريد خراسان لحرب رافع بن الليث وكان مريضا واستخلف على الرقة ابنه القاسم وضم اليه خزيمة بن خازم وسار من بغداد الى النهروان لخمس خلون من شعبان واستخلف على بغداد ابنه الامين وامر المامون بالمقام ببغداد فقال الفضل بن سهل للمامون حين اراد الرشيد المسير الى خراسان لست تدرى ما يحدث بالرشيد وخراسان ولايتك ومحمد الامين المقدم عليك وان احسن ما يصنع بك ان يخلعك وهو ابن زبيدة واخواله بنو هاشم وزبيدة واموالها فاطلب الى امير المؤمنين ان تسير معه فطلب اليه ذلك فاجابه بعد امتناع فلما سار الرشيد سايره الصباح الطبرى فقال له يا صباح لا اظنك ترانى ابدا فدعا فقال ما اظنك تدرى ما اجد قال الصباح لا والله فعدل عن الطريق واستظل بشجرة وامر خواصه بالبعد فكشف عن بطنه فاذا عليه عصابة حرير فقال هذه علة اكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدى على رقيب فمسرور رقيب المامون وجبرائيل بن بختيشوع رقيب الامين وما منهم احد الا وهو يحصى أنفاسى ويستطيل دهرى وان أردت أن تعلم ذلك فالساعة ادعو بدابة فياتونى بدابة اعجف قطوف لتزيد بى علتى فاكتم على ذلك فدعا له بالبقاء ثم طلب الرشيد دابة فاتوا بها على ما وصف فنظر الى الصباح وركبها

(ذكر عدة حوادث)

وفيها تحركت الخرمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر ووافاه بقرماسين فامره بقتل الاسرى وبيع السبى وفيها قدم يحيى بن معاذ على الرشيد بابى النداء فقتله وفيها فارق جماعة من القواد رافع بن الليث وصاروا الى هرثمة منهم عجيف بن عنبسة وغيره وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن نصر بن مالك فافتتح مطمورة وفيها كان الفداء بالبذندون وفيها خرج ثروان الحرورى بطف البصرة فقاتل عامل السلطان بها وفيها مات عيسى بن جعفر بن المنصور بالدسكرة وهو يريد اللحاق بالرشيد وفيها قتل الرشيد الهيصم الكنانى وحج بالناس هذه السنة العباس بن عبد الله بن جعفر بن المنصور وفيها كان وصول هرثمة الى خراسان كما تقدم وحصر هرثمة رافع بن الليث بسمرقند وضايقه واستقدم طاهر بن الحسين فحضر عنده وخلت خراسان لحمزة الخارجى حتى دخلها وصار يقتل ويجمع الاموال ويحملها اليه عمال هراة وسجستان فخرج اليه عبد الرحمن النيسابورى فاجتمع اليه نحو عشرين ألفا فسار الى حمزة فقاتله قتالا شديدا فقتل من أصحاب حمزة خلقا وسار خلفه حتى بلغ هراة وكان ذلك سنة أربع وتسعين فكتب اليه المامون فرده

الطريق الى أحدثوها ودخلوا بهم الى بيت قائمقام فاخذوا اسلاحهم وأطلقوهم فذهبوا الى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الاشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان آخران وهما يوسف كاشف الرومى واسمعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور وكان من خبرهم انهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرنؤد فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فاحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه ثم حضر اليهم سارى عسكر بمجموعه بعد أيام والحوا فى حصارهم فارسل من بالعريش الى غزة فطلب نجدة فارسلوا لهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بيك أمين البحرين فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنساوية بها وأحاطتهم حولها فنزلوا قريبا من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيس بالليل فاستشهد قاسم بيك وغيره وانهزم الباقون ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الامان فامنوهم ومن القلعة أنزلوهم وذلك بعد أربعة عشر يوما فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم الى مصر مع الوصية

ما أمرها وكانت عاقلة فاقام مطروحا على فراشه حينا لا يتحرك الى أن جاء هرثمة واليا فركب الى لقائه فرآه على بن عيسى بن ماهان فقال الى اين فقال التقى الامير اباحاتم قال الم تكن عليلا فقال وهب الله العافية وعزل الطاغية فى ليلة واحدة فعلى هذا تدلون ولاية هرثمة ظاهرا وقيل بل كانت ولا يته سرا لم يطلع الرشيد عليها احدا فقيل انه لما اراد عزل على بن عيسى استدعى هرثمة واسر اليه ذلك وقال له ان على بن عيسى قد كتب يستمدنى بالعساكر والاموال فاظهر للناس انك تسير اليه نجدة له وكتب له الرشيد كتابا بولايته بخط يده وامر كتابه ان يكتبوا الى على بن عيسى بانه قد سير هرثمة نجدة له فسار هرثمة ولا يعلم بامره احد حتى ورد نيسابور فلما وردها استعمل اصحابه على كورها وسار مجدا يسبق الخبر فاتى مرو والتقاه على بن عيسى فاحترمه هرثمة وعظمه حتى دخل البلد ثم قبض عليه وعلى اهله واصحابه واتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف وكانت خزائنه وأثاثه على ألف وخمسمائة بعير فاخذ الرشيد ذلك كله وكان وصول هرثمة الى خراسان سنة اثنتين وتسعين فلما فرغ هرثمة من أخذ أموالهم اقامهم لمطالبة الناس وكتب الى الرشيد بذلك وسير على بن عيسى اليه على بعير بغير وطاء ولا غطاء

(ذكر عدة حوادث)

فيها خرج خارجى يقال له بزوان بن سيف بناحية حولايا وتنقل فى السواد فوجه اليه طوق بن مالك فهزمه طوق وجرحه وقتل عامة اصحابه وفيها خرج أبو الوليد بالشام فسير الرشيد فى طلبه يحيى بن معاذ وعقد له على الشام وفيها ظفر حماد البربرى بهيصم اليمانى وفيها أرسل أهل نسف الى رافع بن الليث يسالونه أن يوجه اليهم من يعينهم على قتل عيسى بن على بن عيسى وعلى بن عيسى فارسل اليهم جعا فقتلوا عيسى وحده فى ذى القعدة وفيها اغزا يزيد بن مخلد الهبيرى ارض الروم فى عشرة آلاف فاخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخمسين رجلا وسلم الباقون وكان ذلك على مرحلتين من طرسوس وفيها استعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن اعين قبل ان يوليه خراسان وضم اليه ثلاثين الفا من اهل خراسان ورتب الرشيد بدرب الحدث عبد الله بن مالك وبمرعش سعيد بن سلم بن قتيبة فاغارت الروم عليها فاصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك سعيد من موضعه وبعث محمد بن يزيد بن مزيد الى طرسوس واقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة ايام من رمضان وعاد الى الرقة وامر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور واخذ اهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم وامر هرثمة ببناء طرسوس وتمصيرها ففعل وتولى ذلك فرج الخادم بامر الرشيد وسير اليها جندا من اهل خراسان ثلاثة آلاف ثم اشخص اليهم الفا من اهل المصيصة والفا من اهل انطاكية وتم بناؤها سنة اثنتين وتسعين ومائة وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن على وكان أميرا على مكة وكان على الموصل محمد بن الفضل بن سليمان وفيها توفى الفضل بن موسى السينانى أبو عبد الله المروزى مولى بنى قطيعة وكان مولده سنة خمس عشرة

فنزل ذلك المتعمم وضرب الناس وحضر حاكم الخطة فرفعهما الى قائمقام فسال من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك فاخبروه ان من عادتهم القديمة انه اذا استهل شهر رمضان لا يا كلون ولا يشربون فى الاسواق ولا بمرأى من المسلمين أبدا فضرب النصرانى وترك المتعمم لسبيله (وفى تاسع عشرينه) أحضروا مراد اغا تابع سليمان بيك الاغا ومعه آخر من الاجناد من ناحية قبلى فاصعدوهما القلعة قبل قتلهما (وفى خامس عشرينه) ورد الخبر بان الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الاسواق ان الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع فاذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا فلما أصبح يوم الاحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومتقلدون باسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وأمامهم طبلهم وخرج بعض الناس فشاهدهم ولما وصلوا الى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى خرج الاغا وبرطلمين بطوائفهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوائف ومشوا

رافع فلما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلة فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس فبينا هو يمرض في بستان في ذلك القصر الذي هو فيه إذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملا يقوم ويسقط فاجتمعنا نسأله فقال اتذكر رؤياي بالرقة في طوس ثم رفع رأسه الى مسرور فقال جئني من تربة هذا البستان فأتاه بها في كفه حاسرا عن ذراعيه فلما نظر اليه قال هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي وهذه الكف بعينها وهذه التربة الحمراء ما خرمت شيئا وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بعد ثلاثة قال أبو جعفر لما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان في صفر وقد اشتدت علته فسير ابنه المأمون الى مرو وسير معه من القواد عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد والعباس بن جعفر ابن محمد بن الاشعث والسندي الحرشي ونعيم بن حازم وسار الرشيد الى طوس واشتد به الوجع حتى ضعف عن الحركة فلما أثقل أرجف به الناس فبلغه ذلك فأمر بمركوب ليركبه ليراه الناس فأتى بفرس فلم يقدر على النهوض فأتى ببرذون فلم يطق النهوض فأتى بحمار فلم ينهض فقال ردوني ردوني صدق والله الناس ووصل اليه وهو بطوس بشير بن الليث أخو رافع أسيرا فقال الرشيد والله لو لم يبق من أجلي الا ان أحرك شفتي بكلمة لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب فأمر به ففصل أعضاءه فلما فرغ منه أغمي عليه وتفرق الناس عنه فلما أيس من نفسه أمر بقبره فحفر في موضع من الدار التي كان فيها وأنزل اليه قوما فقرؤا فيه القرآن حتى ختموا وهو في محفة على شفير القبر يقول ابن آدم تصير الى هذا وكان يقول في تلك الحال واسوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم بن عدي لما حضرت الرشيد الوفاة غشي عليه ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه فقال يا فضل

احين دنا ما كنت أرجو دنوه * رمتني عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوما وكنت محسدا * فصبرا على مكروه أمر العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا * وأندب أيام السرور الذواهب

قال سهل بن صاعد كنت عند الرشيد وهو يجود بنفسه فدعا بملحفة غليظة فاحتبى بها وجعل يقاسي ما يقاسي فنهضت فقال اقعد فقعدت طويلا لا يكلمني ولا أكلمه فنهضت فقال أين يا سهل فقلت ما يتسع قلبي يا أمير المؤمنين يعالج من المرض ما يعالج فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين فضحك ضحكا صحيحا ثم قال يا سهل اذكر في هذه الحال قول الشاعر

وإني من قوم كرام يزيدهم * شماسا وصبرا شدة الحدثان

ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسمعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وقيل ملك ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وكان عمره سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام وكان جميلا وسيما أبيض جعدا قد وخطه الشيب قال وكان في بيت المال لما توفي تسعمائة ألف ألف ونيف

هناك وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم الى جبل نابلس وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا وفي ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيس ومعهم كبيرهم وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة وفيهم جماعة لابسون عمائم بيضا وجماعة أيضا ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه وبيدهم بيارق وهي التي كانت عند المسلمين على قلعة العريش الى أن وصلوا الى الجامع الازهر فاصطفوا رجالا وركبانا بباب الجامع وطلبوا الشيخ الشرقاوي فسلموه ثلاث البيارق وأمروه برفعها ونصبها على منارات الجامع الازهر فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقا وعلى منارة أخرى بيرقا ثالثا وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسرورا وكان ذلك ليلة عيد الفطر فلما كان عند الغروب ضربوا عدة مدافع أيضا لاعلاما بالعيد وبعد العشاء الاخيرة طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالامان وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وان يلبسوا أحسن ثيابهم ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقا وأرسلوها الى البلاد ونصها فرمان عام موجه

وأدام هرثمة على حصار سمرقند حتى فتحها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقتل رافع بن الليث وجماعة من أقربائه واستعمل على ما وراء النهر ابن يحيى فعاد وكان قتله رافعا سنة خمس وتسعين وفي هذه السنة توفي عبد الله بن ادريس بن يزيد الاودي الكوفي و يوسف بن أبي يوسف القاضي وفيها كان الفداء الثاني بين المسلمين والروم وكان القيم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي وكان عدة الاسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة)

(ذكر موت الفضل بن يحيى)

في هذه السنة مات الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بالرقة وكانت علته انه أصابه ثقل في لسانه وشقه فعولج أشهرا فبرأ وكان يقول ما أحب أن يموت الرشيد لان أمري قريب من أمره فلما صح من علته وتحدث عادته العلة واشتدت عليه وانعقد لسانه وطرفه فمات في المحرم وصلى عليه اخوانه في القصر الذي كانوا فيه ثم أخرج فصلى عليه الناس وجزع الناس عليه وكان موته قبل الرشيد بخمسة أشهر وهو ابن خمس وأربعين سنة وكان من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله ولاشتهار أخباره وأخبار أهله وحسن سيرتهم لم نذكرها وفيها مات سعيد الطبري المعروف بالجوهري وفيها كانت وقعة بين هرثمة وأصحاب رافع كان الظفر لهرثمة وافتتح بخارا واسر بشيرا اخا رافع فبعث به الى الرشيد

(ذكر موت الرشيد)

وفي هذه السنة مات الرشيد اول جمادى الآخرة لثلاث خلون منه وكانت قد اشتدت علته بالطريق بجرجان فسار الى طوس فمات بها قال جبرائيل بن بختيشوع كنت مع الرشيد بالرقة وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة أتعرف حاله في ليلته ثم يحدثني و ينبسط الي ويسالني عن أخبار العامة فدخلت عليه يوما فسلمت عليه فلم يكد يرفع طرفه ورأيته عابسا مفكرا مهموما فوقفت مليا من النهار وهو على تلك الحال فلما طال ذلك أقدمت فسالته عن حاله وما سببه فقال ان فكري وهمي لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه وقد أفزعتني وملأت صدري فقلت فرجت عني يا أمير المؤمنين ثم قبلت يده ورجله وقلت الرؤيا انما تكون لخاطر أو بخارات رديئة وتهاويل السوداء وهي أضغاث أحلام قال فاني أقصها عليك رأيت كأني جالس على سريري هذا اذ بدت من تحتي ذراع أعرفها وكف أعرفها لا أفهم اسم صاحبها وفي الكف تربة حمراء فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه هذه التربة التي تدفن فيها فقلت وأين هذه التربة قال طوس وغابت اليد وانقطع الكلام فقلت احسبك لما أخذت مضجعك فكرت في خراسان وما ورد عليك منها وانتقاض بعضها فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا فقال كان ذلك فامرته باللهو والانبساط ففعل ونسينا الرؤيا وطالت الايام ثم سار الى خراسان لحرب

رافع

الى مصر كما ذكر واخذوا
بهم وتخلية سبيلهم فحضروا
سلاحهم وخلوا سبيلهم
وصاروا يترددون عليهم
ويطعمونهم ويلاطفونهم
ويفرجونهم على صنائعهم
وأحوالهم وأما العسكر الذين
كانوا معهم بقلعة العريش
فبعضهم انضاف اليهم
وأعطوهم جامكية وعلوفة
وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من
الفرنسيس والبعض لم يرض
بذلك فاخذوا سلاحهم
وأطلقوهم الى حال سبيلهم
وذهب الفرنسيس الى ناحية
غزة وفي ذلك اليوم بعد الظهر
عملوا الشنك الموعود به
وضربوا عدة مدافع بالقلعة
والازبكية وأظهر النصارى
الفرح والسرور بالاسواق
والدور واوقدوا في بيوتهم الولائم
وغيروا الملابس والعمائم
وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا
في القبح والشناعة (وفي يوم
الاربعاء) توفي أحمد كاشف
المذكور فجاءة وفي عصر ذلك
اليوم حضر جماعة من الفرنسيس
نحو الخمسة والعشرين وهم
راكبون الهجن وعلى رؤسهم
عمائم بيض ولابسون برانس
بيضا على أكتافهم فذهبوا
الى بيت قائمقام بالازبكية
فلما أصبح يوم الخميس عملوا
الديوان وفرقوا المكاتبة التي
حضرت مع الهجانة حاصلها
ان الفرنسيس أخذوا غزة
وخان يونس وأخبار مختلفة
(منها) انهم وجدوا ابراهيم

أحمد محمد كلهم لامهات أولاد وله من البنات سكينة وأم حبيب وأروى وأم الحسن وأم محمد وهى حمدونة وفاطمة وأم أبيها وأم سلمة وخديجة وأم القاسم ورملة وأم جعفر وأم على والعالية وريطة كلهن لامهات أولاد

(ذكر بعض سيرته)

قيل كان الرشيد يصلى كل يوم مائة ركعة الى أن فارق الدنيا الامن مرض وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بالف درهم بعد زكاته وكان اذاحج حج معه مائة من الفقهاء وابنائهم فاذالم يحج أحج ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الطاهرة وكان يطلب العمل بآثار المنصور الا فى بذل المال فانه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال وكان لا يضيع عنده احسان محسن ولا يؤخر ذلك وكان يحب الشعر والشعراء و يميل الى أهل الادب والفقه و يكره المراء فى الدين وكان يحب المديح لاسيما من شاعر فصيح و يجزل العطاء عليه ولما مدحه مروان بن أبى حفصة بقصيدة التى منها

وسدت بهرون الثغور فاحكمت * به من أمور المسلمين المرائر

أعطاه خمسة آلاف دينار وخلعة وعشرة من الرقيق الرومى و برذونا من خاص مركبه وقيل كان مع الرشيد بن أبى مريم المدينى وكان مضحا كا فكها يعرف أخبار أهل الحجاز وألقاب الاشراف ومكايد المجان فكان الرشيد لا يصبر عنه وأسكنه فى قصره فجاء ذات ليلة وهو نائم فقام الرشيد الى صلاة الفجر فكشف اللحاف عنه وقال كيف أصبحت فقال ما أصبحت بعد اذهب الى عملك قال قم الى الصلاة قال هذا وقت صلاة أبى الجرود وأنا من أصحاب أبى يوسف فمضى الرشيد يصلى وقام ابن أبى مريم وأتى الرشيد فرآه يقرأ فى الصلاة (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) فقال ما أدرى والله فما تمالك الرشيد ان ضحك ثم قال وهو مغضب فى الصلاة أيضا قال ما صنعت قال قطعت على صلاتى قال والله ما فعلت انما سمعت منك كلاما غمنى حين قلت ومالى لا أعبد الذى فطرنى فقلت لا أدرى فعاد الرشيد الضحكة ثم قال له اياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وقيل استعمل يحيى بن خالد رجلا على بعض أعمال الخراج فدخل على الرشيد يودعه وعنده يحيى وجعفر فقال لهما الرشيد أوصياه فقال يحيى وفر واعمر وقال جعفر أنصف وانتصف فقال الرشيد اعدل وأحسن وقيل حج الرشيد مرة فدخل الكعبة فرآه بعض الحجبة وهو واقف على أصابعه يقول يامن يملك حوائج السائلين و يعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك ردا حاضرا و جوابا عتيدا ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا يامن لا تضره الذنوب ولا تخفى عليه الغيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا يامن كبس الارض على الماء وسد الهواء بالسماء واختار لنفسه أحسن الاسماء صل على محمد وعلى آل محمد وخرلى فى جميع أمورى يامن خشعت له الاصوات بانواع اللغات يسألونه الحاجات ان من حاجتى اليك أن تغفر لى ذنوبى اذا توفيتنى وصيرت فى لحدى وتفرق عنى أهلى وولدى اللهم لك الحمد حمدا يفضل

ولا يخفاكم ان جميع ما تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لان كل ما نضع به يدنا لابد من تمامه بالخير والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظاهر بالغدر يهلك ومن كل ما حصل تفهمون جيدا اننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين ولما أخذوا غزة أرسلوا طومارا بصورة الواقعة وبضمنه نسخا وقرئ بالديوان وألصقوا نسخه المطبوعة بالاسواق وصورته *(بسم الله الرحمن الرحيم)* ولا عدوان الا على الظالمين نخبر أهل مصر وأقاليمها انه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال اسكندر برتيه خطابا الى حضرة سارى عسكر دوجا وكيل الجيوش بمصر يخبره فيه بان العساكر الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان فى خان يونس وفى فجر تلك الليلة توجهوا سائرين الى ناحية غزة فكشفوا قبل الظهر بساعة عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة فتوجه اليهم الجنرال مراد مع عساكر الفرنساوية من خيالة ومشاة مراده اغتيال عسكر المماليك وعسكر الجزار فلما انتبهوا له فروا هاربين ووقع بينه وبين اطراف العساكر بعض

(ذكر ولاة الامصار ايام الرشيد)

ولاة المدينة اسحق بن علي عبد الملك بن صالح بن علي محمد بن عبد الله موسى بن عيسى بن موسى ابراهيم بن محمد بن ابراهيم علي بن عيسى بن موسى محمد بن ابراهيم عبد الله بن مصعب بكار بن عبد الله بن مصعب محمد بن علي أبو البختري وهب بن منبه (ولاة مكة) العباس بن محمد بن ابراهيم سليمان بن جعفر بن سليمان موسى بن عيسى ابن موسى عبد الله بن محمد بن ابراهيم عبد الله بن قثم بن العباس عبيد الله بن قثم عبد الله بن محمد بن عمران عبيد الله بن محمد بن ابراهيم العباس بن موسى بن عيسى علي بن موسى بن عيسى محمد بن عبد الله العثماني حماد البربري سليمان بن جعفر بن سليمان الفضل بن العباس بن محمد أحمد بن اسمعيل بن علي (ولاة الكوفة) موسى ابن عيسى بن موسى محمد بن ابراهيم عبيد الله بن محمد بن ابراهيم يعقوب بن أبي جعفر موسى بن عيسى بن موسى العباس بن عيسى بن موسى اسحق بن الصباح الكندي موسى بن عيسى بن موسى العباس بن عيسى بن موسى موسى بن عيسى ابن موسى جعفر بن أبي جعفر (ولاة البصرة) محمد بن سليمان بن علي سليمان ابن أبي جعفر عيسى بن جعفر بن أبي جعفر خزيمة بن خازم عيسى بن جعفر جرير ابن يزيد جعفر بن سليمان جعفر بن أبي جعفر عبد الصمد بن علي مالك بن علي الخزاعي اسحق بن سليمان بن علي سليمان بن أبي جعفر عيسى بن جعفر الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين عيسى بن جعفر بن أبي جعفر جرير بن يزيد عبد الصمد بن علي اسحق بن عيسى بن علي (ولاة خراسان) أبو العباس الطوسي جعفر بن محمد بن الاشعث العباس بن جعفر الغطريف بن عطاب سليمان بن راشد على الخراج حمزة بن مالك الفضل بن يحيي بن خالد منصور بن يزيد بن منصور جعفر بن يحيي وخليفته بها علي بن عيسى بن ماهان هرثمة بن أعين العباس ابن جعفر للمامون بها علي بن الحسن بن قحطبة

(ذكر نسائه وأولاده)

قيل تزوج زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور وأعرس بها سنة خمس وستين ومائة فولدت محمدا الامين وماتت سنة ست وعشرين ومائتين وتزوج أمة العزيز أم ولد الهادي فولدت له علي بن الرشيد وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين وتزوج العباسة بنت سليمان بن المنصور وتزوج عزيزة ابنة خاله الغطريف وتزوج العثمانية وهي ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وجدة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علي ومات الرشيد عن أربع مهائر زبيدة وأم محمد بنت صالح وعباسة والعثمانية وكان قد ولد له من الذكور محمد الامين من زبيدة وعبد الله المامون لام ولد اسمها مراجل والقاسم المؤتمن وأبو اسحق محمد المعتصم وصالح وأبو عيسى محمد وأبو يعقوب محمد وأبو العباس محمد وأبو سليمان محمد وأبو علي محمد وأبو محمد وهو اسمه وأبو

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وبه نستعين من طرف بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية الى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالي نواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى بعد السلام نعرفكم اننا حررنا الكم هذه السطور نعلمكم اننا حضرنا في هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم والى أي سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت من حكمه والى أي سبب أيضا أرسل عساكره الى قلعة العريش بذلك هجم على أراضي مصر فلاشك كان مراده اجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه فاما انتم يا أهالي الاطراف المشار اليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فانتم استمروا في محلاتكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم في محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الامان الكافي والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم في مالكم وما تملكه يدكم وقصدنا ان القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه وعلى الخصوص ان دين الاسلام لم يزل معتزا ومعتبرا والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين اذ كل خير يأتي من الله تعالى

نفسه والناس ووعدهم الخير وآمن الابيض والاسود وفرق فى الجند الذين ببغداد رزق أربعة وعشرين شهرا ودعا الى البيعة فبايعه جلة أهل بيته وكل عم ابيه وأمر سليمان ابن المنصور باخذ البيعة على القواد وغيرهم فامر السندي أيضا ببيعة من عداهم

(ذكر ابتداء الاختلاف بين الامين والمامون)

فى هذه السنة ابتدأ الاختلاف بين الامين والمامون ابنى الرشيد وكان سبب ذلك ان الرشيد لما سار نحو خراسان واخذ البيعة للمامون على جميع من فى عسكره من القواد وغيرهم وأقر له بجميع ما معه من الاموال وغيرها على ما سبق ذكره عظم على الامين ذلك ثم بلغه شدة مرض الرشيد فارسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتبا وجعلها فى قوائم صناديق المطبخ وكانت منقورة والبسها جلود البقر وقال لا تظهرن أمير المؤمنين ولا غيره على ذلك ولو قتلت فاذا مات فادفع الى كل انسان منهم ما معك فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هرون قدومه فدعا به وساله عن سبب قدومه فقال بعثنى الامين لآتيه بخبرك قال فهل معك كتاب قال لا فامر بما معه ففتش فلم يصيبوا شيئا فامر به فضرب فلم يقر بشئ فحبسه وقيده ثم أمر الفضل بن الربيع بتقريره فان اقر والا اضرب عنقه فقرره فلم يقر بشئ ثم غشى على الرشيد فصاح النساء فامسك الفضل عن قتله وحضر عند الرشيد فافاق وهو ضعيف قد شغل عن بكر وغيره ثم مات وكان بكر قد كتب الى الفضل يساله ان لا يعجل فى امره بشئ فان عنده اشياء يحتاج الى علمها فاحضره الفضل واعلمه بموت الرشيد وساله عما عنده فخاف ان يكون الرشيد حيا فلما تيقن موته اخرج الكتب التى معه وهى كتاب الى أخيه المامون يامره بترك الجزع وأخذ البيعة على الناس لهما ولاخيهما المؤتمن ولم يكن المامون حاضرا كان بمرو وكتاب الى أخيه صالح يامره بتسيير العسكر واستصحاب ما فيه وان يتصرف هو ومن معه برأى الفضل وكتاب الى الفضل يامره بالحفظ والاحتياط على ما معه من الحرم والاموال وغير ذلك واقر كل من كان اليه عمل على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحجابة فلما قرؤا الكتب تشاوروا هم والقواد فى اللحاق بالامين فقال الفضل بن الربيع لا أدع ملكا حاضرا لآخر ما ادرى ما يكون من أمره وأمر الناس بالرحيل فرحلوا محبة منهم لاهلهم ووطنهم وتركوا العهود التى كانت أخذت عليهم للمامون فلما بلغ المامون ذلك جمع من عنده من قواد أبيه وهم عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن قحطبة والعلاء مولى هرون وهو على حجابته والعباس بن المسيب بن زهير وهو على شرطته وأيوب بن أبى سمير وهو على كتابته وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وذو الرياستين وهو أعظمهم عنده قدرا واخصهم به واستشارهم فاشاروا أن يلحقهم فى ألفى فارس جريدة فيردهم فخلا به ذو الرياستين وقال ان فعلت ما اشار به هؤلاء جعلوك هدية الى أخيك ولكن الرأى أن تكتب اليهم كتابا وتوجه رسولا يذكرهم البيعة ويسالهم الوفاء ويحذرهم الحنث وما فيه دنيا وآخرة ففعل ذلك ووجه سهل بن صاعد ونوفلا الخادم ومعهما كتاب فلحقا الجند والفضل بنيسابور فاوصلا الى الفضل كتابه فقال

وطواف المسحرين والتسلى بالرواية والتقول وترجى المامول وانحلال الاسعار فيما عدا الحلويات من الافطار (ومنها) ان الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للافطار والسحور ويعملون لهم الولائم ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعاداتهم ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين تطمينا لخواطرهم ويذهبون هم أيضا ويحضرون عندهم الموائد ويأكلون معهم فى وقت الافطار ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ويحذون حذوهم ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ما يتعجب منه والله أعلم

(شهر شوال سنة ١٢١٣)

استهل بيوم الجمعة وفى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والازهر واتفق ان امام الجامع الازهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة بعد ما شنع عليه الجماعة وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر وأسرع فى مشيه وهو يقول نزلت عليكم العرب يا ناس فهاجت الناس وانزعجت النساء وصعدت

كل حمد كفضلك على جميع الخلق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضا وصل عليه صلاة تكون له ذخرا واجزه عنا الجزاء الاوفى اللهم أحينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ولا تجعلنا أشقياء مرحومين وقيل دخل ابن السماك على الرشيد فبينما هو عنده اذ طلب ماء فلما أراد شربه قال له ابن السماك مهلا يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكي قال اشرب فلما شرب قال اسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها قال بجميع ملكي قال ان ملكا لا يساوي شربة ماء وخروج بولة لجدير أن لا ينافس فيه فبكى الرشيد وقيل كان الفضيل بن عياض يقول ما من نفس أشد على موتا من هرون الرشيد ولوددت ان الله زاد من عمري في عمره فعظم ذلك على أصحابه فلما مات وظهرت الفتن وكان من المامون ما حمل الناس عليه من القول بخلق القرآن قالوا الشيخ أعلم بما تكلم به وقال محمد بن منصور البغدادي لما حبس الرشيد أبا العتاهية جعل عليه عينا يأتيه بما يقول فرآه يوما وقد كتب على الحائط

أما والله ان الظلم لوم * وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

فاخبر بذلك الرشيد فبكى واحضره واستحله وأعطاه ألف دينار وقال الاصمعي صنع الرشيد يوما طعاما كثيرا وزخرف مجالسه واحضر أبا العتاهية فقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك سالما * في ظل شاهقة القصور

فقال أحسنت ثم قال ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت * لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت * في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد وقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال دعه فانه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا

(خلافة الامين)

في هذه السنة بويع الامين بالخلافة في عسكر الرشيد صبيحة الليلة التي توفي فيها وكان المامون حينئذ بمرو فكتب حمويه مولى المهدي صاحب البريد الى نائبه ببغداد وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد فدخل أبو مسلم على الامين فعزاه وهناه بالخلافة فكان أول الناس فعل ذلك وكتب صالح بن الرشيد الى أخيه الامين يخبره بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم وارسل معه الخاتم والقضيب والبردة فلما وصل رجاء انتقل الامين من قصره بالخلد الى قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فنعى الرشيد وعزى

نفسه

مضاربة يسيرة لم يجرح فيها الا عسكري واحد ومات من عسكر المماليك والجزار ناس قلائل وحين تشاغل ساري عسكر مراد بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة ساري عسكر كلهبر الذي كان حاكما بالاسكندرية وكان ساكنا بالازبكية الى بندر غزة وملكها من غير معارض له ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير وارز وبعمائة قنطار بارود واثني عشر مدفعا وحاصلا كبيرا مملوا بالخيام الكثيرة وجلا وبنبات مهيات محضرات كصنعة الافرنج هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد اخبرناكم على ما وقع في كيفية ملك العريش سابقا فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا في احكام مولاكم الذي خلقكم وسواكم والسلام ختام وانقضى شهر رمضان ووقع به قبل ورود هذه الاخبار من السكون والطمانينة وخلو الطرقات من العسكر وعدم مرور المتخلفين منهم الا في النادر واختفائهم بالليل جملة كافية وانفتاح الاسواق والدكاكين والذهاب والمجئ وزيارة الاخوان ليلا والمشي على العادة بالفوانيس ودونها واجتماع الناس للسهر في الدور والقهاوي ووقود المساجد وصلاة التراويح

وحج بالناس هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد وهو أمير مكة وفيها توفي صقلاب بن زياد الاندلسي وهو من أصحاب مالك وكان فقيها زاهدا وفي هذه السنة مات مروان بن معاوية الفزاري وقيل سنة أربع وتسعين في ذي الحجة وفيها توفي اسمعيل بن علية وأبو بكر بن عياش وله ست وتسعون سنة (عياش بالياء المثناة من تحت والشين المعجمة)

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة)

❊(ذكر خلاف أهل حمص على الامين)❊

في هذه السنة خالف أهل حمص على الامين وعلى عاملهم اسحق بن سليمان فانتقل عنهم الى سلمية فعزله الامين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل عدة من وجوههم وحبس عدة وألقى النار في نواحيها فسألوا الامان فاجابهم ثم هاجوا بعد ذلك فقتل عدة منهم

❊(ذكر ظهور الخلاف بين الامين والمامون)❊

وفي هذه السنة امر الامين بالدعاء على المنابر لابنه موسى وكان السبب في ذلك ان الفضل بن الربيع لما قدم العراق من طوس ونكث عهد المامون افكر في امره وعلم ان المامون ان افضت اليه الخلافة وهو حي لم يبق عليه فسعى في اغراء الامين وحثه على خلع المامون والبيعة لابنه موسى بولاية العهد ولم يكن ذلك في عزم محمد الامين فلم يزل الفضل يصغر عنده امر المامون ويزين له خلعه وقال له ما تنتظر بعبد الله والقاسم فان البيعة كانت لك قبلهما وانما ادخلا فيها بعدك ووافقه على هذا علي بن عيسى ابن ماهان والسندي وغيرهما فرجع الامين الى قولهم ثم انه احضر عبد الله بن خازم فلم يزل في مناظرته حتى انقضى الليل وكان مما قال عبد الله انشدك الله يا امير المؤمنين ان لا تكون اول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه ورد راي الخليفة قبله فقال اسكت فعبد الملك كان افضل منك رايا واكمل نظرا يقول لا يجتمع فحلان في اجمة ثم جمع القواد وعرض عليهم خلع المامون فابوا ذلك وربما ساعده قوم حتى بلغ الى خزيمة بن خازم فقال يا امير المؤمنين لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر مخذول والناكث مغلول فاقبل الامين على علي بن عيسى بن ماهان فتبسم وقال لكن شيخ الدعوة وناب هذه الدولة لا يخالف على امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع لم يرفعه اليه قبلها لانه كان هو والفضل بن الربيع يعينانه على الخلع ولج الامين في خلع المامون حتى انه قال يوما للفضل بن الربيع يا فضل احياة مع عبد الله لا بد من خلعه والفضل يغريه ويقول متى ذلك اذا غلب على خراسان وما فيها فاول ما فعله ان كتب الى جميع العمال بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء للمامون والمؤتمن فلما بلغ ذلك المامون مع عزل المؤتمن عما كان بيده اسقط اسم الامين من

بكاتهم فتعلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة فغار قوهم وذهبوا اللقرين وتخلف عنهم الفيومي فاقام مع كتخدا الباشا والقاضي فضل الدواخلي توعك فذهب الى مصر وبقي رفيقاه في حيرة (وفي سابعه احضر الاغا رجلا ورمى عنقه عند باب زويلة وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب والسبب في ذلك ان الفرنساوي حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ويسمى دلوي احضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالي فاجتمعوا وذهبوا الى كبير الفرنسيس الذي يقال له شيخ البلد وشكوا اليه وكان الامير ذو الفقار حاضرا وهو يسكن تلك الجهة فعضدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم فارسل شيخ البلد الى دلوي فانتهره وامره برد ما أخذه فاخبره اتباعه ان ذا الفقار هو الذي عضدهم وانهى شكواهم الى كبيرهم فقام دلوي المذكور ودخل على ذي الفقار في بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه فلما خرج من عنده قام وذهب الى كبيرهم واخبره بفعل دلوي معه فامر باحضاره وحبسه بالقلعة ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد ان التعرض الذي وقع من دلوي لباعة الغلة انما هو باغراء خادمه وعرفه ان خادمه المذكور مولع بامرأته وقاصصه

إنما أنا واحد من الجند وشد عبد الرحمن بن جبلة الانبارى على سهل بالرمح ليطعنه فاحره على جنبه وقال له قل لصاحبك لو كنت حاضر الوضعته فيك وسب المامون فرجعا اليه بالخبر فقال ذو الرياستين اعداء استرحت منهم ولكن افهم عنى ان هذه الدولة لم تكن قط أعز منها ايام المنصور فخرج عليه المقنع وهو يدعى الربوبية وقيل طلب بدم أبى مسلم فضعضع العسكر بخروجه بخراسان وخرج بعده يوسف البرم وهو عند المسلمين كافر فتضعضعوا أيضا له فأخبرنى أنت ايها الامير كيف رأيت الناس عندما ورد عليهم خبر رافع قال رأيتهم اضطربوا اضطرابا شديدا قال فكيف بك وأنت نازل فى اخوالك و بيعتك فى اعناقهم كيف يكون اضطراب اهل بغداد اصبر وأنا اضمن لك الخلافة قال المامون قد فعلت وجعلت الامر اليك فقم به قال ذو الرياستين والله لاصدقنك ان عبد الله بن مالك ومن معه من القواد ان قاموا لك بالامر كانوا انفع لك منى بر ياستهم المشهورة وبما عندهم من القوة فمن قام بالامر كنت خادماله حتى تبلغ املك وترى رأيك وقام ذو الرياستين واتاهم فى منازلهم وذكرهم ما يجب عليهم من الوفاء قال فكانى جئتهم بجيفة على طبق فقال بعضهم هذا لا يحل اخرج وقال بعضهم من الذى يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه فجئت وأخبرته فقال قم بالامر قال قلت له قرأت القرآن وسمعت الاحاديث وتفقهت فى الدين فارى ان تبعث الى من بحضرتك من الفقهاء فتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السنة وتقعد على الصوف وترد المظالم ففعل ذلك جميعه واكرم القواد والملوك وابناء الملوك وكان يقول للتميمى نقيمك مقام موسى ابن كعب وللربعى نقيمك مقام أبى داود وخالد بن ابراهيم ولليمانى نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم وكل هؤلاء نقباء الدولة العباسية ووضع عن خراسان ربع الخراج فحسن ذلك عند اهلها وقالوا ابن اختنا وابن عم نبينا وأما الامين فلما سكن الناس ببغداد أمر ببناء ميدان حول قصر المنصور بعد بيعته بيوم فقال شاعرهم

بنى امين الله ميدانا * وصير الساحة بستانا
وكانت الغزلان فيه بانا * يهدى اليه فيه غزلانا

وأقام المامون يتولى ما كان بيده من خراسان والرى وأهدى الى الامين وكتب اليه وعظمه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة دخل هرثمة بن اعين حائط سمرقند فارسل رافع بن الليث الى الترك فاتوه وصار هرثمة بين رافع والترك ثم ان الترك انصرفوا فضعف رافع وفيها قدمت زبيدة امرأة الرشيد من الرقة الى بغداد فلقيها ابنها الامين بالانبار ومعه جمع من بغداد من الوجوه وكان معه أخوه ابن الرشيد وفيها قتل نقفور ملك الروم فى حرب برجان وكان ملك سبع سنين وملك بعده ابنه استبراق وكان مجروحا فبقى شهرين ومات فملك بعده ميخائيل بن جورجس ختنه على أخته وفيها عزل الامين أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة واقره على قنسرين والعواصم واستعمل على الجزيرة خزيمة بن خازم وحج

وماصادفوه من عمائم الرجال وغيرذلك واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة حتى ان بعض النساء مات تحت الارجل ولم يكن لهذا الكلام صحة وانما ذلك من مخترعات الاوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك (وفيه) ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد وجاملوهم الناس بالمدارة أيضا (وفى أوائله) وردت الاخبار بان الامراء المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم فذهب مراد بك وآخرون الى نواحى ابراهيم بك ومنهم من ذهب الى ناحية أسوان والالفى عدى بجماعته الى البر الشرقى (وفى خامسه) قدم الشيخ محمد الدواخلى من ناحية القرين متمرضا وكان بصحبته الصاوى والفيومى متخلفين بالقرين وسبب تخلفهم ان كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية أرسل الى كتخدا الباشا والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم يامرهم بالحضور الى الصالحية لانهم كانوا يباعدون عنه مرحلة فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق فخافوا من المرور فذهبوا الى القرين فاقاموا هناك واتخذ عسكر الفرنسيس جمالهم فاقاموا

فقال المامون بايثار دعة العاجل صار الى فساد العاقبة فى دنياه وآخرته فامتنع المامون
من اجابته الى ماطلب وأنفذ المامون ثقته الى الحد فلا يمكن أحدا من العبور الى بلاده
الامع ثقة من ناحيته وحصر أهل خراسان أن يستمالوا برغبة أو رهبة وضبط الطرق
بثقات أصحابه فلم يمكنوا من دخول خراسان الا من عرفوه وأتى بجواز أو كان تاجرا
معروفا وفتشت الكتب وقيل لما أراد الامين أن يكتب الى المامون يطلب بعض كور
خراسان قال له اسمعيل بن صبيح يا أمير المؤمنين ان هذا مما يقوى التهمة و ينبه على
الحذر ولكن اكتب اليه فاعلمه حاجتك وماتحب من قربه والاستعانة به على ما أولاك
الله واساله القدوم عليك لترجع الى رأيه فيما تفعل فكتب اليه بذلك وسير الكتاب
مع نفر وأمرهم أن يبلغوا الجهد فى احضاره وسير معهم الهدايا الكثيرة فلما حضر الرسل
عنده وقرأ الكتاب أشاروا عليه باجابة الامين وأعلموه مافى اجابته من المصلحة العامة
والخاصة فاحضر ذا الرياستين وأقرأه الكتاب واستشاره فاشار عليه بملازمة خراسان
وخوفه من القرب من الامين فقال لا يمكننى مخالفته وأكثر القواد والاموال معه
والناس مائلون الى الدرهم والدينار لا يرغبون فى حفظ عهد ولا أمانة ولست فى قوة
حتى امتنع وقد فارق جيغويه الطاعة والتوى خاقان ملك التبت وملك كابل قد
استعد للغارة على مايليه وملك اترابنده قد منع الضريبة ومالى بواحد من هذه
الامور يد ولا أرى الا التخلية ما أنا فيه واللحاق بخاقان ملك الترك والاستجارة به لعلى
آمن على نفسى فقال ذو الرياستين ان عاقبة الغدر شديدة وتبعة البغى غير مامونة ورب
مقهور قد عاد قاهرا وليس النصر بالكثرة والقلة والموت أيسر من الذل والضيم وما
أرى ان تصير الى أخيك متجردا من قوادك وجندك كالرأس الذى فارق بدنه فتكون
عنده كبعض رعيته يجرى عليك حكمه من غير أن تبدى عذرا فى قتال واكتب الى
جيغويه وخاقان فولهما بلادهما وابعث الى ملك كابل بعض هدايا خراسان ووادعه
واترك لملك اترابنده ضريبته ثم اجمع أطرافك وضم جندك واضرب الخيل
بالخيل والرجال بالرجال فان ظفرت والا لحقت بخاقان فعرف المامون صدقه ففعل
ما أشار به فرضى أولئك الملوك العصاة وضم جنده وجمعهم عنده وكتب الى الامين
أما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين وانما أنا عامل من عماله وعون من أعوانه أمرنى
الرشيد بلزوم الثغر ولعمرى ان مقامى به أردع على أمير المؤمنين وأعظم غناء للمسلمين
من الشخوص الى أمير المؤمنين فان كنت مغتبطا بقربه مسرورا بمشاهدة نعمة الله
عنده فان رأى أمير المؤمنين أن يقرنى على عملى و يعفينى من الشخوص فعل ان شاء الله
فلما قرأ الامين كتاب المامون علم انه لايتابعه على مايريده فكتب اليه يساله أن
ينزل عن بعض كور خراسان كما تقدم ذكره فلما امتنع المامون أيضا من اجابته الى
ماطلب أرسل جماعة ليناظروه فى منع ماطلب منه فلما وصلوا الى الرى منعوا ووجدوا
تدبيره محكما وحفظوا فى حال سفرهم وأقامتهم من ان يخبروا او يستخبروا وكانوا امعدين
لوضع الاخبار فى العامة فلم يمكنهم ذلك فلما رجعوا أخبروا الامين بما رأوا وقيل ان

وتنوع الامثال واجتماع الملل وارتفاع السفل وكثره
الحشرات وعجائب المخلوقات
واجتماع الاضداد ومخالفة
الوضع المعتاد وكان نسيج
الكسوة بدار مصطفى كتخدا
المذكور وهو على خلاف
العادة من نسجها بالقلعة (وفى
يوم الاربعاء ثالث عشره)
حضر عدة من الفرنسيس
وهم راكبون الهجن ومعهم
عدة بيارق وأعلام بعيد
الظهر وأخبروا ان الفرنسيس
ملكوا قلعة يافا و بيدهم
مكاتبة من سارى عسكرهم
بالاخبار عما وقع فلما كان
يوم الخميس واجتمع أرباب
الديوان فقرأ عليهم تلك
المراسلة بعد تعريبها وترصيفها
على هذه الكيفية وهى عن
لسان رؤساء الديوان الى
الكافة وذلك بالزامهم وأمرهم
بذلك (وصورتها) بسم الله
الرحمن الرحيم سبحان مالك
الملك يفعل فى ملكه مايريد
سبحان الحكم العدل الفاعل
المختار ذى البطش الشديد
هذه صورة تمليك الله سبحانه
وتعالى جمهور الفرنساوية
لبندر يافا من الاقطار الشامية
نعرف أهل مصر وأقاليمها من
سائر البرية ان العساكر
الفرنساوية انتقلوا من غزة
ثالث عشرين رمضان
ووصلوا الى الرملة فى الخامس
والعشرين منه فى أمن واطمئنان فشاهدوا عسكر

الظفر وقطع البريد عنه وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما بلغه حسن سيرة المامون طلب الامان فاجابه الى ذلك فحضر عند المامون واقام هرثمة بسمرقند ومعه طاهر بن الحسين ثم قدم هرثمة على المامون فاكرمه وولاه الحرس فانكر ذلك كله الامين فكان مما اوتر عليه ان كتب الى العباس بن عبد الله بن مالك وهو عامل المامون على الري يامره ان ينفذ بغرائب غروس الري يريد امتحانه فبعث اليه بما أمره وكتم ذلك عن المامون وذى الرياستين فبلغ المامون فعزله بالحسن بن على المامونى ثم وجه الامين الى المامون أربعة أنفس وهم العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على وعيسى بن جعفر بن المنصور وصالح صاحب المصلى ومحمد بن عيسى بن نهيك يطلب اليه أن يقدم ابنه موسى على نفسه ويحضر عنده فقد استوحش لبعده فبلغ الخبر المامون فكتب الى عماله بالرى ونيسابور وغيرهما يامرهم باظهار العدة والقوة ففعلوا ذلك وقدم الرسل على المامون وأبلغوه الرسالة وكان ابن ماهان أشار بذلك وأخبر الامين ان أهل خراسان معه فلما سمع المامون هذه الرسالة استشار الفضل بن سهل فقال له احضر هشاما والدعلى وأحمد ابنى هشام واستشره فاحضره واستشاره فقال له انما أخذت البيعة علينا على أن لا تخرج من خراسان فتى فعلت ذلك فلا بيعة لك فى أعناقنا والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومتى هممت بالمسير اليه تعلقت بك بيمينى فاذا قطعت تعلقت بيسارى فاذا قطعت تعلقت بلسانى فاذا ضربت عنقى كنت اديت ما على فقوى عزم المامون على الامتناع فاحضر العباس وأعلمه انه لا يحضر وانه لا يقدم موسى على نفسه فقال العباس بن موسى ما عليك أيها الامير من ذلك فهذا جدى عيسى بن موسى قد خلع فما ضره فصاح به ذو الرياستين اسكت ان جدك كان أسيرا فى أيديهم وهذا بين أخواله وشيعته ثم قاموا فخلا ذو الرياستين بالعباس بن موسى واستماله ووعده امرة الموسم ومواضع من مصر فاجاب الى بيعة المامون وسمى المامون ذلك الوقت بالامام فكان العباس يكتب اليهم بالاخبار من بغداد ورجع الرسل الى الامين فاخبروه بامتناع المامون وألح الفضل وعلى ابن عيسى على الامين فى خلع المامون والبيعة لابنه موسى بن الامين وكان الامين قد كتب الى المامون يطلب منه أن ينزل عن بعض كور خراسان وان يكون له عنده صاحب البريد يكاتبه بالاخبار فاستشار المامون خواصه وقواده فاشاروا باحتمال هذا الشر والاجابة اليه خوفا من شر هو أعظم منه فقال لهم الحسن بن سهل أتعلمون ان الامين طلب ما ليس له قالوا نعم ويحتمل ذلك لضرر منعه قال فهل تثقون بكفه بعد اجابته فلا يطلب غيرها قالوا لا قال فان طلب غيرها فما ترون قالوا نمنعه قال فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض من مكروه فى يومك ولا تلتمس هدنة يومك باخطار ادخلته على نفسك فى غدك فقال المامون لذى الرياستين ما تقول أنت فقال أسعدك الله هل تامن ان يكون الامين طالبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك بل انما أشار الحكماء بحمل ثقل ترجون به صلاح العاقبة

فقال

من الرميلة ثانية باشكالها هو واضرابه وترقص لهم تلك المرأة فى القهوة التى يحطهم ليلا ونهارا وتبيت معهم فى البيت ويصبحون على حالهم فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر ولا باس بما حصل (وفى ثامنه يوم الجمعة) نودى فى الاسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الاشاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس فى الاسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فروا بذلك وامامها الوالى والمحتسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الاشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ثم برطلين كتخدا مستحفظان وامامه نفر الينكجرية من المسلمين نحو المائتين او أكثر وعدة كثيرة من نصارى الاروام بالاسلحة والملازمين بالبراقع وهو لابس فروة عظيمة ثم مواكب القلقات ثم موكب ناظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا وخلفه النوبة التركية فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجائب لما اشتملت عليه من اختلاف الاشكال

في هذه السنة عصى عمران بن مجالد الربيعي وقريش بن التونسي بتونس على ابراهيم ابن الاغلب امير افريقية واجتمع فيها خلق كثير وحصر ابراهيم بن الاغلب بالقصر جمع من اطاعه وخالف عليه ايضا اهل القيروان في جمادى الآخرة فكانت بينهم وقعة وحرب قتل فيها جماعة من رجال ابن الاغلب وقدم عمران بن مجالد فيمن معه فدخل القيروان عاشر رجب وقدم قريش من تونس اليه فكانت بينهم وبين ابن الاغلب وقعة في رجب فانهزم اصحاب ابن الاغلب ثم التقوا في العشرين منه فانهزموا ثانية ايضا ثم التقوا ثالثة فيه ايضا فكان الظفر لابن الاغلب وأرسل عمران بن مجالد الى اسد ابن الفرات الفقيه ليخرج معهم فامتنع فاعاد الرسول يقول له تخرج معنا والا ارسلت اليك من يجر برجلك فقال أسد للرسول قل له والله ان خرجت لاقولن للناس ان القاتل والمقتول في النار فتركه

(ذكر عصيان أهل ماردة وغزو الحكم بلاد الفرنج)

في هذه السنة عاود اهل ماردة الخلاف على الحكم بن هشام أمير الاندلس وعصوا عليه فسار بنفسه اليهم وقاتلهم ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد الى مقاتلتهم هذه السنة وسنة خمس وسنة ست وتسعين ومائة وطمع الفرنج في ثغور المسلمين وقصدوها بالغارة والقتل والنهب والسبي وكان الحكم مشغولا باهل ماردة فلم يتفرغ للفرنج فاتاه الخبر بشدة الامر على أهل الثغور وما بلغ العدو منهم وسمع ان امرأة مسلمة أخذت مسبية فنادت واغوثاه ياحكم فعظم الامر عليه وجمع عسكره واستعد وحشد وسار الى بلد الفرنج سنة ست وتسعين ومائة واثخن في بلادهم وافتتح عدة حصون وخرب البلاد ونهبها وقتل الرجال وسبى الحريم ونهب الاموال وقصد الناحية التي كانت بها تلك المرأة فامر لهم من الاسرى بما يفادون به أسراهم وبالغ في الوصية في تخليص تلك المرأة فتخلصت من الاسر وقتل باقي الاسرى فلما فرغ من غزاته قال لاهل الثغور هل اغاثكم الحكم فقالوا نعم ودعوا له واثنوا عليه خيرا وعاد الى قرطبة مظفرا

(ذكر عدة حوادث)

وفيها وثبت الروم على ملكهم ميخائيل فهرب وترهب وكان ملك نحو سنتين وملك بعده أليون القائد وكان على الموصل ابراهيم بن العباس استعمله الامين وفي هذه السنة قتل شقيق البلخي الزاهد في غزاة كولان من بلاد الترك وفيها مات الوليد بن مسلم صاحب الاوزاعي وقيل سنة خمس وتسعين وكان مولده سنة عشر ومائة وفيها مات حفص بن غياث النخعي قاضي الكوفة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة (غياث بالغين المعجمة) وفيها توفي عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وكان مولده سنة ست عشرة ومائة وكان قد اختلط في آخر عمره وكان حديثه صحيحا الى ان اختلط وفيها توفي سيبويه النحوي واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر وقيل كان توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة قيل وكان عمره قد زاد على اربعين سنة وقيل كان عمره اثنتين

عن يافا باربع ساعات وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة ساري عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لاجل ان يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة لانه وجد سور يافا ملآنا بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة وفي تاسع عشرين الشهر لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة امر حضرة ساري عسكر المشار اليه ان ينصب المدافع على المتاريس وان يضعوا اهوان القنبر باحكام وتاسيس وامر بنصب مدافع اخر بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا لانه وجد في المينا بعض مراكب اعدها عسكر الجزار للهروب ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة المحاصرون ان عسكر الفرنساوية قلائل في راي العين الناظرين لمداراة الفرنساوية في الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا انهم يغلبون الفرنساوية فهجم عليهم الفرنسيس وقتلوا منهم جملة كثيرة في تلك الواقعة والجؤهم للدخول ثانيا في القلعة وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند ساري عسكر شفقة قلبية

الامين لما عزم على خلع المامون وزين له ذلك الفضل وابن ماهان دعا يحيى بن سليم وشاوره فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين كيف تفعل ذلك مع ما قد أكد الرشيد من بيعته واخذ الشرائط والايمان فى الكتاب الذى كتبه فقال الامين ان رأى الرشيد كان فلتة شبهها عليه جعفر بن يحيى فلا ينفعنا ما نحن فيه الا بخلعه وقلعه واحتشاشه فقال يحيى اذا كان رأى امير المؤمنين خلعه فلا تجاهره فيستنكر الناس ذلك ولكن تستدعى الجند بعد الجند والقائد بعد القائد وتؤنسهم بالالطاف والهدايا وتفرق ثقاته ومن معه وترغبهم بالاموال فاذا وهنت قوته واستفرغت رجاله أمرته بالقدوم عليك فان قدم صار الى الذى تريد منه وان أبى كنت قد تناولته وقد كل حده وانقطع عزه فقال الامين انت مهذار خطيب ولست بذى رأى مصيب قم فالحق بمدادك واقلامك وكان ذو الرياستين الفضل بن سهل قد اتخذ قوما يثق بهم ببغداد يكاتبونه بالاخبار وكان الفضل بن الربيع قد حفظ الطرق وكان احد أولئك النفر اذا كاتب ذا الرياستين بما تجدد ببغداد سير الكتاب مع امرأة وجعله فى عود اكفاف وتسير كالمجتازة من قرية الى قرية فلما الح الفضل بن الربيع فى خلع المامون أجابه الامين الى ذلك وبايع لولده موسى فى صفر وقيل فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين ومائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسماه الناطق بالحق ونهى عن ذكر المامون والمؤتمن على المنابر وارسل الى الكعبة بعض الحجبة فاتاه بالكتابين اللذين وضعهما الرشيد فى الكعبة ببيعة الامين والمامون فاحضرهما عنده فمزقهما الفضل فلما أتت الاخبار الى المامون بذلك قال لذى الرياستين هذه أمور أخبر الرأى عنها وكفانا ان نكون مع الحق فكان اول ما دبره ذو الرياستين حين بلغه ترك الدعاء للمامون وصح عنده ان جمع الاجناد الذين كان اتخذهم بجنبات الرى مع الاجناد الذين كانوا بها وامدهم بالاقوات وغيرها وكانت البلاد عندهم قد اجدبت فاكثر عندهم ما يريدونه حتى صاروا فى ارغد عيش واقاموا بالحد لا يتجاوزونه ثم ارسل اليهم طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن اسعد ابا العباس الخزاعى اميرا فيمن ضم اليه من قواده واجناده فسار مجدا حتى ورد الرى فنزلها فوضع المسالح والمواصل فقال بعض شعراء خراسان

رمى أهل العراق ومن عليها * امام العدل والملك الرشيد
باحزم من نشا رأيا وحزما * وكيدا نافذا مما يكيد
بداهية تؤد خنفقيق * يشيب لهول صولتها الوليد

فاما الامين فانه وجه عصمة بن حماد بن سالم الى همذان فى الف رجل وامره ان يوجه مقدمته الى ساوة ويقيم بهمذان وجعل الفضل بن الربيع وعلى بن عيسى يحثان الامين ويغريانه بحرب المامون ولما بايع الامين لولده موسى جعله فى حجر على بن عيسى وجعل على شرطه محمد بن عيسى بن نهيك وعلى حرسه عثمان بن عيسى بن نهيك وعلى رسائله على بن صالح صاحب المصلى

(ذكر خلاف اهل تونس على ابن الاغلب)

فى

ان الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة لد مقدارا كبيرا من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها الفا وخمسمائة قربة مجهزة جهزها الجزار يسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ومراده ان يتوجه اليها باشرار العربان من سطح الجبل ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل قاصدا اسفك دماء الناس مثل عوائده الشامية وتجبره وظلمه مشهور لانه تربية المماليك الظلمة المصرية ولم يعلم من خساسة عقله وسوء تدبيره ان الامر لله كل شئ بقضائه وتدبيره وفى سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الاراضى الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وأرسلوا الى حاكمها وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل ان يحل به وبعسكره الدمار فمن خساسة رأيه وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب وفى أواخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين وانقسموا على ثلاثة طوابير الطابور الاول توجه على طريق عكا بعيدا

انما طاهر شوكة من اغصاني وما مثل طاهر يتولى الجيوش ثم قال لاصحابه ما بينكم و بين ان يتقصف انقصاف الشجر من الريح العاصف الا ان يبلغه عبورنا عقبة همذان فان السخال لا تقوى على النطاح والبغال لا صبر لها على لقاء الاسد وان اقام تعرض لحد السيف واسنة الرماح واذا قاربنا الري ودنونا منهم فت ذلك في اعضادهم ثم انفذ الكتب الى ملوك الديلم وطبرستان وما والاها من الملوك يعدهم الصلات واهدى لهم التيجان والاسورة وغيرها وأمرهم ان يقطعوا طريق خراسان فاجابوه الى ذلك وسار حتى اتى اول اعمال الري وهو قليل الاحتيال فقال له جماعة من أصحابه لو أذكيت العيون وعملت خندقا لاصحابك و بعثت الطلائع لامنت البيات وفعلت الرأى فقال مثل طاهر لا يستعد له وان حاله يؤل الى امرين اما ان يتحصن بالري فيبيته اهلها فيكفونا امره واما ان يرجع و يتركها اذا قربت خيلنا منه فقالوا والله لو كان عزمه تركها والرجوع لفعل فاننا قد قربنا منه فلم يفعل ولما صار بينه و بين الري عشرة فراسخ استشار طاهر اصحابه فاشاروا عليه ان يقيم بالري و يدافع القتال الى ان يأتيه من خراسان المدد وقائد يتولى الامور دونه وقالوا والله ان مقامك ارفق باصحابك واقدر لهم على الميرة وأكن من البرد فتعتصم بالبيوت وتقدر على المماطلة فقال طاهر ان الرأى ليس ما رأيتم ان أهل الري لعلى هائبون ومن سطوته مشفقون ومعه من اعراب البوادي وصعاليك الجبال والقرى كثير ولست آمن ان اقمت بالري أن يثب أهلها بنا خوفا من على وما الرأى الا ان نسير اليه فان ظفرنا والا عولنا عليها فقاتلناه فيها الى ان يأتينا مدد فنادى طاهر في أصحابه فخرج من الري في اقل من أربعة آلاف فارس وعسكر على خمسة فراسخ فاتاه أحمد بن هشام وكان على شرطة طاهر فقال له ان اتانا على بن عيسى فقال أنا عامل أمير المؤمنين وأقررنا له بذلك فليس لنا ان نحاربه فقال طاهر لم يأتني في ذلك شئ فقال دعني وما أريد فقال افعل فصعد المنبر فخلع محمدا ودعا للمامون بالخلافة وساروا عنها وقال له بعض اصحابه ان جندك قد هابوا هذا الجيش فلو اخرت القتال الى ان يشامهم اصحابك و يأنسوا بهم و يعرفوا وجه الماخذ في قتالهم فقال انى لا أوتى من قلة تجربة وحزم ان أصحابي قليل والقوم عظيم سوادهم كثير عددهم فان أخرت القتال اطلعوا على قلتنا واستمالوا من معي برغبة وترهيبة فيخذلني أهل الصبر والحفاظ ولكن الف الرجال بالرجال واقحم الخيل على الخيل واعتمد على الطاعة والوفاء واصبر صبر محتسب للخير حريص على الفوز بالشهادة فان نصرنا الله فذلك الذي نريده ونرجوه وان تكن الاخرى فلست باول من قاتل وقتل وما عند الله أجزل وافضل وقال على لاصحابه بادروهم فانهم قليلون ولو وجدوا حرارة السيوف وطعن الرماح لم يصبروا عليها وعبا جنده ميمنة وميسرة وقلبا وعبا عشر رايات مع كل راية مائة رجل وقدمها راية راية وجعل بين كل رايتين غلوة سهم وأمر أمراءها اذا قاتلت الراية الاولى وطال قتالهم ان تتقدم التي تليها وتتأخر هي حتى تستريح وجعل اصحاب الجواشن امام الرايات ووقف في شجعان أصحابه وعبا طاهر أصحابه كراديس وسار

منكم ساعة فلكية واحدة وانى لكم لمن الناصحين وهذا آخر جواب الكتاب فعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشريعة المطهرة المحمدية وحالا فى الوقت والساعة هيج سارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس وفى وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتج له القوم ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع وفى الحال أمر حضرة سارى عسكر بالهجوم عليهم وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والابراج ودار السيف فى المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة وفى يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة سارى عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الامان وأمرهم برجوعهم الى بلدهم مكرمين وكذلك امر أهل دمشق وحلب برجوعهم الى أوطانهم سالمين لاجل أن يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة مع تمكينه ومزيد اتقانه

وثلاثين سنة وفيها توفي يحيى بن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاص وعمره اربع وسبعون سنة

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة)

(ذكر قطع خطبة المامون)

في هذه السنة أمر الامين باسقاط ما كان ضرب لاخيه المامون من الدراهم والدنانير بخراسان في سنة أربع وتسعين ومائة لانه لم يكن عليها اسم الامين وامر فدعي لموسى ابن الامين على المنابر ولقبه الناطق بالحق وقطع ذكر المامون لقول بعضهم وكان موسى طفلا صغيرا ولابنه الآخر عبد الله ولقبه القائم بالحق

*(ذكر محاربة علي بن عيسى وطاهر)

ثم ان الامين أمر علي بن عيسى بن ماهان بالمسير لحرب المامون وكان سبب مسيره دون غيره ان ذا الرياستين كان له عين عند الفضل بن الربيع يرجع الى قوله ورايه فكتب ذو الرياستين الى ذلك الرجل يامره أن يشير بانفاذ ابن ماهان لحربهم وكان مقصوده ان ابن ماهان لما ولي خراسان ايام الرشيد أساء السيرة في اهلها فظلمهم فعزله الرشيد لذلك ونفر أهل خراسان عنه وابغضوه فاراد ذو الرياستين ان يزداد اهل خراسان جدا في محاربة الامين وأصحابه ففعل ذلك الرجل ما أمر ذو الرياستين فامر الامين ابن ماهان بالمسير وقيل كان سببه ان عليا قال للامين ان أهل خراسان كتبوا اليه يذكرون انه ان قصدهم هو أطاعوه وانقادوا له وان كان غيره فلا فامره بالمسير واقطعه كور الجبل كلها نهاوند وهمذان وقم واصبهان وغير ذلك وولاه حربها وخراجها وأعطاه الاموال وحكمه في الخزائن وجهز معه خمسين ألف فارس وكتب الى ابي دلف القاسم بن ادريس بن عيسى العجلي وهلال بن عبد الله الحضرمي بالانضمام اليه وأمده بالاموال والرجال شيا بعد شئ فلما عزم على المسير من بغداد ركب الى باب زبيدة أم الامين ليودعها فقالت له يا علي ان أمير المؤمنين ان كان ولدي واليه انتهت شفقتي فاني على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى وانما ابني ملك نافس أخاه في سلطانه الكريم يا كل لحمه ويحقيه غيره فاعرف لعبد الله حق ولادته واخوته ولا تجبهه بالكلام فانك لست بنظيره ولا تقتسره اقتسار العبيد ولا توهنه بقيد ولا غل ولا تمنع عنه جارية ولا خادما ولا تعنف عليه في السير ولا تساوه في المسير ولا تركب قبله وخذ بركابه وان شتمك فاحتمل منه ثم دفعت اليه قيدا من فضة وقالت ان صار اليك فقيده بهذا القيد فقال لها سافعل مثل ما أمرت ثم خرج علي بن عيسى في شعبان وركب الامين يشيعه ومعه القواد والجنود وذكر مشايخ بغداد انهم لم يروا عسكرا أكثر رجالا وافره كراعا واتم عدة وسلاحا من عسكره ووصاه الامين وامره ان قاتله المامون ان يحرض على اسره ثم سار فلقيه القوافل عند جلولا فسألهم فقالوا له ان طاهرا مقيم بالري يعرض اصحابه ويرم آلته والامداد تاتيه من خراسان وهو يستعد للقتال فقال

وخاف على اهل يافا من عسكره فارسل اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه لا اله الا الله وحده لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة سارى عسكر اسكندر برتيه كتخدا العسكر الفرنساوي الى حضرة حاكم يافا نخبركم ان حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته امرنا ان نعرفك في هذا الكتاب أن سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة لانه تعدى بارسال عسكره الى العريش ومرابطته فيها والحال انها من أقليم مصر التي أنعم الله بها علينا فلا يناسبه الاقامة بالعريش لانها ليست من أرضه فقد تعدى على ملك غيره ونعرفكم يا أهل يافا ان بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته وربطناه بانواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر وفي مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ونخبركم ان حضرة سارى عسكر المشار اليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصا بالضعفاء من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين اذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين فلزمنا أننا نوسل لكم هذا الخطاب أمانا كافيا لاهل البلد والاغراب ولاجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة

اضاع الخلافة غش الوزير * وفسق الامير وجهل المشير
ففضل وزير وبكر مشير * يريدان ما فيه حتف الامير
وماذاك الا طريق غرور * وشر المسالك طرق الغرور

في عدة أبيات تركتها لما فيها من القذف الفاحش ولقد عجبت لابي جعفر حيث ذكرها مع ورعه وندم الامين على نكثه وغدره ومشى القواد بعضهم الى بعض في النصف من شوال فاتفقوا على طلب الارزاق والشغب ففعلوا ذلك ففرق فيهم مالا كثيرا بعد أن قاتلهم عبد الله بن حازم فمنعه الامين

(ذكر توجيه عبد الرحمن بن جبلة)

لما اتصل بالامين قتل علي بن عيسى وهزيمة عسكره وجه عبد الرحمن بن جبلة الانباري في عشرين ألف رجل نحو همذان واستعمله عليها وعلى كل ما يفتحه من ارض خراسان وأمره بالجد وامده بالاموال فسار حتى نزل همذان وحصنها ورم سورها واتاه طاهر الى همذان فخرج اليه عبد الرحمن على تعبية فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان وكثر القتل والجرح فيهم ثم انهزم عبد الرحمن ودخل همذان فاقام بها أياما حتى قوى أصحابه واندملت جراحهم ثم خرج الى طاهر فلما رآهم قال لاصحابه ان عبد الرحمن يريد ان يتراءى لكم فاذا قربتم منه قاتلكم فان هزمتموه ودخل المدينة قاتلكم على خندقها وان هزمكم اتسع له المجال ولكن قفوا قريبا من عسكرنا وخندقنا فان قرب منا قاتلناه فوقفوا فظن عبد الرحمن ان الهيبة منعتهم فتقدم اليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان وكثر القتل في أصحاب عبد الرحمن وجعل يطوف عليهم ويحرضهم ويأمرهم بالصبر ثم ان رجلا من أصحاب طاهر حمل على صاحب علم عبد الرحمن فقتله وزحمهم أصحاب طاهر فانهزموا ووضع فيهم أصحاب طاهر السيوف يقتلونهم حتى انتهوا الى المدينة وأقام طاهر على بابها محاصرا لها فاشتد بهم الحصار وضجر أهل المدينة فخاف عبد الرحمن ان يثب به أهل المدينة مع ما في أصحابه من الجهد فارسل الى طاهر يطلب الامان لنفسه ولمن معه فامنه فخرج عن همذان

(ذكر استيلاء طاهر على أعمال الجبل)

لما نزل طاهر بباب همذان وحصر عبد الرحمن بها تخوف ان يأتيه كثير بن قادرة من ورائه وكان بقزوين فامر أصحابه بالقيام وسار في ألف فارس نحو قزوين فلما سمع به كثير ابن قادرة وكان في جيش كثيف هرب من بين يديه واجلى قزوين وجعل طاهر فيها جندا واستعمل عليها رجلا من أصحابه وأمره ان يمنع من أراد دخولها واستولى على سائر اعمال الجبل معها*

(ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة)

في هذه السنة قتل عبد الرحمن بن جبلة الانباري وكان سبب قتله انه لما خرج في امان طاهر اقام يري طاهرا واصحابه انه مسالم لهم راض بامانهم ثم اغترهم وهم آمنون

وعاقبوه بالضرب والتغريم (وفي ذلك اليوم) كان التحويل الربيعي وانتقال الشمس لبرج الحمل وهو أول شهر من شهورهم فعملوا ليلة السبت شنكا وحراقة وسواريخ وتجمعوا ارباب الخلاعة نساء ورجالا وتراقصوا وتسابقوا وأوقدوا اسراجا وشموعا وغير ذلك وأظهر الاقباط والشوام مزيد الفرح والسرور (وفي يوم السبت المذكور) ارسلوا الاعلام والبيارق التي أحضروها من قلعة يافا وعدتها ثلاثة عشر وفيها من له طلائع فضة كبار الى الجامع الازهر وكانوا انزلوا اعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات وأرسلوا بدلها اعلام يافا وعملوا لها موكبا بطائفة من العسكر يقدمهم طبلهم وخلفهم الاغا بجماعته وطائفته والمحتسب ومدبروا الديوان وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بازعاج شديد وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على اكتافهم كالطائفة الاولى وبعدهم عدة من العسكر على رؤسهم عمائم بيض يحملون تلك الاعلام الكبار والبيارق المذكورة وخلفهم جماعة خيالة من كبار العسكر وآخرون راكبون على حمير المكارية فلما وصلوا الى باب الجامع الازهر ركبوا تلك الاعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق

بهم يحرضهم ويوصيهم ويرجيهم وهرب من اصحاب طاهر نفر الى على فجلد بعضهم واهان الباقين فكان ذلك مما الب الباقين على قتاله وزحف الناس بعضهم الى بعض فقال أحمد بن هشام لطاهر ألا تذكر على بن عيسى البيعة التى اخذها هو علينا للمامون خاصة معاشر أهل خراسان قال افعل فاخذ البيعة فعلقها على رمح وقام بين الصفين وطلب الامان فامنه على بن عيسى فقال له ألا تتقى الله عز وجل أليس هذه نسخة البيعة التى أخذتها انت خاصة اتق الله فقد بلغت باب قبرك فقال على من اتانى به فله الف درهم فشتمه اصحاب أحمد وخرج من اصحاب على رجل يقال له حاتم الطائى فحمل عليه طاهر وأخذ السيف بيديه وضربه فصرعه فلذلك سمى طاهر ذا اليمينين ووثب اهل الرى فاغلقوا باب المدينة فقال طاهر لاصحابه اشتغلوا بمن امامكم عمن خلفكم فانه لا ينجيكم الا الجد والصدق ثم اقتتلوا قتالا شديدا وحملت ميمنة على على ميسرة طاهر فانهزمت هزيمة منكرة وميسرته على ميمنة طاهر فازالتها ايضا عن موضعها فقال طاهر اجعلوا جدكم وباسكم على القلب واحملوا حملة خارجية فانكم متى فضضتم منها راية واحدة رجعت أوائلها على اواخرها فصبر اصحابه صبرا صادقا وحملوا على اول رايات القلب فهزموهم واكثروا فيهم القتل ورجعت الرايات بعضها على بعض فانتقضت ميمنة على ورأى ميمنة طاهر وميسرته مافعل اصحابهم فرجعوا على من بازائهم فهزموهم وانتهت الهزيمة الى على فجعل ينادى اصحابه اين اصحاب الخواص والجوائز والاسورة والاكاليل الى الكرة بعد الفرة فرماه رجل من اصحاب طاهر بسهم فقتله وقيل داود سياه هو الذى حمل رأسه الى طاهر وشدت يداه الى رجليه وحمل على خشبة الى طاهر فامر به فالقى فى بئر فاعتق طاهر من كان عنده من غلمانه شكر الله تعالى وتمت الهزيمة ووضع اصحاب طاهر فيهم السيوف وتبعوهم فرسخين واوقعوهم فيهما اثنتى عشرة مرة فى كل ذلك ينهزم عسكر الامين واصحاب طاهر يقتلون ويأسرون حتى حال الليل بينهم وغنموا غنيمة عظيمة ونادى طاهر من القى سلاحه فهو آمن فطرحوا أسلحتهم ونزلوا عن دوابهم ورجع طاهر الى الرى وكتب الى المامون وذى الرياستين بسم الله الرحمن الرحيم كتابى الى أمير المؤمنين ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى وجنده مصرفون تحت أمرى والسلام فورد الكتاب مع البريد فى ثلاثة أيام وبينهما نحو من خمسين ومائتى فرسخ فدخل ذو الرياستين على المامون فهناه بالفتح وأمر الناس فدخلوا عليه فسلموا عليه بالخلافة ثم وصل رأس على بعد الكتاب بيومين فطيف به فى خراسان ولما وصل الكتاب بالفتح كان المامون قد جهز هرثمة فى جيش كثير ليسيره نجدة لطاهر فاتاه الخبر بالفتح وأما الامين فانه اتاه نعى على بن عيسى وهو يصطاد السمك فقال للذى اخبره ويلك دعنى فان كوثرا قد اصطاد سمكتين وانا ماصدت شيأ بعد ثم بعث الفضل الى نوفل الخادم وهو وكيل المامون على ملكه بالسواد والناظر فى امر اولاده ببغداد وكان للمامون معه الف الف درهم كان قد وصله بها الرشيد فاخذ جميع ما عنده وقبض ضياعه وغلاته فقال بعض شعراء بغداد فى ذلك

وتحصينه وفى هذه الواقعة قتل عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من الانحراف وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم الا القليل والمجروحون منهم ليسوا بكثير وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون وأخذوا ذخائر كثيرة وأموالا غزيرة وأخذوا المراكب التى فى المينة واكتسبوا امتعة غالية ثمينة ووجدوا فى القلعة اكثر من ثمانين مدفع ولم يعلموا مع مقادير الله ان آلات الحرب لا تنفع فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا ان الملك لله يؤتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله فلما تحقق الناس هذا الخبر تعجبوا وكانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصا فى المدة القليلة ولكن المقضى كائن (وفى يوم الجمعة خامس عشره) شق جماعة من أتباع الشرطة فى الاسواق والحمامات والقهاوى ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام واللغط فى حق الفرنسيس ويقولون لهم من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فليلتزم بترك الكلام فى ذلك فان ذلك مما يهيج العداوة وعرفوهم انه ان بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك عوقب أو قتل فلم ينتهوا

بيهس عاد الى دمشق فحصرها فسلمها اليه القيسية وهرب مسامة والسفياني في ثياب النساء الى المزة وكان ذلك في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ودخل ابن بيهس دمشق وغلب عليها وبقي بها الى ان قدم عبد الله بن طاهر دمشق ودخل الى مصر وعاد الى دمشق فاخذ ابن بيهس معه الى العراق فمات بها ❊

❊(ذكر عدة حوادث)❊

وكان العامل على مكة والمدينة محمد الامين داود بن عيسى بن موسى وهو الذي حج بالناس سنة ثلاث وتسعين ايضا وكان على الكوفة العباس بن الهادي للامين وعلى البصرة له أيضا منصور بن المهدي ❊ وفيها مات محمد بن خازم ابو معاوية الضرير وكان يتشيع وهو ثقة في الحديث وفيها توفي ابو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المشهور وكان عمره تسعا وخمسين سنة ودفن بالشونيزي ببغداد ومحمد بن فضل بن غزوان بن جرير الضبي مولاهم ويوسف بن اسباط ابو يعقوب ❊

❊(ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة)❊

❊(ذكر توجيه الامين الجيوش الى طاهر وعودهم من غير قتال)

في هذه السنة سير الامين اسد بن يزيد بن مزيد وسير عمه احمد بن مزيد وعبد الله بن حميد ابن قحطبة الى حلوان لحرب طاهر وكان سبب ذلك ما ذكره اسد قال انه لما قتل عبد الرحمن ارسل الى الفضل بن الربيع يستدعيني فجئته ودخلت عليه وهو قاعد بيده رقعة قد قرأها وقد احمرت عيناه فاشتد غضبه وهو يقول ينام نوم الطائر وينتبه انتباه الذئب الذئب همه بطنه يقاتل الرعاء والكلاب ترصده لا يفكر في زوال نعمة ولا يروي في امضاء رأي قد الهاه كاسه وشغله قدحه فهو يجري في لهوه والايام توضع في هلاكه قد شمر له عبد الله عن ساق وفوق له اصوب اسهمه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت القاصد وقد عبي له المنايا على ظهور الخيل وناط له البلاء في اسنة الرماح وشفار السيوف ثم استرجع وتمثل بشعر البعيث

ومجدولة جدل العنان خريدة ❊ لها شعر جعد ووجه مقسم
وثغر نقي اللون عذب مذاقه ❊ يضيء له الظلماء ساعة تبسم
وثديان كالحقين والبطن ضامر ❊ خميص وجهناره تتضرم
لهوت بها ليل التمام بن خالد ❊ وانت بمرو الروز غيظا تجرم
اظل اناغيها وتحت ابن خالد ❊ امية نهد المركلين عثمثم
طواه طراد الخيل في كل غارة ❊ لها عارض فيه الاسنة ترزم
يقارع اتراك ابن خاقان ليلة ❊ الى ان يرى الاصباح ما يتلعثم
فيصبح من طول الطراد وجسمه ❊ نحيل واضحى في النعيم اصمم
اباكرها صهباء كالمسك ريحها ❊ لها ارج في دنها حين ترسم
فشتان ما بيني وبين ابن خالد ❊ امية في الرزق الذي الله يقسم

الاخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض يعاقب بما يراه قائمقام و يجازى مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء للتقصير وملزوم أيضا من أصابه هذا التشويش او حصل في بيته لغيره من عائلته او عشيرته وانتقل من بيته الى آخر ان يكون قصاصه الموت وهو الجاني على نفسه بسبب انتقاله وكل رئيس ملة في خط اذا لم يخبر بالكبة الواقعة في خطه أو بمن مات بها أيضا حالا فورا كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت والمغسل ان كان رجلا او امرأة اذا رأى الميت انه مات بالكبة اوشك في موته ولم يخبر قبل مضي اربع وعشرين ساعة كان جزاؤه وقصاصه الموت وهذه الاوامر الضرورية بلزوم اغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والاسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فانها امور مخفية وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قائمقام وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لاجل الصيانة والحفظ لاهل البلد والحذر من المخالفة والسلام (ومضمون الثانية) الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسني قائمقام يلزم المدبرين بالديوان انهم يشهرون الاوامر وينبهوا لها وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام وهو انه

فركب في اصحابه وهجم على طاهر واصحابه ولم يشعروا فاثبت له رجالة طاهر وقاتلوه حتى أخذت الفرسان أهبتها واقتتلوا أشد قتال رآه الناس حتى تقطعت السيوف وتكسرت الرماح وانهزم عبد الرحمن وبقي في نفر من اصحابه فقاتل واصحابه يقولون له قد امكنك الهرب فاهرب فقال لا يرى اميرالمؤمنين وجهي منهزما ابدا ولم يزل يقاتل حتى قتل وانتهى من انهزم من اصحابه الى عبد الله واحمد ابني الحرشي وكانا في جيش عظيم بقصر اللصوص قد سيره الامين معونة لعبد الرحمن فلما بلغ المنهزمون اليهما انهزم ايضا في جندهما من غير قتال حتى دخلوا بغداد وخلت البلاد لطاهر فاقبل يحوزها بلدة بلدة وكورة كورة حتى انتهى الى شلاشان من قرى حلوان فخندق بها وحصن عسكره وجمع أصحابه

(ذكر خروج السفياني)

في هذه السنة خرج السفياني وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية وأمه نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب وكان يقول انا من شيخي صفين يعني عليا ومعاوية وكان يلقب بابي العميطر لانه قال يوما لجلسائه اي شئ كنية الحرذون قالوا لا ندري قال هو أبو العميطر فلقبوه به ولما خرج دعا لنفسه بالخلافة في ذي الحجة وقوي على سليمان بن المنصور عامل دمشق فاخرجه عنها واعانه الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية وكان قد تغلب على صيدا ولما خرج سير اليه الامين الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان فبلغ الرقة ولم يسر الى دمشق وكان عمر أبي العميطر حين خرج تسعين سنة وكان الناس قد أخذوا عنه علما كثيرا وكان حسن السيرة فلما خرج ظلم واساء السيرة فتركوا ما نقلوا عنه وكان اكثر اصحابه من كلب وكتب الى محمد بن صالح بن بيهس الكلابي يدعوه الى طاعته ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه الى ذلك فاقبل السفياني على قصد القيسية فكتبوا الى محمد بن صالح فاقبل اليهم في ثلثمائة فارس من الضباب ومواليه واتصل الخبر بالسفياني فوجه اليه يزيد بن هشام في اثني عشر ألفا فالتقوا فانهزم يزيد ومن معه وقتل منهم الى ان دخلوا ابواب دمشق زيادة على الفي رجل وأسر ثلاثة آلاف فاطلقهم ابن بيهس وحلق رؤسهم ولحاهم وضعف السفياني وحصر بدمشق ثم جمع جمعا وجعل عليهم ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بيهس فالتقوا فقتل القاسم وانهزم أصحاب السفياني وبعث رأسه الى الامين ثم جمع جمعا آخر وسيرهم مع مولاه المعتمر فلقيهم ابن بيهس فقتل المعتمر وانهزم اصحابه فوهن امر ابي العميطر وطمع فيه قيس ثم مرض ابن بيهس فجمع رؤساء بني نمير فقال لهم ترون ما اصابني من علتي هذه فارفقوا ابني مروان وعليكم بمسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة ابن عبد الملك فانه ركيك وهو ابن اختكم واعلموه انكم لا تتبعون بني ابي سفيان وبايعوه بالخلافة وكيدوا به السفياني وعاد ابن بيهس الى حوران واجتمعت نمير على مسلمة وبذلوا له البيعة فقبل منهم وجمع مواليه ودخل على السفياني فقبض عليه وقيده وقبض على رؤساء بني أمية فبايعوه وادنى قيسا وجعلهم خاصته فلما عوفي ابن

بيهس

المكاتيب منشورة وبعضها على الباب الآخر من الجهة الاخرى عند حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية ولم يصعدوا بها على المنارات كما صنعوا في اعلام العريش (وفي يوم الاحد سابع عشره) رتبوا أوامر وكتبوها في أوراق مبصومة والصقوها بالاسواق احداها بسبب مرض الطاعون وأخرى بسبب الضيوف الاغراب ومضمون الاولى بتقاسيمه ومقالاته خطابا لاهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها انكم تمتثلون هذه الاوامر وتحافظون عليها ولا تخالفوها وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الاليم والقصاص العظيم وهي المحافظة من تشويش الكبة وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك في محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو ربع يلزمكم ويتحتم عليكم ان تعملوا كرنتيله ويجب قفل ذلك المكان ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذي فيه ذلك ان يخبر حالا الاقاق الفرنساوية حاكم ذلك الخط والقاق يخبر شيخ البلد قائممقام مصر واقاليمها ويكون ذلك فورا وكذلك كل ملة من سكان مصر واقاليمها وجوانبها والاطباء اذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض يتوجه كل طبيب الى قائممقام ويخبره ليامره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش وكل

الى حرب طاهر فقلت سابذل فى طاعة أمير المؤمنين مهجتى وأبلغ فى جهاد عدوه أفضل ما أمله عندى ورجاه من غنائى وكفايتى ان شاء الله تعالى فامر الفضل بان يمكنه من العساكر يأخذ منهم من أراد وامره بالجد فى المسير والتجهز فاخذ من العسكر عشرين ألف فارس وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة فى عشرين ألفا وسار بهم الى حلوان وشفع فى أسد ابن اخيه فاطلقه وأقام احمد وعبد الله بخانقين وأقام طاهر بموضعه ودس الجواسيس والعيون وكانوا يرجعون فى عسكر احمد وعبد الله ان الامين قد وضع العطاء لاصحابه وامرلهم بالارزاق الوافرة ولم يزل يحتال فى وقوع الاختلاف بينهم حتى اختلفوا وانتقض امرهم وقاتل بعضهم بعضا ورجعوا عن خانقين من غيران يلقوا طاهرا وتقدم طاهر فنزل حلوان فلما نزلها لم يلبث الا يسيرا حتى أتاه هرثمة فى جيش من عند المامون ومعه كتاب الى طاهر يامره بتسليم ما حوى من المدن والكور الى هرثمة و يتوجه هو الى الاهواز ففعل ذلك وأقام هرثمة بحلوان وحصنها وسار طاهر الى الاهواز

(ذكر الفضل بن سهل)

فى هذه السنة خطب للمامون بامراة المؤمنين ورفع منزلة الفضل بن سهل وسبب ذلك انه لما أتاه خبر قتل ابن ماهان وعبد الرحمن بن جبلة وصح عنده الخبر بذلك أمران يخطب له و يخاطب بامير المؤمنين ودعا الفضل بن سهل وعقد له على المشرق من جبل همذان الى التبت طولا ومن بحر فارس الى بحر الديلم وجرجان عرضا وجعل له عماله ثلاثة آلاف ألف درهم وعقد له لواء على سنان ذى شعبتين ولقبه ذا الرياستين رياسة الحرب والقلم وحمل اللواء على بن هشام وحمل القلم نعيم بن حازم وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج

(ذكر عبد الملك بن صالح بن على وموته)

قد ذكرنا قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه اياه فلم يزل محبوسا حتى مات الرشيد فاخرجه الامين من الحبس فى ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين واحسن اليه فشكر عبد الملك ذلك له فلما كان من طاهر ما كان دخل عبد الملك على الامين فقال له يا أمير المؤمنين أرى الناس قد طمعوا فيك وجندك قد أعيتهم الهوام وأضعفتهم الحروب وامتلأت قلوبهم هيبة لعدوهم فان سيرتهم الى طاهر غلب بقليل من معه كثيرهم وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم وأهل الشام قوم قد ضرستهم الحرب وأدبتهم الشدائد وكلهم منقاد الى متنازع الى طاعتى وان وجهنى أمير المؤمنين اتخذت له منهم جندا يعظم نكايتهم فى عدوه فولاه الامين الشام والجزيرة وقواه بمال ورجال وسيره سيرا حثيثا فسار حتى نزل الرقة وكاتب رؤساء أهل الشام وأهل القوة والجلد والباس فاتوه رئيسا بعد رئيس وجماعة بعد جماعة فاكرمهم ومناهم وخلع عليهم وكثر جمعه فمرض واشتد مرضه ثم ان بعض جنود خراسان المقيمين فى عسكر الشام رأى دابة

فضر جماعة من العساكر المسافرين فاحتاجوا الى الجمال فاخذوا جمالهم فلما وصل سارى عسكر الى وطنه أرسل يستدعيهم الى الحضور فلم يحضروا واما يحملون عليه متاعهم وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب فلم يمكنهم اللحاق به فاقاموا بالعرين بالعين المهملة عدة أيام وأهمل أمرهم سارى عسكر ثم ان الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى وآخرين خافوا عاقبة الامر ففارقوهم وذهبوا الى القرين بالقاف وحصل للدواخلى توعك وتشويش فحضر الى مصر كما تقدم ذكر ذلك وانتقل مصطفى بك المذكور والقاضى وصحبتهم الشيخ الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية الى كفور نجم وأقاموا هناك أياما واتفق ان الصاوى أرسل الى داره مكتوبا وذكر فى ضمنه ان سبب افتراقهم من الجماعة انهم رأوا من كتخدا الباشا امورا غير لائقة فلما حضر ذلك المكتوب طلبه الفرنساوية المقيمون بمصر وقرؤه وبحثوا عن الامور الغير اللائقة فاولها بعض المشايخ انه قصر فى حقهم والاعتناء بشانهم فسكتوا وأخذوا فى التفحص فظهر لهم خيانته ومخامرته عليهم واجتمع عليه الجمالى وبعض العرب العصاة واكرمهم وخلع عليهم وانتقل

ثم التفت الى فقال ابا الحرث انا واياك نجرى الى غاية ان قصرنا عنها ذممنا وان اجتهدنا في بلوغها انقطعنا وانما نحن شعب من اصل ان قوى قوينا وان ضعف ضعفنا ان هذا الرجل قد القى بيده القاء الامة الوكعاء يشاور النساء ويعتزم على الرؤيا وقد امكن ما معه من اهل اللهو والجسارة فهم يعدونه الظفر ويمنونه عقب الايام والهلاك اسرع اليه من السيل الى قيعان الرمل وقد خشيت والله ان نهلك بهلاكه ونعطب بعطبه وأنت فارس العرب وابن فارسها وقد فزع اليك فى هذا الامر واتقاء هذا الرجل واطمعه فيما قبلك امران احدهما صدق الطاعة وفضل النصيحة والثانى يمن نقيبتك وشدة باسك وقد امرنى بازاحة ما عليك و بسط يدك فيما احببت غير ان الاقتصاد رأس النصيحة ومفتاح اليمن والبركة أنجز حوائجك وعجل المبادرة الى عدوك فانى ارجو ان يوليك الله هذا الفتح ويلم بك شعث هذه الخلافة والدولة فقلت انا لطاعة أمير المؤمنين وطاعتك مقدم ولكل ما دخل فيه الوهن على عدوه وعدوك حريص غير ان المحارب لا يعمل بالغدر ولا يفتتح امره بالتقصير والخلل وانما ملاك المحارب الجنود وملاك الجنود المال والذى اسال ان يومر لاصحابى برزق سنة وتحمل معهم ارزاق سنة وتخص أهل الغناء والبلاء وابدل من فيهم من الضعفى واحمل الف رجل ممن معى على الخيل ولا أسال عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور فقال قد أشططت ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب وركبت معه فدخل قبلى على الامين واذن لى فدخلت فما كان الا كلمتان حتى غضب وأمر بحبسى وقيل انه طلب ان يدفع ولد المامون فان أطاعه والا قتلهما فقال الامين أنت اعرابى مجنون ادعوك الى ولاية أعنة العرب والعجم واطعمك خراج كور الجبال الى خراسان وأرفع منزلتك على نظرائك من ابناء القواد والملوك وتدعونى الى قتل ولدى وسفك دماء أهل بيتى ان هذا للخرف والتخليط وكان ببغداد ابنان للمامون مع أمهما أم عيسى ابنة الهادى وقد طلبهما المامون من اخيه فى حال السلام فمنعهما من المال الذى كان له فلما حبس اسدا قال هل فى أهل بيته من يقوم مقامه فانى اكره ان افسدهم مع نباهتهم وما تقدم من طاعتهم ونصيحتهم قالوا نعم عمه أحمد بن مزيد وهو أحسنهم طريقة له باس ونجدة وبصر بسياسة الحرب فانفذ اليه احضره فاتى الفضل فدخل عليه وعنده عبد الله بن حميد بن قحطبة وهو يريده على المسير الى طاهر وعبد الله يشتط قال احمد فلما رآنى الفضل رحب بى ورفعنى الى صدر المجلس ثم أقبل على عبد الله يداعبه ثم قال

انا وجدنا لكم اذ رث حبلكم * من آل شيبان أما دونكم وابا
الاكثرون اذا عد الحصى عددا * والاقربون الينا منكم نسبا

فقال عبد الله أقسم لك ذلك وفيهم سد الخلل ونكاء العدو ودفع معرة اهل المعصية عن أهل الطاعة فقال له الفضل ان امير المؤمنين اجرى ذكرك فوصفتك له فاحب اصطناعك والتنويه باسمك وان يرفعك الى منزلة لم يبلغها احد من أهل بيتك ثم مضى ومضيت معه الى الامين فدخلنا عليه فقال لى فى حبس اسد واعتذر الى وامرنى بالمسير

أو وكالة او بيت الذى يدخل يقيم ويلزم صاحب كل خمارة فى محله ضيف او مسافر او قادم من بلدة او اقليم ان يعرف عنه حالا حاكم البلد ولا يتأخر عن الاخبار الا مدة اربعة وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن اى طائفة أو ضيفا أو تاجرا أو زائرا أو غريبا مخاصما لابد لصاحب المكان من ايضاح البيان والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شان القادم بعد الاربعة وعشرين ساعة باظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وخائنا وموالسامع المماليك * ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكائل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا افرانسة فى المرة الاولى وأما فى المرة الثانية فان الغرامة تضاعف ثلاث مرات ونخبركم أن الامر بهذه الاحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل والسلام (وفيه) اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا فى شان مصطفى بك كتخدا الباشا المولى أمير الحاج وهو انه لما ارتحل مع سارى عسكر وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار وافترق منهم عند بلبيس وتقدم هو الى الصالحية

وأخذ البيعة للمامون من الغد يوم الاثنين فلما كان يوم الثلاثاء وثب العباس بن موسى بن عيسى بالامين فاخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور وأخرج امه زبيدة أيضا فجعلها مع ابنها فلما كان يوم الاربعاء طالب الناس الحسين بالارزاق وماج بعضهم في بعض فقام محمد بن خالد بباب الشام فقال أيها الناس والله ما ادرى باى سبب تامر الحسين بن على علينا وتولى هذا الامر دوننا ما هو با كبرنا سنا وما هو با كبرنا حسبا ولا با عظمنا منزلة وغنى وانى أولكم أنقض عهده واظهر الانكار لفعله فمن كان على رأيى فليعتزل معى وقال اسد الحربى يا معشر الحربية هذا يوم له ما بعده انكم قد نمتم فطال نومكم وتاخرتم فتقدم عليكم غيركم وقد ذهب اقوام بخلع الامين فاذهبوا انتم بذكر فكه واطلاقه واقبل شيخ على فرس فقال أيها الناس هل تعتدون على محمد بقطع ارزاقكم قالوا لا قال فهل قصر باحد من رؤسائكم وعزل أحدا من قوادكم قالوا لا قال فما بالكم خذلتموه واعنتم عدوه على اسره وايم الله ما قتل قوم خليفتهم الا سلط الله عليهم السيف انهضوا الى خليفتكم فقاتلوا عنه من اراد خلعه فنهضوا وتبعهم أهل الارباض فقاتلوا الحسين قتالا شديدا فاسر الحسين بن على ودخل اسد الحربى على الامين فكسر قيوده واقعده فى مجلس الخلافة ورأى الامين أقواما ليس عليهم لباس الجند فامرهم باخذ السلاح فانتهبه الغوغاء ونهبوا غيره وحمل اليه الحسين اسيرا فلامه فاعتذر له الحسين فاطلقه وامره بجمع الجند ومحاربة أصحاب المامون وخلع عليه وولاه ما وراء بابه وأمره بالمسير الى حلوان فوقف الحسين بباب الجسر والناس يهنونه فلما خف عنه الناس قطع الجسر وهرب فنادى الامين فى الجند بطلبه فركبوا كلهم فادركوه بمسجد كوثر على فرسخ من بغداد فقاتلهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل وأخذوا رأسه وقيل ان الامين كان استوزره وسلم اليه خاتمه وجدد الجند البيعة للامين بعد قتل الحسين بيوم وكان قتله خامس عشر رجب فلما قتل الحسين بن على هرب الفضل بن الربيع واختفى

(ذكر ما فعله طاهر بالاهواز)

لما نزل طاهر بشلاشان وجه الحسين بن عمر الرستمى الى الاهواز وامره بالحذر فلما توجه اتت طاهرا عيونه فاخبروه ان محمد بن يزيد بن حاتم المهلبى وكان عاملا للامين على الاهواز قد توجه فى جمع عظيم يريد جنديسابور ليحمى الاهواز من اصحاب طاهر فدعا طاهر عدة من اصحابه منهم محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخارا خذاه وغيرهم وامرهم أن يجدوا السير حتى يتصل أولهم بآخر أصحاب الرستمى فان احتاج الى مدد امدوه فساروا حتى شارفوا الاهواز ولم يلقوا أحدا وبلغ خبرهم محمد بن يزيد فسار حتى نزل عسكر مكرم وصير العمران والماء وراء ظهره وتخوف طاهر أن يعجل الى أصحابه فامدهم بقريش بن شبل وتوجه هو بنفسه حتى كان قريبا منهم وسير الحسين ابن على المامونى الى قريش والرستمى فسارت تلك العساكر حتى أشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم فاستشار أصحابه فى المطاولة والمناجزة فاشاروا عليه بالرجوع الى

ارسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية والتجار بالحضور الى مصر مكرمين ولا باس عليهم (وفيه) ورد الخبر بان السيد عمر افندى نقيب الاشراف حضر الى دمياط وصحبته جماعة من افندية الروزنامة الفارين مثل عثمان افندى العباسى وحسن افندى كاتب الشهر ومحمد افندى ثانى قلفة وباش جاجرت والشيخ قاسم المصلى وغيرهم وذلك انهم كانوا بقلعة يافا فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد لم يتعرضوا للمصريين وطلبهم اليه وعاتبهم على تقلهم وخروجهم من مصر والبسهم ملابس وانزلهم فى مركب وأرسلهم الى دمياط من البحر (وفى يوم الاثنين) نادوا فى الاسواق على المماليك والغز والاجناد الاغراب بانهم يحضرون الى بيت الوكيل ويأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك يستاهل الذى يجرى عليه وسبب ذلك اشاعة دخول الكثير منهم الى مصر خفية بصفة الفلاحين (وفى يوم الثلاثاء) نادوا فى الاسواق والشوارع بان من اراد الحج فليحج فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة وذلك بعد ان عملوا مشورة فى ذلك (وفيه) حضر امام كتخدا الباشا ومعه مكتوب فيه الثناء على

الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم وانه مستمر على مودته

كانت أخذت منه فى وقعة سليمان بن ابى جعفر تحت بعض الزواقيل من اهل الشام أيضا فتعلق بها واجتمع جماعة من الزواقيل والجند فتضاربوا واجتمعت الابناء وتالبوا واتوا الزواقيل وهم غارون فوضعوا فيهم السيوف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتنادى الزواقيل فركبوا خيولهم ونشبت الحرب بينهم وبلغ ذلك عبد الملك فوجه اليهم يامرهم بالكف فلم يفعلوا واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديدا واكثرت الابناء القتل فى الزواقيل فاخبر عبد الملك بذلك وكان مريضا مدنفا فضرب بيده على يد وقال واذلاه تستقام العرب فى دورها وبلادها فغضب من كان أمسك عن الشر من الابناء وتفاقم الامر وقام بامر الابناء الحسن بن على بن عيسى بن ماهان واصبح الزواقيل فاجتمعوا بالرقة واجتمع الابناء واهل خراسان بالرافقة وقام رجل من أهل حمص فقال يا أهل حمص الهرب اهون من العطف والموت اهون من الذل انكم قد بعدتم عن بلادكم ترجون الكثرة بعد القلة والعزة بعد الذلة الا وفى الشر وقعتم وفى حومة الموت أنختم ان المنايا فى شوارب المسودة وقلانسهم النفير النفير قبل أن ينقطع السبيل وينزل الامر الجليل يفوت المطلب ويعسر المهرب وقام رجل من كلب فى غرز ناقته فقال نحوا من ذلك ثم قال الا وانى سائر فمن اراد الانصراف فلينصرف معى ثم سار فسار معه عامة أهل الشام وأحرقت الزواقيل ما كان التجار قد جمعوه من الاعلاق وأقبل نصر بن شبث العقيلى ثم جـل واصحابه فقاتل قتالا شديدا وصبر الجند لهم وكان أكثر القتل فى الزواقيل لكثير بن قادرة وأبى القيل وداود بن موسى بن عيسى الخراسانى وانهزمت الزواقيل وكان على حاميتهم يومئذ نصر بن شبث وعمرو بن عبد العزيز السلمى والعباس بن زفر الكلابى ثم توفى عبد الملك بن صالح بالرقة فى هذه السنة

(ذكر خلع الامين والمبايعة للمامون وعود الامين الى الخلافة)

فلما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن على بن عيسى بن ماهان فى الجند فحمل الرجالة فى السفن وسار الفرسان على الظهر فى رجب فلما قدم بغداد لقيه القواد وأهل بغداد وعملت له القباب ودخل منزله فلما كان جوف الليل بعث اليه الامين يامره بالركوب اليه فقال للرسول ما انا بمغن ولا مسامر ولا مضحك ولا وليت له عملا ولا مالا فلاى شئ يريدنى هذه الساعة انصرف فاذا اصبحت غدوت اليه ان شاء الله واصبح الحسين فوافى باب الجسر واجتمع اليه الناس فقال يا معشر الابناء ان خلافة الله لا تجاور بالبطر ونعمته لا تستصحب بالتجبر وان محمدا يريد ان يوقع اذلالكم وينقل عزكم الى غيركم وهو صاحب الزواقيل وبالله ان طالت به مدة ليرجعن وبال ذلك عليكم فاقطعوا اثره قبل ان يقطع آثاركم وضعوا عزه قبل ان يضع عزكم فوالله لا ينصره ناصر منكم الا خذل وما عند الله عز وجل لاحد هوادة ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنث بايمانه ثم امر الناس بعبور الجسر فعبروا وصاروا الى سكة باب خراسان وتسرعت خيول الامين الى الحسين فقاتلوه قتالا شديدا فانهزم اصحاب الامين وتفرقوا فخلع الحسين الامين يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب

بعضهم الى منية غمر ودقدوس وبلاد الوقف وجعل يقبض منهم الاموال وحين كانوا على البحر مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق الى الفرنسيس بدمياط فقاطعوا عليهم وأخذوا منهم مامعهم قهرا وأحضروا المراكبية بالديوان فشكوا على ماوقع لهم معه فاثبتوا خيانة مصطفى بك المذكور وعصيانه وأرسلوا هجانا باعلام سارى عسكرهم بذلك فرجع اليهم بالجواب يامرهم فيه بان يرسلوا اليه عسكرا او يرسلوا الى داره جماعة ويقبضون عليه ويختمون على داره ويحبسون جماعته (وفى يوم الاحد رابع عشر ينه) عينوا عليه عسكرا وأرسلوا الى داره جماعة ومعهم وكلاء فقبضوا على كتخدائه الذى كان ناظرا على الكسوة وعلى ابن اخيه ومن معهم وأودعوهم السجن بالجيزة وضبطوا موجوداته وماتركه مخدومه بكر باشا بقاعته وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة فوجدوا غالب أمتعة الباشا وبرقه وملابسه وفى الخيل والسروج وغيرها شيئا كثيرا ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضا فانقبض خواطر الناس لذلك فانهم كانوا مستانسين بوجوده ووجود القاضى ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس وكامتهم ماعندهم مقبولة واوامرهم مامسموعة ثم انهم

فعبرا في مخاضة في سورا اليهم فاوقعا بهم وقعة شديدة فاقتتلوا قتالا اشديدا وانهزم أهل بغداد وجه الامين أيضا الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمي عاملا على الكوفة في خيل فبلغ طاهرا الخبر فوجه محمد بن العلاء في جيش الى طريقه فلقي الفضل بقرية الاعراب فبعث اليه الفضل اني سامع مطيع وانما كان مخرجي كيدا مني لمحمد الامين فقال له ابن العلاء لست أعرف ما تقول فان أردت طاهرا فارجع وراءك فهو اسهل الطريق فرجع الفضل فقال محمد بن العلاء كونوا على حذر فلا آمن مكره ثم ان الفضل رجع الى ابن العلاء وهو يظن انه على غير اهبة فرآه متيقظا حذرا فاقتتلوا قتالا شديدا كاشد ما يكون من القتال فانهزم الفضل وأصحابه

(ذكر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر)

ثم ان طاهرا سار الى المدائن وبها جيش كثير للامين عليهم البرمكي قد تحصن بها والمدد يأتيه كل يوم والخلع والصلات فلما قرب طاهر منه وجه قريش بن شبل والحسين بن علي المأموني في مقدمته فلما سمع أصحاب البرمكي طبول طاهر أسرجوا وركبوا وأخذ البرمكي في التعبية فكان كلما سوى صفا انتقض واضطربوا وانضم أولهم الى آخرهم فقال اللهم انا نعوذ بك من الخذلان ثم قال لصاحب ساقته خل سبيل الناس فلا خير عندهم فركب بعضهم بعضا نحو بغداد فنزل طاهر المدائن واستولى على تلك النواحي ثم سار الى صرصر فعقد بها جسرا ونزلها

(ذكر البيعة للمأمون بمكة والمدينة)

وفي هذه السنة خلع داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الامين وهو عامله على مكة والمدينة وبايع للمأمون وكان سبب ذلك انه لما بلغه ما كان من الامين والمأمون وما فعل طاهر وكان الامين قد كتب الى داود بن عيسى يامره بخلع المأمون وبعث أخذ الكتابين من الكعبة كما تقدم فلما فعل ذلك جمع داود وجوه الناس ومن كان شهد في الكتابين وكان داود أحدهم فقال لهم قد علمتم ما أخذ الرشيد علينا وعليكم من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام لابنيه لنكونن مع المظلوم منهما على الظالم ومع المغدور به على الغادر وقد رأينا ورأيتم أن محمدا قد بدأ بالظلم والبغي والغدر والنكث على أخويه المأمون والمؤتمن وخلعهما عاصيا لله وبايع لابنه طفل صغير رضيع لم يفطم وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما ظالما فقد رأيت خلعه والبيعة للمأمون اذ كان مظلوما مبغيا عليه فأجابوه الى ذلك فنادى في شعاب مكة فاجتمع الناس فخطبهم بين الركن وخلع محمدا وبايع للمأمون وكتب الى ابنه سليمان وهو عامله على المدينة يامره أن يفعل مثل ما فعل فخلع سليمان الامين وبايع للمأمون فلما أتاه الخبر بذلك سار من مكة على طريق البصرة ثم الى فارس ثم الى كرمان حتى صار الى المأمون بمرو فأخبره بذلك فسر المأمون بذلك سرورا شديدا وتيمن ببركة مكة والمدينة وكانت البيعة بهما في رجب سنة ست وتسعين ومائة واستعمل داود على مكة والمدينة وأضاف اليه ولاية

والوجاقات والتجار ما خلا القاضي فانه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التي منها ان الفرنساوية عملوا جسرا من مراكب مصطفة وعليها الاخشاب مسمرة من بر مصر بالقرب من قصر العيني الى الروضة قريبا من موضع طاحون الهواء تسير عليه الناس بدوابهم وانفسهم الى البر الآخر وعملوا كذلك جسرا عظيما من الروضة الى الجيزة (ومنها) ان توت الفلكي رسم في فسحة دار هم العليا ببيت حسن كاشف جركس خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدائر لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة في اعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس ينزل الشعاع من تلك الثقب ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ويعرف منه الباقي للزوال ومدارات البروج شهرا شهرا وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس ورسم ايضا مزولة بالحائط الاعلى على حوش المكان الاسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاول ولكن الساعات قبل الزوال وبعده خلاف الطريق المعروفة عندنا وقسم العصر وفضل دائر الغروب

الاهواز والتحصن بها وان يستدعي الجند من البصرة وقومه الازد ففعل ذلك فسير طاهر وراءه قريش بن شبل وأمره بمبادرته قبل أن يتحصن بالاهواز فسبقه محمد بن يزيد ووصل بعده بيوم قريش فاقتتلوا قتالا شديدا فالتفت محمد الى من معه من مواليه وكان أصحابه قد رجعوا عنه فقال لمواليه ما رأيكم انى أرى من معي قد انهزم ولست آمن خذلانهم ولا أرجو رجعتهم وقد عزمت على النزول والقتال بنفسي حتى يقضي الله بما احب فمن أراد الانصراف فلينصرف فوالله لئن تبقوا أحب الى من أن تعطبوا فقالوا والله ما انصفناك اذا تكون قد اعتقتنا من الرق ورفعتنا من الضعة واغنيتنا بعد القلة ثم نخذلك على هذه الحال فلعن الله الدنيا والعيش بعدك ثم نزلوا فعرقبوا دوابهم وحملوا على أصحاب قريش حملة منكرة فاكثروا فيهم القتل وقتل محمد بن يزيد المهلبي واستولى طاهر على الاهواز وعمالها واستعمل العمال على اليمامة والبحرين وعمان وجرح في تلك الوقعة عدة جراحات وقطعت يده وقال بعض المهالبة

فمالت نفسي غير أني لم أطق * حراكا وأني كنت بالضرب مثخنا
ولو سلمت كفاي قاتلت دونه * وضاربت عنه الطاهري الملعنا
فتى لا يرى أن يخذل السيف في الوغى * اذا ادرع الهيجاء في النقع واكتنى

ولما دخل ابن أبي عيينة المهلبي على طاهر ومدحه فحين انتهى الى قوله

ماساء ظني الا بواحدة * في الصدر محصورة عن الكلم

تبسم طاهر ثم قال أما والله ساءني من ذلك ماساءك وآلمني ما آلمك ولقد كنت كارها لما كان غير ان الحتف واقع والمنايا نازلة ولا بد من قطع الاواصر والتنكر للاقارب في تأكيد الخلافة والقيام بحق الطاعة فظن من حضر انه أراد محمد بن يزيد بن حاتم

(ذكر استيلاء طاهر على واسط وغيرها)

ثم سار طاهر من الاهواز الى واسط وبها السندي بن يحيى الحرشي والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن خازم فجعل طاهر كلما تقدم نحوهم تقوضت المسالح والعمال بين يديه حتى أتى واسط فهرب السندي والهيثم بن شعبة عنها واستولى طاهر على واسط ووجه قائدا من قواده الى الكوفة وعليها العباس بن موسى الهادي فلما بلغه الخبر خلع الامين وبايع للمأمون وكتب بذلك الى طاهر ونزلت خيل طاهر فم النيل وغلب على ما بين واسط والكوفة وكتب المنصور بن المهدي وكان عاملا للامين على البصرة الى طاهر ببيعته وطاعته وأتته بيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون وخلع الامين وكان هذا جميعه في رجب من هذه السنة فاقرهم طاهر على أعمالهم وولى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي مكة والمدينة واستعمل يزيد ابن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري البجلي على اليمن ووجه الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابن هبيرة وأقام طاهر بجرجرايا فلما بلغ الامين خبر عامله بالكوفة وخلعه والبيعة للمأمون وجه محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربري وأمرهما ان يبيتا الحرث بن هشام وداود بالقصر فبلغ الحرث الخبر فركب هو وداود

وصحبته معهم ويطلب منهم الاجازة بالحضور الى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج فان الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج وفي آخر المكتوب وان بلغكم من المنافقين مناشي فهو كذب ونميمة فلا تصدقوه فقرئ كتابه بالديوان فلما فهمه الفرنسيس كذبوه ولم يصغوا اليه وقالوا ان خيانته ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا الاعتذار ثم كتبوا له جوابا وارسلوه صحبة امامه مضمونه ان كان صادقا في مقالته فليذهب الى جهة ساري عسكر بالشام وامهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب اليه وان تأخر زيادة عليها كان كاذبا في مقالته وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه (وفيه) كتبوا اوراقا ونادوا بها في الشوارع وهي يا أهل مصر نخبركم ان امير الحاج رفعوه عن سفره بالحجاج بسبب ما حصل منه وان اهل مصر علماء وتجارات ورعايا لم يخالطوه في هذا الامر ولم ينسب لهم شيء فالحمد لله الذي برأ اهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ماعليهم سوء ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة في البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من اهل مصر صحبة الحجاج حاضرون يكونون في علمكم ان يكونوا مطمئنين واتركوا كلام الحشاشين (وفي يوم

فعبرا

الفريقان وخربت الديار وحج بالناس هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى ودعا للمأمون بالخلافة وهو أول موسم دعي له فيه بالخلافة

(ذكر الفتنة بافريقية مع أهل طرابلس)

في هذه السنة ثار أبو عصام ومن وافقه على ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فحاربهم ابراهيم فظفر بهم وفيها استعمل ابن الاغلب ابنه عبد الله على طرابلس الغرب فلما قدم اليها ثار عليه الجند فحصروه في داره ثم اصطلحوا على أن يخرج عنهم فخرج عنهم فلم يبعد عن البلد حتى اجتمع اليه كثير من الناس ووضع العطاء فأتاه البربر من كل ناحية وكان يعطي الفارس كل يوم أربعة دراهم ويعطي الراجل في اليوم درهمين فاجتمع له عدد كثير فزحف بهم الى طرابلس فخرج اليه الجند فاقتتلوا فانهزم جند طرابلس ودخل عبد الله المدينة وأمن الناس وقام بها ثم عزله أبوه واستعمل بعده سفيان بن المضاء فثارت هوارة بطرابلس فخرج الجند اليهم والتقوا واقتتلوا فهزم الجند الى المدينة فتبعهم هوارة فخرج الجند هاربين الى الامير ابراهيم بن الاغلب ودخلوا المدينة فهدموا أسواره وبلغ ذلك ابراهيم بن الاغلب فسير اليه ابنه أبا العباس عبد الله في ثلاثة عشر ألف فارس فاقتتل هو والبربر فانهزم البربر وقتل كثير منهم ودخل طرابلس وبني سورها وبلغ خبر هزيمة البربر الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وجمع البربر وحرضهم وأقبل بهم الى طرابلس وهم جمع عظيم عصبا للبربر ونصرة لهم فنزلوا على طرابلس وحصروها فسد أبو العباس عبد الله بن ابراهيم باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة ولم يزل كذلك الى أن توفي أبوه ابراهيم بن الاغلب وعهد بالامارة لولده عبد الله فأخذ أخوه زيادة الله بن ابراهيم له العهود على الجند وسير الكتاب الى أخيه عبد الله يخبره بموت أبيه وبالامارة له فأخذ البربر الرسول والكتاب ودفعوه الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فأمر بان ينادي عبد الله بن ابراهيم بموت أبيه فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله وما كان خارجا من ذلك يكون لعبد الوهاب وسار عبد الله الى القيروان فلقيه الناس وتسلم الامر وكانت أيامه أيام سكون ودعة

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة)

(ذكر حصار بغداذ)

في هذه السنة حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب الامين محمدا ببغداذ فنزل زهير بن المسيب الضبي برقة كلواذي ونصب المجانيق والعرادات وحفر الخنادق وكان يخرج في الايام عند اشتغال الجند بحرب طاهر فيرمي بالعرادات ويعشر أموال التجار فشكا الناس منه الى طاهر فنزل هرثمة نهر بين وعمل عليه خندقا وسورا ونزل عبيد الله بن الوضاح بالشماسية ونزل طاهر البستان الذي بباب الانبار فلما نزله شق ذلك على الامين وتفرق ما كان بيده من الاموال فأمر ببيع ما في الخزائن من الامتعة وضرب

على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبا من سورها وانهم بعد اربعة وعشرين ساعة يملكونها وانهم استعجلوا في ارسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لاصحابهم القلق فيكونوا مطمئنين وبعد سبعة ايام نحضر عندكم والسلام (وفيه) حضرت مغاربة حجاج الى بر الجيزة فتحدث الناس وكثر لغطهم وتقولوا بانهم عشرون ألفا حضروا الينقدوا مصر من الفرنسيس فارسل الفرنسيس للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين فاذنوا لهم في تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم فحضر شخص منهم الى الفرنسيس ووشى اليهم انهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم وانهم اشتروا خيلا وسلاحا وقصدهم اثارة فتنة فارسل الفرنسيس اليهم جماعة ينظرون في أمرهم فذهبوا اليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذي نقل عنهم فقالوا انما جئنا بقصد الحج لا لغيره ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة فعملوا الديوان في صبحها وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذي وشى عليهم فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال انا لم نأت الا بقصد الحج فقيل له ولاي شئ تشترون الاسلحة والخيول فقال نعم لازم لنا ذلك

وقوس الشفق والفجر وسمت ذلك لاجل تحقيق اوقات العبادة وهم لا يحتاجون الى ذلك فلم يعانوه ورسم ايضا بسيطة على ربعة من نحاس اصفر منزلة بخطوط عديدة في قاعدة عامود قصير طوله اقل من قامة قايم بوسط الجنينة وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة وهي متقنة الرسم والصناعة وحولها معاريفها واسم واضعها بالخط السلس العربي المجود حفرا في النحاس وفيها تنازيل الفضة على طريقة اوضاع العجم وغير ذلك (ومنها) انهم لما سخطوا على كتخدا الباشا وقبضوا على اتباعه وسجنوهم وفيهم كتخداه الذى كان ناظرا على الكسوة فقيدوا في النظر على مباشرة اتمامها صاحبنا السيد اسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب احد العدول بالمحكمة فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك واظهروا ايضا الاهتمام بتحصيل مال الصرة وشرعوا في تحرير دفتر الارسالية خاصة

(واستهل شهر القعدة بيوم الاحد سنة ١٢١٣)

(في سادسه) يوم الجمعة حضرت جماعة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة مضمونها انهم اخذوا حيفا و بعدها ركبوا

علىّ واعطاه خمسمائة ألف درهم معونة وسير معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى وجعله على الموسم فسارا حتى أتيا طاهرا ببغداد فاكرمهما وقربهما ووجه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري البجلي عاملا على اليمن وبعث معه خيلا كثيفة فلما قدم اليمن دعا أهلها الى خلع الامين والبيعة للمامون ووعدهم العدل والاحسان وأخبرهم بسيرة المامون فاجابوه الى ماطلب وخلعوا محمدا وبايعوا للمامون وكتب بذلك الى طاهر والى المامون وسار فيهم أحسن سيرة وأظهر العدل

(ذكر مافعله الامين)

وفي هذه السنة عقد محمد الامين في رجب وشعبان نحوا من اربعمائة لواء للقواد شتى وأمر عليهم على بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير الى هرثمة بن أعين فساروا اليه فالتقوا بنواحي النهروان في رمضان فانهزموا وأسر على بن محمد بن عيسى فسيره هرثمة الى المامون ورحل هرثمة فنزل النهروان

(ذكر وثوب الجند بطاهر والامين ونزوله ببغداد)

وأقام طاهر بصرصر مشمرا في محاربة الامين وكان لا يأتيه جيش الا هزمه وبذل الامين الاموال فاشتد ذلك على أصحاب طاهر فسار اليه منهم نحو خمسة آلاف فسر بهم الامين ووعدهم ومناهم وفرق فيهم مالا عظيما وغلف لحاهم بالغالية فسموا قواد الغالية وقود جماعة من الحربية ووجههم الى دسكرة الملك والنهروان فلم يكن بينهم قتال كثير وندب جماعة من قواد بغداد ووجههم الى الياسرية والكوثرية وفرق الجواسيس في أصحاب طاهر ودس الى رؤساء الجند فاطمعهم ورغبهم فشغبوا على طاهر واستامن كثير منهم الى الامين فانضموا الى عسكره وساروا حتى أتوا صرصرا فعبي طاهر أصحابه كراديس وسار فيهم يمنيهم ويحرضهم ويعدهم النصر ثم تقدم فاقتتلوا مليا من النهار ثم انهزم أصحاب الامين وغنم عسكر طاهر ما كان لهم من السلاح والدواب وغير ذلك وبلغ ذلك الامين فاخرج الاموال وفرقها وجمع أهل الارباض وقود منهم جماعة وفرق فيهم الاموال وأعطى كل قائد منهم قارورة غالية ولم يفرق في أجناد القواد واصحابهم شيئا فبلغ ذلك طاهرا فراسلهم ووعدهم واستمالهم واغرى أصاغرهم باكابرهم فشغبوا على الامين في ذي الحجة فصعب الامر عليه فاشار عليه اصحابه باستمالتهم والاحسان اليهم فلم يفعل وأمر بقتالهم جماعة من المستامنة والمحدثين فقاتلوهم وراسلهم طاهر وراسلوه وأخذ رهائنهم على بذل الطاعة وأعطاهم الاموال ثم تقدم فصار الى موضع البستان الذى على باب الانبار في ذي الحجة فنزل بقواده وأصحابه ونزل من استامن اليه من جند الامين في البستان والارباض واضعف للقواد وأبنائهم والخواص العطاء ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها وفتن الناس وساءت حالهم ووثب الشطار على أهل الصلاح ولم يتغير بعسكر طاهر حال لتفقد حالهم وأخذه على أيدي السفهاء وغادى القتال وراوحه حتى تواكل

كم أناس أصبحوا في غبطة * وكل الهرش عليهم بالعطب

وقال بعض فتيان بغداد

بكيت دما على بغداد لما * فقدت غضارة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين * فافنت أهلها بالمنجنيق
وقوم احرقوا بالنار قسرا * ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادي واصباحا * وباكية لفقدان الشقيق
وحوراء المدامع ذات دل * مضمخة المجاسد بالخلوق
تفر من الحريق الى انتهاب * ووالدها يفر الى الحريق
وسالبة الغزالة مقلتيها * مضاحكها كلألاء البروق
حيارى هكذا ومفكرات * عليهن القلائد في الحلوق
ينادين الشفيق ولا شفيق * وقد فقد الشفيق من الشفيق
ومغترب قريب الدار ملقى * بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتالهم جميعا * فما يدرون من أي الفريق
فما ولد يقيم على أبيه * وقد فر الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شئ تولى * فاني ذاكر دار الرفيق

وقال الجرمي قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتا أتى فيها على جميع الحوادث ببغداد في هذه الحرب تركنا لطولها وذكر ان قائدا من اهل خراسان من أصحاب طاهر من أهل النجدة والباس خرج يوما الى القتال فنظر الى قوم عراة لا سلاح معهم فقال لاصحابه ما يقاتلنا الا من نرى استهانة بامرهم واحتقارا لهم فقيل له نعم هؤلاء هم الآفة فقال لهم اف لكم حين تنهزمون من هؤلاء وأنتم في السلاح والعدة والقوة وفيكم الشجاعة وما عسى يبلغ كيد هؤلاء ولا سلاح معهم ولا جنة تقيهم وتقدم الى بعضهم وفي يديه بارية مقيرة وتحت ابطه مخلاة فيها حجارة فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منه العيار فوقع في بارية أو قريبا منها فياخذه ويتركه معه وصاح دانق أي ثمن النشابة دانق قد أحرزه فلم يزل كذلك حتى فني سهام الخراساني ثم حمل عليه العيار ورمى بحجر من مخلاته في مقلاع فما اخطا عينه ثم خرفكاد يصرعه فانهزم وهو يقول ليس هؤلاء بناس فلما سمع طاهر خبره ضحك منه فلما طال ذلك على طاهر وقتل من اصحابه في قصر صالح من قتل أمر بالهدم والاحراق فهدم دور من خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة الى الصراة وربض حميد ونهر كرخايا فكان أصحابه اذا هدموا دارا اخذ أصحاب الامين أبوابها وسقوفها فيكونون أشد على أهلها فقال شاعرهم

لنا كل يوم ثلمة لا نسدها * يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها * ونحن لاخرى غيرها نتربص

عاشره سافر عدة من عسكر الفرنسيس الى عرب الجزيرة فان مصطفى بك كتخدا الباشا ذهب اليهم والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر (وفي يوم الاربعاء) رجعوا عن جماعة من القليوبية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة وفيهم المعلم نقولا النصراني الارمني الذي كان رئيس مركب مراد بك الحربية التي أنشاها بالجيزة وأسكنوه ببيت حسن كتخدا بباب الشعرية (وفيه) حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات بامان وكان عاصيا فاعطوه الامان وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام (وفي يوم السبت حادي عشرينه) حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها (وفيه) عملوا كرنتيله عند العادلية لمن ياتي من بر الشام من العسكر الى ناحية شرق اطفيح بسبب محمد بك الالفي (وفيه) حضر الذين كانوا ذهبوا الى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال قيل انه ذهب الى الشام (وفي خامس عشرينه) وصلت مراسلة من المذكور خطابا للمشايخ مضمونها انهم يعرفونه أكابر الفرنسيس أنه متوجه الى سارى عسكرهم

ضرورة فقيل له انه نقل عنكم الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج فقال هذا كلام لا أصل له فقيل له ان الناقل لذلك رجل منكم فقال ان هذا رجل حرامي أمسكناه بالسرقة وضربناه فحمله الحقد على ذلك وان هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ولا يصح ان نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة وليس معنا الا نصف قنطار بارود ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح فاجابهم الى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية فلما كان يوم السبت خرجت عدة من العسكر الى بولاق ومعهم مدفعان ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم الى العادلية فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا في المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم في كرشاتهم وصياحهم وأشاعوا ان الفرنسيس خرجت لقتال المغاربة وأغلقوا غالب الاسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم فلم يعد المغاربة ذلك اليوم وعدوا في ثاني يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيس الى العادلية وهم يضربون الطول وامامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من

آنية الذهب والفضة ليفرقها في أصحابه وامر باحراق الحربية فرميت بالنفط والنيران وقتل بها خلق كثير واستأمن الى طاهر سعيد بن مالك بن قادم فولاه الاسواق وشاطئ دجلة وما اتصل به وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان في كل ما غلب عليه من الدروب وامده بالاموال والرجال فكثر الخراب ببغداد والهدم فدرست المنازل ووكل الامين عليا افراهمرد بقصر صالح وقصر سليمان بن المنصور الى دجلة فالح في احراق الدور والدروب والرمي بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك فارسل الى أهل الارباض من طريق الانبار وباب الكوفة وما يليها فكلما أصابه أهل ناحية خندق عليهم ومن أبى اجابته قاتله وأحرق منزله ووحشت بغداد وخربت فقال حسين الخليع

أتسرع الرحلة اغذاذا * عن جانبي بغداد أم ماذا
أما ترى الفتنة قد ألفت * الى أولي الفتنة شذاذا
وانتقضت بغداد عمرانها * عن رأي لا ذاك ولا هذا
هدما وحرقا قد أباد أهلها * عقوبة لاذت بمن لاذا
ما أحسن الحالات ان لم تعد * بغداد في القلة بغداذا

وسمى طاهر الارباض التي خالفه أهلها ومدينة المنصور وأسواق الكرخ والخلد دار النكث وقبض ضياع من لم يخرج اليه من بني هاشم والقواد وغيرهم وأخذ أموالهم فذلوا وانكسروا وذل الاجناد وضعفوا عن القتال الا باعة الطريق والعراة وأهل السجون والاوباش والطرارين واهل السوق فكانوا ينهبون أموال الناس وكان طاهر لا يفتر في قتالهم فاستأمن اليه على افراهمرد الموكل بقصر صالح فامنه وسير اليه جندا كثيفا فسلم اليه ما كان بيده من تلك الناحية في جمادى الآخرة واستأمن اليه محمد بن عيسى صاحب شرطة الامين وكان مجدا في نصرة الامين فلما استأمن هذان الى طاهر أشفى الامين على الهلاك واقبلت الغواة من العيارين وباعة الطريق والاجناد فاقتتلوا داخل قصر صالح قتالا عظيما قتل فيه من أصحاب طاهر جماعة كثيرة ومن قواده جماعة ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر منها ثم ان طاهرا كاتب القواد الهاشميين وغيرهم بعد ان أخذ ضياعهم ودعاهم الى الامان والبيعة للمامون فاجابه جماعة منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة واخوته وولد الحسن بن قحطبة ويحيى بن علي بن ماهان ومحمد بن أبي العباس الطائي وكاتبه غيرهم وصارت قلوبهم معه وأقبل الامين بعد وقعة قصر صالح على الاكل والشرب ووكل الامر الى محمد بن عيسى بن نهيك والى الهرش فكان من معهما من الغوغاء والفساق يسلبون من قدروا عليه وكان منهم ما لم يبلغنا مثله فلما طال ذلك بالناس خرج عن بغداد من كانت به قوة وكان أحدهم اذا خرج امن على ماله ونفسه وكان مثلهم كما قال الله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وخرج عنها قوم باظهار الحج في ذلك يقول شاعرهم

أظهروا الحج وما ينوونه * بل من الهرش يريدون الهرب

سنة

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة)

(ذكر استيلاء طاهر على بغداد)

فى هذه السنة لحق خزيمة بن خازم بطاهر وفارق الامين ودخل هرثمة الى الجانب الشرقى وكان سبب ذلك ان طاهرا أرسل الى خزيمة ان انفصل الامر بينى و بين محمد ولم يكن لك فى نصرتى الا أقصر فى أمرك فاجابه بالطاعة وقال له لو كنت أنت النازل الجانب الشرقى فى مكان هرثمة لحملت نفسى اليه واخبره قلة ثقته بهرثمة الا أن يضمن له القيام دونه لخوفه من العامة فكتب طاهر الى هرثمة يعجزه و يلومه و يقول جمعت الاجناد وأتلفت الاموال وقد وقفت وقوف المحجم عن بازائك فاستعد للدخول اليهم فقد أحكمت الامر على دفع العسكر وقطع الجسور وارجو ان لايختلف عليك اثنان فاجابه هرثمة بالسمع والطاعة فكتب طاهر الى خزيمة بذلك وكتب الى محمد بن على بن عيسى ابن ماهان بمثل ذلك فلما كان ليلة الاربعاء لثمان بقين من المحرم وثب خزيمة ومحمد ابن على بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه وخلعا محمدا الامين وسكن أهل عسكر المهدى ولم يدخل هرثمة حتى مضى اليه نفر من القواد وحلفوا له انه لايرى منهم مكروها فدخل اليهم فقال الحسين الخليع فى ذلك

علينا جميعا من خزيمة منة * بها أخمد الرحمن نائرة الحرب
تولى أمور المسلمين بنفسه * فذب وحامى عنهم أشرف الذب
ولولا أبو العباس ماانفك دهرنا * يبيت على عتب و يغدو على عتب
خزيمة لم ينكر له مثل هذه * اذا اضطربت شرق البلاد مع الغرب
اناخ بجسرى دجلة القطع والقنا * شوارع والارواح فى راحة الغضب

وهى عدة أبيات فلما كان الغد تقدم طاهر الى المدينة والكرخ فقاتل هناك قتالا شديدا فهزم الناس حتى ألحقهم بالكرخ وقاتلهم فيه فهزمهم فمروا لايلوون على شئ فدخلها طاهر بالسيف وأمر مناديه فنادى من لزم بيته فهو آمن ووضع بسوق الكرخ وقصر الوضاح جندا على قدر حاجته وقصد الى مدينة المنصور وأحاط بها و بقصر زبيدة وقصر الخلد من باب الجسر الى باب خراسان و باب الشام و باب الكوفة و باب البصرة وشاطئ الصراة الى مصبها فى دجلة وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش والافارقة فنصب المجانيق بازاء قصر زبيدة وقصر الخلد وأخذ الامين امه واولاده الى مدينة المنصور وتفرق منه عامة جنده وخصيانه وجواريه فى الطريق لا يلوى احد على احد وتفرق السفلة والغوغاء وتحصن محمد بمدينة المنصور وحصره طاهر وأخذ عليه الابواب و بلغ خبر هذه الوقعة عمرو الوراق فقال لمخبره ناولنى قدحا ثم تمثل

خذها فللخمرة أسماء * لها دواء ولها داء
يصلحها الماء اذا اصفقت * يوما وقد يفسدها الماء

اننا أرسلنا اليكم نفيرتين لدمياط الاولى أرسلناها فى خمسة وعشرين شوالا والثانية فى ثمانية وعشرين منه أخبرنا كم فيهما عن مطلوبنا ارسال جانب جلل وذخائر الى عساكرنا المحافظين فى غزة ووفا الاجل زيادة المحافظة والصيانة وأما من قبل العرضى فان الجلل عندنا كثيرة والذخائر والماكل والمشارب والخيرات غزيرة حتى انها زادت عندنا الجلل بكثرة جمعناها مما رمته الاعداء فكان أعداؤنا أعانونا ونخبركم اننا عملنا الغما مقدار عمقه ثلاثون قدما وسرنا به حتى قربناه الى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانية عشر قدما وقد قربت عساكرنا من الجهة التى نحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمانية وار بعون قدما بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا اليكم وقبل اتمام قراءته عليكم نكون ظافرين بتلك قلعة عكا جميعا فاننا تهيأنا الى دخولها ياتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب واما بقية اقليم الشام وما يلى عكا من البلاد فانهم لنا طائعون و بالاعتناء ومزيد المحبة راغبون يأتوننا بكل خير عظيم و يحضرون لنا افواجا افواجا بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم وهذا من فضل الله علينا ومن شدة بغضهم لجزار باشا ونخبركم ايضا ان الجنرال يونوت انتصر على أربعة آلاف مقاتل خطر وامن

فان حرصوا يوما على الشر جهدهم * فغوغاؤنا منهم على الشر احرص
فقد ضيقوا من ارضنا كل واسع * وصار لهم اهل بها وتعرص
يثيرون بالطبل القنيص فان بدا * لهم وجه صيد من قريب تقنصوا
لقد افسدوا شرق البلاد وغربها * علينا فما ندرى الى اين نشخص
اذا حضروا قالوا بما يعرفونه * وان لم يروا شيئا قبيحا تخرصوا
وما قتل الابطال مثل مجرب * رسول المنايا ليله يتلصص

في ابيات غيرها فلما راى طاهر ان هذا جميعه لا يخافون به امر بمنع التجار عنهم ومنع من جمل الاقوات وغيرها وشدد في ذلك وصرف السفن التي يحمل فيها الى الفرات فاشتد ذلك عليهم وغلت الاسعار وصاروا في أشد حصار وفار الامين ببيع الاموال وأخذها ووكل بها بعض أصحابه فكان يهجم على الناس في منازلهم ليلا ونهارا فاشتد ذلك على الناس وأخذوا بالتهمة والظنة ثم كان بينهم وقعة بدرب الحجارة قتل فيها من أصحاب طاهر خلق كثير ووقعة بالشماسية خرج فيها حاتم بن الصقر في العيارين وغيرهم الى عبيد الله بن الوضاح فاوقعوا به وهو لا يعلم فانهزم عنهم وغلبوه على الشماسية فاتاه هرثمة يعينه فاسره بعض اصحاب الامين وهو لا يعرفه فقاتل عليه بعض اصحابه حتى خلصه وانهزم أصحاب هرثمة فلم يرجعوا يومين فلما بلغ طاهرا ما صنعوا عقد جسرا فوق الشماسية وعبر أصحابه اليهم فقاتلوا أشد قتال حتى ردوا أصحاب الامين وأعاد أصحاب عبيد الله بن الوضاح الى مراكزهم وأحرق منازل الامين بالخيزرانية وكانت النفقة عليها بلغت عشرين ألف ألف درهم وقتل من العيارين كثير فضعف أمر الامين فايقن بالهلاك وهرب منه عبد الله بن خازم بن خزيمة الى المدائن خوفا من الامين لانه اتهمه وتحامل عليه السفلة والغوغاء فاقام بها وقيل بل كاتبه طاهر وحذره قبض ضياعه وأمواله ثم ان الهرش خرج ومعه افيفة وجماعة الى جزيرة العباس وكانت ناحية لم يقاتل فيها فخرج اليه بعض أصحاب طاهر فقاتلوه فقوى عليهم فامدهم طاهر بجند آخر فاوقعوا بالهرش وأصحابه وقعة شديدة فغرق منهم بشر كثير وضجر الامين وخاف حتى قال يوما وددت أن الله قتل الفريقين جميعا فاراح الناس منهم فما منهم الا عدو لي أما هؤلاء فيريدون مالي واما أولئك فيريدون نفسي وضعف أمره وانتشر جنده وأيقن بظفر طاهر به

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر اياه على الموسم بامر أمير المؤمنين المامون وفيها سار المؤتمن بن الرشيد ومنصور بن المهدي الى المامون بخراسان فوجه المامون أخاه المؤتمن الى جرجان وفيها كان بالاندلس غلاء شديد وكان الناس يطوون الايام ويتعللون بما يضبط النفس وفيها مات وكيع بن الجراح الرؤاسي بفيد وقد عاد من الحج وبقية بن الوليد الحمصي وكان مولده سنة عشر ومائة ومحمد بن مليح بن سليمان الاسلمي ومعاذ بن معاذ أبو المثنى العنبري وله سبع وسبعون

بالشام ويرجون الافراج عن قريبه وكتخدائه ويتحفظون على الامتعة التي أخذوها فانها من متعلقات الدولة فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا لا يمكن الافراج عن المذكورين حتى نتحقق انه ذهب الى سارى عسكر ويأتينا منه خطاب في شانه فانه من الجائز انه يكذب في قوله (وفيه) ثبت ان محمد بيك الالفي مر من خلف الجبل وذهب الى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحي وقدم له العرب التقادم والكلف فارسل له الفرنسيس عدة من العسكر (وفي سابع عشرينه) لخص الفرنساويه طومارا قرئ بالديوان وطبع منه عدة نسخ والصقت بالاسواق على العادة وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الاخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلاني والاشراف الذين معه وغير ذلك وصورته من محفل الديوان الكبير بمصر بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان الا على الظالمين نخبر أهل مصر أجمعين انه حضر جواب من عكا من حضرة سارى عسكر الكبير خطابا منه الى حضرة سارى عسكر الوكيل بثغر دمياط تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه يخبر فيه

ترجوان يجعل الله فيه الخيرة قال وماهو قالوا قد تفرق عنك الناس وأحاط بك عدوك وقد بقى معك من خيلك سبعة آلاف فرس من خيارها فنرى ان نختار ممن عرفناه بمحبتك من الابناء سبعة آلاف فتحملهم على هذه الخيل وتخرج ليلا على باب من هذه الابواب فان الليل لاهله ولن يثبت لنا احد ان شاء الله تعالى فتخرج حتى تلحق بالجزيرة والشام فتفرض الفروض وتجبى الخراج ونصير فى مملكة واسعة وملك جديد فيتسارع اليك الناس وينقطع عن طلبك الجنود ويحدث الله أمورا فقال لهم نعم ما رأيتم وعزم على ذلك وبلغ الخبر الى طاهر فكتب الى سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندى بن شاهك والله لئن لم تردوه عن هذا الرأى لاتركت لكم ضيعة الا قبضتها ولا يكون لى همة الا انفسكم فدخلوا على الامين فقالوا قد بلغنا الذى عزمت عليه فنحن نذكرك الله فى نفسك ان هؤلاء صعاليك وقد بلغ بهم الحصار الى ما ترى فهم يرون ان لا أمان لهم عند أخيك وعند طاهر لجدهم فى الحرب ولسنا نأمن اذا خرجت معهم أن يأخذوك أسيرا أو يأخذوا رأسك فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم وضربوا فيه الامثال فرجع الى قولهم وأجاب الى طلب الامان والخروج فقالوا له انما غايتك السلامة واللهو وأخوك يتركك حيث أحببت ويجعل لك فيه كل ما يصلحك وكل ما تحب وتهوى وليس عليك منه باس ولا مكروه فركن الى ذلك وأجاب الى الخروج الى هرثمة بن أعين فدخل عليه أولئك النفر الذين أشاروا بقصد الشام وقالوا اذا لم تقبل ما أشرنا به عليك وهو الصواب وقبلت من هؤلاء المداهنين فالخروج الى طاهر خير لك من الخروج الى هرثمة فقال انا أكره طاهرا لانى رأيت فى منامى كأنى قائم على حائط من آجر شاهق فى السماء عريض الاساس لم أر مثله فى الطول والعرض وعلى سوادى ومنطقتى وسيفى وكان طاهر فى أصل ذلك الحائط فما زال يضربه حتى سقط وسقطت وطارت قلنسوتى عن رأسى فانا أتطير منه وأكرهه وهرثمة مولانا وهو بمنزلة الوالد وانا اشد انسا به وثقة اليه فارسل يطلب الامان فاجابه هرثمة الى ذلك وحلف له انه يقاتل دونه ان هم المأمون بقتله فلما علم ذلك طاهر اشتد عليه وأبى أن يدعه يخرج الى هرثمة وقال هو فى جندى والجانب الذى أنا فيه وانا أخرجته بالحصار حتى طلب الامان فلا أرضى ان يخرج الى هرثمة فيكون له الفتح دونى فلما بلغ ذلك هرثمة والقواد اجتمعوا فى منزل خزيمة بن خازم وحضر طاهر وقواده وحضر سليمان بن المنصور والسندى ومحمد بن عيسى بن نهيك وأداروا الرأى بينهم وأخبروا طاهرا انه لا يخرج اليه أبدا وانه ان لم يجب الى ما سأل لم يؤمن الا أن يكون الامر مثله أيام الحسين بن على بن عيسى بن ماهان وقالوا له انه يخرج الى هرثمة ببدنه ويدفع اليك الخاتم والقضيب والبردة وذلك هو الخلافة فاغتنم هذا الامر ولا تفسده فاجاب الى ذلك ورضى به ثم ان الهرش لما علم بالخبر أراد التقرب الى طاهر فاخبر ان الذى جرى بينهم مكر وان الخاتم والقضيب والبردة يحمل مع الامين الى هرثمة فاغتاظ منه وجعل حول قصر أم الامين وقصور الخلد قوما معهم العتل ولم يعلم بهم أحد

ادبكم قبل ان يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار والاولى للعاقل اشتغاله بامر دينه ودنياه وان يترك الكذب وان يسلم لاحكام الله وقضاه فان العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب هذا شان اهل الكمال يتركون القيل والقال ويشتغلون باصلاح الاحوال ويرجعون الى الكبير المتعال والسلام (وفى هذا الشهر) كتبوا اوراقا باوامر (ونصها) من محفل الديوان العمومى الى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة اننا قد تأملنا وميزنا ان الواسطة الاقرب والاعظم لتلطيف ولمنع الخطر الضرورى وهو تشويش الطاعون عدم المخالطة مع النساء المشهورات لانهن الواسطة الاولى للتشويش المذكور فلاجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا الى مدة ثلاثين يوما من تاريخه اعلاء لجميع الناس ان كان فرنساويا أو مسلما اوروميا اونصرانيا اويهوديا من اى ملة كان كل من ادخل الى مصر او بولاق اومصر القديمة من النساء المشهورات ان كان فى بيوت العسكر او كل من كان داخل المدينة فيكونون قصاصه بالموت كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر ان دخلن من أنفسهن أيضا يقاصصن

وقائل كانت لهم وقعة * فى يومنا هذا واشياء
قلت له أنت امرؤ جاهل * فيك عن الخيرات أبطاء
اشرب ودعنا من احاديثهم * يصطلح الناس اذا شاؤا

وحكى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لما حصره طاهر قال فخرج الامين ذات ليلة يريد ان يتفرج من الضيق الذى هو فيه فصار الى قصر له بناحية الخلد ثم أرسل الى فحضرت عنده فقال ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر فى السماء وضوءه فى الماء على شاطئ دجلة فهل لك فى الشرب فقلت شأنك فشرب رطلا وسقانى آخر ثم غنيته ما كنت اعلم انه يحبه فقال لى ما تقول فيمن يضرب عليك فقلت ما احوجنى اليه فدعا بجارية متقدمة عنده اسمها ضعف فتطيرت من اسمها ونحن فى تلك الحال فقال لها غنى فغنت بشعر الجعدى

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وايسر جرما منك ضرج بالدم

فاشتد ذلك عليه وتطير منه وقال غنى غير ذلك فغنت

ابكى فراقكم عينى فارقها * ان التفرق للاحباب بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها العنك الله أما تعرفين من الغناء غير هذا فقالت ما تغنيت الا ما ظننت انك تحبه ثم غنت آخر

اما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار وما * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل السلطان عن ملك * قد زال سلطانه الى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى غضب الله عليك والعنك فقامت وكان له قدح من بلور حسن الصنعة كان يسميه زب رباح وكان موضوعا بين يديه فعثرت الجارية به فكسرته فقال ويحك يا ابراهيم ماترى ما جاءت به هذه الجارية ثم ما كان من كسر القدح والله ما أظن أمرى الا وقد قرب فقلت يديم الله ملكك ويعز سلطانك ويكبت عدوك فما استتم الكلام حتى سمعنا صوتا قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال يا ابراهيم أما سمعت ما سمعت قلت ماسمعت شيئا وكنت قد سمعت قال تسمع حسا فدنوت من الشط فلم أرشيئا ثم عاودنا الحديث فعاد الصوت بمثله فقام من مجلسه مغتما الى مجلسه بالمدينة فما مضى الا ليلة أو ليلتان حتى قتل

(ذكر قتل الامين)

لما دخل محمد الى مدينة المنصور واستولى طاهر على أسواق الكرخ وغيرها كما تقدم وقر بالمدينة علم قواده وأصحابه انهم ليس لهم فيها عدة الحصر وخافوا أن يظفر بهم طاهر فاتاه محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب الافريقى وغيرهما فقالوا قد آلت حالنا الى ماترى وقد رأينا رأيا نعرضه عليك فانظر وأعزم عليك فانا

الشام خيالة ومشاة فقابلهم عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة واوقع منهم نحو ستمائة نفس ما بين مقتول ومجروح واخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب ان ثلثمائة نفس تهزم نحو اربعة آلاف نفس فعلمنا ان النصر من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة هذا آخر كتاب سارى عسكر الكبير الى وكيله بدمياط وارسل الينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا الوكيل بمصر المحروسة يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا اننا نلزم الرعايا من اهل مصر والارياف ان يلزموا الادب والانصاف ويتركوا الكذب والخراف فان كلام المشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين فان حضرة سارى عسكر دوجا الوكيل بلغه ان اهل مصر واهل الارياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الاشراف والحال ان الاشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت اخبارهم من حضرة سارى عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بان الاشراف المذكورين الذين صحبة الكيلانى قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا فلم يكن الآن فى بلاد الصعيد شئ يخالف المراد وسلم من الفتن والعناد فانتم يا أهل مصر ويا أهل الارياف

من الابناء وجاؤا حتى وقفوا على باب البيت الذى نحن فيه وجعل بعضهم يقول لبعض تقدم ويدفع بعضهم بعضا وأخذ الامين بيده وسادة وجعل يقول ويحكم أنا ابن عم رسول الله انا ابن هرون أنا أخو المامون الله الله فى دمى فدخل عليه رجل منهم فضربه بالسيف ضربة وقعت فى مقدم رأسه وضربه الامين بالوسادة على وجهه وأراد أن يأخذ السيف منه فصاح قتلنى قتلنى فدخل منهم جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف فى خاصرته وركبوه فذبحوه ذبحا من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وتركوا جثته فلما كان السحر أخذوا جثته فادرجوها فى جل وحملوها فنصب طاهر الرأس على برج وخرج أهل بغداد للنظر وطاهر يقول هذا رأس المخلوع محمد فلما قتل ندم جند بغداد وجند طاهر على قتله لما كانوا يأخذون من الاموال وبعث طاهر برأس محمد الى أخيه المامون مع ابن عمه محمد بن الحسين بن مصعب وكتب معه بالفتح فلما وصل أخذ الرأس ذو الرياستين فادخله على ترس فلما رآه المامون سجد وبعث بعده طاهر بالبردة والقضيب والخاتم ولما بلغ أهل المدينة ان طاهرا أمر مولاه قريشا فقتله قال شيخ من أهل المدينة سبحان الله كنا نروى انه يقتله قريش فذهبنا الى القبيلة فوافق الاسم ولما قتل الامين نودى فى الناس بالامان فامن الناس كلهم ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمامون وذم الامين وكتب الى المعتصم وقيل الى ابن المهدى أما بعد فانه عزيز على ان اكتب الى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التامير ولكنه بلغنى انك تميل بالرأى وتصغى بالهوى الى الناكث المخلوع فان كان كذلك فكثيرا ما كتبت اليك وان كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته ولما قتل الامين قال ابراهيم بن المهدى يرثيه

عوجا بمغنى الطلل الداثر * بالخلد ذات الصخر والآجر
والمرمر المسنون يطلى به * والباب باب الذهب الناضر
عوجا بها فاستيقنا عندها * على يقين قدرة القادر
وابلغا عنى مقالا الى الـ * مولى على المامور والآمر
قولا له يا ابن ابى الناصر * طهر بلاد الله من طاهر
لم يكفه ان حز أوداجه * ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى أتى يسحب أوداجه * فى شطن هذا مدى السائر
قد برد الموت على جنبه * فطرفه منكسر الناظر

فلما بلغ المامون قوله اشتد عليه

(ذكر صفة الامين وعمره وولايته)

قيل ان محمدا ولى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائة وقتل ليلة الاحد لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وكنيته أبو موسى وقيل أبو عبد الله وهو ابن الرشيد هرون بن أبى عبد الله المهدى بن ابى جعفر المنصور وأمه زبيدة ابنة جعفر الاكبر ابن المنصور وكانت خلافته أربع سنين

الفرنسيس ثلاثة ليال وضربوا عليهم بالمدافع فاتلفوهم واحرقوا جرونهم ثم كبسوا عليهم وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم واخذوا شيئا كثيرا وأموالا عظيمة وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير اهل البلاد القبلية لظن منعتهم وكذلك فعلوا بالميمون

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الثلاثاء سنة ١٢١٣)

(فى ثانيه) خرج نحو الالف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الالفى وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس وذهبوا الى جهة دمنهور وفعلوا بها ما فعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم بسبب انه ورد عليهم رجل مغربى يدعى المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرا فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضر والى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق والمغربى المذكور تارة يغرب وتارة يشرق (وفيه) اشيع ان الالفى حضر الى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيس ثم ارتحل الى الجزيرة (وفى سابعه) حضر جماعة من فرنسيس الشام الى الكرنتيله

فلما تهيأ الامين للخروج الى هرثمة عطش قبل خروجه عطشا شديدا فطلب له في خزانة الشراب ماء فلم يوجد فلما أمسى ليلة الاحد لخمس بقين من محرم سنة ثمان وتسعين ومائة خرج بعد العشاء الآخرة الى صحن الدار وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود فارسل اليه هرثمة وافيت للميعاد لاحملك ولكني أرى ان لا تخرج الليلة فاني قد رأيت على الشط أمرا قد رابني وأخاف ان أغلب وتؤخذ من يدي وتذهب نفسك ونفسي فاقم الليلة حتى استعد وآتيك الليلة القابلة فان حوربت حاربت دونك فقال الامين للرسول ارجع اليه وقل له لا تبرح فاني خارج اليه الساعة لا محالة ولست أقيم الى غد وقلق وقال قد تفرق عني الناس من الموالي والحرس وغيرهم ولا آمن ان انتهى الخبر الى طاهر أن يدخل علي فيأخذني ثم دعا بابنيه فضمهما اليه وقبلهما وبكى وقال استودعكما الله عز وجل ودمعت عيناه فجعل يمسح دموعه بكمه ثم جاء راكبا الى الشط فاذا حراقة هرثمة فصعد اليها فذكر أحمد بن سلام صاحب المظالم قال كنت مع هرثمة في الحراقة فلما دخلها الامين قمنا له وجثى هرثمة على ركبتيه واعتذر اليه من نقرس به ثم احتضنه وضمه اليه وجعله في حجره وجعل يقبل يديه ورجليه وعينيه وأمر هرثمة الحراقة أن تدفع اذ شد علينا أصحاب طاهر في الزواريق وعطعطوا ونقبوا الحراقة ورموهم بالآجر والنشاب فدخل الماء الى الحراقة فغرقت وسقط هرثمة الى الماء وسقطنا فتعلق الملاح بشعر هرثمة فأخرجه وأما الامين فانه لما سقط الى الماء شق ثيابه وخرج الى الشط فأخذني رجل من أصحاب طاهر وأتى بي رجلا من أصحاب طاهر وأعلمه اني من الذين خرجوا من الحراقة فسألني من أنا فقلت أنا أحمد بن سلام صاحب المظالم مولى أمير المؤمنين قال كذبت فاصدقني قلت قد صدقتك قال فما فعل المخلوع قلت رأيته وقد شق ثيابه فركب وأخذني معه اعدو وفي عنقي حبل فعجزت عن العدو فأمر بضرب عنقي فاشتريت نفسي منه بعشرة آلاف درهم فتركني في بيت حتى يقبض المال وفي البيت بواري وحصر مدرجة ووسادتان فلما ذهب من الليل ساعة واذا قد فتحوا الباب وأدخلوا الامين وهو عريان وعليه سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة خلقة فتركوه معي فاسترجعت وبكيت فيما بيني وبين نفسي فسألني عن اسمي فعرفته فقال ضمني اليك فاني أجد وحشة شديدة قال فضممته الي واذا قلبه يخفق خفقانا شديدا فقال يا أحمد ما فعل أخي قلت حي هو قال قبح الله بريدهم كان يقول قد مات شبه المعتذر من محاربته فقلت بل قبح الله وزراءك فقال ما تراهم يصنعون بي أيقتلونني أم يفون لي بأمانهم فقلت بل يفون لك وجعل يضم الخرقة على كتفه فنزعت مبطنة كانت علي وقلت ألق هذه عليك فقال دعني فهذا من الله عز وجل في مثل هذا الموضع خير كثير فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا رجل فنظر في وجوهنا فاستثبتها فلما عرفته انصرف واذا هو محمد بن حميد الطاهري فلما رأيته علمت ان الامين مقتول فلما انتصف الليل فتح الباب ودخل الدار قوم من العجم معهم السيوف مسلولة فلما رآهم قام قائما وجعل يقول انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله أما من مغيث أما من أحد

بالموت (ومن حوادث هذا الشهر) انه حضر الى القلزم مركبان انكليزيان وقيل أربعة ووقفوا قبالة السويس وضربوا بمدافع فنفر أناس من سكان السويس الى مصر واخبروا بذلك وانهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول الى السويس (ومنها) ان طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاؤا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا في نواحي تلك البلاد حتى وصلوا الى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيس وغيرهم وينهبون البلاد والزروعات (ومنها) ان الكيلاني المذكور آنفا توفي الى رحمة الله تعالى وتفرقت طائفته في البلاد حتى انه حضر منهم جملة الى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم وعند الحروب يتخلون عنهم وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم (ومنها) انه حضر الى مصر الاكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية وضربوا في حال رجوعهم بني عدي بلدة من بلاد الصعيد مشهورة وكان اهلها ممتنعين عليهم في دفع المال والتكلف ويرون في انفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقاتلوهم فقتلت عليهم

من

وهمت لما لاقيت بعد مصابه * فامرى عظيم منكر جد منكر
سأشكو الذي لاقيته بعد فقده * اليك شكاة المستضيم المقتر
وارجو لما قد مر بي مذ فقدته * فأنت لبثي خير رب مغير
اتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر فيما اتى بمطهر
فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا * وانهب اموالي واخرب ادوري
يعز على هرون ما قد لقيته * وما مر بي من ناقص الخلق اعور
فان كان ما ابدى بامر امرته * صبرت لامر من قدير مقدر
تذكر امير المؤمنين قرابتي * فديتك من ذي حرمة متذكر

فلما قرأها المامون بكى وقال انا والله الطالب بثاري قتل الله قتلته ولقد اسرف الحسين بن الضحاك في مراثي الامين وذم المامون فلهذا حجبه المامون عنه ولم يسمع مديحه مدة ثم احضره يوما فقال له اخبرني هل رأيت يوم قتل اخي هاشمية قتلت وهتكت قال لا قال فما قولك

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي * محارم من آل النبي استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها * كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا خفرتها روعة من منازع * لها المرط عادت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم * هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا مني اذا ما ذكرته * على كبد حرى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة * ولا بلغت آمالها ما تمنت *

فقال يا أمير المؤمنين لوعة غلبتني و روعة فاجأتني ونعمة سلبتها بعد ان غمرتني واحسان شكرته فانطقني وسيد فقدته فاقلقني فان عاقبت فبحقك وان عفوت فبفضلك فدمعت عين المامون قال قد عفوت عنك وأمرت بادرار أرزاقك عليك وعطائك ما فاتك منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك ثم ان المامون رضي عنه وسمع مديحه ومما قيل في هجائه

لم نبكيك لماذا للطرب * يا أبا موسى وترويج اللعب
ولترك الخمس في أوقاتها * حرصا منك على ماء العنب
وشنيف انا لا أبكي له * وعلى كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حد الرضا * لا ولا تعرف ما حد الغضب
لم تكن تصلح للملك ولم * تعطك الطاعة بالملك العرب
لم نبكيك لما عرضتنا * للمجانيق وطورا للسلب
في عذاب وحصار مجهد * سدد الطرق فلا وجه الطلب
زعموا انك حي حاشر * كل من قد قال هذا فكذب
ليته قد قاله في وحده * من جميع ذاهب حيث ذهب
أوجب الله علينا قتله * واذا ما أوجب الامر وجب

ذلك الضيف فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج واغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق الى سطح آخر ثم تدلى بحبل الى اسفل الخان وخرج الى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول الجهاد يا مسلمين اذبحوا الفرنسيس ونحو ذلك من الكلام ومر الى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس فقتل منهم شخصا وهرب الاثنان ورجع على اثره والناس يعدون خلفه من بعد الى أن وصل الى درب بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر الى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها والفرنسيس تجمع منهم طائفة وظنوا اظنونا أخروا بادروا الى القلاع وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا الى ذلك الدرب فدخلوه فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببئر في تلك الدار فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه وسكنت الفتنة فسألوه عن أمره وما السبب في فعله ذلك فقال انه يوم الاضحية فاجبت

وثمانية أشهر وخمسة أيام وقيل كانت ولايته فى النصف من جمادى الآخرة وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وكان سبطا انزع صغير العينين اقنى جميلا طويلا عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وكان مولده بالرصافة ولما وصل خبر قتله الى المامون أذن للقواد وقرأ الفضل بن سهل الكتاب عليهم فهنؤه بالظفر ودعوا له وكتب الى طاهر وهرثمة بخلع القاسم المؤتمن من ولاية العهد فخلعاه فى شهر ربيع الاول من هذه السنة واكثر الشعراء فى مراثى الامين وهجائه تركنا اكثره لانه خارج عن التاريخ فمما قيل فى مراثيه قول الحسين بن الضحاك وكان من ندمائه وكان لا يصدق بقتله ويطمع فى رجوعه

يا خير اسرته وان زعموا * انى عليك لمثبت اسف
الله يعلم ان لى كبدا * حرى عليك ومقلة تكف
ولئن شجيت لما رزئت به * انى لاضمر فوق ما أصف
هلا بقيت لسد فاقتنا * ابدا وكان لغيرك التلف
فلقد خلفت خلائفا سلفوا * أوليس يعوز بعدك الخلف
لابات رهطك بعدهم * انى لرهطك بعدها شنف
هتكوا الحرمتك التى هتكت * حرم الرسول ودونها السجف
ونبت أقاربك التى خذلت * وجميعها بالذل معترف
تركوا حريم أبيهم نفلا * والمحصنات صوارخ هتف
ابدت مخلخلها على دهش * ابكارهن ورنت النصف
سلبت معاجرهن واختلست * ذات النقاب ونوزع الشنف
فكانهن خلال منتهب * در تكشف دونه الصدف
ملك تخون نظمه قدر * فوهى فصرف الدهر مختلف
هيهات بعدك ان يدوم لنا * عز وان يبقى لنا شرف
افبعد عهد الله تقتله * والقتل بعد أمانة سرف
فستعرفون غدا بعاقبة * عز الاله فاو ردوا وقفوا
يامن يخون نومه أرقا * هدت الشجون وقلبه لهف
قد كنت لى املا غنيت به * فمضى وحل محله الاسف
مرج النظام وعاد منكرنا * عرفا وانكر بعده العرف
والشمل منتشر لفقدك والـ * ـدنيا سدى والباب منكشف

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان امه زبيدة وتخاطب المامون وكنية زبيدة ام جعفر

لخير امام قام من خير عنصر * وافضل سام فوق اعواد منبر
لوارث علم الاولين وفهمهم * وللملك المامون من ام جعفر
كتبت وعينى مستهل دموعها * اليك ابن عمى من جفون ومحجر
وقد مسنى ضر وذل كآبة * وارق عينى يا ابن عمى تفكرى

بالعادلية وفيهم مجاريح واخبر قائد بينهم وبين أحمد باشا بعكا وان مهندس حروبهم المعروف بابى خشبة عند العامة واسمه كفرللى مات وحزنوا لموته لانه كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال واقدام عند المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الابنية وكيفية وضعها وكيفية اخذ القلاع ومحاصرتها (وفى يوم الاربعاء) كان عيد النحر وكان حقه يوم الخميس وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة اعلاما بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشى لكونها محجوزة فى الكرنتيله والناس فى شغل عن ذلك (ومن الحوادث) فى ذلك اليوم ان رجلا روميا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع الى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومتزييا بمثل ملابس القليونجية فقال له من أين لك هذا اللباس فقال من عند جارنا فلان العسكرى فامره بنزع ذلك فلم يسمع له ولم ينزعها فشتمه ولطمه على وجهه فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيفا فلم يتجاسر عليه لحضور

وهمت

من كان مسروراً بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

ففعل مثل ما فعله وأطرق طويلاً ثم قال أصعدي عشراً فاصعدتهن فغنين

كليب لعمري كان أكثر ناصراً * وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

فقام من مجلسه وأمر بهدم الدكان تطيراً مما كان قيل وذكر محمد الامين عند الفضل بن سهل بخراسان فقال كيف لا يستحل قتل محمد وشاعره يقول في مجالسه

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سراً فقد أمكن الجهر

فبلغت القصة الامين فحبس أبا نواس ولم نجد في سيرته ما يستحسن ذكره من حلم أو معدلة أو تجربة حتى نذكرها وهذا القدر كاف

(ذكر وثوب الجند بطاهر)

وفي هذه السنة وثب الجند بطاهر بعد مقتل الامين بخمسة أيام وكان سبب ذلك أنهم طلبوا منه مالاً فلم يكن معه شيء فثاروا به فضاق به الامر وظن ان ذلك من مواطاة من الجند وأهل الارباض وأنهم معهم عليه ولم يكن تحرك من أهل الارباض احد فخشي على نفسه فهرب ونهبوا بعض متاعه ومضى الى عقرقوف وكان لما قتل الامين أمر بحفظ الابواب وحول زبيدة أم الامين وولديه موسى وعبدالله معها وحملهم في حراقة الى همينيا على الزاب الاعلى ثم أمر بحمل موسى وعبدالله الى عمهما المأمون بخراسان فلما ثار به الجند نادوا موسى يا منصور وبقوا كذلك يومهم ومن الغد فصوب الناس اخراج طاهر ولدي الامين ولما هرب طاهر الى عقرقوف خرج معه جماعة من القواد وتعبى لقتال الجند واهل الارباض ببغداد فلما بلغ ذلك القواد المتخلفين عنه والاعيان من أهل المدينة خرجوا واعتذروا واحالوا على السفهاء والاحداث وسألوه الصفح عنهم وقبول عذرهم فقال طاهر ما خرجت عنكم الا لوضع السيف فيكم واقسم بالله العظيم عز وجل لئن عدتم لمثلها لاعودن الى رأيي فيكم ولاخرجن الى مكروهكم فكسرهم بذلك وأمر لهم برزق أربعة اشهر وخرج اليه جماعة من مشيخة أهل بغداد وعميرة أبو شيخ بن عميرة الاسدي فحلفوا له انه لم يتحرك من أهل بغداد ولا من الابناء احد وضمنوا له من وراءهم فسكن غضبه وعفا عنهم ووضعت الحرب أوزارها واستوثق الناس في المشرق والمغرب على طاعة المأمون والانقياد لخلافته (عميرة بفتح العين وكسر الميم)

(ذكر خلاف نصر بن سيار بن شبث العقيلي على المأمون)

وفي هذه السنة أظهر نصر بن سيار بن شبث العقيلي الخلاف على المأمون وكان نصر من بني عقيل يسكن كيسوم ناحية شمالي حلب وكان في عنقه بيعة للامين وله فيه هوى فلما قتل الامين اظهر نصر الغضب لذلك وتغلب على ما جاوره من البلاد وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب وأهل الطمع وقويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب عليه فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى (شبث

ضاع له وقت ضربه دراهم كانت في جيبه واستمر الترجمان محبوساً عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهي ستة آلاف درهم (وفيه) ارسل فرنسيس مصر الى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل وذهب بصحبتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها الى بلبيس ورجعوا بعد يومين (وفيه) حضر الى السويس تسعة داوات بها بن وبهار وبضائع تجارية وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن وكانت الانكليز منعتهم الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياماً مسافة التنقيل والشحنة وأخذوا منهم عشوراً وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لانه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوماً وطبعوا صورتها في أوراق وألصقوها بالاسواق وهي خطاب لبوسليك

(وصورته من الشريف غالب) ابن مساعد شريف مكة المشرفة الى عين أعيانه وعمدة اخوانه بوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ممهد بنيان السياسة بسداد همته الوفية وبعد فانه وصل الينا كتابك وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قعيتنا وانك أرسلت هجانا برفع

كان والله علينا فتنة ＊ غضب الله عليه وكتب

وقيل فيه غير ذلك تركناه كره خوف الاطالة

＊(ذكر بعض سيرة الامين)＊

لما ملك الامين وكاتبه المامون واعطاه بيعته طلب الخصيان وابتاعهم وغالى فيهم فصيرهم لخلوته ليله ونهاره وقوام طعامه وشرابه وأمره ونهيه وفرض لهم فرضا سماهم الجرادية وفرضا من الحبشان سماهم الغرابية وفرض للنساء الحرائر والاماء حتى رمى بهن وقيل فيه الاشعار فمما قيل فيه

الا يا ايها المثوى بطوس ＊ غريبا ما تفادى بالنفوس
لقد ابقيت للخصيان هقلا ＊ يحمل منهم شؤم البسوس
فاما نوفل فالشان فيه ＊ وفي بدر فيالك من جليس
وما للمعصمي شئ لديه ＊ اذا ذكروا بذى سهم خسيس
وما حسن الصغير أخس حالا ＊ لديه عند مخترق الكؤس
لهم من عمره شطر وشطر ＊ يعاقر فيه شرب الخندريس
وما للغانيات لديه حظ ＊ سوى التقطيب والوجه العبوس
اذا كان الرئيس كذا سقيما ＊ فكيف صلاحنا بعد الرئيس
فلو علم المقيم بدار طوس ＊ لعز على المقيم بدار طوس

ثم وجه الى جميع البلدان في طلب الملهين وضمهم اليه وأجرى عليهم الارزاق واحتجب عن أخويه واهل بيته واستخف بهم و بقواده وقسم ما في بيوت الاموال وما بحضرته من الجواهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلواته ولهوه ولعبه وعمل خمس حراقات في دجلة على صورة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس وأنفق في عملها مالا عظيما فقال ابونواس في ذلك

سخر الله للامين مطايا ＊ لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن برا ＊ سار في الماء راكبا ليث غاب
عجب الناس اذ رأوك على صو ＊ رة ليث تمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه ＊ كيف لو ابصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحين ＊ تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما ＊ استحثوها بجية وذهاب

قال الكوثر أمر الامين ان يفرش له على دكان في الخلد يوما ففرش عليها بساط زرعي ونمارق وفرش مثله وهيئ من آنية الذهب والفضة والجواهر أمر عظيم وامر قيمة جواريه ان تهيئ له مائة جارية صانعة فتصعد اليه عشرا عشرا بايديهن العيدان يغنين بصوت واحد فاصعدت اليه عشرا فاندفعن يغنين بصوت واحد

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ＊ كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فسبهن وطردهن ثم أمرها فاصعدت عشرا غيرهن فغنينه

الاحي بفسوه لينظروا في أمره وطلبوا اسياده فوجدوه عند الشيخ المهدي وأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ثم أطلقوهم بدون ضرر وأخذوا اسياده من عند المهدي وحبسوه وحضر الاغاوبرطلمين الى الخان بعد العشاء وطلبوا البواب والخانجي والجيران وصعدوا الى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيئا وأرادوا فتح الحواصل فمنعهم السيد أحمد ابن محمود محرم فخرجوا وأخذوا معهم الخانجي وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضا وقتلوا المملوك في ثاني يوم واستمر الجماعة في الحبس الى أن أطلقوهم بعد ايام عديدة من الحادثة (وفي ذلك اليوم) ايضا مر نصراني من الشوام على المشهد الحسيني وهو راكب على حمار فرآه ترجمان ضابط الخطة ويسمى السيد عبد الله فامره بالنزول اجلالا للمشهد على العادة فامتنع فانتهره وضربه والقاه على الارض فذهب ذلك النصراني الى الفرنسيس وشكا اليهم السيد عبد الله المذكور فاحضروه وحبسوه فشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه وادعى النصراني انه كان بعيدا عن المشهد واحضر من

شهد له بذلك وان السيد عبد الله متهور في فعله وادعى انه

منكسين واقام النهب والقتل والحريق والخراب فى أرباض قرطبة ثلاثة أيام ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث ولم يكن عنده من يوازيه فى قربه فاشار عليه بالصفح عنهم والعفو وأشار غيره بالقتل فقبل قوله وأمر فنودى بالامان على انه من بقى من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه فخرج من بقى بعد ذلك منهم مستخفيا وتحملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وماخف من أموالهم وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون ومن امتنع عليهم قتلوه فلما انقضت الايام الثلاثة أمر الحكم بكف الايدى عن حرم الناس وجمعهن الى مكان وأمر بهدم الربض القبلى وكان بزيع مولى امية ابن الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوسا فى حبس الدم بقرطبة فى رجليه قيد ثقيل فلما رأى اهل قرطبة قد غلبوا الجند سال الحرس أن يفرجوا له فاخذوا عليه العهود ان سلم أن يعود اليهم واطلقوه فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن فى الجيش مثله فلما انهزم أهل الربض عاد الى السجن فانتهى خبره الى الحكم فاطلقه واحسن اليه وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة اثنتين ومائتين

(ذكر الوقعة بالموصل المعروفة بالميدان)

وفيها كانت الوقعة المعروفة بالميدان بالموصل بين اليمانية والنزارية وكان سببها ان عثمان بن نعيم البرجمى صار الى ديار مضر فشكا الازد واليمن وقال انهم يتهضموننا ويغلبوننا على حقوقنا واستنصرهم فسار معه الى الموصل مايقارب عشرين ألفا فارسل اليهم على بن الحسن الهمدانى وهو حينئذ متغلب على الموصل فسالهم عن حالهم فاخبروه فاجابهم الى مايريدون فلم يقبل عثمان ذلك فخرج اليهم على من البلد فى نحو أربعة آلاف رجل فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا عدة وقائع فكانت الهزيمة على النزارية وظفر بهم على وقتل منهم خلقا كثيرا وعادا الى البلد

(ذكر عدة حوادث)

وفى هذه السنة خرج الحسن الهرشى فى جماعة من سفلة الناس معه خلق كثير من الاعراب ودعا الى الرضا من آل محمد وأتى النيل فجبى الاموال ونهب القرى وفيها مات سفيان بن عيينة الهلالى بمكة وكان مولده سنة تسع ومائة وفيها توفى عبد الرحمن بن المهدى وعمره ثلاث وستون سنة ويحيى بن سعيد القطان فى صفر ومولده سنة عشرين ومائة

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة)

(ذكر ظهور ابن طباطبا العلوى)

وفيها ظهر أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب عليه السلام لعشر خلون من جمادى الآخرة بالكوفة يدعو الى الرضا

رجوعهم بعد المبيع من مصر الى السويس كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق لان هذه المرة ماارسل اليكم هذا المقدار الا تجربة واستخبارا من اعيان التجار وعند مشاهدة الاكرام والاحتفال بهم فى كل حال يرسلون اليكم نفائس اموالهم ويسرعون بالجلب لطرفكم ويزول الريب عن قلوبهم ونرجوا الله بهمتنا تسليك الطرقات وتحجيج المطالب وتحصيل الميرات باحسن مما كانت من الامان واعظم مما سبق فى غابر الازمان ويكثر بحول الله الوارد اليكم من الاسباب الجازية وكذلك لنا بن فى المراكب فاملنا منكم القاء النظر على خدامنا وبذل الهمة على ماهو من طرفنا وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام فى كل مرام ولايخفاك انه ورد علينا قبل بايام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوية محبنا بونابارته فما كان لنا منها فتاملناه وصار اليه الجواب توصله اليه وما كان منها معولا فى ارساله علينا الى نواحى الهند وابن حيدر وامام مسكت ووكيلكم الذى فى المخا فجميعا اصدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى أربابها وان شاء الله عن قريب ياتيكم الجواب والسلام تحريرا فى ثمانية

فتح الشين المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة)

(ذكر ولاية الحسن بن سهل العراق وغيره من البلاد)

وفي هذه السنة استعمل المامون الحسن بن سهل اخا الفضل على كل ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن بعد ان قتل الامين وكتب الى طاهر بتسليم ذلك اليه فقدم الحسن بين يديه علي بن ابي طاهر سعيد فدافعه طاهر بتسليم الخراج اليه حتى وفي الجند ارزاقهم وسلم اليه العمل وقدم الحسن سنة تسع وتسعين وفرق العمال وأمر طاهرا أن يسير الى الرقة لمحاربة نصر بن سيار بن شبث العقيلي وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب فسار طاهر الى قتال نصر بن سيار بن شبث وارسل اليه يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه الى ذلك فتقدم اليه طاهر والتقوا بنواحي كيسوم واقتتلوا قتالا شديدا أبلى فيه نصر بلاء عظيما وكان الظفر له وعاد طاهر شبه المهزوم الى الرقة وكان قصارى أمر طاهر حفظ تلك النواحي وكتب المامون الى هرثمة يامره بالمسير الى خراسان وحج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد

(ذكر وقعة الربض بقرطبة)

في هذه السنة كانت بقرطبة الوقعة المعروفة بالربض وسببها ان الحكم بن هشام الاموي صاحبها كان كثير التشاغل باللهو والصيد والشرب وغير ذلك مما يجانسه وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة فكرهه أهلها وصاروا يتعرضون لجنده بالاذى والسب الى ان بلغ الامر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الاذان الصلاة يا مخمور الصلاة وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالاكف فشرع في تحصين قرطبة وعمارة اسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ورتب جمعا لا يفارقون باب قصره بالسلاح فزاد ذلك في حقد اهل قرطبة وتيقنوا انه يفعل ذلك للانتقام منهم ثم وضع عليهم عشر الاطعمة كل سنة من غير خرص فكرهوا ذلك ثم عمد الى عشرة من رؤساء سفهائهم فقتلهم وصلبهم فهاج لذلك أهل الربض وانضاف الى ذلك ان مملوكا له سلم سيفا الى صيقل ليصقله فطاله فاخذ المملوك السيف فلم يزل يضرب الصيقل به الى أن قتله وذلك في رمضان من هذه السنة فكان أول من شهر السلاح اهل الربض واجتمع اهل الارباض جميعهم بالسلاح واجتمع الجند والامويون والعبيد بالقصر وفرق الحكم الخيل والاسلحة وجعل اصحابه كتائب ووقع القتال بين الطائفتين فغلبهم اهل الربض واحاطوا بقصره فنزل الحكم من أعلى القصر ولبس سلاحه وركب وحرض الناس فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا ثم أمر ابن عمه عبيد الله فثلم في السور ثلمة وخرج منها ومعه قطعة من الجيش واتى أهل الربض من وراء ظهورهم ولم يعلموا بهم فاضرموا النار في الربض وانهزم أهله وقتلوا مقتلة عظيمة واخرجوا من وجدوا في المنازل والدور فاسروهم فانتقى من الاسرى ثلثمائة من وجوههم فقتلهم وصلبهم

منكسين

وتاملنا في كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد عن غوغياهب الشك في كل المراد ووجب الآن علينا تسكوين اسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المنا كرة وشهلنا الآن الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندر ناجدة المعمورة في هذا الاوان ولا امكن لنا خروج هذا المقدار الابمشقة علاج مع سلب اطمئنان التجار لان كثرة اكاذيب الاخبار اوجبت لهم مزيد الارتياب والاعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الازمان واما نحن فقد جاءتنا منكم قبل هذا المكاتيب التي اوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والاكاذيب فخاطرنا مستقر بالطمانينة من قبلكم لما ثبت عندنا من الفاظ كتبكم والمطلوب في حال وصول كتابنا اليكم ارسال عسكر من لديكم الى بندر السويس لاجل حفظ اموال الناس ويصلوا بالاذن الى مصر ويبيع التجار ويزول وقف الاسباب والباس وتهتموا في رجوعهم كذلك قبل اوان ليكون ذلك سببا في كثرة وفود الابنان وعند

له أهلها وأتاه الناس من نواحي الكوفة والاعراب فبايعوه وكان العامل عليها للحسن ابن سهل سليمان بن المنصور فلامه الحسن ووجه زهير بن المسيب الضبي الى الكوفة في عشرة آلاف فارس وراجل فخرج اليه ابن طباطبا وأبو السرايا فواقعوه في قرية شاهي فهزموه واستباحوا عسكره وكانت الوقعة سلخ جمادى الآخرة فلما كان الغد مستهل رجب مات محمد بن ابراهيم بن طباطبا فجأة سمه أبو السرايا وكان سبب ذلك انه لما غنم ما في عسكر زهير منع عنه أبا السرايا وكان الناس له مطيعين فعلم أبو السرايا انه لا حكم له معه فسمه فمات وأخذ مكانه غلاما أمرد يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فكان الحكم الى أبي السرايا ورجع زهير الى قصر ابن هبيرة فأقام به ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن أبي خالد المروروذي في أربعة آلاف فارس فخرج اليه أبو السرايا فلقيه بالجامع لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب فقتل عبدوس ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل واسير وانتشر الطالبيون في البلاد وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وسير جيوشه الى البصرة وواسط ونواحيهما فولى البصرة العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري وولى مكة الحسين بن الحسن ابن علي بن الحسين بن علي الذي يقال له الافطس وجعل اليه الموسم وولى اليمن ابراهيم ابن موسى بن جعفر وولى فارس اسمعيل بن موسى بن جعفر وولى الاهواز زيد بن موسى بن جعفر فسار الى البصرة وغلب عليها واخرج عنها العباس بن محمد الجعفري ووليها مع الاهواز ووجه أبو السرايا محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي الى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي فأتى المدائن وأقام بها وسير عسكره الى ديالى وكان بواسط عبد الله بن سعيد الحرشي واليا عليها من قبل الحسن بن سهل فانهزم من أصحاب أبي السرايا الى بغداد فلما رأى الحسن ان أصحابه لا يلبثون لاصحاب أبي السرايا أرسل الى هرثمة يستدعيه لمحاربة أبي السرايا وكان قد سار الى خراسان مغاضبا للحسن فحضر بعد امتناع وسار الى الكوفة في شعبان وسير الحسن الى المدائن وواسط علي بن سعيد فبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة فوجه جيشا الى المدائن فدخلها أصحابه في رمضان وتقدم حتى نزل بنهر صرصر وجاء هرثمة فعسكر بازائه بينهما النهر وسار علي بن سعيد في شوال الى المدائن فقاتل بها أصحاب أبي السرايا فهزمهم واستولى على المدائن وبلغ الخبر أبا السرايا فرجع من نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة فنزل به وسار هرثمة في طلبه فوجد جماعة من أصحابه فقتلهم ووجه رؤسهم الى الحسن بن سهل ونازل هرثمة أبا السرايا فكانت بينهما وقعة قتل فيها جماعة من أصحاب أبي السرايا فانحاز الى الكوفة ووثب من معه من الطالبيين على دور بني العباس ومواليهم وأتباعهم فهدموها وانتهبوها وخربوا ضياعهم وأخرجوهم من الكوفة وعملوا اعمالا قبيحة واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس وكان هرثمة يخبر الناس انه يريد الحج وحبس من قدم للحج من خراسان وغيرها ليكون هو امير الموسم ووجه الى مكة داود بن عيسى بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وكان له قريحة جيدة وحافظة غريبة يملي في تقريره خلاصة ما ذكره أرباب الحواشي مع حسن سبك والطلبة يكتبون ذلك بين يديه وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقرؤها حتى صارت مجلدات وانتفع بها الطلبة انتفاعا عاما ودرس في حياة شيخه سنينا عديدة واشتهر بالفتوح وكان الشيخ الصعيدي يأمر الطلبة بحضوره وملازمته وكان فيه انصاف زائد وتؤدة ومروءة وتوجه الى الحق ولديه اسرار ومعارف وفوائد وتمائم وعلم بتنزيل الاوفاق والوفق المثني العددي والحرفي وطرائق تنزيلها بالتطويق والمربعات وغير ذلك * ولما توفي الشيخ محمد حسن جلس موضعه للتدريس باشارة من أهل الباطن * ولما توفي الشيخ أحمد الدردير ولي مشيخة رواق الصعايدة وله مؤلفات منها مسائل كل صلاة بطلت على الامام وغير ذلك ولم يزل على حالته وافادته وملازمة دروسه والجماعة حتى توفي في هذه السنة ودفن في تربة المجاورين رحمة الله تعالى عليه * ومات العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن ابراهيم الشرقاوي الشافعي الازهري قرأ على والده وتفقه وتأدب ولم يزل ملازما لدروسه حتى توفي والده فتصدر للتدريس في محله

من آل محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالكتاب والسنة وهو الذي يعرف بابن طباطبا وكان القيم بامره في الحرب أبو السرايا السرى بن منصور وكان يذكر أنه من ولد هانئ ابن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني وكان سبب خروجه ان المامون لما صرف طاهرا عما كان اليه من الاعمال التي افتتحها ووجه الحسن بن سهل اليها تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المامون وانه انزله قصرا حجبه فيه عن أهل بيته وقواده وانه يستبد بالامر دونه فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن في الامصار فكان اول من ظهر ابن طباطبا بالكوفة وقيل كان سبب اجتماع ابن طباطبا بابي السرايا ان ابا السرايا كان يكرى الحمير ثم قوى حاله فجمع نفرا فقتل رجلا من بني تميم بالجزيرة واخذ ما معه فطلب فاختفى وعبر الفرات الى الجانب الشامي فكان يقطع الطريق في تلك النواحي ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيباني بارمينية ومعه ثلاثون فارسا فقوده فجعل يقاتل معه الخرمية واثر فيهم وفتك واخذ منهم غلاما اسماه ابا الشوك فلما عزل اسد عن ارمينية صار ابو السرايا الى احمد ابن مزيد فوجهه احمد طليعة الى عسكر هرثمة في فتنة الامين والمامون وكانت شجاعته قد اشتهرت فراسله هرثمة يستميله فمال اليه فانتقل الى عسكره وقصده العرب من الجزيرة واستخرج لهم الارزاق من هرثمة فصار معه نحو الفي فارس وراجل فصار يخاطب بالامير فلما قتل الامين نقصه هرثمة من ارزاقه وارزاق اصحابه فاستاذنه في الحج فاذن له واعطاه عشرين الف درهم ففرقها في اصحابه ومضى وقال لهم اتبعوني متفرقين ففعلوا فاجتمع معه منهم نحو من مائتي فارس فسار بهم الى عين التمر وحصر عاملها واخذ ما معه من المال وفرقه في اصحابه وسار فلقي عاملا آخر ومعه مال على ثلاثة بغال فاخذها وسار فلحقه عسكر كان قد سيره هرثمة خلفه فعاد اليهم وقاتلهم فهزمهم ودخل البرية وقسم المال بين اصحابه وانتشر جنده فلحق به من تخلف عنه من اصحابه وغيرهم فكثر جمعه فسار نحو دقوقا وعليها ابو ضرغامة العجلي في سبعمائة فارس فخرج اليه فلقيه فاقتتلوا فانهزم ابو ضرغامة ودخل قصر دقوقا فحصره ابو السرايا واخرجه من القصر بالامان واخذ ما عنده من الاموال وسار الى الانبار وعليها ابراهيم الشروى مولى المنصور فقتله ابو السرايا واخذ ما فيها وسار عنها ثم عاد اليها بعد ادراك الغلال فاحتوى عليها ثم ضجر من طول السرى في البلاد فقصد الرقة فمر بطوق بن مالك التغلبي وهو يحارب القيسية فاعانه عليهم واقام معه أربعة أشهر يقاتل على غير طمع الا للعصبية للربعية على المضرية فظفر طوق وانقادت له قيس وسار عنه أبو السرايا الى الرقة فلما وصلها لقيه محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا فبايعه وقال له انحدر أنت في الماء واسير انا على البر حتى نوافي الكوفة فدخلاها وابتدأ أبو السرايا بقصر العباس بن موسى بن عيسى فاخذ ما فيه من الاموال والجواهر وكان عظيما لا يحصى وبايعهم أهل الكوفة وقيل كان سبب خروجه ان ابا السرايا كان من رجال هرثمة فمطله بارزاقه فغضب ومضى الى الكوفة فبايع ابن طباطبا واخذ الكوفة واستوثق

عشر شهر ذي القعدة سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر وبآخره قد وصل هذا الكتاب لمصر في ستة عشر يوما خلت من شهر ذي الحجة فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة الى مصر ثمانية وعشرين يوما وانقضى هذا الشهر ولم يات خبر صحيح عن فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم الا روايات لا يوثق بها ولا يصح بالتواتر منها الا تكرار هجوم الفرنسيس على حصون عكا ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئا الا فعلوه ولم ينالوا غرضا منها وانقضت هذه السنة وما حصل بها من الحوادث التي لم يتفق مثلها ومن أعظمها انقطاع سفر الحج من مصر ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة وهذا لم يقع نظيره في هذه القرون ولا في دولة بني عثمان والامر لله وحده

(وأما من مات في هذه السنة) من الاعيان ومن له ذكر في الناس (مات) الامام العمدة الفقيه العلامة المحقق الفهامة المتقن المتفنن المتبحر عين أعيان الفضلاء الازهرية الشيخ أحمد بن موسى ابن أحمد بن محمد البيلي العدوي المالكي ولد ببني عدي سنة احدى وأربعين ومائة والف وبها نشا فقرأ القرآن وقدم الجامع الازهر ولازم الشيخ على الصعيدي ملازمة كلية حتى تمهر في العلوم وبرع

له

في هذه السنة هرب أبو السرايا من الكوفة وكان قد حصره فيها ومن معه هرثمة وجعل يلازم قتالهم حتى ضجروا وتركوا القتال فلما رأى ذلك أبو السرايا تهيأ للخروج من الكوفة فخرج في ثمانمائة فارس ومعه محمد بن محمد بن زيد ودخلها هرثمة فآمن أهلها ولم يتعرض اليهم وكان هربه سادس عشر المحرم وأتى القادسية وسار منها الى السوس بخوزستان فلقي مالا قد حمل من الاهواز فأخذه وقسمه بين أصحابه وأتاه الحسن ابن علي المأموني فأمره بالخروج من عمله وكره قتاله فأبى ابو السرايا الا قتاله فقاتله فهزمه المأموني وجرحه وتفرق اصحابه وسار هو ومحمد بن محمد وابو الشوك نحو منزل ابي السرايا برأس عين فلما انتهوا الى جلولاء ظفر بهم حماد الكندغوش فأخذهم وأتى بهم الحسن بن سهل وهو بالنهروان فقتل ابا السرايا وبعث رأسه الى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد وسير محمد بن محمد الى المأمون وأما هرثمة فانه اقام بالكوفة يوما واحدا وعاد واستخلف بها غسان بن ابي الفرج ابا ابراهيم بن غسان صاحب حرس والي خراسان وسار علي بن سعيد الى البصرة فأخذها من العلويين وكان بها زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام وهو الذي يسمى زيد النار وانما سمي بها لكثرة ما احرق بالبصرة من دور العباسيين واتباعهم وكان اذا أتى برجل من المسودة احرقه واخذ اموالا كثيرة من أموال التجار سوى أموال بني العباس فلما وصل علي الى البصرة استأمنه زيد فأمنه وأخذه وبعث الى مكة والمدينة واليمن جيشا فأمرهم بمحاربة من بها من العلويين وكان بين خروج ابي السرايا وقتله عشرة أشهر

(ذكر ظهور ابراهيم بن موسى بن جعفر)

في هذه السنة ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وكان بمكة فلما بلغه خبر ابي السرايا وما كان منه سار الى اليمن وبها اسحق بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس عاملا للمأمون فلما بلغه قرب ابراهيم من صنعاء سار منها نحو مكة فأتى المشاش فعسكر بها واجتمع بها اليه جماعة من أهل مكة هربوا من العلويين واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة من قتل باليمن وسبي وأخذ الاموال

(ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الافطس بمكة والبيعة لمحمد بن جعفر)

وفي هذه السنة في المحرم نزع الحسين كسوة الكعبة وكساها كسوة أخرى أنفذها أبو السرايا من الكوفة من القز وتتبع ودائع بني العباس واتباعهم وأخذها وأخذ أموال الناس بحجة الودائع فهرب الناس منه وتطرق أصحابه الى قلع شبابيك الحرم وأخذ ما على الاساطين من الذهب وهو نزر حقير وأخذ ما في خزانة الكعبة فقسمه مع كسوتها على أصحابه فلما بلغه قتل أبي السرايا ورأى تغير الناس لسوء سيرته وسيرة أصحابه أتى هو وأصحابه الى محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام وكان شيخا محببا للناس مفارقا لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة وكان يروي العلم عن

الفرنسيس في أواخر جمادى الاولى من السنة ولم يعلم له قبر * ومات الشاب الصالح والنبيه الفالح الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصيلحي الشافعي الازهري حفظ القرآن والمتون وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدي والبراوي والشيخ عطية الاجهوري والشيخ أحمد العروسي وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحي وأنجب وأملى دروسا بجامع الكردي بسويقة اللالا وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح ولم يزل ملازما على حاله حتى اتهم أيضا في حادثة الفرنسيس وقتل مع من قتل شهيدا بالقلعة * ومات العمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان بزاويتهم المعروفة الآن بالشنواني تولى شيخا على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ الشبراوي وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات فكان يشتري غلال المستحقين المعطلة بالابعاد بدون الطفيف ويخرج كشوفاتها ويحاويلها على الملتزمين ويطالبهم بها كيلا وعينا ومن عصى عليه أرسل اليه الجيوش الكثيرة من العميان فلا يجد بدا من الدفع وان كانت غلاله معطلة صالحه بما أحب من الثمن وله اعوان

رضى الله عنهم وكان الذى وجهه ابو السرايا الى مكة حسين بن حسن الافطس بن على ابن على بن الحسين بن على ووجه أيضا الى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن ابن على فدخلها ولم يقاتله بها احد ولما بلغ داود بن عيسى توجيه ابى السرايا حسين بن حسن الى مكة لاقامة الموسم جمع اصحاب بنى العباس ومواليهم وكان مسرور الكبير قد حج فى مائتى فارس فتعبى للحرب وقال لداود أقم الى شخصك أو بعض ولدك وأنا أكفيك فقال لا أستحل القتال فى الحرم والله لئن دخلوها من هذا الفج لاخرجن من غيره وانحاز داود الى ناحية المشاش وافترق الجمع الذين كان جمعهم وخاف مسرور أن يقاتلهم فخرج فى أثر داود راجعا الى العراق وبقى الناس بعرفة فصلى بهم رجل من عرض الناس بغير خطبة ودفعوا من عرفة بغير امام وكان حسين بن حسن يخاف دخول مكة حتى خرج اليه قوم أخبروه ان مكة قد خلت من بنى العباس فدخلها فى عشرة أنفس فطافوا بالبيت وبين الصفا والمروة ومضوا الى عرفة فوقفوا ليلا ثم رجعوا الى مزدلفة فصلى بالناس الصبح وأقام بمنى أيام الحج وبقى بمكة الى أن انقضت السنة وكذلك أيضا أقام محمد بن سليمان بالمدينة حتى انقضت السنة وأما هرثمة فانه نزل بقرية شاهى ورد الحاج واستدعى منصور بن المهدى اليه وكاتب رؤساء أهل الكوفة وأما على بن سعيد فانه توجه من المدائن الى واسط فاخذها وتوجه الى البصرة فلم يقدر على أخذها هذه السنة

(ذكر قوة نصر بن شبث العقيلى)

وفيها اقوى أمر نصر بن شبث العقيلى بالجزيرة وكثر جمعه وحصر حران وأتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا له قد وترت بنى العباس وقتلت رجالهم وأعلقت عنهم العرب فلو بايعت لخليفة كان أقوى لامرك فقال من أى الناس فقالوا نبايع لبعض آل على بن أبى طالب فقال أبايع بعض أولاد السوداوات فيقول انه هو خلقنى ورزقنى قالوا فنبايع لبعض بنى أمية فقال أولئك قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبدا ولو سلم على رجل مدبر لاعدانى ادباره وانما هواى فى بنى العباس وانما حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى الحسين بن مصعب بن زريق أبو طاهر بن الحسين بخراسان وكان طاهر بالرقة وحضر المامون جنازته ونزل الفضل بن سهل قبره ووجه المامون الى طاهر يعزيه بابيه وفيها توفى أبو عون معاوية بن أجمد الصمادحى مولى آل جعفر بن أبى طالب الفقيه المغربى الزاهد وفيها توفى سهل بن شاذويه أبو هرون وعبد الله بن نمير الهمدانى الكوفى وكنيته أبو هاشم وهو والد محمد بن عبد الله بن نمير شيخ البخارى ومسلم

(ثم دخلت سنة مائتين)

(ذكر هرب أبى السرايا)

فى

واجتمعت عليه طلبة ابيه طول النهار يملى ويفيد ويفتى على مذهبه وياتى اليه الفلاحون من جيرة بلاده بقضاياهم وخصوماتهم وانكحتهم فيقضى بينهم ويكتب لهم الفتاوى فى الدعاوى التى يحتاجون فيها الى المرافعة عند القاضى ورجما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ويسمعون لقوله ويمتثلون لاحكامه وربما اتوه بهدايا ودراهم واشتهر ذكره وكان جسيما عظيم اللحية فصيح اللسان ولم يزل على حالته حتى اتهم فى فتنة الفرنسيس المتقدمة ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة ولم يعلم له قبر * ومات الشيخ الامام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبد الوهاب الشبراوى الشافعى الازهرى تفقه على أشياخ العصر وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوى والحفنى والبراوى وعطية الاجهورى وغيرهم وتصدر للاقراء والتدريس والافادة بالجوهرية وبالمشهد الحسينى ويحضر درسه فيه الجم الغفير من العامة ويستفيدون منه ويقرأ به كتب الحديث كالبخارى ومسلم وكان حسن الالقاء سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة مقبلا على شانه ولم يزل ملازما على حالته حتى اتهم فى اثارة الفتنة وقتل بالقلعة شهيدا ايضا

طالب في جند ليحج بالناس فسار العقيلي حتى أتى بستان ابن عامر فبلغه ان أبا اسحق المعتصم قد حج في جماعة من القواد فيهم حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن فعلم العقيلي انه لا يقوى لهم فاقام ببستان ابن عامر فاجتازت به قافلة من الحاج ومعهم كسوة الكعبة وطيبها فاخذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها وقدم الحجاج مكة عراة منهوبين فاستشار المعتصم أصحابه فقال الجلودي انا اكفيك ذلك فانتخب مائة رجل وسار بهم الى العقيلي فصبحهم فقاتلهم فانهزموا واسر اكثرهم واخذ كسوة الكعبة واموال التجار الا ما كان مع من هرب قبل ذلك فرده واخذ الاسرى فضرب كل واحد منهم عشرة اسواط واطلقهم فرجعوا الى اليمن يستطعمون الناس فهلك اكثرهم في الطريق

(ذكر مسير هرثمة الى المامون وقتله)

لما فرغ هرثمة من ابى السرايا رجع فلم يات الحسن بن سهل وكان بالمدائن بل سار على عقرقوف حتى اتى البردان والنهروان واتى خراسان فاتته كتب المامون في غير موضع لان ياتي الى الشام والحجاز فابى وقال لا ارجع حتى القى امير المؤمنين ادلالا منه عليه ولما يعرف من نصيحته له ولآبائه واراد ان يعرف المامون ما يدبر عليه الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الاخبار وانه لا يدعه حتى يرده الى بغداد ليتوسط سلطانه فعلم الفضل بذلك فقال للمامون ان هرثمة قد اثقل عليك البلاد والعباد ودس ابا السرايا وهو من جنده ولو اراد لم يفعل ذلك وقد كتبت اليه عدة كتب ليرجع الى الشام والحجاز فلم يفعل وقد جاء مشاقا يظهر القول الشديد فان اطلق هذا كان مفسدة لغيره فتغير قلب المامون وابطا هرثمة الى ذى القعدة فلما بلغ مرو خشي ان يكتم قدومه عن المامون فامر بالطبول فضربت لكي يسمعها المامون فسمعها فقال ما هذا قالوا هرثمة قد اقبل يرعد و يبرق فظن هرثمة ان قوله المقبول فامر المامون بادخاله فلما دخل عليه قال له المامون مالات اهل الكوفة والعلويين ووضعت ابا السرايا ولو شئت ان تاخذهم جميعا لفعلت فذهب هرثمة يتكلم ويعتذر فلم يقبل منه فامر به فديس بطنه وضرب انفه وسحب من بين يديه وقد أمر الفضل الاعوان بالتشديد عليه فحبس فمكث في الحبس اياما ثم دس اليه من قتله وقالوا مات

(ذكر وثوب الحربية ببغداد)

وفيها كان الشغب ببغداد بين الحربية والحسن بن سهل وكان سبب ذلك ان الحسن ابن سهل كان بالمدائن حين شخص هرثمة الى المامون فلما اتصل ببغداد وسمع ما صنعه المامون بهرثمة بعث الحسن بن سهل الى علي بن هشام وهو والي بغداد من قبله أن ماطل الجند من الحربية أرزاقهم ولا تعطهم وكانت الحربية قبل ذلك حين خرج هرثمة الى خراسان قد وثبوا وقالوا لا نرضى حتى نطرد الحسن وعماله عن بغداد فطردوهم وصيروا اسحق ابن موسى الهادي خليفة المامون ببغداد واجتمع أهل

والحبش والسود وكان يقرض الاكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنة ولم يزل حتى حمله التفاخر في زمن الفرنسيس على تولية كبر اثارة الفتنة التي أصابته وغيره وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر وكان ابنه معوقا ببيت البكري فلما علم بموته قلق وكاد يخرج من عقله خوفا على ما يعلم مكانه من مال أبيه حتى خلص في ثاني يوم بشفاعة المشايخ ولم يكن مقصودا بالذات بل حضر ليعود اباه فحجزه القومة عليهم زيادة في الاحتياط * ومات الاجل المفوه العمدة الشيخ اسمعيل البراوي ابن أحمد البراوي الشافعي الازهري وهو ابن أخي الشيخ عيسى البراوي الشهير الذكر تصدر بعد وفاة والده في مكانه وكان قليل البضاعة الا انه تغلب عليه النباهة واللسانة والسلاطة والتداخل وذلك هو الذي أوقعه في حبائل الفرنساوية وقتل مع من قتل شهيدا ولم يعلم له قبر غفر الله لنا وله * ومات الوجيه الاجل الامثل السيد محمد كريم السكندري وكريم بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء مكسورة وسكون الميم مقتولا بيد الفرنسيس * وخبره انه كان في أول أمره قبانيا يزن البضائع في حانوت بالثغر

 وعنده خفة في الحركة وتودد في المعاشرة فلم يزل يتقرب الى

أبيه جعفر رضي الله عنه وكان الناس يكتبون عنه وكان يظهر زهدا فلما أتوه قالوا انك تعلم منزلتك من الناس فهلم نبايع لك بالخلافة فان فعلت لم يختلف عليك رجلان فامتنع من ذلك فلم يزل به ابنه علي والحسين بن الحسن الافطس حتى غلباه على رأيه وأجابهم وأقاموه في ربيع الاول فبايعوه بالخلافة وجمعوا له الناس فبايعوه طوعا وكرها وسموه أمير المؤمنين فبقي شهورا وليس له من الامر شئ وابنه علي والحسين بن الحسن وجماعتهم أسوأ ما كانوا سيرة وأقبح فعلا فوثب الحسين بن الحسن على امرأة من بني فهر كانت جميلة وأرادها على نفسها فامتنعت منه فأخاف زوجها وهو من بني مخزوم حتى توارى عنه ثم كسر باب دارها وأخذها اليه مدة ثم هربت منه ووثب علي ابن محمد بن جعفر على غلام أمرد وهو ابن قاضي مكة يقال له اسحق بن محمد وكان جميلا فأخذه قهرا فلما رأى ذلك أهل مكة ومن بها من المجاورين اجتمعوا بالحرم واجتمع معهم جمع كثير فأتوا محمد بن جعفر فقالوا له لنخلعنك أو لنقتلنك أو لتردن الينا هذا الغلام فأغلق بابه وكلمهم من شباك وطلب منهم الامان ليركب الى ابنه ويأخذ الغلام وحلف لهم انه لم يعلم بذلك فأمنوه فركب الى ابنه وأخذ الغلام منه وسلمه الى أهله ولم يلبثوا الا يسيرا حتى قدم اسحق بن موسى العباسي من اليمن فنزل المشاش واجتمع الطالبيون الى محمد بن جعفر وأعلموه وحفروا خندقا وجمعوا الناس من الاعراب وغيرهم فقاتلهم اسحق ثم كره القتال فسار نحو العراق فلقيه الجند الذين أنفذهم هرثمة الى مكة ومعهم الجلودي ورجاء بن جميل فقالوا لاسحق ارجع معنا ونحن نكفيك القتال فرجع معهم فقاتلوا الطالبيين فهزموهم فأرسل محمد بن جعفر يطلب الامان فأمنوه ودخل العباسيون مكة في جمادى الآخرة وتفرق الطالبيون من مكة وأما محمد بن جعفر فسار نحو الجحفة فأدركه بعض موالي بني العباس فأخذ جميع ما معه وأعطاه دريهمات يتوصل بها فسار نحو بلاد جهينة فجمع بها وقاتل هرون بن المسيب والي المدينة عند الشجرة وغيرها عدة دفعات فانهزم محمد وفقئت عينه بنشابة وقتل من أصحابه بشر كثير ورجع الى موضعه فلما انقضى الموسم طلب الامان من الجلودي ومن رجاء بن جميل وهو ابن عم الفضل بن سهل فأمنه وضمن له رجاء عن المأمون وعن الفضل الوفاء بالامان فقبل ذلك فأتى مكة لعشر بقين من ذي الحجة فخطب الناس وقال انني بلغني ان المأمون مات وكانت له في عنقي بيعة وكانت فتنة عمت الارض فبايعني الناس ثم انه صح عندي ان المأمون حي صحيح وأنا أستغفر الله من البيعة وقد خلعت نفسي من البيعة التي بايعتموني عليها كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي فلا بيعة لي في رقابكم ثم نزل وسار سنة احدى ومائتين الى العراق فسيره الحسن ابن سهل الى المأمون بمرو فلما سار المأمون الى العراق صحبه فمات بجرجان على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ما فعله ابراهيم بن موسى)

وفي هذه السنة وجه ابراهيم بن موسى بن جعفر من اليمن رجلا من ولد عقيل بن أبي

برسلهم الى الملتزمين بالجهة المشهورة بالغلال والمعاوضات من البن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك ويبيعها في سني الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة ويطحن منها على طواحينه دقيقا ويبيع خلاصته في البطط بحارة اليهود ويعجن نخالته خبزا لفقراء العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشحاذة في طوافهم آناء الليل وأطراف النهار بالاسواق والازقة وتغنيهم بالمدائح والخرافات وقراءة القرآن في البيوت ومساطب الشوارع وغير ذلك ومن مات منهم ورثه الشيخ المترجم المذكور وأحرز لنفسه ما جمعه ذلك الميت وفيهم من وجد له الموجود العظيم ولا يجد له معارضا في ذلك واتفق أن الشيخ الحفني نقم عليه في شئ فأرسل اليه من أحضره موثوقا مكشوف الرأس مضروبا بالنعالات على دماغه وقفاه من بيته الى بيت الشيخ بالموسكي بين ملأ العالم ولما انقضت تلك السنون وأهلها صار المترجم من أعيان الصدور المشار اليهم في المجالس تخشى سطوته وتسمع كلمته ويقال قال الشيخ كذا وأمر الشيخ بكذا وصار يلبس الملابس والفراوي ويركب البغال واتباعه محدقة به وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات

النهر وتعذر جوازه فقتل عبد الكريم عنهم سابع ذي الحجة

(ذكر خروج البربر بناحية موروز)

وفي هذه السنة خرج خارجي من البربر بناحية موروز من الاندلس ومعه جماعة فوصل كتاب العامل الى الحكم بخبره فاخفى الحكم خبره واستدعى من ساعته قائدا من قواده فاخبره بذلك سرا وقال له سر من ساعتك الى هذا الخارجي فائتني براسه والا فرأسك عوضه وأنا قاعد مكاني هذا الى ان تعود فسار القائد الى الخارجي فلما قاربه سال عنه فاخبر عنه باحتياط كثير واحتراز شديد ثم ذكر قول الحكم لئن قتلته والا فرأسك عوضه فحمل نفسه على سبيل سلوك المخاطرة فاعمل الحيلة حتى دخل عليه وقتله وأحضر عند الحكم فرآه بمكانه ذلك لم يتغير منه وكانت غيبته أربعة ايام فلما راى رأسه أحسن الى ذلك القائد ووصله وأعلى محله (موروز بفتح الميم وسكون الواو وضم الراء وسكون الواو الثانية وآخره راء ثانية)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وجه المامون رجاء بن ابي الضحاك لاحضار علي بن موسى بن جعفر بن محمد واحصى في هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا مابين ذكر وأنثى وفي هذه السنة قتلت الروم ملكها أليون وكان ملكه سبع سنين وستة أشهر وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجيس ثانية وفيها خالف علي بن ابي سعيد على الحسن بن سهل فبعث المامون اليه بسراج الخادم وقال له ان وضع يده في يد الحسن بن سهل أو شخص الى مرو والا فاضرب عنقه فسار اليه سراج فاطاع وتوجه الى المامون بمرو مع هرثمة وفيها قتل المامون يحيى بن عامر بن اسمعيل لانه قال له يا أمير الكافرين وحج بالناس هذه السنة المعتصم وفيها توفي القاضي أبو البختري وهب بن وهب ومعروف الكرخي الزاهد وصفوان بن عيسى الفقيه والمعافى بن داود الموصلي وكان فاضلا عابدا

(ثم دخلت سنة احدى ومائتين)

(ذكر ولاية منصور بن المهدي ببغداد)

وفي هذه السنة أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة فامتنع عن ذلك فارادوه على الامرة عليهم على أن يدعو للمامون بالخلافة فاجابهم اليه وكان سبب ذلك ما ذكرناه قبل من اخراج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد فلما اتصل اخراجهم من بغداد بالحسن بن سهل سار من المدائن الى واسط وذلك أول سنة احدى ومائتين فلما هرب الى واسط تبعه محمد بن أبي خالد بن الهندوان مخالفا له وقد تولى القيام بامر الناس وولى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي وكان ببغداد منصور بن المهدي والفضل بن الربيع وخزيمة بن خازم وقدم عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر في هذه الايام فوافق أباه على قتال الحسن بن سهل فمضيا ومن معهما الى قرية أبي قريش قريب واسط ولقيهما في

كذا وكذا من المال وذكر له قد رأى عجزه عنه واجله اثنتي عشرة ساعة وان لم يحضر ذلك القدر والا يقتل بعد مضيها فلما اصبح ارسل الى المشايخ والى السيد احمد المحروقي فحضر اليه بعضهم فترجاهم وتداخل عليهم واستغاث وصار يقول لهم اشتروني يا مسلمون وليس بيدهم ما يفتدونه به وكل انسان مشغول بنفسه ومتوقع لشئ يصيبه وذلك في مبادي امرهم فلما كان قريب الظهر وقد انقضى الاجل اركبوه حمارا واحتاط به عدة من العسكر وبايديهم السيوف المسلولة ويقدمهم طبل يضربون عليه وشقوا به الصليبة الى ان ذهبوا الى الرميلة وكتفوه وربطوه مشبوحا وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ثم قطعوا راسه ورفعوها على نبوت وطافوا بها بجهات الرميلة والمنادي يقول هذا جزاء من يخالف الفرنسيس ثم ان اتباعه اخذوا راسه ودفنوها مع جثته وانقضى امره وذلك يوم الخميس خامس عشري ربيع الاول * ومات الامير ابراهيم بيك الصغير المعروف بالوالي وهو من مماليك محمد بيك ابي الذهب وتقلد الزعامة بعد موت استاذه ثم تقلد الامارة والصنجقية في أواخر جمادي الاولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف وهو اخو سليمان بيك المعروف

خواطر حواشي الدولة وغيرهم

الجانبين على ذلك ورضوا به فدس الحسن اليهم وكاتب قوادهم حتى يبعثوا من جانب عسكر المهدي فحول الحربية اسحق اليهم وأنزلوه على دجيل وجاء زهير بن المسيب فنزل في عسكر المهدي وبعث الحسن على بن هشام في الجانب الآخر هو ومحمد بن أبي خالد ودخلوا بغداد ليلا في شعبان وقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصراة ثم وعدهم رزق ستة أشهر اذا أدركت الغلة فسألوه تعجيل خمسين درهما لكل رجل منهم ينفقونها في رمضان فأجابهم الى ذلك وجعل يعطيهم فلم يتم العطاء حتى أتاهم خبر زيد بن موسى من البصرة المعروف بزيد النار وكان هرب من الحبس وكان عند على ابن سعيد فخرج بناحية الانبار هو وأخو أبي السرايا في ذي القعدة سنة مائتين فبعثوا اليه فأتى به الى على بن هشام وهرب على بن هشام بعد جمعة من الحربية ونزل بصرصر لانه لم يف لهم باعطاء الخمسين الى ان جاء الاضحى وبلغهم خبر هرثمة وأخرجوه وكان القيم بأمر هرثمة محمد بن أبي خالد لان على بن هشام كان يستخف به فغضب من ذلك وتحول الى الحربية فلم يقربهم على فهرب الى صرصر ثم هزموه من صرصر وقيل كان السبب في شغب الابناء أن الحسن بن سهل جلد عبد الله بن على بن ماهان الحد فغضب الابناء وخرجوا

(ذكر الفتنة بالموصل)

وفيها وقعت الفتنة بالموصل بين بني سامة وبني ثعلبة فاستجارت ثعلبة بمحمد بن الحسين الهمداني وهو أخو على بن الحسين أمير البلد فأمرهم بالخروج الى البرية ففعلوا فتبعهم بنو سامة في ألف رجل الى العوجاء وحصروهم فيها فبلغ الخبر عليا ومحمدا ابني الحسين فأرسلا الرجال اليهم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من بني سامة جماعة وأسر جماعة منهم ومن بني تغلب وكانوا معهم فحبسوا في البلد ثم ان أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي أتى محمدا وطلب اليه المسالمة فأجابه اليه وصلح الامر وسكنت الفتنة

(ذكر الغزاة الى الفرنج)

وفي هذه السنة جهز الحكم أمير الاندلس جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج بالاندلس فسار بالعساكر حتى دخل بأرضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما أهلك موضعا وصل الى غيره فاستنفد خزائن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحي مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل أوب فأقبل في جموع عظيمة بازاء عسكر المسلمين بينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة أيام والمسلمون يريدون أن يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فمن عبر النهر سلم وأسر جماعة من كنودهم وملوكهم وقاموا مصافهم وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم فجاءت الامطار وزاد

الناس بحسن التودد ويستجلب من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة في أبناء جنسه حتى أحبه الناس واشتهر ذكره في ثغر الاسكندرية ورشيد ومصر واتصل بصالح بيك حتى كان وكيلا بدار السعادة وله الكلمة النافذة في ثغر رشيد وتملكها وضواحيها واسترق أهلها وقلد أمرها العثمان جاقاتجي دبه وبعد موته السيد محمد المذكور واتصل بمراد بيك بعد صالح أغا فتقرب اليه ووافق منه الغرض ورفع شأنه على أقرانه وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر ونفذت كلمته وأحكامه وتصدر لمطالب الامور وزاد في المكوسات والجمارك ومصادرات التجار خصوصا من الافرنج ووقع بينه وبين السيد شبهة الحادثة التي أوجبت له الاختفاء بالصهريج وموته فيه فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الاسكندرية قبضوا على السيد محمد المذكور وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه في مركب ولما حضروا الى مصر وطلعوا الى قصر مراد بيك وفيها مطالعته باخبارهم وبالحث والاجتهاد على حربهم وتهوين أمرهم وتنقيصهم فاشتد غيظهم عليه فأرسلوا وأحضروه الى مصر وحبسوه فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار فلم يمكن الى ان كانت ليلة الخميس فحضر اليه

النهر

محمد بن يقطين في عسكر الى جيد فسار حتى أتى كوثى فلم يشعر بشئ حتى هجم عليه جيد وكان بالنيل فقاتله قتالا شديدا وانهزم ابن يقطين وقتل من أصحابه وأسر وغرق بشر كثير ونهب جيد ما حول كوثى من القرى ورجع جيد الى النيل وابن يقطين أقام بنهر صرصر وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد من في عسكره وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل فأعطى الفارس اربعين درهما والراجل عشرين درهما

(ذكر أمر المتطوعة بالمعروف)

وفي هذه السنة تجردت المتطوعة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان سبب ذلك ان فساق بغداد والشطار آذوا الناس أذى شديدا وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق وأخذوا النساء والصبيان علانية وكانوا ياخذون ولد الرجل واهله فلا يقدر أن يمتنع منهم وكانوا يطلبون من الرجل أن يقرضهم او يصلهم فلا يقدر على الامتناع وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم لانه كان يغريهم وهم بطانته وكانوا يمسكون المجتازين في الطريق ولا يعدى عليهم أحد وكان الناس معهم في بلاء عظيم وآخر أمرهم انهم خرجوا الى قطربل وانتهبوها علانية وأخذوا العين والمتاع والدواب فباعوها ببغداد ظاهرا واستعدى أهلها السلطان فلم يعدهم وكان ذلك آخر شعبان فلما راى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب ومشى بعضهم الى بعض وقالوا انما في الدرب الفاسق والفاسقان الى العشرة وانتم اكثر منهم فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق ولعجزوا عن الذي يفعلونه فقام رجل يقال له خالد الدريوش فدعا جيرانه واهل محلته على ان يعاونوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابوه الى ذلك فشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم وامتنعوا عليه وارادوا قتاله فقاتلهم فهزمهم وضرب من اخذه من الفساق وحبسهم ورفعهم الى السلطان الا انه كان لا يرى ان يغير على السلطان شيئا ثم قام بعده رجل من الحربية يقال له سهل بن سلامة الانصاري من اهل خراسان ويكنى اباحاتم فدعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة وعلق مصحفا في عنقه وامر اهل محلته ونهاهم فقبلوا منه ودعا الناس جميعا الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم فاتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك وعلى القتال معه لمن خالفه وطاف ببغداد واسواقها وكان قيام سهل لاربع خلون من رمضان وقيام الدريوش قبله بيومين او ثلاثة وبلغ خبر قيامهما الى منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد فكسرهما ذلك لان اكثر اصحابهما كان الشطار ومن لا خير فيه ودخل منصور بغداد وكان عيسى يكاتب الحسن بن سهل في الامان فاجابه الحسن الى الامان له ولاهل بغداد وان يعطى جنده واهل بغداد رزق ستة اشهر اذا ادركت الغلة ورحل عيسى فدخل بغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال وتفرقت العساكر فرضي اهل بغداد بما صالح عليه وبقي سهل على ما كان عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ورجع المذكوران بذلك الجواب فهزوا الهم بجريدة وسافر بها ابراهيم بيك الكبير وضمهم وصالحهم وحضر بصحبة الجميع الى مصر فخنق مراد بيك ولم يزل حتى خرج مغضبا الى الجيزة ثم ذهب الى قبلي وجرى بينهما ما تقدم ذكره من ارسال الرسل ومصالحة مراد بيك ورجوعه واخراج المذكورين ثانيا فخرجوا الى ناحية القليوبية وخرج مراد بيك خلفهم ثم رجعوهم الى جهة الاهرام وقبض مراد بيك عليهم ونفاهم الى جهة بحري وأرسل المترجم الى طندتا ثم ذهبوا الى قبلي خلا مصطفى بيك وأيوب بيك ثم رجعوا الى مصر بعد خروج مراد بيك الى قبلي واستمر أمرهم على ما ذكر حتى ورد حسن باشا وخرج الجميع وجرى ما تقدم ذكره وتولى المترجم امارة الحاج سنة مائتين ولم يسافر به ولما رجعوا الى مصر بعد الطاعون وموت اسمعيل بيك ورجب بيك صاهره ابراهيم بيك الكبير وزوجه ابنته كما تقدم ولم يزل في سيادته وامارته حتى حضر الفرنساوية ووصلوا الى بر انبابه ومات هو في ذلك اليوم غريقا ولم تظهر رمته وذلك يوم السبت سابع صفر من السنة ومات الامير علي بيك

طريقهما عساكر الحسن في غير موضع فهزماهم ولما انتهى محمد الى دير العاقول أقام به ثلاثا وزهير بن المسيب مقيم باسكاف بني الجنيد عاملا للحسن على جوخى وهو يكاتب قواد بغداد فركب اليه محمد وأخذه أسيرا وأخذ كل ماله وسيره أسيرا الى بغداد وحبسه عند أبيه جعفر ثم تقدم محمد الى واسط ووجه محمد ابنه هرون من دير العاقول الى النيل وبها نائب للحسن فهزمه هرون وتبعه الى الكوفة ثم سار المنهزمون من الكوفة الى الحسن بواسط ورجع هرون الى أبيه وقد استولى على النيل وسار محمد وهرون نحو واسط فسار الحسن عنها ونزل خلفها وكان الفضل بن الربيع مختفيا كما تقدم الى الآن فلما رأى ان محمدا قد بلغ واسطا طلب منه الامان فآمنه وظهر وسار محمد الى الحسن على تعبية فوجه اليه الحسن قواده وجنده فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب محمد بعد العصر وثبت محمد حتى جرح جراحات شديدة وانهزموا هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وغنموا مالهم وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الاول ونزل محمد بفم الصلح وأتاهم الحسن فاقتتلوا فلما جنهم الليل رحل محمد وأصحابه فنزلوا المنازل فأتاهم الحسن فاقتتلوا فلما جنهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جبل فأقاموا بها ووجه محمد ابنه عيسى الى عرنايا فأقام بها وأقام محمد بجرجرايا فاشتدت جراحات محمد فحمله ابنه أبو زنبيل الى بغداد وخلف عسكره لست خلون من ربيع الآخر فمات محمد بن أبي خالد فدفن في داره سرا وأتى أبو زنبيل خزيمة بن خازم فأعلمه حال أبيه وأعلم خزيمة ذلك الناس وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد اليه يبذل فيه القيام بأمر الحرب مقام أبيه فرضوا به وصار مكان أبيه وقتل أبو زنبيل زهير بن المسيب من ليلته ذبحه ذبحا وعلق رأسه في عسكر أبيه وبلغ الحسن بن سهل موت محمد فسار الى المبارك فأقام به وبعث في جمادى الآخرة جيشا له فالتقوا بأبي زنبيل بفم الصراة فهزموه وانحاز الى أخيه هرون بالنيل فتقدم جيش الحسن اليهم فلقوهم فاقتتلوا ساعة وانهزم هرون وأصحابه فأتوا المدائن ونهب أصحاب الحسن النيل ثلاثة أيام وما حولها من القرى وكان بنو هاشم والقواد حين مات محمد بن أبي خالد قالوا نصير بعضنا خليفة ونخلع المأمون فأتاهم خبر هرون وهزيمته فجدوا في ذلك وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق وقالوا لا نرضى بالمجوسي ابن المجوسي الحسن بن سهل وقيل ان عيسى لما ساعده أهل بغداد على حرب الحسن بن سهل علم الحسن انه لا طاقة له به فبعث اليه وبذل المصاهرة ومائة ألف دينار والامان له ولاهل بيته ولاهل بغداد وولاية أي النواحي أحب فطلب كتاب المأمون بخطه وكتب عيسى الى أهل بغداد انى مشغول بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلا من بني هاشم فولوا منصور بن المهدي وقال أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم او يولي من احب فرضي به الناس وعسكر منصور بكلواذى وبعث غسان بن عباد بن أبي الفرج الى ناحية الكوفة فنزل بقصر ابن هبيرة فلم يشعر غسان الا وقد أحاط به حميد الطوسي فأخذه أسيرا وقتل من أصحابه وذلك لاربع خلون من رجب وسير منصور بن المهدي

كان أخوه أغات مستحفظان بالاغا وعندما كان هو واليا واحكام مصر والشرطة بينهما وفي سنة سبع وتسعين تعصب مراد بيك وابراهيم بيك على المترجم واخرجوه منفيا هو وأخوه سليمان بيك وأيوب بيك الدفتردار ولما أمروه بالخروج ركب في طوائفه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة فركب خلفه علي بيك أباظة ولاجين بيك ولحقوا احماله عند المعادي فحجزوها وأخذوها وأخذوا هجنه ومتاعه وعدوا خلفه فأدركوه عند الاهرام فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العيني ثم سفروه الى ناحية السرو ورأس الخليج فأقام بها أياما وكان أخوه سليمان بيك بالمنوفية فلما أرسلوا بنفيه الى الجهة ركب بطوائفه وحضر الى مسجد الخضيري وحضر اليه أخوه المترجم وركبا معا وذهبا الى جهة البحيرة ثم ذهبا الى طندتا ثم ذهبا الى شرقية بلبيس ثم توجها من خلف الجبل الى جهة قبلي وكان أيوب بيك بالمنصورة فلحق بهما أيضا وكان بالصعيد عثمان بيك الشرقاوي ومصطفى بيك فالتفا عليهما وعصى الجميع وارسل مراد بيك وابراهيم بيك محمد كتخدا اباظه واحمد اغا شويكار الى عثمان بيك ومصطفى بيك يطلبانهما الى الحضور فأبيا وقالا لا نرجع الى مصر الا بصحبة اخواننا

(ذكر ولاية زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية)

وفى هذه السنة سادس ذى الحجة توفى أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية وكانت امارته خمس سنين ونحو شهرين وكان سبب موته انه حدد على كل فدان فى عمله ثمانية عشر دينارا كل سنة فضاق الناس لذلك وشكا بعضهم الى بعض فتقدم اليه رجل من الصالحين اسمه حفص بن عمر الجزرى مع رجال من الصالحين فنهوه عن ذلك ووعظوه وخوفوه العذاب فى الآخرة وسوء الذكر فى الدنيا وزوال النعمة فان الله تعالى اسمه وجل ثناؤه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال فلم يجبهم ابو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية المذكور الى ما طلبوا فخرجوا من عنده الى القيروان فقال لهم حفص لو انثنا توضأنا للصلاة ونصلى ونسال الله تعالى ان يخفف عن الناس ففعلوا ذلك فالبث الا خمسة ايام حتى خرجت قرحة تحت اذنه فلم ينشب ان مات منها وكان من اجل اهل زمانه ولما مات ولى بعده اخوه زيادة الله بن ابراهيم وبقى اميرا رخى البال وادعا الدنيا عنده آمنة ثم جهز جيشا فى اسطول البحر وكان مراكب كثيرة الى مدينة سردانية وهى للروم فعطب بعضها بعد ان غنموا من الروم وقتلوا كثيرا فلما عاد من سلم منهم احسن اليهم زيادة الله ووصلهم فلما كان سنة سبع ومائتين خرج عليه زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية وجمع جمعا كثيرا وحصر مدينة باجه فسير اليه زيادة الله العساكر فازالوه عنها وقتلوا من وافقه على المخالفة وفى سنة ثمان ومائتين نقل الى زيادة الله ان منصور بن نصير الطنبذى يريد المخالفة عليه بتونس وهو يسعى فى ذلك ويكاتب الجند فلما تحققه سير اليه قائدا اسمه محمد بن حمزة فى ثلثمائة فارس وامره ان يخفى خبره ويجد السير الى تونس فلا يشعر به منصور حتى ياخذه فيحمله اليه فسار محمد ودخل تونس فلم يجد منصورا بها كان قد توجه الى قصره بطنبذة فارسل اليه محمد قاضى تونس ومعه اربعون شيخا يقبحون له الخلاف وينهونه عنه ويامرونه بالطاعة فساروا اليه واجتمعوا به وذكروا له ذلك فقال منصور ما خالفت طاعة الامير وانا سائر معكم الى محمد ومن معه الى الامير لكن اقيموا معى يومنا هذا حتى نعمل له ولمن معه ضيافة فاقاموا عنده وسير منصور لمحمد ولمن معه الاقامة الحسنة الكثيرة من الغنم والبقر وغير ذلك من أنواع ما يؤكل فكتب اليه يقول انى صائر اليك مع القاضى والجماعة فركن محمد الى ذلك وأمر بالغنم فذبحت واكل هو ومن معه وشربوا الخمر فلما أمسى منصور سجن القاضى ومن معه وسار مجدا فيمن عنده من أصحابه وسار الى تونس فدخلوا دار الصناعة وفيها محمد واصحابه فامر بالطبول فضربت وكبر هو وأصحابه فوثب محمد وأصحابه الى سلاحهم وقد عمل فيهم الشراب وأحاط بهم منصور ومن معه واقبلت العامة من كل مكان فرجموهم بالحجارة واقتتلوا عامة الليل فقتل من كان مع محمد ولم يسلم منهم الا من نجا الى البحر فسبح حتى تخلص وذلك فى صفر وأصبح منصور فاجتمع عليه الجند وقالوا نحن لا نثق بك ولا نامن أن يخليك زيادة الله ويستميلك بدنياه

أموالا واستمر حاكما بها الى ان خالف محمد بك ابو الذهب على سيده على بك وخرج من مصر الى الجهة القبلية فلما وصل الى الناحية كان المترجم أول من اقبل عليه بنفسه وما معه من المال والخيام فسر به محمد بك وقربه وادناه ولم يزل ملازما لركابه حتى جرى ما جرى وتملك محمد بك الديار المصرية فقلده اغاوية المتفرقة اياما قليلة ثم خيره فى تقليد الصنجقية او كتخدا الجاويشية فقال له حتى استخير فى ذلك وحضر الى المرحوم الشيخ الوالد وذكر له ذلك فاشار عليه بان يتقلد كتخدا الجاويشية فانه منصب جليل واسع الايراد وليس على صاحبه تعب ولا مشقة غفر ولا سفر تجاريد ولا كثرة مصاريف فكان كذلك وذلك فى سنة ست وثمانين وسكن ببيت سليمان اغا كتخدا الجاويشية بدرب الجماميز على بركة الفيل وعظم امره واتسع حاله واشتهر وانتظم فى عداد الامراء ولم يزل على ذلك الى ان مات محمد بك فاستقل بامارة مصر ابراهيم بك ومراد بك فكان المترجم تالثهما واتحد بابراهيم بك اتحادا عظيما حتى كان ابراهيم بك لا يقدر على مفارقته ساعة زمانية وصار معه كالاخ الشقيق والصاحب الشفيق وصار فى قبول ووجاهة عظيمة وكلمة نافذة فى جميع الامور

(ذكر البيعة لعلى بن موسى عليه السلام بولاية العهد)

فى هذه السنة جعل المامون على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليه السلام ولى عهد المسلمين والخليفة من بعده ولقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وامر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضر وكتب بذلك الى الآفاق وكتب الحسن بن سهل الى عيسى بن محمد بن ابى خالد بعد عوده الى بغداد يعلمه ان المامون قد جعل على بن موسى ولى عهده من بعده وذلك انه نظر فى بنى العباس وبنى على فلم يجد أحدا أفضل ولا أورع ولا اعلم منه وانه سماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وامره بطرح السواد ولبس الخضرة وذلك لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة احدى ومائتين وامر محمدا ان يامر من عنده من اصحابه والجند والقواد وبنى هاشم بالبيعة له ولبس الخضرة ويأخذ اهل بغداد جميعا بذلك فدعاهم محمد الى ذلك فاجاب بعضهم وامتنع بعضهم وقال لا تخرج الخلافة من ولد العباس وانما هذا من الفضل بن سهل فمكثوا كذلك اياما وتكلم بعضهم وقالوا نولى بعضنا ونخلع المامون فكان اشدهم فيه منصور وابراهيم ابنا المهدى

(ذكر البيعة لابراهيم بن المهدى)

وفى هذه السنة فى ذى الحجة خاض الناس فى البيعة لابراهيم بن المهدى بالخلافة وخلع المامون ببغداد وكان سبب ذلك ماذكرناه من انكار الناس لولاية الحسن بن سهل والبيعة لعلى بن موسى فاظهر العباسيون ببغداد انهم قد كانوا بايعوا لابراهيم بن المهدى لخمس بقين من ذى الحجة ووضعوا يوم الجمعة رجلا يقول انا نريد ان ندعو للمامون ومن بعده لابراهيم ووضعوا من يجيبه بانا لا نرضى الا ان تبايعوا لابراهيم بن المهدى بالخلافة ومن بعده لاسحق بن موسى الهادى وتخلعوا المامون ففعلوا ما امروهم به فلم يصل الناس جمعة وتفرقوا وكان ذلك لليلتين بقيتا من ذى الحجة من السنة

(ذكر فتح جبال طبرستان والديلم)

فى هذه السنة افتتح عبدالله بن خرداذبه والى طبرستان البلاذر والشيز من بلاد الديلم وافتتح جبال طبرستان فانزل شهريار بن شروين عنها واشخص مازيار بن قارن الى المامون واسر ابا ليلى ملك الديلم

(ذكر ابتداء امر بابك الخرمى)

وفيها تحرك بابك الخرمى فى الجاويدانية اصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ وادعى ان روح جاويدان دخلت فيه واخذ فى العبث والفساد وتفسير جاويدان الدائم الباقى ومعنى خرم فرح وهى مقالات المجوس والرجل منهم ينكح امه واخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرح ويعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيره

سيده المذكور رغب عن الامارة ورضى بحاله وقنع بالكفاف ورغب فى معاشرة العلماء والصلحاء وفى الانجماع عن ابناء جنسه والتداخل فى شؤنهم وكان يلقى فى كل يوم الى الجامع الازهر ويحضر دروس العلماء ويستفيد من فوائدهم ولازم دروس الشيخ احمد السلمانى فى الفقه الحنفى الى ان مات فتقيد بحضور تلميذه الشيخ أحمد الغزى كذلك واقترن فى حضوره بالشيخ عبد الرحمن العريشى وكان اذ ذاك مقتبل الشبيبة مجردا عن العلائق فكان يعيد معه الدروس فاتحد به لما رأى فيه من النجابة فجذبه الى داره وكساه وواساه واستمر يطالع معه فى الفقه ويعيد معه الدروس ليلا وزوجه وأغدق عليه وكان هو مبدأ زواجه ولم يزل ملازما حتى توفى سليمان افندى المذكور فى سنة خمس وسبعين ومائة وألف فتزوج المترجم بزوجة سيده واستمر هو وخشداشه الامير أحمد بمنزل استاذهما وتتوق نفس المترجم للترفع والامارة فتردد الى بيوت الامراء كغيره من الاجناد فقلده على بك الكبير كشوفية شرق اولاد يحيى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف فتقلدها بشهامة وقتل البغاة واخاف الناحية وجمع منها

*(ذكر

واقبل عامر بن نافع في العسكر اليهم فالتقوا واقتتلوا فانهزم عامر ومن معه وكثر القتل فيهم ورجع عامر الى قسطيلية فجبى اموالها ليلا ونهارا في ثلاثة ايام وساروا عنها واستخلف عليها من يضبطها فهرب منها ايضا خوفا من اهلها فارسل اهل قسطيلية الى ابن سوادة وسالوه ان يجيء اليهم فسار اليهم وملك قسطيلية وضبطها وقد قيل ان هذه الحوادث المذكورة سنة ثمان وتسع ومائتين انما كانت سنة تسع وعشر ومائتين (طنبذه بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة وبذال معجمة وآخره هاء وصطفوره بفتح الصاد وسكون الطاء وضم الفاء وسكون الواو وآخره هاء وسبيبة بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الباء الثانية الموحدة وآخره هاء ونفزاوة بالنون والفاء الساكنة وفتح الزاي وبعد الالف واو ثم هاء)

(ذكر ما فتحه زيادة الله بن الاغلب من جزيرة صقلية وما كان فيها من الحروب الى ان توفي)

في سنة اثنتي عشرة ومائتين جهز زيادة الله جيشا في البحر وسيرهم الى جزيرة صقلية واستعمل عليهم اسد بن الفرات قاضي القيروان وهو من اصحاب مالك وهو مصنف الاسدية في الفقه على مذهب مالك فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها وكان سبب انفاذ الجيش ان ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقا اسمه قسطنطين سنة احدى عشرة ومائتين فلما وصل اليها استعمل على جيش الاسطول انسانا روميا اسمه فيمي كان حازما شجاعا فغزا افريقية واخذ من سواحلها تجارا ونهب وبقي هنالك مدة ثم ان ملك الروم كتب الى قسطنطين يامره بالقبض على فيمي مقدم الاسطول وتعذيبه فبلغ الخبر الى فيمي فاعلم أصحابه فغضبوا له وأعانوه على المخالفة فسار في مراكبه الى صقلية واستولى على مدينة سرقوسة فسار اليه قسطنطين فالتقوا واقتتلوا فانهزم قسطنطين الى مدينة قطانية فسير اليه فيمي جيشا فهرب منهم فاخذ وقتل وخوطب فيمي بالملك واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلا اسمه بلاطه فخالف على فيمي وعصى واتفق هو وابن عم له اسمه ميخائيل وهو والي مدينة بلرم وجمعا عسكرا كثيرا فقاتلا فيمي وانهزم فاستولى بلاطه على مدينة سرقوسة وركب فيمي ومن معه في مراكبهم الى افريقية وأرسل الى الامير زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية فسير معه جيشا في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية فساروا الى بلاطه الذي قاتل فيمي فلقيهم جمع للروم فقاتلهم المسلمون وأمروا فيمي ومن معه أن يعتزلوهم واشتد القتال بين المسلمين والروم فانهزمت الروم وغنم المسلمون أموالهم ودوابهم وهرب بلاطه الى قلورية فقتل بها واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ووصل الى قلعة تعرف بقلعة الكراث وقد اجتمع اليها خلق كثير فخدعوا القاضي أسد بن الفرات امير المسلمين وذلوا له فلما رآهم فيمي مال اليهم وراسلهم أن يثبتوا ويحفظوا بلدهم فبذلوا لاسد الجزية وسالوه

باشا وظهر له أمر حسن بك الجداوي وخشداشينه أخذ يناكد المترجم ويعارضه في جميع أموره وهو يسامحه في كل ما يتعرض له فيه ويساير حاله بينهم ويكظم غيظه ويكتم قهره وهو مع ذلك وافر الحرمة واعتراه صداع في رأسه وشقيقة زاد ألمه بها ووجعه أشهرا وأتلف احدى عينيه وعوفي قليلا واستمر على ذلك حتى وقع الطاعون بمصر سنة خمس ومات ابن له مراهق احزنه موته وكذلك ماتت زوجته واكثر جواريه ومماليكه ومات اسمعيل بك وامراؤه ومماليكه ورضوان بك العلوي وبقي هو وحسن بك الجداوي فتحازبا الامارة ولم يرض احدهما بالآخر فوقع الاتفاق على تامير عثمان بك طبل تابع اسمعيل بك ظنا منهما انه يصلح لذلك وانه لايمالئ الاعداء فكان الامر بخلاف ذلك وكره الامارة هو ايضا لمناكدة حسن بك له وراسل الامراء القبليين سرا حتى حضروا على الصورة المتقدمة وقصد حسن بك وعلي بك الاستعداد لحربهم وخرجوا الى ناحية طرا وتاهبوا لمبارزتهم وصار عثمان بك يثبطهما ويظهر لهما انه يدبر الحيل والمكايد ولم يعلما ضميره ولم يخطر ببالهما ولا غيرهما خيانته بل كان

ولم يزل على ذلك حتى حضر
ابراهيم بك ومراد بك وباقى
الامراء فتخلف عنهم المترجم
وقد كان راسل حسن باشا سرا
فلما استقر حسن باشا اقبل
عليه وسلمه مقاليد الامور
وقلده الصنجقية واضاف اليه
الدفترداريه وفوض اليه
جميع الامور الكلية والجزئية
فانحصرت فيه رياسة مصر
وصار عزيزها واميرها ووزيرها
وقائد جيوشها ولا يتم امر الا
عن مشورته ورايه واجتمعت
ببيته الدواوين وقلد الامريات
والمناصب كما يختار
وقرب وادنى وابعد واقصى
من يختار واشتهر ذكره فى اقليم
مصر والشام والروم واشار
بتقليد مراد كاشف الصنجقية
وامارة الحاج وسموه محمد بك
المبدول كراهة فى اسم مراد
واشتهر بالمبدول وتجزله
لوازم الحاج والصرة فى ايام
قليلة وسافر بالحاج على
النسق المعتاد وشهل ايضا
التجاريد والعساكر خلف
الامراء المطرودين واستمر
مطلق التصرف فى مملكة
مصر بقية السنة (ولما)
استهل رمضان ارسل لجميع
الامراء والاعيان البلكات
والكساوى لهم ولحريمهم
ولمماليكهم بالاحمال وكذلك
الى العلماء والمشايخ حتى
الفقهاء الخاملين المحتاجين
وظن ان الوقت قد صفا له ولم يزل على ذلك حتى استقر

فقيل اليه فان أحببت ان تكون معك فاقتل أحدا من أهله ممن عندك فاحضر
اسمعيل بن سفيان بن سالم بن عقال وهو من أهل زيادة الله فكان هو العامل على تونس
فلما حضر أمر بقتله فلما سمع زيادة الله الخبر سير جيشا كثيفا واستعمل عليهم غلبون
واسمه الاغلب بن عبد الله بن الاغلب وهو وزير زيادة الله الى منصور الطنبذى فلما
ودعهم زيادة الله تهددهم بالقتل ان انهزموا فلما وصلوا الى تونس خرج اليهم
منصور فقاتلهم فانهزم جيش زيادة الله عاشر ربيع الاول فقال القواد الذين فيه
لغلبون لا نامن زيادة الله على أنفسنا فان أخذت لنا أمانا حضرنا عنده وفارقوه
واستولوا على عدة مدن فاخذوها منها باجه والجزيرة وصطفورة ومنيرو الاربس
وغيرها فاضطربت افريقية واجتمع الجند كلهم الى منصور أطاعوه لسوء سيرة زيادة
الله كانت معهم فلما كثر جمع منصور سار الى القيروان فحصرها فى جمادى الاولى
وخندق على نفسه وكان بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة وعمر منصور سور القيروان
ووالاه اهلها فبقى الحصار عليه أربعين يوما ثم ان زيادة الله عبى أصحابه وجمعهم وسار
معهم الفارس والراجل فكانوا خلقا كثيرا فلما رآهم منصور راعه ما رأى وهاله ولم
يكن يعرف ذلك من زيادة الله لما كان فيه من الوهن فزحف منصور اليه بنفسه
أيضا فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وانهزم منصور ومن معه ومضوا هاربين وقتل منهم
خلق كثير وذلك منتصف جمادى الآخرة وأمر زيادة الله أن ينتقم من أهل القيروان
بما جنوه من مساعدة منصور والقتال معه وبما تقدم أولا من مساعدة عمران بن
مجالد لما قاتل أباه ابراهيم بن الاغلب فمنعه اهل العلم والدين فكف عنهم وخرب سور
القيروان ولما انهزم منصور فارقه كثير من اصحابه الذين صاروا معه منهم عامر بن نافع
وعبد السلام بن المفرج الى البلاد التى تغلبوا عليها ثم ان زيادة الله سير جيشا سنة
تسع ومائتين الى مدينة سبيبة واستعمل عليهم محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان
بها جمع من الجند الذين صاروا مع منصور وعليهم عمر بن نافع فالتقوا فى العشرين من
المحرم واقتتلوا فانهزم ابن الاغلب وعاد ومن معه الى القيروان فعظم الامر على
زيادة الله وجمع الرجال وبذل الاموال وكان عيال الجند الذين مع منصور بالقيروان
فلم يعرض لهم زيادة الله فقال الجند لمنصور الراى ان تحتال فى نقل العيال من القيروان
لئامن عليهم فسار بهم منصور الى القيروان وحصر زيادة الله ستة عشر يوما ولم
يكن منهم قتال واخرج الجند نساءهم واولادهم من القيروان وانصرف منصور الى تونس
ولم يبق بيد زيادة الله من افريقية كلها الا قابس والساحل ونفزاوة وطرابلس فانهم
تمسكوا بطاعته وارسل الجند الى زيادة الله ان ارحل عنا وخل افريقية ولك الامان
على نفسك ومالك وما ضمه قصرك فضاق به وغمه الامر فقال له سفيان بن سوادة مكنى
من عسكرك لاختار منهم مائتى فارس واسير بهم الى نفزاوة فقد بلغنى ان عامر بن
نافع يريد قصدهم فان ظفرت كان الذى تحب وان تكن الاخرى عملت برايك فامره
بذلك فاخذ مائتى فارس وسار الى نفزاوة وقد دعا برابرها الى نصرته فاجابوه وساروا اليه

واقبل

تسع عشرة ومائتين وسار المسلمون الى مدينة قصريانة فخرج من فيها من الروم فاقتتلوا أشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا في الربيع فقاتلوهم فنصر المسلمون أيضا ثم ساروا سنة عشرين ومائتين وأميرهم محمد ابن عبد الله الى قصريانة فقاتلهم الروم فانهزموا وأسرت امرأة ابطريقهم وابنه وغنموا ما كان في عسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سير محمد بن عبد الله عسكرا الى ناحية طبرمين عليهم محمد بن سالم فغنم غنائم كثيرة ثم عدا عليه بعض عسكره فقتلوه ولحقوا بالروم فارسل زيادة الله من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا منه فسار في سرية الى ناحية سرقوسة فاصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم البطريق ملك الروم بصقلية وجمع كثير فتحصنوا من الروم في أرض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن من قتالهم ووافقهم الى العصر فلما رأى انهم لا يقاتلونه سار عنهم فتفرق أصحابه وتركوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن البطريق وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فاتاه حماة أصحابه واستنقذوه جريحا وحملوه وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ومتاع ودواب فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله من افريقية الى صقلية أبا الاغلب ابراهيم بن عبد الله أميرا عليها فخرج اليها فوصل اليها منتصف رمضان فبعث اسطولا فلقوا جمعا للروم في اسطول فغنم المسلمون ما فيه فضرب أبو الاغلب رقاب كل من فيه وبعث اسطولا آخر الى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل متنصر من أهل افريقية فاتى بهم فضرب رقابهم وسارت سرية أخرى الى جبل النار والحصون التي في تلك الناحية فاحرقوا الزرع وغنموا وأكثروا القتل ثم سير أبو الاغلب سنة احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار أيضا فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بابخس الاثمان وعادوا سالمين وفيها جهز اسطولا فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين وفيها سير أبو الاغلب أيضا سرية الى قسطلياسة فغنموا وسبوا ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وسير سرية الى مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون وأصيب منهم جماعة ثم كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلنديس فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من أهل قصريانة فقرب منه ورأى طريقا فدخل منه ولم يعلم به أحد ثم انصرف الى العسكر فاخبرهم فجاؤا معه فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه فطلبوا الامان فامنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا الى بلرم وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم في البحر الى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا اجفلوذى وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فوهن المسلمون ثم

بدرب الحجر * وكان المترجم امير الايلس به يميل الى فعل الخير حسن الاعتقاد ويحب اهل العلم والفضائل ويعظمهم ويكرمهم ويقبل شفاعاتهم وفيه رقة طبع وميل للخلاعة والتجاهر غفر الله له وسامحه * ومات أيضا الامير ايوب بك الدفتردار وهو من مماليك محمد بك تولى الامارة والصنجقية بعد موت استاذه وقد تقدم ذكره غير مرة وكان ذا دهاء ومكر ويتظاهر بالانتصار للحق وحب الاشراف والعلماء ويشتري المصاحف والكتب ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين ويواظب على الصلاة في الجماعة ويقضي حوائج السائلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدع للمعاند خصوصا اذا كان الحق بيده ويتعلل كثيرا بمرض البواسير وسمعت من لفظه رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك وعلى موته في حربهم (ولما) حصل ذلك وحضروا الى برانبابة عدى المترجم قبل بيومين وصار يقول انا بعت نفسي في سبيل الله فلما التقى الجمعان لبس سلاحه بعد ما توضأ وصلى ركعتين وركب في مماليكه وقال اللهم اني نويت الجهاد في سبيلك واقتحم مصاف الفرنساوية والقى نفسه في نارهم واستشهد في ذلك اليوم وهي منقبة

أن لا يقرب منهم فاجابهم الى ذلك وتاخر عنهم أياما فاستعدوا للحصار ودفعوا اليهم ما يحتاجون اليه فامتنعوا عليه وناصبهم الحرب وبث السرايا في كل ناحية فغنموا شيئا كثيرا وافتتحوا امرانا كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة برا وبحرا ولحقته الامداد من افريقية فساروا اليهم والى بلرم في عساكر كثيرة فخندق المسلمون عليهم وحفروا خارج الخندق حفرا كثيرة فحمل الروم عليهم فسقط في تلك الحفر كثير منهم فقتلوا وضيق المسلمون على سرقوسة فوصل أسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين هلك فيه كثير منهم وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات وولى الامر على المسلمين بعده محمد بن أبي الجواري فلما راى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحملوا في مراكبهم ليسيروا فوقف الروم في مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة أيام وتسلموا الحصن فسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا أهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصريانة ومعهم فيمي فخرج أهلها اليه فقبلوا الارض بين يديه فاجابوهم الى أن يملكوه عليهم وخدعوه ثم قتلوه ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن في الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل من سلم قصريانة وتوفي محمد بن أبي الجواري أمير المسلمين وولى بعده زهير بن غوث ثم ان سرية المسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع العسكر فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية فانهزم المسلمون أيضا وقتل منهم نحو ألف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الاقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيم وكانوا بالقرب منها فلما خرج المسلمون لم يروا أحدا وأقبل عليهم الروم من كل ناحية فاكثروا القتل فيهم وانهزم الباقون فدخلوا ميناو ودام الحصار عليهم حتى أكلوا الدواب والكلاب فلما سمع من في مدينة جرجنت من المسلمين ما هم عليه هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدروا على نصرة اخوانهم ودام الحال كذلك الى أن دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وقد أشرف المسلمون على الهلاك واذ قد أقبل اسطول كثير من الاندلس خرجوا غزاة ووصل في ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلثمائة مركب فنزلوا الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله ولماله فاجيب الى ذلك وسار في البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الا أقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون ألفا وماتوا كلهم وجرى بين المسلمين أهل افريقية وأهل الاندلس خلف ونزاع ثم اتفقوا وبقي المسلمون الى سنة

كل منهما يظن بالآخر حتى وفر المترجم وحسن بك الى ناحية قبلي فاستقر هناك مدة ثم انفصل عن حسن بك وسافر من القصير الى بحر القلزم وطلع الى المويلح وارسل بعض ثقاته فاخذ بعض الاحتياجات سرا وذهب من هناك الى الشام واجتمع باحمد باشا الجزار ونزل بحيفا واقام بها مدة وراسل الدولة في امره فطلبوه اليهم فلما قرب من اسلامبول ارسلوا اليه من اخذه وذهب به الى برصا فاقام هناك وعينوا له كفايته في كل شهر وولد له هناك اولاد ثم احضروه في حادثة الفرنسيس واعطوه مراسيم الى ابراهيم باشا سارى عسكر في ذلك الوقت فلما وصل بيروت راسل احمد باشا واراد الاجتماع به وعلم احمد باشا ما بيده من المرسومات الى ابراهيم باشا فتنكر له وانحرف طبعه منه وارسل اليه يامره بالرحيل وصادف ذلك عزل ابراهيم باشا فارتحل مقهورا الى نابلس فمات هناك بقهره وحضر من بقي من مماليكه الى مصر وسكنوا بداره التي بها مملوكه عثمان كاشف وابنته التي تركها صغيرة وقد كبرت وتاهلت للزواج فتزوج بها خازنداره الذي حضر وهو الى الآن مقيم معها بصحبة خشداشينه ببيتها الذي

وكتب أولئك القواد الى ابراهيم لينفذ اليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد فوجهه اليهم فانتهبوا ما في عسكر حميد فكان مما أخذوا له مائة بدرة وأخذ ابن حميد جواري أبيه وسار اليه وهو بعسكر الحسن ودخل عيسى القصر وتسلمه لعشر خلون من ربيع الآخر فقال حميد للحسن ألم أعلمك لكنك خدعت وعاد الى الكوفة فأخذ أمواله واستعمل عليها العباس بن موسى بن جعفر العلوي وأمره أن يدعو لأخيه علي بن موسى بعد المأمون وأعانه بمائة ألف درهم وقال له قاتل عن أخيك فان أهل الكوفة يجيبونك الى ذلك وأنا معك فلما كان الليل خرج حميد الى الحسن وكان الحسن قد وجه حكيما الحارثي الى النيل فسار اليه عيسى بن محمد فاقتتلوا فانهزم حكيم فدخل عيسى النيل ووجه ابراهيم الى الكوفة سعيدا وأبا البط لقتال العباس بن موسى وكان العباس قد دعا أهل الكوفة فأجابه بعضهم وأما الغلاة من الشيعة فانهم قالوا ان كنت تدعونا لأخيك وحده فنحن معك وأما المأمون فلا حاجة لنا فيه فقال انما أدعو للمأمون وبعده لأخي فقعدوا عنه فلما أتاه سعيد وأبو البط ونزلوا قرية شاهي بعث اليهم العباس ابن عمه علي بن محمد بن جعفر وهو ابن الذي بويع له بمكة وبعث معه جماعة منهم أخو أبي السرايا فاقتتلوا ساعة فانهزم علي بن محمد العلوي وأهل الكوفة ونزل سعيد وأصحابه الحيرة وكان ذلك ثاني جمادى الأولى ثم تقدموا فقاتلوا أهل الكوفة وخرج الى شيعة بني العباس ومواليهم فاقتتلوا الى الليل وكان شعارهم يا أبا ابراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون وعليهم السواد وعلى أهل الكوفة الخضرة فلما كان الغد اقتتلوا وكان كل فريق منهم اذا غلب على شيء أحرقه ونهبه فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة خرجوا الى السعيد فسألوه الأمان للعباس وأصحابه فأمنهم على أن يخرجوا من الكوفة فأجابوه الى ذلك ثم أتوا العباس فأعلموه ذلك فقبل منهم وتحول عن داره فشغب أصحاب العباس بن موسى على من بقي من أصحاب سعيد وقاتلوهم فانهزم أصحاب سعيد الى الخندق ونهب أصحاب العباس دور عيسى بن موسى وأحرقوا وقتلوا من ظفروا به فأرسل العباسيون الى سعيد وهو بالحيرة يخبرونه أن العباس بن موسى قد رجع عن الأمان فركب سعيد وأصحابه وأتوا الكوفة عتمة فقتلوا من ظفروا به ممن انتهب وأحرقوا ما معهم من النهب فمكثوا عامة الليل فخرج اليهم رؤساء الكوفة فأعلموهم ان هذا فعل الغوغاء وان العباس لم يرجع عن الأمان فانصرفوا عنهم فلما كان الغد دخلها سعيد وأبو البط ونادوا بالأمان ولم يعرضوا الى أحد وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي ثم عزلوه لميله الى أهل بلده واستعملوا مكانه غسان ابن أبي الفرج ثم عزلوه بعدما قتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا واستعملوا الهول ابن أخي سعيد فلم يزل عليها حتى قدمها حميد بن عبد الحميد فهرب الهول وأمر ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد أن يسير الى ناحية واسط على طريق النيل وأمر ابن عائشة الهاشمي ونعيم بن خازم أن يسيرا جميعا ولحق بهما سعيد وأبو البط والافريقي وعسكروا جميعا بالصيادة قرب واسط عليهم جميعا عيسى بن محمد فكانوا يركبون

وتولى زعامة مصر بعد ابراهيم بك الوالي وأحسن فيها السيرة ولم يشتك منه أحد ولم يتعرض لأحد بأذية وتقلد أيضا كتخدا الجاويشية عندما خرج ابراهيم بك مغاضبا لمراد بك وكان خصيصا به فلما اصطلحا ورجع ابراهيم بك وعلي آغا كتخدا الجاويشية تقلد على منصبه كما كان واستمر المترجم بطالا لكنه وافر الحرمة معدودا في الأعيان ولما خرجوا من مصر في حادثة حسن باشا أرسله خشداشينه الى الروم وكاد يتم لهم الأمر فقبض عليه حسن باشا وكان اذ ذاك بالعرضي في السفر ولما رجعوا الى مصر بعد موت اسمعيل بك سكن بيت البارودي وتزوج بزوجته وهي أم أيوب التي كانت سرية مراد بك ثم سافر ثانيا الى الروم بمراسلة وهدية وقضى أشغاله ورجع بالوكالة وأخذ بيت الحبانية من مصطفى آغا وعزله من وكالة دار السعادة وسكن بالبيت واختص بمراد بك اختصاصا زائدا وبنى له دارا بجانبه بالجيزة وصار لا يفارقه قط وصار هو بابه الأعظم في المهمات وكان فصيح اللسان مهذب الطبع يفهم بالاشارة يظن من يراه انه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه

تشجعوا وضبطوا أنفسهم (سرقوسة) بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية وبلرم بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم وميناو بميم وياء تحتها نقطتان ونون وبعد الالف واو وجرجنت بجيم وراء وجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان وقصريانه بالقاف والصاد المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعد الالف نون مشددة وهاء)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة مات محمد بن محمد صاحب أبي السرايا وفيها أصاب أهل خراسان واصبهان والري مجاعة شديدة وكثر الموت فيهم وحج بالناس هذه السنة اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

(ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين)

(ذكر بيعة ابراهيم بن المهدي)

في هذه السنة بايع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي بالخلافة ولقبوه المبارك وكانت بيعته أول يوم من المحرم وقيل خامسه وخلعوا المامون وبايعه سائر بني هاشم فكان المتولي لاخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك فكان الذي سعى في هذا الامر السندي وصالح صاحب المصلى ونصير الوصيف وغيرهم غضبا على المامون حين أراد اخراج الخلافة من ولد العباس ولتركه لباس آبائه من السواد فلما فرغ من البيعة وعد الجند رزق ستة أشهر ودافعهم بها فشغبوا عليه فاعطاهم لكل رجل مائتي درهم وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة مالهم حنطة وشعيرا فخرجوا في قبضها فانتهبوا الجميع وأخذوا نصيب السلطان وأهل السواد واستولى ابراهيم على الكوفة والسواد جميعه وعسكر بالمدائن واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس بن موسى الهادي وعلى الجانب الشرقي منها اسحق بن موسى الهادي وخرج عليه مهدي بن علوان الحروري وغلب على طساسيج نهربوق والراذانين فوجه اليه ابراهيم أبا اسحق بن الرشيد وهو المعتصم في جماعة من القواد فلقوه فاقتتلوا فطعن رجل من أصحابه ابن الرشيد فحامى عنه غلام تركي يقال له اشناس وهزم مهدي الى حولايا وقيل كان خروج مهدي سنة ثلاث ومائتين

(ذكر استيلاء ابراهيم على قصر ابن هبيرة)

وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملا للحسن بن سهل ومعه من القواد سعيد بن الساجور وأبو البط وغسان بن أبي الفرج ومحمد بن ابراهيم الافريقي وغيرهم فكاتبوا ابراهيم على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة وكانوا قد تحرفوا عن حميد وكتبوا الى الحسن ابن سهل يخبرونه ان حميدا يكاتب ابراهيم وكان حميد يكتب فيهم بمثل ذلك فكتب الحسن الى حميد يستدعيه اليه فلم يفعل خاف أن يسير اليه فيأخذ هؤلاء القواد ماله وعسكره ويسلمونه الى ابراهيم فلما ألح الحسن عليه بالكتب سار اليه في ربيع الآخر

وكتب

اختص بها سادون اقرانه بل ودون غيرهم من جميع اهل مصر كما قال فيه الشيخ خليل المنير من قصيدة حكى فيها امرهم وما حصل للترجم بقوله

لم يبر منهم سوى ايوب من المجانس ذا خصم قادم حنق
بانت له من حسان الحور قائلة
اركض برجلك للخيرات واستبق
واترك مرادا الى الدنيا ولم بنا
أنا الحياة فخل الروح واعتنق
أم الجهاد شهير السيف مجتهدا
في كلمة الحق اعلاء على الفرق
الله أكبروا التوحيد يصحبها
نداؤه في عجاج مظلم غسق
لقد تولى على عرض الصفوف الى
أن ضمه القلب فاستولى على حلق
مازال يقتض حتى انقض كوكبه
وطار منه بهاء النور للافق
مضى شهيدا وحيدا طاهرا سمعا
مفضلا بدم الهيجاء لاغرق
عيز الجوهر المكنون من صدف
ثم انجلى في الحلى يدعى بمؤتلق
كان الجلاء له عين الجلاء لهم
فادبروا بانعين الخلد بالفلق

الى آخر ما قال وقوله بدم الهيجا الاغرق يشير بذلك الى ابراهيم بك الوالي حين ولى مدبرا وغرق في البحر (ومات الامير صالح بك) امير الحاج

يتهمون المامون بالرفض لمكان علي بن موسى منه واعلموه بما فيه الناس وبما موه عليه الفضل من امر هرثمة وان هرثمة انما جاءه لينصحه فقتله الفضل وان لم يتدارك امره والا خرجت الخلافة من يده وان طاهر بن الحسين قد ابلى في طاعته ما يعلمه فاخرج من الامر كله وجعل في زاوية من الارض بالرقة لا يستعان به في شئ حتى ضعف أمره وشغب عليه جنده وانه لو كان ببغداد لضبط الملك وان الدنيا قد تفتقت من أقطارها وسألوا المامون الخروج الى بغداد فان أهلها لو رأوك لاطاعوك فلما تحقق ذلك أمر بالرحيل فعلم الفضل بالحال فبغتهم حتى ضرب بعضهم وحبس بعضهم ونتف لحى بعضهم فقال علي بن موسى للمامون في امرهم فقال أنا اداري ثم ارتحل فلما اتى سرخس وثب قوم بالفضل بن سهل فقتلوه في الحمام وكان قتله لليلتين خلتا من شعبان وكان الذين قتلوه أربعة نفر احدهم غالب المسعودي الاسود وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي وموفق الصقلبي وكان عمره ستين سنة وهربوا فجعل المامون لمن جاءه بهم عشرة آلاف دينار فجاء بهم العباس بن الهيثم الدينوري فقالوا للمامون أنت أمرتنا بقتله فامر بهم فضربت رقابهم وقيل ان المامون لما سألهم فمنهم من قال ان علي بن أبي سعيد بن اخت الفضل بن سهل وضعهم عليه ومنهم من أنكر ذلك فقتلهم ثم احضر عبد العزيز بن عمران وعليا وموسى وخلفا فسألهم فانكروا ان يكونوا اعلموا بشئ من ذلك فلم يقبل منهم وقتلهم وبعث برؤسهم الى الحسن بن سهل واعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل وانه قد صيره مكانه فوصله الخبر في رمضان ورحل المامون الى العراق فكان ابراهيم بن المهدي وعيسى وغيرهما بالمدائن وكان أبو البط وسعيد بالنيل يراوحون القتال ويغادونه وكان المطلب بن عبد الله بن مالك قد عاد من المدائن فاعتل بانه مريض فاتى بغداد وجعل يدعو في السر الى المامون على ان المنصور بن المهدي خليفة المامون ويخلعون ابراهيم فاجابه منصور ابن المهدي وخزيمة بن خازم وغيرهما من القواد وكتب المطلب الى علي بن هشام وحميد ان يتقدما فينزل حميد نهر صرصر وينزل علي النهروان فلما علم ابراهيم بن المهدي بذلك عاد عن المدائن نحو بغداد فنزل زندورد منتصف صفر وبعث الى المطلب ومنصور وخزيمة يدعوهم فاعتلوا عليه فلما رأى ذلك بعث عيسى اليهم فاما منصور وخزيمة فاعطوا بايديهما واما المطلب فمنعه مواليه وأصحابه فنادى منادي ابراهيم من أراد النهب فليات دار المطلب فلما كان وقت الظهر وصلوا الى داره فنهبوها ونهبوا دور أهله ولم يظفروا به وذلك لثلاث عشرة بقيت من صفر فلما بلغ حميدا وعلي بن هشام الخبر أخذ حميد المدائن ونزلها وقطع الجسر وأقاموا بها وندم ابراهيم حيث صنع بالمطلب ما صنع ثم لم يظفر به

* (ذكر قتل علي بن الحسين الهمداني) *

في هذه السنة قتل علي بن الحسين الهمداني وأخوه أحمد وجماعة من أهل بيته وكان متغلبا على الموصل وسبب قتلهم انه خرج ومعه جماعة من قومه ومن الازد فلما نظر الى

جيد الفروع الفقهية وكان يكتب على الفتاوى على لسان شيخه المذكور ويتحرى الصواب وعبارته سلسة جيدة وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين واقتنى كتبا في ذلك مثل كتاب السلوك والخطط للمقريزي واجزاء من تاريخ العيني والسخاوي وغير ذلك ولم يزل حتى ركب يوما بغلته وذهب لبعض أشغاله فلما كان بخطة الموسكي قابله خيال فرنساوي يخب فرسه فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور والقته من على ظهرها الى الارض وصادف حافر فرس الفرنساوي أذنه فرض صماخه فلم ينطق ولم يتحرك فرفعوه في تابوت الى منزله ومات من ليلته رحمه الله

* (ومات) * عبد الله كاشف الجرف وهو عبد الله اسمعيل كاشف الجرف تابع عثمان بيك ذي الفقار الكبير وكان معروفا بالشجاعة والاقدام كسيده وأدرك عصر الامارة وسيادة ونفاذ كلمة واشترى المماليك الكثيرة والخيول المسومة والجواري والعبيد وعنده عدة من الاجناد والطوائف وعمر دارا عظيمة داخل الدرب المحروق ولم يزل حتى قتل يوم السبت تاسع صفر بحرب الفرنساويه بانبابة وكان جسيما أسود ذا شهامة

ويأتون عسكر الحسن بواسط فلا يخرج اليهم منهم احد وهم متحصنون بالمدينة ثم ان الحسن امر اصحابه بالخروج اليهم فخرجوا اليهم لاربع بقين من رجب فاقتتلوا قتالا شديدا الى الظهر وانهزم عيسى واصحابه حتى بلغوا طرنايا والنيل وغنموا عسكر عيسى وما فيه

(ذكر الظفر بسهل بن سلامة)

وفي هذه السنة ظفر ابراهيم بن المهدى بسهل بن سلامة المطوع فحبسه وعاقبه وكان سبب ظفره به ان سهلا كان مقيما ببغداد يدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجتمع اليه عامة اهل بغداد فلما انهزم عيسى أقبل هو ومن معه نحو سهل بن سلامة لانه كان يذكرهم باقبح اعمالهم ويسميهم الفساق فقاتلوه أياما حتى صاروا الى الدروب واعطوا اصحابه الدراهم الكثيرة حتى تنحوا عن الدروب فاجابوا الى ذلك فلما كان السبت لخمس بقين من شعبان قصدوه من كل وجه وخذله أهل الدروب لاجل الدراهم التي أخذوها حتى وصل عيسى واصحابه الى منزل سهل فاختفى منهم واختلط بالنظارة فلم يروه في منزله فجعلوا عليه العيون فلما كان الليل أخذوه واتوا به اسحق بن الهادى فكلمه فقال انما كانت دعوتي عباسية وانما كنت أدعو الى العمل بالكتاب والسنة وأنا على ما كنت أدعوكم اليه الساعة فقالوا له اخرج الى الناس فقل لهم ان ما كنت أدعوكم اليه باطل فخرج فقال أيها الناس قد علمتم ما كنت أدعوكم اليه من العمل بالكتاب والسنة وأنا ادعوكم اليه الساعة فضربوه وقيدوه وشتموه وسيروه الى ابراهيم بن المهدى بالمدائن فلما دخل عليه كلمه بما كلم به اسحق بن الهادى فضربه وحبسه وأظهر انه قتل خوفا من الناس لئلا يعلموا مكانه فيخرجوه وكان ما بين خروجه وقبضه اثنا عشر شهرا

(ذكر مسير المامون الى العراق وقتل ذى الرياستين)

وفي هذه السنة سار المامون من مرو الى العراق واستخلف على خراسان غسان بن عبادة وكان سبب مسيره ان على بن موسى الرضا أخبر المامون بما الناس فيه من الفتنة والقتال مذ قتل الامين وبما كان الفضل بن سهل يستره عنه من اخبار وان أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء وانهم يقولون مسحور مجنون وانهم قد بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة فقال له المامون لم يبايعوه بالخلافة وانما صيروه أميرا يقوم بامرهم على ما أخبر به الفضل فاعلمه ان الفضل قد كذبه وان الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وابراهيم والناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه الفضل ومكانى ومكان بيعتك لى من بعدك فقال ومن يعلم هذا قال يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه العسكر فامر بادخالهم فدخلوا فسألهم عما اخبره به على بن موسى ولم يخبروه حتى يجعل لهم الامان من الفضل ان لا يعرض اليهم فضمن لهم ذلك وكتب لهم خطه به فاخبروه بالبيعة لابراهيم بن المهدى وان أهل بغداد قد سموه الخليفة السنى وانهم

ويعرف طرقها ويباشر الضرب عليها بيده ثم ولى الصنجقية وتقلد امارة الحج سنة اثنتى عشرة ومائتين والف وتمم أشغاله وأموره ولوازمه على ما ينبغي وطلع بالحج في تلك السنة في أبهة عظيمة على القانون القديم في أمن وأمان ورخاء وسخاء وراج موسم التجار في تلك السنة الى الغاية وفي أيام غيابه بالحج وصل الفرنساوية الى القطر المصرى وطار اليهم الخبر بسطح العقبة وأرسلوا من مصر مكاتبة بالامان وحضوره بالحج في طائفة قليلة فارسل اليهم ابراهيم بك يطلبهم الى بلبيس فعرج المترجم بالحجاج الى بلبيس وجرى ما تقدم ذكره ولم يزل حتى مات بالديار الشامية وبعد مدة أرسلت زوجته فاحضرت رمته ودفنتها بمصر بتربة المجاورين *(ومات)* العمدة الفاضل والنحرير الكامل الفقيه العلامة السيد مصطفى الدمنهوري الشافعي تفقه على أشياخ العصر وتمهر في المعقولات ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ملازمة كلية واشتهر بنسبته اليه ولما ولى مشيخة الازهر صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد في القضايا والمهمات والمراسلات عند

ذلك ان عيسى كان يكاتب حميدا والحسن بن سهل وكان يظهر لابراهيم الطاعة وكان كلما قال له ابراهيم ليخرج الى قتال حميد يعتذر بان الجند يريدون ارزاقهم ومرة يقول حتى تدرك الغلة فلما توثق عيسى بما يريد فارقهم على ان يدفع اليهم ابراهيم بن المهدى يوم الجمعة سلخ شوال و بلغ الخبر ابراهيم أبلغه هرون بن محمد أخو عيسى وجاء عيسى الى باب الجسر فقال للناس انى قد سالمت حميدا أن لا يدخل عملى ولا أدخل عمله ثم أمر بحفر خندق بباب الجسر و باب الشام و بلغ ابراهيم قوله وفعله وكان عيسى قد ساله ابراهيم أن يصلى الجمعة بالمدينة فاجابه الى ذلك فلما تكلم عيسى بما تكلم حذر ابراهيم وأرسل الى عيسى يستدعيه فاعتل عليه فتابع الرسل بذلك فحضر عنده بالرصافة فلما دخل عليه عاتبه ساعة وعيسى يعتذر اليه وينكر بعضه فامر به ابراهيم فضرب وحبس وأخذ عدة من قواده وأهله فحبسهم ونجا بعضهم وفيمن نجا خليفته العباس ومشى بعض أهله الى بعض وحرضوا الناس على ابراهيم وكان أشدهم العباس خليفة عيسى وكان هو رأسهم فاجتمعوا وطردوا عامل ابراهيم على الجسر والكرخ وغيره وظهر الفساق والشطار وكتب العباس الى حميد يساله أن يقدم عليهم حتى يسلموا اليه بغداد

(ذكر خلع ابراهيم بن المهدى)

وفى هذه السنة خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدى وكان سبب ذلك ما ذكرنا من قبضه على عيسى بن محمد على ما تقدم فلما كاتب اصحابه ومنهم العباس حميدا بالقدوم عليهم سار حتى اتى نهر صرصر فنزل عنده وخرج اليه العباس و قواد اهل بغداد فلقوه وكانوا قد شرطوا عليه ان يعطى كل جندى خمسين درهما فاجابهم الى ذلك ووعدهم ان يضع لهم العطاء يوم السبت فى الياسرية على ان يدعوا للمامون بالخلافة يوم الجمعة و يخلعوا ابراهيم فاجابوه الى ذلك ولما بلغ ابراهيم الخبر أخرج عيسى ومن معه من اخوته من الحبس وساله ان يرجع الى منزله و يكفيه امر هذا الجانب فابى عليه فلما كان يوم الجمعة احضر العباس بن محمد بن ابى رجاء الفقيه فصلى بالناس الجمعة ودعا للمامون بالخلافة وجاء حميد الى الياسرية فعرض جند بغداد واعطاهم الخمسين التى وعدهم فسالوه ان ينقصهم عشرة عشرة لما تشاءموا به من على بن هشام حين اعطاهم الخمسين وقطع العطاء عنهم فقال حميد بل ازيدكم عشرة واعطيكم ستين درهما لكل رجل فلما بلغ ذلك ابراهيم دعا عيسى وساله ان يقاتل حميدا فاجابه الى ذلك فخلى سبيله واخذ منه كفلاء وكلم عيسى الجند ووعدهم ان يعطيهم مثل ما اعطاهم حميد فابوا ذلك فعبر اليهم عيسى وقواد الجانب الشرقى ووعد اولئك الجند ان يزيدهم على الستين فشتموه واصحابه وقالوا لا نريد ابراهيم فقاتلهم ساعة ثم القى نفسه فى وسطهم حتى اخذوه شبه الاسير فاخذه بعض قواده فاتى به منزله ورجع الباقون الى ابراهيم فاخبروه الخبر فاغتم لذلك وكان المطلب بن عبد الله بن مالك قد اختفى من ابراهيم كما ذكرنا فلما قدم حميد اراد العبور اليه فعلموا به فاخذوه واحضروه عند ابراهيم فحبسه ثلاثة ايام ثم

انكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم لكن جملة فلاتية دائرون بالفتنة لاجل ما يحركون الشر فى وقت دخولى كل هذا زول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس ومنتوره مات من تشويش هذا الرجل صعب علينا جدا والسلام ومنتوره هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا و يعرف باللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا وعزموا على الرجوع الى مصر أرسل بونابارته مكاتبة الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها ان الامر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا (الاول) الاقامة تجاه البلدة وعدم الحرب ستة ايام الى ان جاءت الانكليز وحصنوا عكا باصطلاح الافرنج (الثانى) الستة مراكب التى توجهت من الاسكندرية فيها المدافع الكبار اخذها الانكليز قدام يافا (الثالث) الطاعون الذى وقع فى العسكر و يموت كل يوم خمسون وستون عسكريا (الرابع) عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا (الخامس) وقعة مراد بيك مع الفرنساوية فى الصعيد مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى (السادس)

رستاق نينوى والمرج قال نعم البلاد لانسان واحد فقال بعض الازد فما نصنع نحن قال تلحقون بعمان فانتشر الخبر ثم ان عليا أخذ رجلا من الازد يقال له عون بن جبلة فبنى عليه حائطا فمات فيه وظهر خبره فركبت الازد وعليهم السيد بن أنس فاقتتلوا واستنصر علي بن الحسين بخارجي يقال له مهدي بن علوان فأتاه فدخل البلد وصلى بالناس ودعا لنفسه واشتدت الحرب وكانت أخيرا على علي بن الحسين وأصحابه فخرجوا عن البلد الى الحديثة فتبعهم الازد اليها فقتلوا عليا وأخاه أحمد وجماعة من أهلهما وسار أخوهما محمد الى بغداد فنجا وعادت الازد الى الموصل وغلب السيد عليها وخطب للمامون وأطاعه (الهمداني ههنا نسبة الى همدان بسكون الميم وبالدال المهملة وهي قبيلة من اليمن)

(ذكر عدة حوادث)

وفيها تزوج المامون بوران بنت الحسن بن سهل وفيها أيضا زوج المامون ابنته أم حبيب من علي بن موسى الرضا وزوج ابنته أم الفضل من محمد بن علي الرضا بن موسى وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن موسى بن جعفر ودعا لاخيه بعد المامون بولاية العهد ومضى الى اليمن وكان حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان قد غلب على اليمن وفيها في ربيع الآخر ظهرت حمرة في السماء ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر وبقيت الى آخر الليل وذهبت الحمرة وبقي عمودان احمران الى الصبح وفيها توفي أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي اليزيدي المقرئ صاحب أبي عمرو بن العلاء وانما قيل اليزيدي لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدي وكان يعلم ولده وفيها توفي سهل والد ذي الرياستين بعد قتل ابنه بستة أشهر وعاشت أمه حتى أدركت عرس بوران ابنة ابنها

(ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين)

(ذكر موت علي بن موسى الرضا)

في هذه السنة مات علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان سبب موته انه أكل عنبا فاكثر منه فمات فجاءة وذلك في آخر صفر وكان موته بمدينة طوس فصلى المامون عليه ودفنه عند قبر أبيه الرشيد وكان المامون لما قدمها قد أقام عند قبر أبيه وقيل ان المامون سمه في عنب وكان علي يحب العنب وهذا عندي بعيد فلما توفي كتب المامون الى الحسن بن سهل يعلمه موت علي وما دخل عليه من المصيبة بموته وكتب الى أهل بغداد وبني العباس والموالي يعلمهم موته وانهم انما نقموا ببيعته وقد مات ويسالهم الدخول في طاعته فكتبوا اليه أغلظ جواب وكان مولد علي بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة

(ذكر قبض ابراهيم بن المهدي على عيسى بن محمد)

في هذه السنة في آخر شوال حبس ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وسبب

ذلك

(استهل شهر المحرم بيوم الاربعاء) فيه حضر جماعة من الفرنسيس الى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم فلما كان في ثاني يوم عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته صورة جواب من العرضي قدام عكا وفي سابع عشرين فريال الموافق لحادي عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف من بونابارته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية الى محفل ديوان مصر نخبركم عن سفره من بر الشام الى مصر فاني بغاية العجلة بحضوري لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضي من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوما وجائب معي جملة محابيس بكثرة وبيارق ومحقت سراية الجزار وسور عكا وبالقنبر هدمت البلد ما أبقيت فيها حجرا على حجر وجميع سكانها انهزموا من البلد الى طريق البحر والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت ومن جملة ثلاثين مركبا موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا وأخذنا منها أربعة موقرة مدافع والذي أخذ هذه الاربعة فرقاطة من بتوعنا والباقي تلف وتبهدل

بالخلافة بالحجاز وفيها توفى خزيمة بن خازم التميمى فى شعبان وهو من القواد المشهورين وقد تقدم من أخباره ما يعرف به محله ويحيى بن آدم بن سليمان وأبو احمد الزبيرى ومحمد بن بشير العبدى الفقيه بالكوفة والنضر بن شميل اللغوى المحدث وكان ثقة

(ثم دخلت سنة أربع ومائتين)

(ذكر قدوم المامون بغداد)

فى هذه السنة قدم المامون بغداد وانقطعت الفتن وكان قد أقام بجرجان شهرا وجعل يقيم بالمنزل اليوم واليومين والثلاثة وأقام بالنهروان ثمانية أيام فخرج اليه أهل بيته والقواد ووجوه الناس وسلموا عليه وكان قد كتب الى طاهر وهو بالرقة ليوافيه بالنهروان فأتاه بها ودخل بغداد منتصف صفر ولباسه ولباس أصحابه الخضرة فلما قدم بغداد نزل الرصافة ثم تحول ونزل قصره على شاطئ دجلة وأمر القواد أن يقيموا فى معسكرهم وكان الناس يدخلون عليه فى الثياب الخضر وكانوا يخرقون كل ملبوس يرونه من السواد على انسان فمكثوا بذلك ثمانية أيام فتكلم بنو العباس وقواد أهل خراسان وقيل انه أمر طاهر بن الحسين أن يساله حوائجه فكان أول حاجة ساله أن يلبس السواد فاجابه الى ذلك وجلس للناس واحضر سوادا فلبسه ودعا بخلعة سوداء فالبسها طاهرا وخلع على قواده السواد فعاد الناس اليه وذلك لسبع بقين من صفر ولما كان سائرا قال له أحمد بن أبى خالد الاحول يا أمير المؤمنين فكرت فى هجومنا على أهل بغداد وليس معنا الا خمسون ألف درهم مع فتنة غلبت قلوب الناس فكيف يكون حالنا اذا هاج هائج أو تحرك متحرك فقال يا أحمد صدقت ولكن اخبرك ان الناس على طبقات ثلاث فى هذه المدينة ظالم ومظلوم ولا ظالم ولا مظلوم فاما الظالم فلا يتوقع الا عفونا وأما المظلوم فلا يتوقع الا أن ينتصف بنا وأما الذى ليس بظالم ولا مظلوم فبيته يسعه وكان الامر على ما قال

(ذكر عدة حوادث)

وفيها امر المامون بمقاسمة أهل السواد على الخمسين وكان يقاسمون على النصف واتخذ القفيز الملجم وهو عشرة مكاكيك بالمكوك الهارونى كيلا مرسلا وفيها واقع يحيى بن معاذ بابك فلم يظفر واحد منهما بصاحبه وولى المامون أبا عيسى اخاه الكوفة وصالحا أخاه البصرة واستعمل عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب على الحرمين وحج بالناس عبيد الله وفيها انحدر السيد بن أنس الازدى من الموصل الى المامون فتظلم منه محمد بن الحسن بن صالح الهمدانى وذكر انه قتل اخوته واهل بيته فاحضره المامون فلما حضر قال انت السيد قال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس فاستحسن ذلك فقال انت قتلت اخوة هذا قال نعم ولو كان معهم لقتلته لانهم ادخلوا الخارجى بلدك وأعلوه على منبرك وأبطلوا دعوتك فعفا عنه واستعمله على الموصل وكان على القضاء بها الحسن بن موسى الاشيب وفى هذه السنة مات الامام محمد

ظفر روايه فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من اولاده فهذا ملخص معنى السبب (الثانى عشر) موت كفرلى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه واذا تولى امرها غيره يلزم نقضها ويطول الامر وكفرلى هذا هو المعروف بابى خشبة المهندس (الثالث عشر) اسماع ان رجلا يقال له مصطفى باشا أخذه الانكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر (الرابع عشر) ان الجزار أنزل ثقله بمراكب الانكليز وعزم على انه عندما تملك البلاد ينزل فى مراكبهم ويهرب معهم (الخامس عشر) لزوم محاصرة عكا نحو الاثنى عشر أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الاسباب انتهى (وفى يوم الثلاثاء سابعه) حضر جماعة أيضا من العسكر باثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنساوية انه وصل الى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يامر بذلك (فلما كان ليلة الجمعة عاشره) أرسلوا الى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالازبكية وقت الفجر بالمشاعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطبول وزمور ونوبات تركية وطبول شامية وملازمون وجاويشية وغير ذلك وحضر الوكيل وقائمقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعا بالترتيب من

خلى عنه لليلة خلت من ذي الحجة

(ذكر اختفاء ابراهيم بن المهدي)

وفي هذه السنة اختفى ابراهيم بن المهدي وكان سبب ذلك ان حميد تحول فنزل عند ارحاء عبد الله بن مالك فلما راى اصحاب ابراهيم وقواده ذلك تسللوا اليه فصار عامتهم عنده واخذوا له المدائن فلما راى ابراهيم فعلهم اخرج جميع من بقي عنده حتى يقاتلوا فالتقوا على جسر نهر ديالى فاقتتلوا فهزمهم حميد وتبعهم اصحابه حتى دخلوا بغداد وذلك سلخ ذي القعدة فلما كان الاضحى اختفى الفضل بن الربيع ثم تحول الى حميد وجعل الهاشميون والقواد يأتون حميدا واحدا بعد واحد فلما راى ذلك ابراهيم سقط في يديه وشق عليه وكاتب المطلب حميدا ليسلم اليه ذلك الجانب وكان سعيد بن الساجور وابو البط وغيرهما يكاتبون علي بن هشام على ان يأخذوا له ابراهيم فلما علم ابراهيم بامرهم وما اجتمع عليه كل قوم من اصحابه جعل يداريهم فلما جنه الليل اختفى ليلة الاربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة وبعث المطلب الى حميد يعلمه انه قد احدق بدار ابراهيم وكتب ابن الساجور الى علي بن هشام فركب حميد من ساعته من ارحاء عبد الله فاتى باب الجسر وجاء علي بن هشام حتى نزل نهر بين ثم تقدم الى مسجد كوثر واقبل حميد الى دار ابراهيم فطلبوه فلم يجدوه فيها فلم يزل ابراهيم متواريا حتى جاء المامون وبعد ما قدم حتى كان من امره ما كان وكانت أيام ابراهيم سنة واحد عشر شهرا واثني عشر يوما وكان بعده علي بن هشام على شرقي بغداد وحميد على غربيها وكان ابراهيم قد أطلق سهل بن سلامة من الحبس وكان الناس يظنونه قد قتل فكان يدعو في مسجد الرصافة الى ما كان عليه فاذا جاء الليل رد الى حبسه ثم انه أطلقه وخلى سبيله لليلة خلت من ذي الحجة فذهب فاختفى ثم ظهر بعد هرب ابراهيم فقربه حميد وأحسن اليه ورده الى أهله فلما جاء المامون أجازه ووصله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انكسفت الشمس لليلتين بقيتا من ذي الحجة حتى ذهب ضوءها وغاب أكثر من ثلثيها ووصل المامون الى همذان في آخر ذي الحجة وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي وكانت بخراسان زلازل عظيمة ودامت مقدار سبعين يوما وكان معظمها ببلخ والجوزجان والفارياب والطالقان وما وراء النهر فخربت البلاد وتهدمت الدور وهلك فيها خلق كثير وفيها اغلبت السوداء على الحسن بن سهل فتغير عقله حتى شد في الحديد وحبس وكتب القواد الى المامون بذلك فجعل على عسكره دينار بن عبد الله وأرسل اليهم يعرفهم انه واصل وفيها ظهر بالاندلس رجل يعرف بالولد وخالف على صاحبها فسير اليه جيشا فحصروه بمدينة باجة وكان استولى عليها فضيقوا عليه فملكوها وقيد وفيها ولي أسد بن الفرات الفقيه القضاء بالقيروان وفيها توفي محمد بن جعفر الصادق بجرجان وصلى عليه المامون وهو الذي بايعه الناس

بالخلافة

(السابع) المغربي محمد الذي صار له جيش كبير وادعى انه من سلاطين المغرب (الثامن) وورود الانكليز تجاه الاسكندرية ودمياط (التاسع) وورود عمارة الموسقو قدام رودس (العاشر) وورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء (الحادي عشر) وورود جواب مكتوب من التيبو احد ملوك الهند كنا ارسلناه قبل توجهنا للعكا وتيبو هذا هو الذي كان حضر الى اسلامبول بالهدية التي من جملتها طائران يتكلمان بالهندية والسرير والمنبر من خشب العود وطلب منه الامداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له في بلاده فوعدوه ومنوه وكتبوا له اوراقا واوامر وحضر الى مصر وذلك في سنة اثنتين ومائتين وألف أيام السلطان عبد الحميد وقد سبقت الاشارة اليه في حوادث تلك السنة وهو رجل كان مقعدا يحمله اتباعه في تخت لطيف بديع الصنعة على اعناقهم ثم انه توجه الى بلاد فرانسا واجتمع بسلطانها وذلك قبل حضوره الى مصر واتفق معه على أمر في السر لم يطلع عليه أحد غيرهما ورجع الى بلاده على طريق القلزم فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر لانه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان ثم ان تيبو المذكور بقي في حرب الانكليز الى ان

فقال حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة وأومر بمثل هذا انما كان ينبغي أن يتوجه اليه قائد من قوادي وصارمه

* (ذكر عدة حوادث) *

وفيها قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين بغداد من الرقة وكان أبوه استخلفه بها وأمره بقتال نصر بن شبث فلما قدم الى بغداد جعله المامون على الشرطة بعد مسير أبيه وولى المامون يحيى بن معاذ الجزيرة وولى عيسى بن محمد بن أبي خالد ارمينية واذربيجان ومحاربة بابك وفيها مات السري بن الحكم بمصر وكان واليها وفيها مات داود بن يزيد عامل السند فولاها المامون بشير بن داود على أن يحمل كل سنة ألف ألف درهم وفيها ولى المامون عيسى بن يزيد الجلودي محاربة الزط وحج بالناس عبيد الله بن الحسن امير مكة والمدينة وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة فتهدمت المنازل ببغداد وكثر الخراب بها وفي هذه السنة توفي يزيد بن هرون الواسطي ومولده سنة تسع عشرة ومائة والحجاج ابن محمد الاعور الفقيه وشبابة بن سوار الفزاري الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ ومحاضر بن الموزع وابو يحيى ابراهيم بن موسى الزيات الموصلي سمع هشام بن عروة وغيره

* (ثم دخلت سنة ست ومائتين) *

* (ذكر ولاية عبد الله بن طاهر الرقة) *

وفي هذه السنة ولى المامون عبد الله بن طاهر من الرقة الى مصر وامره بحرب نصر بن شبث وكان سبب ذلك ان يحيى بن معاذ الذي كان المامون ولاه الجزيرة مات في هذه السنة واستخلف ابنه أحمد فاستعمل المامون عبد الله مكانه فلما أراد توليته أحضره وقال له يا عبد الله استخير الله تعالى منذ شهر وأكثر وأرجو ان يكون قد خار لي ورأيت الرجل يصف ابنه لرأيه فيه ورأيتك فوق ما قال ابوك فيك وقد مات يحيى واستخلف ابنه وليس بشئ وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شبث فقال السمع والطاعة وارجو ان يجعل الله لامير المؤمنين الخيرة وللمسلمين فعقد له وقيل كانت ولايته سنة خمس ومائتين وقيل سبع ومائتين ولما سار استخلف على الشرطة اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه ولما استعمله المامون كتب اليه ابوه طاهر كتابا جمع فيه كل ما يحتاج اليه الامراء من الآداب والسياسة وغير ذلك وقد اثبت منه احسنه لما فيه من الآداب والحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم لانه لا يستغني عنه احد من ملك وسوقة وهو * (بسم الله الرحمن الرحيم) * امابعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما ألبسك من العافية بالذكر لمعادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه واليم عذابه فان الله سبحانه وتعالى قد احسن اليك واوجب

* (ومنها) *

ثم دارت رحى الحروب لدينا
بضروب مدامة الترداد
كل يوم وليلة في رعود
وبروق من غيم ذاك الوادي
كم نهار أضحى كليل بهيم
من دخان الوغى غدا في ازدياد

الى آخر ما قال وهي طويلة (وفيه) قبضوا على اسمعيل القاني الخربطلي وهو المتولي كتخدا العزب وكان ساكنا بخط الجمالية وأخذوا اسلاحه واصعدوه الى القلعة وحبسوه والسبب في ذلك انه عمل في تلك الليلة وليمة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا الى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر ولما وصل ساري عسكر الفرنساوية الى داره بالازبكية تجمع هناك أرباب الملاهي والبهلوين وطوائف اللاعبين والحواة والقرادين والنساء الراقصات والخلابيص ونصبوا اراجيح مثل أيام الاعياد والمواسم واستمروا على ذلك ثلاثة أيام وفي كل يوم من تلك الايام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريخ ثم انفض الجمع بعد ما أعطاهم ساري عسكر

ابن ادريس الشافعي رضي الله عنه وكان مولده سنة خمسين ومائة والحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه احد أصحاب ابي حنيفة وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند ومولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهشام بن محمد السائب الكلبي النسابة وقيل مات سنة ست ومائتين وفيها توفي محمد بن عبيد بن أبي امية المعروف بالطنافسي وقيل سنة خمس ومائتين

(ثم دخلت سنة خمس ومائتين)

(ذكر ولاية طاهر خراسان)

وفي هذه السنة استعمل المامون طاهر بن الحسين على المشرق من مدينة السلام الى اقصى عمل المشرق وكان قبل ذلك يتولى الشرط بجانبي بغداد ومعاون السواد وكان سبب ولايته خراسان ان طاهرا دخل على المامون وهو يشرب النبيذ وحسين الخادم يسقيه فلما دخل طاهر سقاه رطلين وأمره بالجلوس فقال ليس لصاحب الشرطة ان يجلس عند سيده فقال المامون ذلك في مجلس العامة وأما في مجلس الخاصة فله ذلك فبكى المامون وتغرغرت عيناه بالدموع فقال طاهر يا أمير المؤمنين لم تبكي لا أبكى الله عينك والله لقد دانت لك البلاد واذعن لك العباد وصرت الى المحبة في كل أمرك قال أبكي لامر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن وانصرف طاهر فدعا هرون بن جيعونة وقال له ان اهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض فخذ معك ثلثمائة ألف درهم فاعط حسينا الخادم مائتي ألف وكاتبه محمد بن هرون مائة ألف وسله ان يسال المامون لم بكى ففعل ذلك فلما تغدى المامون قال اسقني يا حسين فقال لا والله حتى تقول لي لم بكيت حين دخل عليك طاهر فقال وكيف عنيت بهذا الامر حتى سألتني عنه فقال لغمي لذلك قال هو امر ان خرج من رأسك قتلتك قال يا سيدي ومتى أخرجت لك سرا قال اني ذكرت محمدا أخي وما ناله من الذل فخنقتني العبرة فاسترحت الى الافاضة ولن يفوت طاهرا مني ما يكره فاخبر حسين طاهرا بذلك فركب طاهر الى أحمد بن أبي خالد فقال له ان الثناء مني ليس برخيص وان المعروف عندي ليس بضائع فغيبني عن عينه فقال له سافعل ذلك وركب أحمد الى المامون فلما دخل عليه قال له ما نمت البارحة قال ولم قال لانك وليت غسان خراسان وهو ومن معه أكلة رأس واخاف ان تخرج عليه خارجة من الترك فتهلكه فقال لقد فكرت فيما فكرت فيه فمن ترى قال طاهر ابن الحسين قال ويلك هو والله خالع قال انا الضامن له قال فوله فدعا طاهرا من ساعته فعقد له فشخص في يومه فنزل طاهر البلد فاقام شهرا فحمل اليه عشرة آلاف ألف درهم التي تحمل لصاحب خراسان وسار عن بغداد لليلة بقيت من ذي القعدة وقيل كان سبب ولايته ان عبد الرحمن المطوعي جمع جموعا كثيرة بنيسابور ليقاتل بهم الحرورية بغير أمر والي خراسان فتخوفوا ان يكون ذلك لاصل عمل عليه وكان غسان ابن عباد يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل وهو ابن عمه فلما استعمل طاهر على خراسان كان صارما للحسن بن سهل وسبب ذلك ان الحسن ندبه لمحاربة نصر بن شبث

الازبكية الى أن خرجوا الى العادلية فقابلوا سارى عسكر بونابارته هنالك وسلموا عليه ودخل معهم الى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وعرباتهم ونسائهم وأطفالهم في نحو خمس ساعات من النهار الى أن وصل الى داره بالازبكية وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهارا وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا وشهد له الخصم *ولصاحبنا الفاضل النجيب والاديب اللبيب السيد علي الصيرفي الرشيدي نزيل عكا المحروسة في هذه الواقعة قصيدة لطيفة طويلة من بحر الخفيف يقول فيها

وأراهم قبيحهم حسن قصد
نحو عكا ذات السعود البادي
فاستعدوا لها بآلات حرب
ورجال كثيرة كالجراد
خيموا حولها بجيش وخيش
ومتاريس ضاق منها الوادي
أشبهوا قوم صالح في فعال
ينحتون الجبال لاستعداد
في حصون من التراب تراهم
شيدوها بقوة وعماد
فسكان الجن الشياطين فيهم يسرعون الإعجال عند التنادي

فقال

انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها لك ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك ولتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيي للسنة وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه مسؤل عما صنع ومجزي بما أحسن ومأخوذ بما أساء فان الله عزوجل جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله عزوجل في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروأتك واذا عاهدت عهدا ففِ به واذا وعدت خيرا فانجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهله واقص اهل النميمة فان أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها ولا يسلم له صاحب ولا يستتم لمطيعها أمر وأحب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وواس الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك واظهر برأيك في ذلك رعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله واياك أن تقول أنا مسلط أفعل ما أشاء فان ذلك سريع الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله عزوجل وأخلص لله وحده لا شريك له النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى احد اسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا انعم الله عزوجل واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عزوجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لملهوفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف مؤنة عنهم نمت وزكت ونمت وصلحت به العامة وتزينت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال في عمارة الاسلام واهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عزوجل

الخبر وهو جالس يتحدث مع اخوانه حصة من الليل فخرجت روحه في الحال (وفيه) كتبوا أوراقا وطبعوها والصقوها بالاسواق وذلك بعد ان رجعوا من الشام واستقروا وهي من ترصيف وتنميق بعض الفقهاء (وصورتها) من محفل الديوان الخصوصي بمحروسة مصر خطابا لاقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة النصيحة من الايمان قال تعالى في محكم القرآن ولا تتبعوا خطوات الشيطان وقال تعالى وهو أصدق القائلين في الكتاب المكنون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون فعلى العاقل ان يتدبر في الامور قبل أن يقع في المحذور ونخبركم معاشر المؤمنين انكم لا تسمعوا كلام الكاذبين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وقد حضر الى محروسة مصر المحمية امير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية ونزل بعسكره في العادلية سالما من العطب والاسقام ودخل الى مصر من باب النصر يوم الجمعة في موكب عظيم وشنك جليل فخيم وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية وأرباب الاقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية وكان يوما عظيما مشهودا وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه هو

عليك الرافة بمن استرعاك امرهم من عباده والزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضهم والحقن لدمائهم والامن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت واخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك ونظرك ولا يشغلك عنه شاغل وانه راس امرك وملاك شانك واول مايوفقك الله عزوجل به لرشدك وليكن اول ماتلزم نفسك وتنسب اليه افعالك المواظبة على ماافترض الله عزوجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس فأت بها فى مواقيتها على سننها وفى اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عزوجل وترتل فى قراءتك وتمكن فى ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيه رأيك ونيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عزوجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عزوجل وتقواه ولزوم ماأنزل الله عز وجل فى كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ماجاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق الله عزوجل عليك ولا تمل من العدل فيما احببت او كرهت لقريب من الناس أو بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان أفضل ماتزين به المرء الفقه فى الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به الى الله عزوجل فانه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهى عن المعاصى الموبقات كلها ومع توفيق الله عزوجل يزداد العبد معرفة لله عز وجل واجلالا له وذكرا للدرجات العلا فى المعاد مع مافى ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد فى الامور كلها فليس شئ أبين نفعا ولا اخص امنا ولا أجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وآثره فى دنياك كلها ولا تقصر فى طلب الآخرة والاجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولاغاية للاستكثار فى البر والسعى له اذ كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أوليائه فى دار كرامته واعلم ان القصد فى شان الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانه لن تحوط لنفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بافضل منه فأته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك واحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه فى الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل ان تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شانك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمزا فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم فى سوء الظن ماينغصك لذاذة عيشك واعلم

انك

عسكر دراهم بقاشيش (وفى
يوم الاحد) عزلوا دستان
قائمقام وتولى عوضه روجا
الذى كان وكيلا عن سارى
عسكر وتهيا المعزول للسفر الى
جهة بحرى وأصبح مسافرا
وصحبته نحو الالف من العسكر
وسافر أيضا منهم طائفة الى
جهة البحيرة (وفيه) طلبوا
من طوائف النصارى دراهم
سلفة مقدار مائة وعشرين
ألف ريال (وفى خامس
عشره) أرسلوا الى زوجات
حسن بك الجداوى وختموا
على دورهن ومتاعهن
وطالبوهن بالمال وذلك
لسبب ان حسن بك التف
على مراد بك وصار يقاتل
الفرنسيس معه وقد كانت
الفرنسيس كاتبت حسن بك
وأمنته وأقرته على مابيده من
البلاد وأن لا يخالف ويقاتل
مع الاخصام فلم يقبل منهم
ذلك فلما وقع انسانه ذلك
ذهبن الى الشيخ محمد المهدى
ووقعن عليه فصالح عليهن
بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسه
(وفى تاسع عشره) هلك
مخايل كحيل النصرانى
الشامى وهو من رجال الديوان
الخصوصى فجأة وذلك لقهره
وغمه وسببه ذلك أنهم قرروا
عليه فى السلفة ستة آلاف
ريال فرانسه وأخذ فى
تحصيلها ثم بلغه ان أحمد باشا
الجزار قبض على شريكه
بالشام واستصفى ماوجده عنده من المال فورد عليه

وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك وسدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر الحق على نفسك فتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية فتسلط الحق على نفسك ولا تسرع الى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معانديهم ذلا وصغارا فوزعه بين أصحابك بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فان ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضا العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي اهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفذه في قوام امرهم وصلاحهم وتقويم اودهم فاستعمل عليهم ذوي الراي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك ولا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة في عملك واحرزت به المحبة من رعيتك واعنت على الصلاح فدرت الخيرات في بلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت في امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس في ذلك ولا تقدم عليه شيئا تحمد فيه مغبة امرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك اخبار عمالك ويكتب اليك بسيرتهم واعمالهم حتى كانك مع كل عامل في عمله معاين لاموره كلها فان اردت ان تأمرهم بامر فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والا فتوقف عنه وراجع اهل البصيرة والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امر من اموره قدره واتاه على ما يهوى فاغواه ذلك واعجبه فان لم ينظر في عواقبه اهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الحزم في كل ما اردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة واكثر في استخارة ربك في جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك واكثر مباشرته بنفسك فان لغد امورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه واذا اخرت عمله اجتمع عليك امور يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه واذا أمضيت لكل يوم عمله ارحت نفسك وبدنك واحكمت امور سلطانك وانظر احرار الناس وذوي السن منهم ممن

بسبب هذا الرأي السديد ونخبركم ان أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الانفس ولا يفرق بين الأخيار والاشرار وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب واسافل العشيرة وكان مراده الاستيلاء على مصر واقاليمها واحبوا اجتماعهم عليه لاجل اخذ اموالها وهتك حريمها ولكن لم تساعده الاقدار والله يفعل ما يشاء ويختار وقد كان ارسل بعض هذه العساكر الى قلعة العريش ومراده ان يصل الى قطيا فتوجه حضرة ساري عسكر امير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا في العريش ونادوا الفرار الفرار بعد ما حصل بعسكرهم القتل والدمار وكانوا نحو ثلاثة آلاف وملك قلعة العريش واخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا ولما دخل غزة نادى في رعيتها بالامان وامر باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء والتجار والاعيان ثم انتقل الى الرملة واخذ ما فيها من بقسماط وارز وشعير وقرب اكثر من الفي قربة كبار كان قد جهزها الجزار لذهابه الى مصر ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة ايام ثم أخذها واخذ ما فيها من ذخائر الجزار بالتمام ومن مخصوصات

وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك اقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك أسلس لطاعتك واطيب نفسا بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب ولتعظم حسنتك فيه وانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل الله واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وارج الثواب فيه فان الله سبحانه قد اسبغ عليك نعمته واسبغ لديك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مرائيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن وعدا ولا ترهقن هجرا ولا تركبن سفها ولا تظهرن غضبا ولا تاسن مدحا ولا تمشين مرحا ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا تدفع الايام عتابا ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك أهل الذمة والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شئ أسرع فسادا لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك الا قليلا فان رعيتك انما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم وابتدئ من صافاك من أوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه أول ما عصى الانسان به ربه وان العاصى بمنزلة خزى وتدبر قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون واجعل للمسلمين كلهم من بينك حظا ونصيبا وأيقن ان الجود من أفضل أعمال العباد فاعدده لنفسك خلقا وسهل طريق الجود بالحق وارض به عملا ومذهبا وتفقد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وأدرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتزيد به قلوبهم فى طاعتك فى أمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة فى عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسيعه فزايل مكروه احدى البليتين باستشعار فضيلة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم ان القضاء بالعدل من الله تعالى بالمكان الذى ليس يعدل به شئ من الامور لانه ميزان الله الذى يعتدل عليه أحوال الناس فى الارض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح احوال الرعية وتامن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع على مجاريها واشتد فى أمر الله عز وجل وتورع عن القصف

عليه شرح الله صدره للاسلام والذى أشاع عنه الاخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهامل به ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الاسلامية وتعطيل الاموال الديوانية لايحبون راحة العبيد وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم ان بطش ربك لشديد وقد بلغنا ان الالفى توجه الى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى والعبايدة الفجرة المفسدين يسعون فى الارض بالفساد وينهبون أموال المسلمين ان ربك لبالمرصاد ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ويدعون ان عساكر السلطان حاضرة والحال انها ليست بحاضرة فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهذا الاثر وانما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر مثل ما كان يفعل ابراهيم بك فى غزة حيث كان ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان ويدعى انها من طرف السلطان ويصدقه أهل الارياف خفاف العقول ولا يقرؤن العواقب فيقعون فى المصائب وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم فان المجرم يؤخذ مع الجيران وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان فكان اهل الصعيد

به واستعن بالله على جميع امورك واستخره فان الله عزوجل مع الصلاح واهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل عيشك ما كان فيه لله عزوجل رضا ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللذمة وللملة عدلا وصلاحا وانا أسال الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام

فلما راى الناس هذا الكتاب تنازعوه وكتبوه وشاع امره وبلغ المامون خبره فدعا به فقرئ عليه فقال ما ابقى ابو الطيب يعنى طاهرا شيئا من أمر الدنيا والدين والتدبير والراى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكم وأوصى به وأمر المامون فكتب به الى جميع العمال فى النواحى فسار عبدالله الى عمله فاتبع ما أمر به وعهد اليه وسار بسيرته

(ذكر موت الحكم بن هشام)

وفى هذه السنة مات الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس لاربع بقين من ذى الحجة وكانت بيعته فى صفر سنة ثمانين ومائة وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وكنيته أبو العاص وهو لام ولد وكان طويلا أسمر نحيفا وكان له تسعة عشر ذكرا وله شعر جيد وهو أول من جند بالاندلس الاجناد المرتزقين وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الحشم والحواشى وارتبط الخيول على بابه وشابه الجبابرة فى أحواله واتخذ المماليك وجعلهم فى المرتزقة فبلغت عدتهم خمسة آلاف مملوك وكانوا يسمون الخرس لعجمة ألسنتهم وكانوا يوما على باب قصره وكان يطلع على الامور بنفسه وما قرب منها وبعد وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه باحوال الناس فيرد عنهم المظالم وينصف المظلوم وكان شجاعا مقداما مهيبا وهو الذى وطأ لعقبه الملك بالاندلس وكان يقرب الفقهاء وأهل العلم

(ذكر ولاية ابنه عبد الرحمن)

لما مات الحكم بن هشام قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن ويكنى بالمطرف واسم أمه حلاوة وكان بكر والده ولد بطليطلة ايام كان أبوه الحكم يتولاها لابيه هشام ولد لسبعة أشهر ووجد ذلك بخط أبيه وكان جسيما وسيما حسن الوجه فلما ولى خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسى وطمع بموت الحكم وخرج من بلنسية يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعفت نفسه فرجع الى بلنسية ثم مات فى أثناء ذلك سريعا ووقى الله ذلك الطرف شره فلما مات نقل عبد الرحمن أولاده وأهله اليه بقرطبة وخلصت الامارة بالاندلس لولد هشام بن عبد الرحمن (تدمير بالتاء فوقها نقطتان والدال المهملة والياء تحتها نقطتان ثم راء)

(ذكر عدة حوادث)

وفيها عزل الحسن بن موسى الاشيب عن قضاء الموصل فانحدر الى بغداد وتولى القضاء بها على بن أبى طالب الموصلى وفيها ولى المامون داود بن ماسجور محاربة الزط

والفجرة من الرعية وحبه لمصر واقليمها شئ عجيب ورغبته فى الخير لاهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب ورغبته أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الاسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الاعداء والاخصام فالويل كل الويل لمن عاداه والخير كل الخير لمن والاه فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لاحكام الله ولا تسعوا فى سفك دمائكم وهتك عيالكم ولا تتسببوا فى نهب أموالكم ولا تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين ولا تقولوا ان فى الفتنة اعلاء كلمة الدين حاشا لله لم يكن فيها الا الخذلان وقتل الانفس وذل أمة النبى عليه الصلاة والسلام والغز العسر بان يطمعوكم ويغروكم لاجل أن يضروكم فينهبوكم واذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كانهم جند ابليس ولما حضر سارى عسكر الى مصر أخبر اهل الديوان من خاص وعام انه يحب دين الاسلام ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم باتقان وامر باقامة شعائر المساجد الاسلامية واجرا خيرات الاوقاف السلطانية واعطى عوائد الوجاقلية

تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا وأفرد نفسك بالنظر فى امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه احفى مسئلة ووكل بامثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوى الباساء وايتامهم وارامله‍م واجعل لهم ارزاقا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر اللاضراب من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين الاكثر فى الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقوقهم وفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما تبرم المتصفح لامور الناس لكثرة مايرد عليه ويشغل فكره وذهنه فليله عما يناله به من مؤنة ومشقة وليس من يرغب فى العدل ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستثقل بما يقربه الى الله تعالى ويلتمس رحمته واكثر الاذن للناس عليك وأبرز لهم وجهك وسكن لهم حواسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم فى المسئلة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم فى أحوالك كلها بامر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب مافارق ذلك وخالف مادعا الى سخط الله عزوجل واعرف ماتجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك عن انهاء ذلك اليك فى سرك واعلامك ومافيه من النقص فان أولئك انصح اوليائك ومظاهرين لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتا يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامرته وماعنده من حوائج عمالك وأمور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقا للحق والحزم فامضه واستخر الله عزوجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسئلة عنه ولا تمتن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من أحدهم الا الوفاء والاستقامة والعون فى امور أمير المؤمنين ولا تضعن المعروف الا على ذلك وتفهم كتابى اليك واكثر النظر فيه والعمل

قد وردفيهم السيف من شدة
وقتل منهم نحو اربعة آلاف
او يزيدون بعد ماهدم سورها
واكرم من كان بها من اهل
مصر واطعمهم وكساهم
وجهزهم فى المراكب الى
مصر وغفرهم بعسكره خوفا
عليهم من العربان واجزل
عطاياهم وكان فى يافا نحو خمسة
آلاف من عسكر الجزار
هلكوا جميعا وبعضهم مانجاه
الا الفرار ثم توجه من يافا الى
جبل نابلس فكسر من كان
فيه من العساكر بمكان يقال
له قاقوم وحرق خمسة بلاد من
بلادهم وماقدر كان ثم اخرب
سور عكا وهدم قلعة الجزار
التى كانت حصينة لم يبق فيها
حجر على حجر حتى انه يقال
كان هناك مدينة وقد كان
بنى حصارها وشيد بنيانها
فى نحو عشرين من السنين وظلم
فى بنيانها عباد الله وهكذا
عاقبة بنيان الظالمين ولما
توجه اليه أهل بلاد الجزار من
كل ناحية كسرهم كسرة
شنيعة فهل ترى لهم من باقية
نزل عليهم كصاعقة من السماء
ثم توجه راجعا الى مصر
المحروسة لاجل شيئين (الاول)
انه وعدنا برجوعه الينا بعد
أربعة أشهر والوعد عند الحر
دين (والسبب الثانى) انه
بلغه ان بعض المفسدين من
الغز والعربان يحركون فى
غيابه الفتن والشرور فى بعض الاقاليم والبلدان فلما حضر

يا ذا اليمينين وعين واحده * نقصان عين ويمين زائده

يعني ان لقبه كان ذا اليمينين وكانت كنيته أبا الطيب وقد قيل ان طاهر المامات انتهب الجند بعض خزائنه فقام بامرهم سلام الابرش الخصي وأعطاهم رزق ستة اشهر وقيل استعمل المامون على عمله جميعه ابنه عبد الله بن طاهر فسير الى خراسان أخاه طلحة وكان عبد الله بالرقة على حرب نصر بن شبث فلما توجه طلحة الى خراسان سير المامون اليه أحمد بن أبي خالد ليقوم بامره فعبر أحمد الى ماوراء النهر وافتتح أشروسنة وأسر كاوس ابن صاخره وابنه الفضل وبعث بهما الى المامون ووهب طلحة لاحمد بن ابي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بالفي ألف درهم ووهب لابراهيم بن العباس كاتب أحمد خمسمائة ألف درهم

(ذكر ما كان بالاندلس في هذه السنة)

وفي هذه السنة وقع عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس بجند البصراة وأهلها وهي الوقعة المعروفة بوقعة باس وكان سببها ان الحكم كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع انه ظلم أبناء أهل الذمة فقبض عليه وصلبه قبل وفاته فلما توفي وولي ابنه عبد الرحمن سمع الناس بصلب ربيع فاقبلوا الى قرطبة من النواحي يطلبون الاموال التي كان ظلمهم بها ظنا منهم انها ترد اليهم وكان أهل البيرة أكثرهم طلبا والحاحا فيه وتألبوا فبعث اليهم عبد الرحمن من يفرقهم ويسكنهم فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهم فخرج اليهم جمع من الجند وأصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا ونجا الباقون منهزمين ثم طلبوا وابعد ذلك فقتلوا كثيرا منهم وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنة بين المضرية واليمانية فاقتتلوا بلورقة وكان بينهم وقعة تعرف بيوم المضارة قتل منهم ثلاثة آلاف رجل ودامت الحرب بينهم سبع سنين فوكل بكفهم ومنعهم يحيى بن عبد الله بن خالد وسيره في جميع الجيش فكانوا اذا أحسوا بقرب يحيى تفرقوا وتركوا القتال واذا عاد عنهم رجعوا الى الفتنة والقتال حتى عيي امرهم وفيها كان بالاندلس مجاعة شديدة وذهب فيها خلق كثير وبلغ المدي في بعض البلاد ثلاثين دينارا

(ذكر عدة حوادث)

وفيها غلا السعر بالعراق حتى بلغ القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهما الى الخمسين وفيها ولي محمد بن حفص طبرستان والرويان ودنباوند وحج بالناس أبو عيسى ابن الرشيد وفيها أمر المامون السيد بن أنس والي الموصل بقصد بني شيبان وغيرهم من العرب لافسادهم في البلاد فسار اليهم وكبسهم بالدسكرة فقتلهم ونهب أموالهم وعاد وفيها توفي وهب بن جرير الفقيه وعمر بن حبيب العدوي القاضي وعبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد وعبد العزيز بن أبان القرشي قاضي واسط وجعفر بن عون بن جعفر ابن عمرو بن حريث المخزومي الفقيه وبشر بن عمر الزاهد الفقيه وكثير بن هشام وأزهر

نتشفعوا ونترجى عنده في العفو عن ابن القاضي فانه انسان غريب ومن أولاد الناس الصدور وان كان والده وافق كتخدا الباشا في فعله فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو اطلاقه وعوده الى مكانه فان والدته وجدته وعياله في وجد وحزن عظيم عليه وساري عسكر من اهل الشفقة والرحمة وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك وزاد في القول بان قال وايضا انكم تقولون دائما ان الفرنساوية احباب العثمانية وهذا ابن القاضي من طرف العثملي فهذا الفعل مما يسيء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة فاجاب الوكيل بعد ما ترجم له الترجمان بقوله لاباس بالشفاعة ولكن بعد تنفيذ امر ساري عسكر في اختيار قاض خلافه والا تكونوا المخالفين ويحكم الضرر بالمخالفة فامتثلوا وعملوا القرعة فطلعت الاكثرية باسم الشيخ احمد العريشي الحنفي ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون وذهب به الوكيل الى ساري عسكر وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات فتغير خاطره عليه وأمر باحضاره آخر النهار فلما حضر لامه وعاتبه فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدي ووكيل

وأعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وفيها كان المد عظيما غرق فيه السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر وهلك فيه من الغلات كثير وفيها هرب بابك الخرمى عيسى بن محمد بن أبى خالد وحج بالناس هذه السنة عبيد الله بن الحسن العلوى وهو أمير الحرمين وفيها غزا المسلمون من افريقية جزيرة سردانية فغنموا وأصابوا من الكفار وأصيب منهم ثم عادوا وفيها توفى الهيثم بن عدى الطائى الاخبارى وكان عابدا ضعيفا فى الحديث وعبدالله بن عمرو بن عثمان بن أبى أمية الموصلى وهو من أصحاب سفيان الثورى وفيها توفى محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحوى أخذ النحو من سيبويه وفيها توفى أبو عمرو اسحق بن مرار الشيبانى اللغوى (مرار بكسر الميم وبراءين مخففتين)

(ثم دخلت سنة سبع ومائتين)

(ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد باليمن)

فى هذه السنة خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ببلاد عك فى اليمن يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان سبب خروجه ان العمال باليمن أساؤا السيرة فيهم فبايعوا عبد الرحمن هذا فلما بلغ المامون ذلك وجه اليه دينار بن عبد الله فى عسكر كثيف وكتب معه بامانه فحضر دينار الموسم وحج ثم سار الى اليمن فبعث الى عبد الرحمن بامانه فقبله ودخل فى طاعة المامون ووضع يده فى يد دينار فخرج به الى المامون فمنع المامون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه وأمرهم بلبس السواد وذلك لليلتين بقيت من ذى القعدة

(ذكر وفاة طاهر بن الحسين)

وفى هذه السنة فى جمادى الاولى مات طاهر بن الحسين من حمى اصابته وانه وجد فى فراشه ميتا وقال كلثوم بن ثابت بن أبى سعيد كنت على بريد خراسان فلما كانت سنة سبع ومائتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال اللهم اصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفنا مؤنة من بغى علينا وحشد فيها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين قال فقلت فى نفسى أنا أول مقتول لانى لا اكتم الخبر قال فانصرفت فاغتسلت غسل الموتى وتكفنت وكتبت الى المامون فلما كان العصر دعانى وحدث به حادث فى جفن عينه وسقط ميتا فخرج الى ابنه طلحة قال هل كتبت بما كان قلت نعم قال فاكتب بوفاته فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بامر الجيش فوردت الخريطة على المامون بخلعه فدعا أحمد بن أبى خالد فقال سر فائت بطاهر كما زعمت وضمنت فقال أبيت الليلة فقال لا فلم يزل حتى أذن له فى المبيت ووافت الخريطة الاخرى ليلا بموته فدعاه فقال قد مات طاهر فمن ترى قال ابنه طلحة قال اكتب بتوليته فكتب بذلك فاقام طلحة واليا على خراسان فى أيام المامون سبع سنين ثم توفى وولى عبد الله خراسان ولما ورد موت طاهر على المامون قال لليدين وللفم الحمد لله الذى قدمه وأخرنا وكان طاهر أعور وفيه يقول بعضهم

ببركة نبينا اشرف البرية وعسر فنا ان مراده ان يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له فى الاقطار وانه يدخل فى دين النبى المختار عليه افضل الصلاة واتم السلام انتهى بحروفه * وكان اشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بان سارى عسكر بونابارته مات بحرب عكا وتناقله الناس وانهم مولوا خلافه فهذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار وقد حضر سليمان من العطب فوجدوه هو الامير الاول بذاته وصفاته الى آخر السياق المتقدم (وفى ثانى عشرينه) أرسل سارى عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملا زاده ابن قاضى العسكر ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به الى القلعة فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديدا وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر اليهم ورقة من كبير الفرنسيس قرئت عليهم مضمونها ان سارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله وانه وجه اليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخا من العلماء يكون من أهل مصر ومولودا بها يتولى القضاء ويقضى بالاحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء فلما سمعوا ذلك أجاب

الامان فقال محمد بن جعفر العامري قال المامون لثمامة بن أشرس الا تدلني على رجل من اهل الجزيرة له عقل وبيان يؤدي عني ما أوجهه الى نصر قال بلى يا أمير المؤمنين محمد بن جعفر العامري فامر باحضاري فحضرت فكلمني بكلام امرني ان أبلغه نصرا وهو بكفر عزون بسروج فابلغته نصرا فاذعن وشرط شروطا منها ان لا يطا بساطه فلم يجبه المامون الى ذلك وقال ما باله ينفر مني قلت لجرمه وما تقدم من ذنبه قال أفتراه أعظم جرما من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن محمد بن ابي خالد اما الفضل فاخذ قوادي واموالي وسلاحي وجميع ما اوصى به الرشيد لي فذهب به الى محمد اخي وتركني بمرو فريدا وحيدا وسلمني وافسد على اخي حتى كان من امره ما كان فكان اشد علي من كل شئ واما عيسى بن ابي خالد فانه طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي وذهب بخراجي وفيئي واخرب داري واقعد ابراهيم خليفة دوني قال قلت يا امير المؤمنين أتاذن لي في الكلام قال تكلم قال قلت اما الفضل بن الربيع فانه صنيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم فرجع اليه بضروب كلها تردك اليه واما عيسى فرجل من دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه معروفة ترجع عليه بذلك وأما نصر فرجل لم يكن له يد قط فيحتمل كهؤلاء لمن مضى من سلفه وانما كانوا من جند بني امية قال انه كما تقول ولست اقلع عنه حتى يطا بساطي قال فابلغت نصرا ذلك فصاح بالخيل فجالت اليه فقال ويلي عليه وهو لم يقو على اربع مائة ضفدع تحت جناحه يعني الزط يقوى على حلبة العرب فجاده عبد الله بن طاهر القتال وضيق عليه فطلب الامان فاجابه اليه وتحول من معسكره الى الرقة الى عبد الله وكان مدة حصاره ومحاربته خمس سنين فلما خرج اليه اخرب عبد الله حصن كيسوم وسير نصرا الى المامون فوصل اليه في صفر سنة عشر ومائتين

(ذكر عدة حوادث)

وفيها ولى المامون علي بن صدقة المعروف بزريق على ارمينية واذربيجان وأمره بمحاربة بابك وأقام بامره أحمد بن الجنيد الاسكافي فاسره بابك فولى ابراهيم بن الليث ابن الفضل اذربيجان وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي وفيها مات ميخائيل ابن جورجيس ملك الروم وكان ملكه تسع سنين وملك ابنه توفيل وفيها خرج منصور بن نصير بافريقية عن طاعة الامير زيادة الله وكان منه ما ذكرناه سنة اثنتين ومائتين وفيها توفي أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي وقيل سنة عشر وكان يميل الى مقالة الخوارج وكان عمره ثلاثا وتسعين سنة وقيل مات سنة ثلاث عشرة وعمره ثمان وتسعون سنة وفيها توفي يعلى بن عبيد الطيالسي أبو يوسف والفضل بن عبد الحميد الموصلي المحدث

(ثم دخلت سنة عشر ومائتين)

(ذكر ظفر المامون بابن عائشة)

يكن ابنه قاضيا متوليا للاحكام على الدوام لانه صغير السن ليس هو اهلا للقضاء فعلمتم ان محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعي يحكم بالشريعة واعلموا اني لا احب مصر خالية من حاكم شرعي يحكم بين المؤمنين فاستحسنت ان يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم لاجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين وكذلك مرادي ان حضرة الشيخ العريشي الذي اخترعوه جميعا ان يكون لابسا من عندي وجالسا في المحكمة وهكذا كان فعل الخلفاء في العصر الاول باختيار جميع المؤمنين واخبركم اني تلقيت ابن القاضي بالمحبة والاكرام لما حضر لي وقابلني ولم ازل لهذا الوقت اكرمه ولم احب ان يضره احد حكم اماننا له ولما رفعناه الى القلعة لم نرد ضرره بل رفعناه مكرما مثل ما يكون في بيته بالراحة والاكرام وسبب ما رفعناه الى القلعة سكون الفتن والاصلاح بين الناس وبعد لبس القاضي الجديد وجلوسه في محل الحكم مرادي ان اطلق ابن القاضي وانزله من القلعة وارد له كامل تعلقاته واطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث ارادوا باختيارهم لانه في ايماني وتحت حمايتي واعرف ان اباه ما كان يكرهني ولكنه

ابن سعيد السمان وأبو النضر هشام بن القاسم الكنانى وفيها توفى محمد بن عمر بن واقد الواقدى وكان عمره ثمانيا وسبعين سنة وكان عالما بالمغازى واختلاف العلماء وكان يضعف فى الحديث وفيها توفى محمد بن أبى رجاء القاضى وهو من أصحاب أبى يوسف صاحب أبى حنيفة وفيها توفى محمد بن أبى عبد الله بن عبد الاعلى المعروف بابن كناسة وهو ابن أخت ابراهيم بن أدهم وكان عالما بالعربية والشعر وأيام الناس وفيها توفى يحيى بن زياد وأبو زكريا الفراء النحوى الكوفى وأبو غانم الموصلى وزيد بن على بن أبى خداش الموصلى وهو من أصحاب المعافى كثير الرواية عنه

(ثم دخلت سنة ثمان ومائتين)

فى هذه السنة سار الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان الى كرمان فعصى بها فسار اليه أحمد بن أبى خالد فاخذه وأتى به المامون فعفا عنه وفيها استقضى اسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة وفيها عزل محمد بن عبد الرحمن المخزومى عن قضاء عسكر المهدى وولى بشر ابن الوليد الكندى فقال بعضهم

يا أيها الرجل الموحد ربه * قاضيك بشر بن الوليد حمار
ينفى شهادة من يدين بما به * نطق الكتاب وجاءت الآثار
ويعد عدلا من يقول بانه * شيخ يحيط بجسمه الاقطار

وفيها مات موسى بن الامين والفضل بن الربيع فى ذى القعدة وحج بالناس صالح بن الرشيد وفيها هلك اليسع بن أبى القاسم صاحب سجلماسة فولى أهلها على أنفسهم أخاه المنتصر بن أبى القاسم وأسول المعروف بمدرار وقد تقدم ذكرهم وفيها سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى بلاد المشركين واستعمل عليه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فساروا الى ألبة والقلاع فنهبوا بلاد ألبة وأحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالح بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين فغنم أموالا جليلة القدر واستنقذوا من أسارى المسلمين وسبيهم كثيرا وكان ذلك فى جمادى الآخرة وعادوا سالمين وفيها توفى عبد الله بن عبد الرحمن الاموى المعروف بالبلنسى صاحب بلنسية من الاندلس وقد تقدم من أخباره مع أخيه هشام ابن أخيه الحكم بن هشام كثير وفيها توفى عبد الله بن أبى بكر بن حبيب السهمى الباهلى ويونس بن محمد المؤدب والقاسم بن الرشيد وسعيد بن تمام بالبصرة وعبد الله ابن جعفر بن سليمان بن على والحسن بن موسى الاشيب وقد كان سار ليتولى قضاء طبرستان فمات بالرى وتوفى على بن المبارك الاحمر النحوى صاحب الكسائى وقيل توفى فى سنة ست وثمانين

(ثم دخلت سنة تسع ومائتين)
(ذكر الظفر بنصر بن شبث)

وفى هذه السنة حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبث بكيسوم وضيق عليه حتى طلب

الديوان الفرنساوى بالديوان بالانصراف الى منزله بعد ان عوقه حصة من الليل فلما اصبح يوم الجمعة عملوا جمعية فى منزل دوجا فاقام مقام وركبوا بصحبته الى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ احمد العريشى فالبسه فروة مثمنة وركبوا جميعا الى المحكمة الكبيرة بين القصرين ووعدهم بالافراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم الى دار السيد أحمد المحروقى وجلسوا عنده ولما كان فى ثانى يوم أفرجوا عنه ونزل الى عياله وصحبته أرباب الديوان والاغوات واموا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ويبطل القيل والقال (وفيه) كتبوا أوراقا وطبعوا منها نسخا والصقوها بالاسواق وصورتها جواب الى محفل الديوان من حضرة سارى عسكر الكبير بونا بارته امير الجيوش الفرنساويه محب أهل الملة المحمدية خطابا الى السادات العلماء انه وصل لنا مكتوبكم من شان القاضى نخبركم ان القاضى لم اعزله وانما هو هرب من اقليم مصر وترك أهله واولاده وكان حيثنا من المعروف والاحسان الذى فعلناه معه وكنت استحسنت ان ابنه يكون عوضا عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ويحكم بدله ولم

متيقظا حذرا وما تخشى العدا * نبهان من وسنان ليل الهاجع
ملئت قلوب الناس منك مخافة * وتبيت تكلؤهم بقلب خاشع
بابى وامى فدية وابيهما * من كل معضلة وذنب واقع
ما ألين الكنف الذى بوأتنى * وطناوأمرع ربعه للراتع
للصالحات أخا جعلت وللتقى * وأبا رؤفا للفقير القانع
نفسى فداؤك اذتضل معاذرى * والوذ منك بفضل حلم واسع
أملا لفضلك والفواضل شيمة * رفعت بناءك للمحل اليافع
فبذلت افضل مايضيق ببذله * وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
الا العلو عن العقوبة بعدما * ظفرت يداك بمستكين خاضع
فرحمت اطفالا كافراخ القطا * وعويل عانسة كقوس النازع
وعطفت آمرة على كما وهى * بعد انهياض الوثى عظم الظالع
الله يعلم ما اقول كانها * جهد الالية من حنيف راكع
ماان عصيتك والغواة تقودنى * أسبابها الا بنية طائع
حتى اذا علقت حبائل شقوتى * بردى الى حفر المهالك هائع
لم ادر ان لمثل جرمى غافرا * فوقفت انظر اى حتف صارع
رد الحياة على بعد ذهابها * ورع الامام القادر المتواضع
احياك من ولاك افضل مدة * ورمى عدوك فى الوتين بقاطع
كم من يد لك لم تحدثنى بها * نفسى اذا آلت الى مطامعى
اسديتها عفوا الى هنيئة * وشكرت مصطنعا لاكرم صانع
الا يسيرا عندما اوليتنى * وهو الكبير لدى غير الضائع
ان انت جدت بها على تكن لها * اهلا وان تمنع فاكرم مانع
ان الذى قسم الخلافة حازها * من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أمرها * وحوى رداؤك كل خير جامع

فذكر ان المامون قال حين أنشده هذه القصيدة اقول كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

(ذكر بناء المامون ببوران)

وفى هذه السنة بنى المامون ببوران ابنة الحسن بن سهل فى رمضان وكان المامون سار من بغداد الى فم الصلح الى معسكر الحسن بن سهل فنزله وزفت اليه بوران فلما دخل اليها المامون كان عندها حدونة بنت الرشيد وام جعفر زبيدة أم الامين وجدتها أم الفضل والحسن بن سهل فلما دخل نثرت عليه جدتها الف لؤلؤة من أنفس ما يكون فامر المامون بجمعه فجمع فاعطاه بوران وقال سلى حوائجك فامسكت فقالت جدتها سلى سيدك فقد أمرك فسالته الرضا عن ابراهيم بن المهدى فقال قد فعلت

(وفى ثامن عشرينه) جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم (وفى تاسع عشرينه) قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهم يسمى حسن كاشف من اتباع ايوب بك الكبير وآخر يسمى ابو كلس والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى يسمى حسين مملوك الدالى ابراهيم فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر المذكور فاطلقوه على خمسة آلاف فرانسه

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢١٤)

(فيه) افرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا وكان محبوسا بالجيزة ثم نقل الى القلعة مع كتخدا قريبه فاطلق وبقى الآخر (وفى يوم الاحد ثالثه) حضر السيد عمر افندى نقيب الاشراف سابقا من دمياط الى مصر وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا ونزل مع الذين انزلوهم من يافا الى البحر وفيهم عثمان افندى العباسى وحسن افندى كاتب الشهر واخوه قاسم افندى واحمد افندى عرفه والسيد يوسف العباسى والحاج قاسم المصلى وغيرهم فمنهم من عوق بالسكرنتيله ومنهم من حضر من البرخفية فحضر بعض الاعيان لملاقاة السيد عمر وركبوا معه بعد ان مكث هنيهة بزاوية على بك

فيها ظفر المامون بابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام المعروف بابن عائشة ومحمد بن ابراهيم الافريقي ومالك بن شاهي ومن كان معهم ممن كان يسعى في البيعة لابراهيم بن المهدي وكان الذي اطلعه عليهم وعلى صنيعهم عمران القطربلي وكانوا اتعدوا ان يقطعوا الجسر اذا خرج الجند يتلقون نصر بن شبث فنم عليهم عمران فأخذوا في صفر ودخل نصر بن شبث بغداد ولم يلقه أحد من الجند فأخذ ابن عائشة فأقيم على باب المامون ثلاثة أيام في الشمس ثم ضربه بالسياط وحبسه وضرب مالك بن شاهي وأصحابه فكتبوا للمامون باسماء من دخل معهم في هذا الامر من سائر الناس فلم يعرض لهم المامون وقال لا آمن ان يكون هؤلاء قذفوا قوما برآء ثم انه قتل ابن عائشة وابن شاهي ورجلين من أصحابهما وكان سبب قتلهم ان المامون بلغه انهم يريدون أن ينقبوا السجن وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدوا باب السجن فلم يدعوا أحدا يدخل عليهم فلما بلغ المامون خبرهم ركب اليهم بنفسه فأخذهم فقتلهم صبرا وصلب ابن عائشة وهو أول عباسي صلب في الاسلام ثم أنزل وكفن وصلي عليه ودفن في مقابر قريش

(ذكر الظفر بابراهيم بن المهدي)

وفي هذه السنة في ربيع الاول أخذ ابراهيم بن المهدي وهو متنقب مع امرأتين وهو في زي امرأة أخذه حارس اسود ليلا فقال من أين أنتن واين تردن هذا الوقت فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت كان في يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسألهن فلما نظر الحارس الى الخاتم استرابهن وقال خاتم رجل له شان ورفعهن الى صاحب المسلحة فأمرهن أن يسفرن فامتنع ابراهيم فجذبه فبدت لحيته فدفعه الى صاحب الجسر فعرفه فذهب به الى باب المامون وأعلمه به فأمر بالاحتفاظ به الى بكرة فلما كان الغد أقعد ابراهيم في دار المامون والمقنعة التي تقنع بها في عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف أخذ ثم حوله الى أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده ثم اخرجه معه لما سار في الصلح الى الحسن بن سهل فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران وقيل ان ابراهيم لما أخذ حمل الى دار ابي اسحق المعتصم وكان المعتصم عند المامون فحمل رديف الفرح التركي فلما دخل على المامون قال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الاغترار بما مد له من اسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل أعفو يا ابراهيم فكبر وسجد وقيل بل كتب ابراهيم هذا الكلام الى المامون وهو مختف فوقع المامون في رقعته القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل وهو أكبر ما يسأله فقال ابراهيم يمدح المامون

يا خير من رفلت يمانية به * بعد النبي لآيس أو طامع
وأبر من عبد الاله على التقى * غيبا وأقوله بحق صادع
عسل الفوارع ما أطعت فان تهج * فالصاب يمزج بالسمام الناقع

متيقظا

ذهب عقله وفسد رايه وانتم يا اهل الديوان تهدون الناس الى الله واب والنور من جنابكم لاهل العقول وعرفوا اهل مصر انه انقضت وفرغت دولة العثملي من اقاليم مصر وبطلت احكامهم منها واخبروهم ان حكم العثملي اشد تعبا من حكم الملوك واكثر ظلما والعاقل يعرف ان علماء مصر لهم عقل وتدبير وكفاية واهلية للاحكام الشرعية يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم في سائر الاقاليم وأنتم يا أهل الديوان عرفوني عن المنافقين المخالفين أخرج من حقهم لان الله تعالى أعطاني القوة العظيمة لاجل ما أعاقبهم فان سيفنا طويل ليس فيه ضعف ومرادي أن تعرفوا أهل مصر ان قصدي بكل قلبي حصول الخير والسعادة لهم مثل ماء وبحر النيل أفضل الانهار وأسعدها كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلائق أجمعين باذن رب العالمين والسلام انتهى (وفي تلك الليلة) قتلوا شخصين أحدهما على جاويش رئيس الرياله الذي كان بالاسكندرية عند حضور الفرنسيس والثاني قبطان آخر فلم يزالا بمصر يحبسونهما أياما ثم يطلقونهما فحبسوهما آخرا فلم يطلقوهما حتى قتلوهما (وفي صبيحة ذلك اليوم) قتلوا شخصين أيضا من الاتراك بالرميلة (وفيه) أفرجوا عن زوجات

ثم نظر الى وقال

وهذا نديم للامير ومؤنس * يكون له بالقرب منه سرور
واحسبه للشعر والعلم راويا * فبعض نديم مرة وسمير

ثم نظر الى الامير وقال

وهذا الامير المرتجى سيب كفه * فما ان له في العالمين نظير
عليه رداء من جمال وهيبة * ووجه بادراك النجاح بشير
لقد عظم الاسلام منه بذي يد * فقد عاش معروف ومات نكير
الا انما عبد الاله بن طاهر * لنا والد بر بنا وأمير

قال فوقع ذلك من عبد الله أحسن موقع واعجبه وامر للشيخ بخمسمائة دينار وامره ان يصحبه

(ذكر فتح عبد الله الاسكندرية)

وفي هذه السنة أخرج عبد الله من كان تغلب على الاسكندرية من اهل الاندلس بامان وكانوا اقدا اقبلوا في مراكب من الاندلس في جمع والناس في فتنة ابن السري وغيره فارسوا بالاسكندرية ورئيسهم يدعى اباحفص فلم يزالوا بها حتى قدم ابن طاهر فارسل يؤذنهم بالحرب ان هم لم يدخلوا في الطاعة فاجابوه وسالوه الامان على ان يرتحلوا عنها الى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الاسلام فاعطاهم الامان على ذلك فرحلوا ونزلوا بجزيرة اقريطش واستوطنوها وأقاموا بها فاعقبوا وتناسلوا قال يونس بن عبد الاعلى اقبل الينا فتى حدث من المشرق يعني ابن طاهر والدنيا عندنا مفتونة قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب والناس في بلاء فاصلح الدنيا وامن البري واخاف السقيم واستوثقت له الرعية بالطاعة

(ذكر خلع اهل قم)

في هذه السنة خلع أهل قم المامون ومنعوا الخراج فكان سببه ان المامون لما سار من خراسان الى العراق أقام بالري عدة أيام وأسقط عنهم شيئا من خراجهم فطمع أهل قم ان يصنع بهم كذلك فكتبوا اليه يسالونه الحطيطة وكان خراجهم الفي ألف درهم فلم يجبهم المامون الى ماسالوا فامتنعوا من أدائه فوجه المامون اليهم على بن هشام وعجيف ابن عنبسة فحارباهم فظفرا بهم وقتل يحيى بن عمران وهدم سور المدينة وجباها على سبعة آلاف ألف درهم وكانوا يتظلمون من الفي ألف

(ذكر ما كان بالاندلس من الحوادث)

وفي هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم سرية كبيرة الى بلاد الفرنج واستعمل عليها عبيد الله المعروف بابن البلنسي فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبي والقتل والاسر والتقى الجيوش الاعداء في ربيع الاول فاقتتلوا فانهزم المشركون وكثر القتل فيهم وكان فتحا عظيما وفيها افتتح عسكر سيره عبد الرحمن أيضا حصن القلعة من

من ذلك وفيهم كاشف من جماعة عثمان بك الطنبرجي فذهب الفلاحون الى الفرنسيس واعلموهم بمكانهم فحضروا اليهم ليلا وفر من فر منهم وقتل من قتل وأسر الباقي وأما الكاشف فيسمى عثمان التجا الى كبير الفرنسيس فحماه واخذه عنده واحضروا الاسرى الى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيط وعلى رؤسهم عراقي من لباد وغيره واصعدوهم الى القلعة وقتلوا منهم في ثاني ليلة أشخاصا (وفي تاسعه) احضروا ايضا ستة اشخاص من المماليك واصعدوهم الى القلعة وفي ذلك اليوم قتلوا ايضا نحو العشرة من الاسرى المحابيس (وفي يوم الاحد عاشره) ركب في عصريته ساري عسكر وعدى الى بر الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك ولما صاروا بالجيزة ضربوا النجيج البطران ودهشو ر بسبب نزول مراد بك عندهم وفي هذا اليوم ظهر ان مراد بك رجع ثانيا الى الصعيد وشاع الخبر ايضا ان عثمان بك الشرقاوي وسليمان اغا الوالي وآخرين مروا من خلف الجبل وذهبوا الى ناحية الشرق فخرج عليهم جماعة من العسكر وفيهم برطلمين بن الرومي رئيس عسكر الاروام ومعهم عدة وافرة من اخلاط العسكر اروام وقبط والمماليك

وسأله الاذن لام جعفر فى الحج فاذن لها والبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية الاموية واتنى بها فى ليلته وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا وأقام المأمون عند الحسن سبعة عشر يوما يعد له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه وخلع الحسن على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ مالزمه خمسين الف الف درهم وكتب الحسن أسماء ضياعه فى رقاع ونثرها على القواد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها

(ذكر مسير عبد الله بن طاهر الى مصر)

في هذه السنة سار عبد الله بن طاهر الى مصر وافتتحها واستأمن اليه عبد الله بن السرى وكان سبب مسيره ان عبيد الله قد تغلب على مصر وخلع الطاعة وخرج جمع من الاندلس فتغلبوا على الاسكندرية واشتغل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه سار نحو مصر فلما قرب منها على مرحلة قدم قائدا من قواده اليها لينظر موضعا يعسكر فيه وكان ابن السرى قد خندق على مصر خندقا فاتصل الخبر به من وصول القائد الى ماقرب منه فخرج اليه فى أصحابه فالتقى هو والقائد فاقتتلوا قتالا شديدا وكان القائد فى قلة فجال أصحابه وسير بريدا الى عبد الله بن طاهر بخبره فحمل عبد الله الرجال على البغال وجنبوا الخيل وأسرعوا السير فلحقوا بالقائد وهو يقاتل ابن السرى فلما رأى ابن السرى ذلك لم يصبر بين ايديهم وانهزم عنهم وتساقط أكثر اصحابه فى الخندق فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض كان اكثر ممن قتله الجند بالسيف ودخل ابن السرى مصر واغلق الباب عليه وعلى اصحابه وحاصره عبد الله فلم يعد ابن السرى يخرج اليه وانفذ اليه ألف وصيف ووصيفة مع كل احد منهم الف دينار فسيرهم ليلا فردهم ابن طاهر وكتب اليه لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال فحينئذ طلب الامان وقيل كان سنة احدى عشرة وذكر احمد بن حفص بن ابى الشماس قال خرجنا مع عبد الله بن طاهر الى مصر حتى اذا كنا بين الرملة ودمشق اذ نحن باعرابي قد اعترض فاذا شيخ على بعير له فسلم علينا فرددنا عليه السلام قال وكنت أنا واسحق بن ابراهيم الرافقي واسحق بن أبي ربعي ونحن نساير الامير وكنا أفره منه دابة واجود كسوة قال فجعل الاعرابي ينظر الى وجوهنا قال فقلت يا شيخ قد ألححت فى النظر أعرفت شيئا انكرته قال لا والله ما عرفتكم قبل يومي هذا ولكني رجل حسن الفراسة فى الناس قال فاشرت الى اسحق بن أبي ربعي وقلت ما تقول فى هذا فقال

أرى كاتبا داهى الكتابة بين * عليه وتاديب العراق منير
له حركات قد يشاهدن انه * عليم بتقسيط الخراج بصير

ونظر الى اسحق بن ابراهيم الرافقي فقال

ومظهر نسك ما عليه ضميره * يحب الهدايا بالرجال مكور
اخال به جبنا وبخلا وشيمة * تخبر عنه انه لوزير

التي بساحل بولاق حتى وصل الى داره وتوجه فى ثانى يوم مع المهدى وقابل سارى عسكر فبش له ووعده بخير ورد اليه بعض تعلقاته واستمر مقيما بداره والناس تغدو وتروح اليه على العادة (وفى رابعه) حضر ايضا حسن كتخدا الجربان بأمان وكان بصحبته عثمان بك الشرقاوى وفيه اشيع ان مراد بك ذهب الى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيس الذين بالصعيد (وفى خامسه) قتلوا عبد الله اغا امير يافا وكان اخذ اسيرا وحبس ثم قتل (وفيه) قتل ايضا يوسف جربجي ابو كاس ورفيقه حسن كاشف (وفى سادسه) عمل الشيخ محمد المهدى وليمة عرس لزواج احد أولاده ودعا سارى عسكر واعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا (وفيه) أحضروا أربعة عشر مملوكا اسرى واصعدوهم الى القلعة قيل انهم كانوا لاحقين بمراد بك بالبحيرة فأتوا الى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السواس فنزل عليهم طائفة من العرب فاخذوا الخيول فرجعوا مشاة فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم وقيل انهم آووا الى بلدة وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا فوصوا وهم بالدفع من الغد وكانوا أكثر

ثم

ابن طاهر الا بعد موت المامون وكان هذا القائل للمامون المعتصم فانه كان منحرفا عن عبد الله

(ذكر قتل السيد بن انس)

وفيها قتل السيد بن انس الازدى امير الموصل وسبب قتله ان زريق بن على بن صدقة الازدى الموصلى كان قد تغلب على الجبال ما بين الموصل واذربيجان وجرى بينه وبين السيد حروب كثيرة فلما كان هذه السنة جمع زريق جمعا كثيرا قيل كانوا اربعين الفا وسيرهم الى الموصل لحرب السيد فخرج اليهم فى اربعة آلاف فالتقوا بسوق الاحد فين رآهم السيد حمل عليهم وحده وهذه كانت عادته ان يحمل وحده بنفسه وحمل عليه رجل من اصحاب زريق فاقتتلا فقتل كل واحد منهما صاحبه لم يقتل غيرهما وكان هذا الرجل قد حلف بالطلاق ان راى السيد ان يحمل عليه فيقتله او يقتل دونه لانه كان له على زريق كل سنة مائة الف درهم فقيل له باى سبب تاخذ هذا المال فقال لانى متى رايت السيد قتلته وحلف على ذلك فوفى به فلما بلغ المامون قتله غضب لذلك وولى محمد بن حميد الطوسى حرب زريق وبابك الخرمى واستعمله على الموصل

(ذكر الفتنة بين عامر ومنصور وقتل منصور بافريقية)

وفى هذه السنة وقع الاختلاف بين عامر بن نافع وبين منصور بن نصر بافريقية وسبب ذلك ان منصورا كان كثير الحسد وسار بهم من تونس الى منصور وهو بقصره بطنبذه فحصره حتى فنى ما كان عنده من الماء فراسله منصور وطلب منه الامان على ان يركب سفينة ويتوجه الى المشرق فاجابه الى ذلك فخرج منصور اول الليل مختفيا يريد الاربس فلما اصبح عامر ولم ير منصورا تبعه طلبه حتى ادركه فاقتتلوا وانهزم منصور ودخل الاربس فتحصن بها وحصره عامر ونصب عليه منجنيقا فلما اشتد الحصار على أهل الاربس قالوا لمنصور اما ان تخرج عنا واما اسلمناك الى عامر فقد اضر بنا الحصار فاستمهلهم حتى يصلح أمره فامهلوه وأرسل الى عبد السلام بن المفرج وهو من قواد الجيش يساله الاجتماع به فاتاه فكلمه منصور من فوق السور واعتذر وطلب منه ان ياخذ له أمانا من عامر حتى يسير الى المشرق فاجابه عبد السلام الى ذلك واستعطف له عامرا فامنه على ان يسير الى تونس وياخذ أهله وحاشيته ويسير بهم الى الشرق فخرج اليه فسيره مع خيل الى تونس وأمر رسوله سرا ان يسير به الى مدينة جربة ويسجنه بها ففعل ذلك وسجن معه أخاه حمدون فلما علم عبد السلام ذلك عظم عليه وكتب عامر الى أخيه وهو عامله على جربة يامره بقتل منصور واخيه حمدون ولا يراجع فيهما فحضر عندهما واقراهما الكتاب فطلب منصور منه دواة وقرطاسا ليكتب وصيته فامر له بذلك فلم يقدر أن يكتب وقال فان المقتول بخير الدنيا والآخرة ثم قتلهما وبعث براسيهما الى أخيه واستقامت الامور لعامر بن نافع ورجع عبد السلام بن المفرج الى

بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعلوا فى غيبته السابقة (وفى سادس عشره) ورد الخبر بان عثمان نجا ووصل الى قلعة أبى قير صحبة السيد مصطفى باشا فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرنساوية وملكوها وأسروا من بقى بها وعثمان نجا هذا هو الذى كان متوليا امارة رشيد من طرف صالح بك وحج معه ورجع صحبته الى الشام فلما توفى صالح بك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور فلما تحققت هذه الاخبار كثر اللغط فى الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى واتفق انه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام فقال المسلم للنصرانى ان شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفى منكم وكلام من هذا المعنى فذهب ذلك النصرانى الى الفرنسيس مع عصبة من جنسه وأخبروهم بالقصة وزادوا وحرفوا وعرفوهم ان قصد المسلمين اثارة فتنة فارسل قائمقام الى الشيخ المهدى وتكلم معه فى شان ذلك وحاججه وأصبحوا فاجتمعوا بالديوان فقام المهدى خطيبا وتكلم كثيرا ونفى الريبة وكذب أقوال الاخصام وشدد فى تبرئة المسلمين مما نسب

أرض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان وفيها أمر عبد الرحمن ببناء المسجد الجامع بجيان وفيها أخذ عبد الرحمن رهائن أبي الشماخ محمد بن ابراهيم مقدم اليمانية بتدمير ليسكن الفتنة بين المضرية واليمانية فلم ينزجروا ودامت الفتنة فلما رأى عبد الرحمن ذلك أمر العامل بتدمير أن ينقل منها ويجعل مرسية منزلا ينزله العمال ففعل ذلك وصارت مرسية هي قاعدة تلك البلاد من ذلك الوقت ودامت الفتنة بينهم الى سنة ثلاث عشرة ومائتين فسير عبد الرحمن اليهم جيشا فاذعن أبو الشماخ وأطاع عبد الرحمن وسار اليه وصار من جملة قواده وأصحابه وانقطعت الفتنة من ناحية تدمير

(ذكر عدة حوادث)

مات في هذه السنة شهريار بن شروين صاحب جبال طبرستان وصار في موضعه ابنه سابور فقاتله مازيار بن قارن فاسره وقتله وصارت الجبال في يد مازيار وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد وهو والي مكة وفيها توفيت علية بنت المهدي مولدها سنة ستين ومائة وكان زوجها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فولدت منه

(ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائتين)

في هذه السنة ادخل عبيد الله بن السري بغداد وأنزل مدينة المنصور وأقام ابن طاهر بمصر واليا عليها وعلى الشام والجزيرة وقال للمامون بعض اخوته ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد علي بن أبي طالب وكذا كان أبوه قبله فانكر المامون ذلك فعاوده أخوه فوضع المامون رجلا قال له امض في هيئة القراء والنساك الى مصر فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا ثم صر الى عبد الله بن طاهر فادعه اليه واذكر له مناقبه ورغبه فيه وابحث عن باطنه وائتني بما تسمع ففعل الرجل ذلك فاستجاب له جماعة من أعيانها فقعد بباب عبد الله بن طاهر فلما ركب قام اليه فاعطاه رقعة فلما عاد الى منزله أحضره وقال قد فهمت ما في رقعتك فهات ما عندك فقال ولي أمانك قال نعم فدعاه الى القاسم وذكر فضله وزهده وعلمه فقال عبد الله اتنصفني قال نعم قال هل يجب شكر الله على العباد قال نعم قال فتجيء الي وانا في هذه الحال لي خاتم في المشرق جائز وخاتم في المغرب جائز وفيما بينهما أمري مطاع ثم ما التفت عن يميني ولا شمالي وورائي وامامي الا رأيت نعمة لرجل أنعمها علي ومنة ختم بها رقبتي ويد لائحة بيضاء ابتدأني بها تفضلا وكرما تدعوني الى أن أكفر بهذه النعم وهذا الاحسان وتقول اغدر بمن كان اولى لهذا واحرى واسع في ازالة خيط عنقه وسفك دمه تراك لو دعوتني الى الجنة عيانا أكان الله يحب علي ان اغدر به واكفر احسانه وانكث بيعته فسكت الرجل فقال له عبد الله ما اخاف عليك الا نفسك فارحل عن هذا البلد فان السلطان الاعظم ان بلغه ذلك كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك فلما ايس منه جاء الى المامون فاخبره فاستبشر وقال ذاك غرس يدي والف ادبي وقرأب يلقحي ولم يظهر ذلك ولا علمه

ابن

المنضمة اليهم وبعض فرنساوية فادركوهم بالقرب من بلبيس واتوهم من خلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة وكان عثمان بك يغتسل فلما احسوا بهم بادروا للفرار وركبوا وركب عثمان بك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم وقدور الطعام على النار ولم يمت منهم الا مملوك كان واسروا منهم اثنين ووجدوا على فراش عثمان بك مكاتبة من ابراهيم بك يستدعيهم الى الحضور اليه بالشام (وفي ليلة الاثنين حادي عشره) وردت اخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الاسكندرية وأبي قير واخبروا بانه وردت مراكب فيها عساكر عثمانية الى أبي قير فتبين ان حركة الفرنساوية وتعديتهم الى البر الغربي بسبب ذلك واخذوا صحبتهم جرجس الجوهري وفي ضحوة اليوم الثاني عدى الكثير من العسكر أيضا واهتم حنا بينو المتولي على بحر بولاق بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير ولما عدى كبيرهم الى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الاهرام حتى تجمعت العساكر وبعث بالمقدمة وركب هو في يوم الثلاثاء ثاني عشره وأرسل مكتوبا الى أرباب الديوان

المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب على جميع الصحابة وقال هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في ربيع الاول وحج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد وفيها كانت باليمن زلزلة شديدة فكان أشدها بعدن فتهدمت المنازل وخربت القرى وهلك فيها خلق كثير وفيها سير عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلد المشركين فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرندة وقاتل أهلها في ربيع الاول فأقام الجيش شهرين يهدمون ويخربون وفيها كانت سيول عظيمة وأمطار متتابعة بالاندلس فخربت أكثر الاسوار بمدائن ثغر الاندلس وخربت قنطرة سرقسطة ثم جددت عمارتها وأحكمت (برشلونة بالباء الموحدة والراء والشين المعجمة واللام والواو والنون والهاء) وفيها توفي محمد بن يوسف بن واقد بن عبد الله الضبي المعروف بالفريابي وهو من مشايخ البخاري

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين)

وفيها ولى المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم وولى أخاه أبا إسحق المعتصم الشام ومصر وأمر لكل واحد منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف درهم فقيل لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك وفي هذه السنة خلع عبد السلام وابن جليس المأمون بمصر في القيسية واليمانية وظهرا بها ثم وثبا بعامل المعتصم وهو ابن عميرة بن الوليد البادغيسي فقتلاه في ربيع الاول سنة أربع عشرة ومائتين فسار المعتصم الى مصر وقاتلهما فقتلهما وافتتح مصر فاستقامت أمورها واستعمل عليها عماله وفيها مات طلحة بن طاهر بخراسان وفيها استعمل المأمون غسان بن عباد على السند وسبب ذلك ان بشر بن داود خالف المأمون وجبى الخراج فلم يحمل منه شيئا فعزم على تولية غسان فقال لأصحابه أخبروني عن غسان فاني أريده لأمر عظيم فأطنبوا في مدحه فنظر المأمون الى احمد بن يوسف وهو ساكت فقال ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ذلك رجل محاسنه أكثر من مساويه لا يصرف به الى طبقة الا انتصف منهم فهما تخوفت عليه فانه لن يأتي أمرا يعتذر منه فأطنب فيه فقال لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال لأني كما قال الشاعر

كفى شكرا لما أسديت اني * صدقتك في الصديق وفي عداتي

قال فأعجب المأمون من كلامه وأدبه وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي وفيها اقتتل أهل ماردة من الاندلس عاملهم فثارت الفتنة عندهم فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد أن خربوا سور المدينة ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطمع أهلها في عمارته فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان وأسروا العامل عليهم وجددوا بناء السور واتقنوه فلما دخلت سنة أربع عشرة سار عبد الرحمن صاحب الاندلس في جيوشه الى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله

تاركهم وتصدى ان يتكامل الجميع في البر وانزل عليهم اقتل من لا يطيع وأخلي بالحياة الطائعين وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل ان يكون في ذلك شأن عظيم في مدينة مصر والسبب في مجيء هذه العمارة الى هذا الطرف العشم بالاجتماع على المماليك والعربان لأجل نهب البلاد وخراب القطر المصري وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسقو والافرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد الله وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول الله يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرا لكفرهم في معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة وان الله ثالث الثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم ان الثلاثة لا تعطي القوة وان كثرة الآلهة لا تنفع بل انه باطل لان الله تعالى هو الواحد الذي يعطي النصرة لمن يوحده هو الرحمن الرحيم المساعد المعين المقوي للعادلين الموحدين الماحق رأي الفاسدين المشركين وقد سبق في علمه القديم وقضائه العظيم انه اعطاني هذا الاقليم وقدر وحكم بحضوري عندكم الى مصر لأجل تغييري الامور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح

مدينة باجة وبقى عامر بن نافع بمدينة تونس وتوفى سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فلما وصل خبره الى زيادة الله قال الآن وضعت الحرب أوزارها وأرسل بنوه الى زيادة الله يطلبون الامان فأمنهم وأحسن اليهم

(ذكر عدة حوادث)

وفيها قدم عبد الله بن طاهر مدينة السلام فتلقاه العباس بن المامون والمعتصم وسائر الناس وفيها مات موسى بن حفص فولى ابنه طبرستان وولى حاجب بن صالح السند فهزمه بشر بن داود فانحاز الى كرمان وفيها أمر المامون مناديا فنادى برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات أبو العتاهية الشاعر وحج بالناس صالح بن العباس وهو والى مكة وفيها خرج باعمال تاكرنا من الاندلس طوريل فقصد جماعة من الجند قد نزلوا ببعض قرى تاكرنا مارين فقتلهم وأخذوا بهم وسلاحهم وما معهم فسار اليه عاملها وفيها مات الاخفش النحوى البصرى وفيها مات طلق بن غنام النخعى وأحمد بن اسحق الحضرمى وعبد الرحيم ابن عبد الرحمن بن محمد المحاربى وفيها توفى عبد الرزاق بن همام الصنعانى المحدث وهو من مشايخ أحمد بن حنبل وكان يتشيع وفيها توفى عبد الله بن داود الخربى البصرى وكان يسكن الخريبة بالبصرة فنسب اليها

(ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائتين)

(ذكر استيلاء محمد بن حميد على الموصل)

فى هذه السنة وجه المامون محمد بن حميد الطوسى الى بابك الخرمى لمحاربته وأمره ان يجعل طريقه على الموصل ليصلح أمرها ويحارب زريق بن على فسار محمد الى الموصل ومعه جيشه وجمع ما فيها من الرجال من اليمن والربيعة وسار لحرب زريق ومعه محمد السيد بن أنس الازدى فبلغ الخبر الى زريق فسار نحوهم فالتقوا على الزاب فراسله محمد ابن حميد يدعوه الى الطاعة فامتنع فناجزه محمد واقتتلوا واشتد قتال الازدى مع محمد ابن السيد طلبا بثار السيد فانهزم زريق وأصحابه ثم أرسل يطلب الامان فأمنه محمد فنزل اليه فسيره الى المامون وكتب المامون الى محمد يأمره بأخذ جميع مال زريق من قرى ورساتيق ومال وغيره فأخذ ذلك لنفسه فجمع محمد اولاد زريق واخوته وأخبرهم بما أمر به المامون فاطاعوا بذلك فقال لهم ان أمير المؤمنين قد أمرنى به وقد قبلت ما حبانى منه ورددته عليكم فشكروه على ذلك ثم سار الى أذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن السيد وقصد المخالفين المتغلبين على أذربيجان فاخذهم منهم يعلى بن مرة ونظراؤه وسيرهم الى المامون وسار نحو بابك الخرمى لمحاربته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة خلع أحمد بن محمد العمرى المعروف بالاحمر العين المامون باليمن فاستعمل المامون على اليمن محمد بن عبد الحميد المعروف بابى الرازى وسيره اليها وفيها أظهر

مقاماته المحمودة ثم جمعوا مشايخ الاخطاط والحارات وحبسوهم (وفيه) حضرت مكاتبة من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر الواردة لجهة أبى قير وصورتها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق الزائدة اليكم نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب اننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة لاجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ونقاصص أعدائنا المحاربين وقد وصلنا بالسلامة الى الرحمانية وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الاقليم فى راحة تامة ونعمة عامة وفى هذا التاريخ نخبركم انه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا حتى ظهروا بثغر سكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنب وجلل المدافع النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير وابتدؤا ينزلون فى البر وانا الآن

الناس فامرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتل ياخذهم وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد وسارا يطلبان الخلاص فرأى جماعة وقتالا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من اصحابه فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه وضربوا فرسه بزراق فسقط الى الارض واكبوا على محمد بن حميد فقتلوه وكان محمد ممدوحا جوادا فرثاه الشعراء واكثروا منهم الطائي فلما وصل خبر قتله الى المامون عظم ذلك عنده واستعمل عبد الله بن طاهر على قتال بابك فسار نحوه

(ذكر حال ابي دلف مع المامون)

كان ابو دلف من اصحاب محمد الامين وسار مع علي بن عيسى بن ماهان الى حرب طاهر ابن الحسين فلما قتل علي عاد ابو دلف الى همذان فراسله طاهر يستميله ويدعوه الى بيعة المامون فلم يفعل وقال ان في عنقي بيعة لا اجد الى فسخها سبيلا ولكني سأقيم مكاني لا اكون مع احد الفريقين ان كففت عني فاجابه الى ذلك فاقام بكرج فلما خرج المامون الى الري راسل أبا دلف يدعوه اليه فسار نحوه مجدا وهو خائف شديد الوجل فقال له اهله وقومه واصحابه انت سيد العرب وكلها تطيعك فان كنت خائفا فاقم ونحن نمنعك فلم يفعل وسار وهو يقول

اجود بنفسي دون قومي دافعا * لما نابهم قدما واغشى الدواهيا
واقتحم الامر المخوف اقتحامه * لادرك مجدا او اعاود ثاويا

وهي ابيات حسنة فلما وصل الى المامون اكرمه واحسن اليه وأمنه واعلى منزلته

(ذكر استعمال عبد الله بن طاهر على خراسان)

في هذه السنة استعمل المامون عبد الله بن طاهر على خراسان فسار اليها وكان سبب مسيره اليها ان أخاه طلحة لما مات ولي خراسان علي بن طاهر خليفة لاخيه عبد الله وكان عبد الله بالدينور يجهز العساكر الى بابك واوقع الخوارج بخراسان باهل قرية الحمراء من نيسابور فاكثروا فيهم القتل واتصل ذلك بالمامون فامر عبد الله بن طاهر بالمسير الى خراسان فسار اليها فلما قدم نيسابور كان اهلها قد قحطوا أخطروا قبل وصوله اليها بيوم واحد فلما دخلها قام اليه رجل بزاز فقال

قد قحط الناس في زمانهم * حتى اذا جئت جئت بالدرر
غيثان في ساعة لنا قدما * فمرحبا بالامير والمطر

فاحضره عبد الله وقال له أشاعر أنت قال لا ولكني سمعتها بالرقة فحفظتها فاحسن اليه وجعل اليه أن لا يشترى له شئ من الثياب الا بامره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج بلال الضبابي الشاري فوجه اليه المامون ابنه العباس في جماعة من القواد فقتل بلال وفيها قتل ابو الرازي باليمن وفيها تحرك جعفر بن داود القمي

انصحوهم يحفظوا انفسهم من الهلاك خوفا عليهم ان نفعل فيهم مثل ما فعلنا في اهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة فاصحناهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحريرا في الرحمانية يوم الاحد خامس عشر صفر سنة اربعة عشر ومائتين وألف وطبعوا من ذلك نسخا والصقوها بالاسواق وفرقوا منها على الاعيان انتهى (وفي ثامن عشره) وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الاعيان والتجار وكلها على نسق واحد تزيد عن المائة مضمونها بان المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الاسكندرية في ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر فصار الناس يحكي بعضهم لبعض ويقول البعض أنا قرأت المكتوب الواصل الى فلان التاجر ويقول الآخر مثل ذلك ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ولم يعلم من فعل هذه الفعلة واختلق هذه النكتة ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة في الناس يشامنها القتل فيهم والاذية لهم وسبحان الله علام الغيوب (وفي ليلة الاربعاء عشرينه) أشيع أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على ابي قير وظهروا عليهم وقتلوا

اهلها واقتكوا رهائنهم بالعامل الذى امره وغيره وحصرهم وافسد بلدهم ورحل عنهم ثم سير اليهم جيشا سنة سبع عشرة ومائتين فحصروها وضيقوا عليها وادام الحصار ثم رحلوا عنهم فلما دخلت سنة ثمان عشرة سير اليها جيشا ففتحها وفارقها اهل الشر والفساد وكان من أهلها انسان اسمه محمود بن عبد الجبار الماردى فحصره عبد الرحمن ابن الحكم فى جمع كثير من الجند وصدقوه القتال فهزموه وقتلوا كثيرا من رجاله وتبعتهم الخيل فى الجبل فافنوهم قتلا وأسرا وتشريدا ومضى محمود بن عبد الجبار الماردى فيمن سلم معه من أصحابه الى منت سالوط فسير اليه عبد الرحمن جيشا سنة عشرين ومائتين فمضوا هاربين عنه الى حلقب فى ربيع الآخر منها فارسل سرية فى طلبهم فقاتلهم محمود فهزمهم وغنم ما معهم ومضوا لوجهتهم فلقيهم جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلوهم ثم كف بعضهم عن بعض وساروا فلقيهم سرية أخرى فقاتلوهم فانهزمت السرية وغنم محمود ما فيها وسار حتى أتى مدينة مينة فهجم عليها وملكها واخذ ما فيها من دواب وطعام وفارقوها فوصلوا الى بلاد المشركين فاستولوا على قلعة لهم فاقاموا بها خمسة اعوام وثلاثة اشهر فحصرهم اذفونس ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محمودا ومن معه وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين فى رجب وانصرف من فيها وفيها توفى ابراهيم الموصلى المغنى وهو ابراهيم بن ماهان والد اسحق بن ابراهيم وكان كوفيا وسار الى الموصل فلما عاد قيل له الموصلى فلزمه وعلى بن جبلة بن مسلم ابو الحسن الشاعر وكان مولده سنة ستين ومائة وكان قد اضر ومحمد بن عرعرة بن البوند وابو عبد الرحمن المقرى المحدث وعبد الله بن موسى العبسى الفقيه وكان شيعيا وهو من مشايخ البخارى فى صحيحه (البوند بكسر الباء الموحدة والواو وتسكين النون وآخره دال مهملة)

(ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين)

(ذكر قتل محمد الطوسى)

فيها قتل محمد بن حميد الطوسى قتله بابك الخرمى وسبب ذلك انه لما فرغ من امر المتغلبين على طريقه الى بابك سار نحوه وقد جمع العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عالم كثير من المتطوعة من سائر الامصار فسلك المضائق الى بابك وكان كلما جاوز مضيقا او عقبة ترك عليه من يحفظه من اصحابه الى ان نزل بهشتادسر وحفر خندقا وشاور فى دخول بلد بابك فاشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له فقبل رأيهم وعبى أصحابه وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائى المعروف بابى سعيد وعلى الميمنة السعدى بن أصرم وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطينى ووقف محمد بن حميد خلفهم فى جماعة ينظر اليهم ويامرهم بسد خلل ان رآه فكان بابك يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة فلما تقدم اصحاب محمد وصعدوا فى الجبل مقدار ثلاثة فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهزم

الناس

الحكم وبرهان قدرته العظيمة ووحدانيته المستقيمة انه لم يقدر للذين يعتقدون ان الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا لانهم ما قدروا أن يعملوا الذين عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الاله ونعرف انه العزيز القادر القوى القاهر المدبر للكائنات والمحيط علمه بالارضين والسموات القائم بامر المخلوقات هذا ما فى الآيات والكتب المنزلات ونخبركم بالمسلمين ان كانوا بصحبتهم يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام

بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة اللئام لان أعداء الاسلام لاينصرون الاسلام ويا ويل من كانت نصرته باعداء الله وحاشا الله ان يكون المستنصر بالكفار مؤيدا أو يكون مسلما ساقتهم المقادير للهلاك والتدمير مع السفالة والرذالة وكيف لمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ويسمع فى حق الواحد الاحد الفرد الصمد من الكفار كل يوم تخريف واحتقار ولاشك ان هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الاصلى فى الضلال نريد منكم يا أهل الديوان ان تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار لاجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الاقاليم والبلاد لان البلد الذى

يع

عقبة السوائى وأبو يعقوب اسحق بن الطباخ الفقيه وعلى بن الحسن بن شقيق صاحب ابن المبارك وثابت بن محمد الكندى العابد المحدث وهوذة بن خليفة بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى بكرة أبو الاشهب وأبو جعفر محمد بن الحرث الموصلى وأبو سليمان الدارانى الزاهد توفى بداريا ومكى بن ابراهيم التيمى البلخى ببلخ وهو من مشايخ البخارى فى صحيحه وقد قارب مائة سنة وأبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الانصارى اللغوى النحوى وكان عمره ثلاثا وتسعين سنة وفيها توفى عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الاصمعى اللغوى البصرى وقيل سنة ست عشرة ومحمد بن عبد الله بن المثنى ابن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى قاضى البصرة

(ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين)

(ذكر فتح هرقلة)

فى هذه السنة عاد المامون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل ألفا وستمائة من أهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل أرض الروم فى جمادى الاولى فاقام الى منتصف شعبان وقيل كان سبب دخوله اليها ان ملك الروم كتب اليه فبدأ بنفسه فسار اليه ولم يقرأ كتابه فلما دخل أرض الروم أناخ على أنطيغو فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقلة فخرج أهلها على صلح ووجه أخاه أبا اسحق المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى بن أكثم من طوانة فاغار وقتل وأحرق فاصاب سبيا ورجع ثم سار المامون الى كيسوم فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق

(ذكر عدة حوادث)

وفيها ظهر عبدوس الفهرى بمصر فوثب على عمال المعتصم فقتل بعضهم فى شعبان فسار المامون من دمشق الى مصر منتصف ذى الحجة وفيها قدم الافشين من برقة فاقام بمصر وفيها كتب المامون الى اسحق بن ابراهيم يامره باخذ الجند بالتكبير اذا صلوا فبدأ بذلك منتصف رمضان فقاموا قياما وكبروا ثلاثا ثم فعلوا ذلك فى كل صلاة مكتوبة وفيها غضب المامون على على بن هاشم ووجه عجيفا وأحمد بن هاشم وأمر بقبض أمواله وسلاحه وفيها ماتت أم جعفر زبيدة أم الامين ببغداد وفيها قدم غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن داود مستامنا وأصلح السند واستعمل عليها عمران بن موسى العتكى وفيها هرب جعفر بن داود القمى الى قم وخلع الطاعة بها وحج بالناس فى قول بعضهم سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وقيل حج بهم عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان المامون ولاه اليمن وجعل اليه ولاية كل بلد يدخله فسار من دمشق فقدم بغداد فصلى بالناس يوم الفطر وسار عنها فحج بالناس وفيها توفى أبو مسهر عبد الاعلى ابن مسهر الغسانى ببغداد ومحمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب المهلبى أمير البصرة بها ويحيى بن يعلى المحاربى واسمعيل بن جعفر بن سليمان بن على

الاخبار (وفيه) حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحج الشامى وأخبروا أنهم حجوا بصحبته وأمير الحاج الشامى عبد الله باشا ابن العظم (وفى ليلة الاحد تاسعه) حضر سارى عسكر الفرنساوية بونابارته ودخل الى داره بالازبكية وحضر صحبته عدة اناس من اسرى المسلمين وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس الى الازبكية ليتحققوا الخبر على جليته فشاهدوا الاسرى وهم وقوف فى وسط البركة ليراهم الناس ثم انهم صرفوهم بعد حصة من النهار فارسلوا بعضهم الى جامع الظاهر خارج الحسينية واصعدوا باقيهم الى القلعة وأما مصطفى باشا سارى عسكر فانهم لم يقدموا به لمصر بل ارسلوه الى الجيزة مكرما وابقوا عثمان خجا بالاسكندرية ولما استقر سارى عسكر بونابارته فى منزله ذهب للسلام عليه المشايخ والاعيان وسلموا عليه فلما استقر بهم المجلس قال لهم على لسان الترجمان ان سارى عسكر يقول لكم انه لما سافر الى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه وأما فى هذه المرة فليس كذلك لانكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون بل يموتون عن آخرهم فكنتم فرحانين ومستبشرين وكنتم تعارضون الاغا فى أحكامه مثل المهدى والصاوى فانهم

فظفر به عمير مولى عبد الله بن طاهر وكان هرب من مصر فرد اليها وفيها ولى على بن هشام الجبل وقم واصبهان وأذربيجان وفيها توفى ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام بالمغرب واقام بعده ابنه محمد بامر مدينة فاس فولى اخاه القاسم البصرة وطنجة وما يليهما واستعمل باقى اخوته على مدن البرابرة وفيها سار عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس الى مدينة باجة وكانت عاصية عليه من حين فتنة منصور الى الآن فملكها عنوة وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة من الاندلس على صاحبها عبد الرحمن وكان هاشم ممن خرج من طليطلة لما واقع الحكم باهلها فسار الى قرطبة فلما كان الآن سار الى طليطلة فاجتمع اليه أهل الشر وغيرهم فسار بهم الى وادى نحو يبه وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمه واشتدت شوكته واجتمع له جمع عظيم وأوقع باهل شنت برية وكان بينه وبين البربر وقعات كثيرة فسير اليه عبد الرحمن هذه السنة جيشا فقاتلوه فلم تستظهر احدى الطائفتين على الاخرى وبقى هشام كذلك وغلب على عدة مواضع وجاوز بركة العجوز وأخذت غارة خيله فسير اليه عبد الرحمن جيشا كثيفا سنة ست عشرة ومائتين فلقيهم هاشم بالقرب من حصن سمسطا بمجاورة روربة فاشتدت الحرب بينهم ودامت عدة ايام ثم انهزم هاشم وقتل هو وكثير ممن معه من اهل الطمع والشر وطالبى الفتن وكفى الله الناس شرهم وحج بالناس اسحق بن العباس بن محمد وفيها توفى أبو هاشم النبيل واسمه الضحاك بن محمد الشيبانى وهو امام فى الحديث وفيها توفى ابو احمد حسين بن محمد البغدادى

(ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين)

(ذكر غزوة المامون الى الروم)

فى هذه السنة سار المامون الى الروم فى المحرم فلما سار استخلف على بغداد اسحق بن ابراهيم بن مصعب وولاه مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة فلما صار المامون بتكريت قدم عليه محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام فلقيه بها فاجازه وأمره بالدخول بابنته أم الفضل وكان زوجها منه فادخلت عليه فلما كان أيام الحج سار باهله الى المدينة فاقام بها وسار المامون على طريق الموصل حتى صار الى منبج ثم الى دابق ثم الى انطاكية ثم الى المصيصة وطرسوس ودخل منها الى بلاد الروم فى جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فاقام المامون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه لاربع بقين من جمادى الاولى وقيل ان أهله طلبوا الامان فامنهم المامون وفتح قبله حصن ماجدة بالامان ووجه اشناس الى حصن سندس فاتاه برئيسه ووجه عجيفا وجعفرا الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع وأطاع وفيها عاد المعتصم من مصر فلقى المامون قبل دخوله الموصل ولقيه منويل وعباس بن المامون برأس عين وفيها توجه المامون بعد خروجه من بلاد الروم الى دمشق وحج بالناس عبد الله بن عبد الله بن العباس بن محمد وفيها توفى قبيصة بن

الكثير منهم ونهبوهم وأخذوا مصطفى باشا اسيرا وكذلك عثمان خجا وغيرهما واخبر الفرنسيس انه حضرت لهم مكاتبة بذلك من اكابرهم فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقى القلاع المحيطة وبحصن الازبكية وعملوا فى ليلتها أعنى ليلة الاربعاء حراقة بالازبكية من نفوط وبارود وسواريخ تصعد فى الهواء (وفى يوم الخميس ثامن عشرينه) وصلت عدة مراكب وبها اسرى وعساكر جرحى وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت لم أقف على صورتها

(واستهل ربيع الاول بيوم السبت سنة ١٢١٤)

(فى ثانيه) وصلت مراكب من بحرى وفيها جرحى من الفرنساوية (وفيه) قبضوا على الحاج مصطفى البشتيلى الزيات من اعيان اهالى بولاق وحبسوه ببيت قائممقام والسبب فى ذلك ان جماعة من جيرانه وشوا عنه بانه يدخل بعض حواصله الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك كما اخبر الواشى فاخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ثم نقلوه الى القلعة (وفى سادسه) حضر ايضا جملة من العسكر وكثر

الرقة وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفرخان وجماعة منهم النضر بن شميل وابن على بن عاصم وأبو العوام البزاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن اسحق فادخلوا جميعا على اسحق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه ثم قال لبشر بن الوليد ما تقول فى القرآن فقال قد عرفت مقالتى أمير المؤمنين غير مرة قال فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما ترى فقال أقول القرآن كلام الله قال لم أسالك عن هذا أمخلوق هو قال الله خالق كل شئ قال فالقرآن شئ قال نعم قال فمخلوق هو قال ليس بخالق قال ليس هو عن هذا أمخلوق هو قال ما أحسن غير ما قلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين ان لا أتكلم فيه وليس عندى غير ما قلت لك فأخذ اسحق رقعة فقرأها عليه ووقفه عليها فقال أشهد أن لا اله الا الله أحدا فردا لم يكن قبله شئ ولا يشبهه شئ من خلقه فى معنى من المعانى ووجه من الوجوه قال نعم قال للكاتب اكتب ما قال ثم قال لعلى بن أبى مقاتل ما تقول قال قد سمعت كلامى لامير المؤمنين فى هذا غير مرة وما عندى غيره فامتحنه بالرقعة فاقر بما فيها ثم قال له القرآن مخلوق قال القرآن كلام الله قال لم أسالك عن هذا قال القرآن كلام الله فان أمرنا أمير المؤمنين بشئ سمعنا وأطعنا فقال للكاتب اكتب مقالته ثم قال للذيال نحوا من مقالته لعلى بن أبى مقاتل فقال مثل ذلك ثم قال لابى حسان الزيادى ما عندك قال سل عم شئت فقرأ عليه الرقعة فاقر بما فيها ثم قال ومن لم يقل هذا القول فهو كافر فقال القرآن مخلوق هو قال القرآن كلام الله والله خالق كل شئ وأمير المؤمنين امامنا وبه سمعنا عامة العلم وقد سمع مالم نسمع وعلم مالم نعلم وقد قلده الله أمرنا فصار يقيم حجنا وصلاتنا ونؤدى اليه زكاة أموالنا ونجاهد معه ونرى امامته فان أمرنا ائتمرنا وان نهانا انتهينا قال فالقرآن مخلوق فأعاد مقالته قال اسحق فان هذه مقالة أمير المؤمنين قال قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس وان خبرتنى ان أمير المؤمنين أمرك ان أقول قلت ما أمرتنى به فانك الثقة فيما أبلغتنى عنه قال ما أمرنى ان ابلغك شيئا قال أبو حسان وما عندى الا السمع والطاعة فأمرنى ائتمر قال ما أمرنى ان آمركم وانما أمرنى ان أمتحنكم ثم قال لاحمد بن حنبل ما تقول فى القرآن قال كلام الله قال أمخلوق هو قال كلام الله ما أزيد عليها فامتحنه بما فى الرقعة فلما أتى الى ليس كمثله شئ قرأ وهو السميع البصير وأمسك عن ولا يشبهه شئ من خلقه فى معنى من المعانى ولا وجه من الوجوه فاعترض عليه ابن البكاء الاصغر فقال أصلحك الله انه يقول سميع من اذن وبصير من عين فقال اسحق لاحمد ما معنى قولك سميع بصير قال هو كما وصف نفسه قال فما معناه قال لا أدرى أهو هو كما وصف نفسه ثم دعاهم رجلا رجلا كلهم يقول القرآن كلام الله الا قتيبة وعبيد الله بن محمد بن الحسن وابن علية الاكبر وابن البكاء وعبد المنعم بن ادريس بن بنت وهب بن منبه والمظفر بن مرجا ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه ولا يعرف بشئ منه الا انه دس فى ذلك الموضع ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضى الرقة وابن الاحمر فاما ابن البكاء الاكبر فانه قال القرآن مجعول لقول الله عز وجل انا جعلناه قرآنا عربيا والقرآن محدث لقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث قال اسحق

يزيد ويسئل بعض أكابرهم فاخبران سارى عسكر المتوفية دعاه اضيافته بمنوف حين كان متوجها الى ناحية ابى قير ووعده بالعود اليه بعد وصوله الى مصر وراج ذلك على الناس وظنوا صحته (ولما كان يوم الاثنين سادس عشره) خرج مسافرا من آخر الليل وخفى امره على الناس (وفى يوم الاثنين رابع عشرينه الموافق لتاسع مسرى القبطى) كان وفاء النيل المبارك فنودى بوفائه على العادة وخرج النصارى البلدية من القبطة والشوام والاروام وتاهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو والطرب وذهبوا تلك الليلة الى بولاق ومصر العتيقة والروضة واكتروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغانى وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسالك الامراء سابقا من النزول فى المراكب الكثيرة المقاذيف وصحبتهم نساؤهم وقحابهم وشرابهم وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين وبعضهم تزيا بزى امراء مصر ولبس سلاحا وتشبه بهم وحاكى الفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك واجرى الفرنساوية المراكب المزينة وعليها البيارق وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر ووقع

(ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين)

في هذه السنة ظفر الافشين بالفرما من ارض مصر ونزل اهلها بامان على حكم المامون ووصل المامون الى مصر في المحرم من هذه السنة فاتي بعبدوس الفهري فضرب عنقه وعاد الى الشام وفيها اقتل المامون على بن هشام وكان سبب ذلك ان المامون كان استعمله على أذربيجان وغيرها كما تقدم ذكره فبلغه ظلمه واخذه الاموال وقتله الرجال فوجه اليه عجيف بن عنبسة فثار به على بن هشام واراد قتله واللحاق ببابك وظفر به عجيف وقدم به على المامون فقتله وقتل اخاه حبيبا في جمادى الاولى وطيف برأس علي في العراق وخراسان والشام ومصر ثم القي في البحر وفيها عاد المامون الى بلاد الروم فاناخ على لؤلؤة مائة يوم ثم رحل عنها وترك عليها عجيفا فخدعه أهلها واسروه فبقي عندهم ثمانية ايام واخرجوه وجاء توفيل ملك الروم فاحاط بعجيف فيه فبعث المامون اليه الجنود فارتحل توفيل قبل موافاتهم وخرج اهل لؤلؤة الى عجيف بامان وارسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك وفيها سار المامون الى سلغوس وفيها بعث على بن عيسى القمي الى جعفر بن داود القمي فقتل وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي وفيها توفي الحجاج بن المنهال بالبصرة وسريج بن النعمان (سريج بالسين المهملة والجيم) وسعدان بن بشر الموصلي يروي عن الثوري وفيها توفي الخليل بن أبي رافع المزني الموصلي وكان عالما عابدا وأبو جعفر بن محمد بن أبي يزيد الموصلي وكان فاضلا

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين)

(ذكر المحنة بالقرآن المجيد)

وفي هذه السنة كتب المامون الى اسحق بن ابراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أقر انه مخلوق محدث خلى سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه وطول كتابه باقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك وكان الكتاب في ربيع الاول وأمره بانفاذ سبعة نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم مستملي يزيد بن هرون ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب واسمعيل بن داود واسمعيل بن أبي مسعود وأحمد بن الدورقي فاشخصوا اليه فسألهم وامتحنهم عن القرآن فاجابوا جميعا ان القرآن مخلوق فاعادهم الى بغداد فاحضرهم اسحق بن ابراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فاقروا بذلك فخلى سبيلهم وورد كتاب المامون بعد ذلك الى اسحق بن ابراهيم بامتحان القضاة والفقهاء فاحضر اسحق بن ابراهيم أباحسان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلى بن أبي مقاتل والفضل بن غانم والذيال بن الهيثم وسجادة والقواريري وأحمد بن حنبل وقتيبة وسعدويه الواسطي وعلى بن جعد واسحق بن أبي اسرائيل وابن الهرش وابن علية الاكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمري وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي

بونوأي ليسوا بطيين ونحو المتقدمة التي حبسوا بسببها مشايخ الحارات فان الاغا الخبيث كان يريد ان يقتل في كل يوم أناسا بادنى سبب فكان المهدي والصاوي يعارضانه و يتكلمان معه في الديوان و يوبخانه و يخوفانه سوء العاقبة وهو يرسل الى ساري عسكر فيطالعه بالاخبار و يشكو منهما فلما حضر عاتبهم في شان ذلك فلاطفوه حتى انجلى خاطره وأخذ يحدثهم على ماوقع له من القادمين الى أبي قير والنصر عليهم وغير ذلك (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) عمل المولد النبوي بالازبكية ودعا الشيخ خليل البكري ساري عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده وضربوا ببركة الازبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ونادوا في ذلك اليوم بالزينة وفتح الاسواق والدكاكين ليلا واسراج قناديل واصطناع مهرجان وورد الخبر بان الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الاسكندرية الى رشيد فدخلوا به البلد وهو مكشوف الراس حافي القدمين وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به الى داره فقطعوا رأسه تحتها ثم رفعوا رأسه وعلقوها من شباك داره ليراها من يمر بالسوق (وفي ثالث عشره) أشيع بان كبير الفرنسيس سافر الى جهة

وأوصى الى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقضاة والقواد وكانت
وصيته بعد الشهادة والاقرار بالوحدانية والبعث والجنة والنار والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم والانبياء انى مقر مذنب أرجو وأخاف الا انى اذا ذكرت عفو الله
رجوت واذا مت فوجهونى وغمضونى وأسبغوا وضوئى وطهورى وأجيدوا كفنى ثم
أكثروا حمد الله على الاسلام ومعرفة حقه عليكم فى محمد صلى الله عليه وسلم اذ جعلنا من
أمته المرحومة ثم أضجعونى على سريرى ثم عجلوا بى وليصل على أقربكم نسبا وأكبركم
سنا وليكبر خمسا ثم احملونى وأبلغوا بى حفرتى ولينزل بى أقربكم قرابة وأودكم محبة
وأكثروا من حمد الله وذكره ثم ضعونى على شقى الايمن واستقبلوا بى القبلة ثم حلوا
كفنى عن رأسى ورجلى ثم سدوا اللحد واخرجوا عنى وخلونى وعملى وكلكم لا يغنى
عنى شيئا ولا يدفع عنى مكروها ثم قفوا باجمعكم فقولوا خيرا ان علمتم وأمسكوا عن
ذكر شر ان كنتم عرفتم فانى ماخوذ من بينكم بما تقولون ولا تدعوا باكية عندى فان
المعول عليه يعذب رحم الله عبدا اتعظ وفكر فيما حتم الله على خلقه من الفناء وقضى
عليهم من الموت الذى لابد منه فالحمد لله الذى توحد بالبقاء وقضى على جميع خلقه
الفناء لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة هل أغنى عنى ذلك شيئا اذ جاء أمر الله لا والله
ولكن أضعف على به الحساب فياليت عبد الله بن هرون لم يكن بشرا بل ليته لم يكن
خلقا يا أبا اسحق ادن منى واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك فى القرآن والاسلام واعمل
فى الخلافة اذا طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ولا تغتر بالله
ومهلته وكان قد نزل بك الموت ولا تغفل امر الرعية والعوام فان الملك بهم
وبتعهدك لهم الله الله فيهم وفى غيرهم من المسلمين ولا ينتهين اليك امر فيه صلاح
للمسلمين ومنفعة الا قدمته وآثرته على غيره من هواك وخذ من اقويائهم لضعفائهم
ولا تحمل عليهم فى شئ وانصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأن بهم وعجل
الرحلة عنى والقدوم الى دار ملكك بالعراق وانظر هؤلاء القوم الذين انت بساحتهم
فلا تغفل عنهم فى كل وقت والخرمية فاغزهم ذا حزمة وصداقة وجلد واكنفه بالاموال
والجنود فان طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك من انصارك وأوليائك واعمل فى ذلك عمل
مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد الوجع
واحس بمجئ امر الله فقال يا أبا اسحق عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتقومن بحق الله فى عباده ولتؤثرن طاعة الله على معصيته اذا انا نقلتها من
غيرك اليك قال اللهم نعم قال هؤلاء بنو عمك من ولد امير المؤمنين على صلوات الله عليه
فاحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم واقبل من محسنهم ولا تغفل صلاتهم فى كل سنة
عند محلها فان حقوقهم تجب من وجوه شتى اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن الا
وانتم مسلمون اتقوا الله واعملوا له اتقوا الله فى اموركم كلها استودعكم الله ونفسى
واستغفر الله مما سلف منى انه كان غفارا فانه ليعلم كيف ندمى على ذنوبى فعليه توكلت
من عظيمها واليه انيب ولا قوة الا بالله حسبى الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد نبى

ايضا مضمونها ان من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يوما عوقب بما يليق به ونادوا بموجب ذلك بالاسواق (وفى سابع عشرينه) كتبوا اوراقا ايضا مضمونها اقتضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس ومن اراد استئجار شئ من ذلك فليحضر الى الديوان و ياخذ ما يريد بالمزاد (وفيه) افرج عن الانفار التى قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة و سبعين كيسا دفعوا بعضها وضمنهم اهل وكالة الصابون فى البعض الباقى فانزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط ان لا يسافر منهم احد الا بعد غلاق ما عليه (وفى ثامن عشرينه) تشفع ارباب الديوان فى اهل يافا المسجونين بالقلعة ايضا فوقع التوافق معهم على الافراج عنهم بمصلحة مائة كيس فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا و اشتوروا فى مجلس خاص بينهم فاتفق الحال على تقسيطها وتاجيلها فى كل عشرين يوما خمسة وعشرين كيسا فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا وافرج عنهم من القلعة واجلوا الباقى على الشرح المذكور (وفيه) ورد من بونابارته سارى عسكر الفرنساوية كتاب من الاسكندرية خطابا للاهل مصر وسكانها فاحضر قائممقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب مضمونه انه

فالمجعول مخلوق قال نعم قال والقرآن مخلوق قال لا أقول مخلوق ولكنه مجعول فكتب مقالته ومقالات القوم رجلا رجلا ووجهت الى المامون فاجاب المامون يذمهم ويذكر كلامهم ويعيبهم ويقع فيه بشئ وامره أن يحضر بشر بن الوليد وابراهيم ابن المهدى ويمتحنهما فان اجابا والا فاضرب اعناقهما واما من سواهما فان أجابا الى القول بخلق القرآن والا احملهم موثقين بالحديد الى عسكره مع نفر يحفظونهم فاحضرهم اسحق واعلمهم بما امر به المامون فاجاب القوم اجمعون الا اربعة نفر وهم احمد بن حنبل وسجادة والقواريرى ومحمد بن نوح المضروب فامر بهم اسحق فشدوا فى الحديد فلما كان الغد دعاهم فى الحديد فاعاد عليهم المحنة فاجابه سجادة والقواريرى فاطلقهما واصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما فشدا فى الحديد ووجها الى طرسوس وكتب الى المامون بتاويل القوم فيما اجابوا اليه فاجابه المامون انى بلغنى عن بشر بن الوليد بتاويل الآية التى أنزلها الله تعالى فى عمار بن ياسر الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقد أخطا التاويل انما عنى الله سبحانه وتعالى بهذه الآية من كان معتقدا للايمان مظهرا للشرك فاما من كان معتقدا للشرك مظهرا للايمان فليس هذا له فاشخصهم جميعا الى طرسوس ليقيموا بها الى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم فاحضرهم اسحق وسيرهم جميعا الى العسكر وهم أبو حسان الزيادى وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعلى بن مقاتل والذيال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمرى وعلى بن الجعد وأبو العوام وسجادة والقواريرى وابن الحسن ابن على بن عاصم واسحق بن اسرائيل والنضر بن شميل وأبو نصر التمار وسعدويه الواسطى ومحمد بن حاتم بن ميمون وأبو معمر بن الهرش وابن الفرخان وأحمد بن شجاع وأبو هرون بن البكاء فلما صاروا الى الرقة بلغهم موت المامون فرجعوا الى بغداد

(ذكر مرض المامون ووصيته)

وفى هذه السنة مرض المامون مرضه الذى مات فيه لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة وكان سبب مرضه ما ذكره سعد بن العلاق القارئ قال دعانى المامون يوما فوجدته جالسا على جانب البذندون والمعتصم عن يمينه وهما قد دليا أرجلهما فى الماء فامرنى أن أضع رجلى فى الماء وقال ذقه فهل رأيت أعذب منه أو أصفى صفاء أو أشد بردا ففعلت وقلت يا امير المؤمنين ما رأيت مثله قط فقال أى شئ يطيب أن يؤكل ويشرب عليه هذا الماء فقلت أمير المؤمنين أعلم فقال الرطب الازاذ فبينما هو يقول اذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فاذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الالطاف فقال للخادم انظر ان كان فى هذه الالطاف رطب ازاذ فات به فمضى وعاد ومعه سلتان فيهما ازاذ كانما جنى تلك الساعة فاظهر شكر الله وتعجبنا جميعا وأكلنا وشربنا من ذلك الماء فما قام منا أحد الا وهو محموم وكانت منية المامون من تلك العلة ولم يزل المعتصم مريضا حتى دخل العراق وبقيت أنا مريضا مدة فلما مرض المامون أمر أن يكتب الى البلاد الكتب من عبد الله المامون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبى اسحق بن هرون الرشيد

فى تلك الليلة بالبحر وسواحله بالمعاصى والفسوق مالا يكيف ولا يوصف وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون ان ينكر احد على احد من الحكام لو غيرهم بل كل انسان يفعل ما تشتهيه نفسه وما يخطر بباله وان لم يكن من امثاله

اذا كان رب الدار بالدف ضاربا
فشيمة اهل الدار كلهم الرقص

واكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسوار يخ من المراكب والسواحل وباتوا يضربون انواع الطبول والمزامير وفى الصباح ركب دوجا قائمقام ومحبته اكابر الفرنسيس واكابر اهل مصر وحضروا الى قصر السد وجلسوا به واصطفت العساكر ببر الروضة وبمصر القديمة باسلحتهم وطبولهم وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع المتتالية الى ان انكسر السد وجرى الماء فى الخليج فانصرفوا (وفى خامس عشره) طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا (وفى سادس عشره) كتبوا اوراقا والصقوها بالاسواق مضمونها ان الناس يذهبون الى بولاق يوم التاسع والعشرين لحضور سوق الخيل ويشتروا ما احبوا من الخيل (وفيه) الصقوا اوراقا

الف ولا لى فلان بمثلها اولا لى فلان بمثلها فما زال كذلك حتى فرق اربعة وعشرين الف الف ورجله فى الركاب ثم قال ادفع الباقى الى المعلى يعطيه جندنا قال العيشى فقمت نصب عينيه انظر اليهما فلما رآنى كذلك قال وقع لهذا بخمسين الفا فقبضتها وذكر عن محمد بن ايوب بن جعفر بن سليمان انه كان بالبصرة رجل من بنى تميم بن سعد وكان شاعرا ظريفا خبيثا منكرا وكنت آنس به وأستحليه فقلت له انت شاعر وانت ظريف والمامون أجود من السحاب الحافل فما يمنعك منه فقال ما عندى ما يحملنى فقلت أنا أعطيك راحلة ونفقة فاعطيته راحلة نجيبة وثلاثمائة درهم فعمل ارجوزة ليست بالطويلة ثم سار الى المامون قال فجئت اليه وهو بسلغوس قال فلبست ثيابى وانا أروم العسكر واذا بكهل على بغل فاره فتلقانى مواجهة وانا اردد نشيد ارجوزتى فقال السلام عليك فقلت عليكم السلام ورحمة الله وبركاته قال قف ان شئت فوقفت فتضوعت منه رائحة المسك والعنبر فقال ما أولك قلت رجل من مضر قال ونحن من مضر قال ثم ماذا قلت من بنى تميم قال وما بعد تميم قلت من بنى سعد قال وما أقدمك قلت قصدت هذا الملك الذى ما سمعت بمثله أندى راحة ولا اوسع راحة قال فما الذى قصدته به قلت شعر رطيب يلذ على الافواه ويحلو فى آذان السامعين قال فانشدنيه فغضبت وقلت يا ركيك أخبرتك أنى قصدت الخليفة بمديح تقول انشدنيه فتغافل عنها والغى عن جوابها فقال فما الذى تامل منه قلت ان كان على ما ذكر لى فالف دينار قال أنا أعطيك الف دينار ان رأيت الشعر جيدا والكلام عذبا وأضع عنك العناء وطول الترداد ومتى تصل الى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل قلت فلى عليك الله أن تفعل قال نعم لك الله على ان افعل فانشدته

مامون ذا المنزلة الشريفه * وصاحب المرتبة المنيفه
وقائد الكتيبة الكثيفه * هل لك فى ارجوزة ظريفه
أظرف من فقه أبى حنيفه * لا والذى انت له خليفه
ماظلمت فى ارضنا ضعيفه * أميرنا مؤنته خفيفه
وما اقتنى شيئا سوى الوظيفه * فالذئب والنعجة فى سقيفه
واللص والتاجر فى قطيفه

قال فوالله ما عدا أن بلغت ههنا فاذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الافق يقولون السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال فاخذتنى رعدة فنظر الى بتلك الحال فقال لا باس عليك أى اخى قلت يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك من جعل الكاف مكان القاف من العرب قال حمير قلت لعن الله حميرا ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم وضحك المامون وقال للخادم معه اعطه ما معك فاخرج كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار فاخذتها ومضيت ومعنى سؤاله عن وضع الكاف موضع القاف أنه أراد ان يقول يا رقيق فقال يا ركيك وقال عمارة بن عقيل انشدت المامون قصيدة مائة بيت فابتدئ بصدر البيت فيبادرنى الى قافيته كما قفيته فقلت والله يا أمير المؤمنين

اليوم ووعدوا الى الغد فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم فقابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابارته فانه كان بشوشا وبباسط الجلساء ويضحك معهم

(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الاحد سنة ١٢١٤) (فى أوائله) ابتدؤا فى عمل مولد المشهد الحسينى وشهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة الخميس ثانى عشره (وفيه) طلب سارى عسكر الجديد من نصارى القبط مائة وخمسين الف ريال فرانسه فى مقابلة بواقى سنة اثنتى عشرة ومائتين والف وشرعوا فى تحصيلها (وفى يوم الجمعة سادسه ركب سارى عسكر الجديد) من الازبكية ومشى فى وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد الى القلعة وكان امامه نحو الخمسمائة قواس وبايديهم النبابيت وهم يامرون الناس بالقيام والوقوف على الاقدام لمروره وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الافرنج وبايديهم السيوف المسلولة والوالى والاغا وبرطلمين بمواكبهم وكذلك القلقات والوجاقلية وكل من كان موليا من جهتهم ومنضما اليهم ما عدا رؤساء الديوان من الفقهاء فلم يطلبوهم للحضور والمشى فى ذلك الموكب

الهدى والرحمة

(ذكر وفاة المامون وعمره وصفته)

وفي هذه السنة توفي المامون لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب فلما اشتد مرضه وحضره الموت كان عنده من يلقنه فعرض عليه الشهادة وعنده ابن ماسويه الطبيب فقال لذلك الرجل دعه فانه لا يفرق في هذه الحال بين ربه ومانى ففتح المامون عينيه واراد ان يبطش به فعجز عن ذلك واراد الكلام فعجز عنه ثم انه تكلم فقال يامن لايموت ارحم من يموت ثم توفي من ساعته ولما توفي حمله ابنه العباس واخوه المعتصم الى طرسوس فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد وصلى عليه المعتصم ووكلوا به حرسا من ابناء اهل طرسوس وغيرهم مائة رجل واجرى على كل رجل منهم تسعون درهما وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوما سوى سنتين كان دعي له فيها بمكة واخوه الامين محصور ببغداد وكان مولده للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وكانت كنيته ابا العباس وكان ربعة ابيض جميلا طويل اللحية رقيقها قد وخطها الشيب وقيل كان اسمر تعلوه صفرة أجنى اعين ضيق الجبهة بخده خال اسود

(ذكر بعض سيرته وأخباره)

قال محمد بن صالح السرخسي تعرض رجل للمامون بالشام مرارا وقال يا امير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان فقال له اكثرت علي والله ما انزلت قيسا من ظهور خيولها الا وانا أرى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد يعني فتنة ابن شبث العامري وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا احبتني قط وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني حتى تكون من اشياعه وأما ربيعة فساخطة على ربها مذ بعث الله نبيه من مضر ولم يخرج اثنان الا وخرج أحدهما شاريا اعرف فعل الله بك وذكر سعيد بن زياد ان المامون قال لما دخل دمشق أتي بالكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاريته فقال اني لاشتهي ان ادري ايش هذا الغشاء على هذا الخاتم قال فقال له المعتصم حل العقدة حتى تدري ماهو وقال ما اشك ان النبي صلى الله عليه وسلم عقد هذا العقد وما كنت لاحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للواثق خذه وضعه على عينيك لعل الله ان يشفيك وجعل المامون يضعه على عينيه و يبكي وقال العبسي صاحب اسحق بن ابراهيم كنت مع المامون بدمشق وكان قد قل المال عنده حتى أضاق وشكا ذلك الى المعتصم فقال له يا أمير المؤمنين كانك بالمال وقد وافاك بعد جمعة وكان قد حمل اليه ثلاثون الف الف درهم من خراج ما يتولاه له فلما ورد عليه المال قال المامون ليحيى بن اكثم اخرج بنا ننظر هذا المال فخرجا ينظرانه وكان قد هيئ باحسن هيئة وحليت اباعره فنظر المامون الى شئ حسن واستكثر ذلك واستبشر به والناس ينظرون و يعجبون فقال المامون يا ابا محمد ننصرف بالمال وأصحابنا يرجعون خائبين ان هذا اللوم ثم دعا محمد بن يزداد فقال له وقع لآل فلان بالف

الف

سافر يوم الجمعة حادي عشرين الشهر المذكور الى بلاد الفرنساوية لاجل راحة اهل مصر وتمليك البحر فيغيب نحو ثلاثة أشهر و يقدم مع عساكره فانه بلغه خروج عمارتهم ليصفو له ملك مصر و يقطع دابر المفسدين وان المولى على اهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا كلهبر ساري عسكر دمياط فتحير الناس وتعجبوا في كيفية سفره ونزوله البحر مع وجود مراكب الانكليز ووقوفهم بالثغر ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية صيفا وشتاء ولكيفية خلوصه وذهابه أنباء وحيل لم أقف على حقيقتها (وفي يوم السبت تاسع عشرينه) قدم سارعسكر كلهبر صبيحة ذلك اليوم فضربوا لقدومه المدافع من جميع القلاع وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم وذهب الى بيت بونابارته الذي كان ساكنا به وهو بيت الالفي بالازبكية وسكن مكانه وفي ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلاد عصت عليهم فضربوها ونهبوها ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار و بعض النساء وهم موثقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة (وفيه) ذهب أكابر البلد من المشايخ والاعيان لمقابلة ساري عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك

اضحى امام الهدى المامون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال فقلت والله ما صنعت شيئا هل زدت على ان جعلته عجوزا فى محرابها فاذن من الذى يقوم بامر الدنيا اذا تشاغل عنها وهو المطوق بها الا قلت كما قال جدى جرير فى عبد العزيز ابن الوليد

فلا هو فى الدنيا يضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال الآن علمت انى قد اخطات قال ابو العباس احمد بن عبد الله بن عمار كان المامون شديد الميل الى العلويين والاحسان اليهم وخبره مشهور معهم وكان يفعل ذلك طبعا لا تكلفا فمن ذلك انه توفى فى أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين العلوى فحضر الصلاة عليه بنفسه ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجبوا منه ثم ان ولد الزينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وهى ابنة عم المنصور توفى بعده فارسل له المامون كفنا وسير اخاه صالحا ليصلى عليه ويعزى أمه فانها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة فأتاها وعزاها عنه واعتذر عن تخلفه عن الصلاة عليه فظهر غضبها وقالت لابن ابنها تقدم فصل على ابيك وتمثلت

سبكناه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد

ثم قالت لصالح قل له يا ابن مراجل اما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لوضعت ذيلك على فيك وعدوت خلف جنازته

(ذكر خلافة المعتصم)

هو ابو اسحق محمد بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة بعد موت المامون ولما بويع له شغب الجند ونادوا باسم العباس بن المامون فارسل اليه المعتصم فاحضره فبايعه ثم خرج الى الجند فقال ما هذا الحب البارد قد بايعت عمى فسكتوا وأمر المعتصم بخراب ما كان المامون أمر ببنائه من طوانة مما ذكر فى عدة حوادث وحمل ما اطاق من السلاح والآلة التى بها واحرق الباقى واعاد الناس الذين بها الى البلاد التى لهم وانصرف الى بغداد ومعه العباس بن المامون فقدمها مستهل شهر رمضان

(ذكر خلاف فضل على زيادة الله)

وفى هذه السنة وجه زيادة الله بن الاغلب صاحب افريقية جيشا لمحاربة فضل بن أبى العنبر بالجزيرة وكان مخالفا لزيادة الله فاستمد فضل بعبد السلام بن المفرج الربعى وكان أيضا مخالفا من عهد فتنة منصور كما ذكرنا فسار اليه فالتقوا مع عسكر زيادة الله وجرى بين الطائفتين قتال شديد عند مدينة اليهود بالجزيرة فقتل عبد السلام وحمل رأسه الى زيادة الله وسار فضل بن أبى العنبر الى مدينة تونس فدخلها وامتنع بها فسير زيادة الله اليه جيشا فحصروا فضلا بها وضيقوا عليه حتى فتحوها منه وقتل وقت دخول العسكر كثير من أهلها منهم عباس بن الوليد الفقيه وكان دخل فى بيته لم يقاتل فدخل عليه بعض الجند فاخذ سيفه وخرج وهو يصيح الجهاد فقتل وبقى ملقى فى خربة سبعة

والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامراة ايضا للكشف على اماكن النساء فكان الناس يانفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه وتحدثهم أوهامهم بامور يتخيلونها كقولهم انما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم مع أنه لم يكن شئ سوى التخوف من العفونة والوباء (وفى عشرينه) نودى بعمل مولد السيد على البكرى المدفون بجامع الشرايبى بالازبكية بالقرب من الرويعى وأمروا الناس بوقود قناديل بالازقة فى تلك الجهات وأذنوا لهم بالذهاب والمجئ ليلا ونهارا من غير حرج وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد على وانه كان رجلا من البله وكان يمشى بالاسواق عريانا مكشوف الرأس والسوأتين غالبا وله أخ صاحب دهاء ومكر لا يلتئم به واستمر على ذلك مدة سنين ثم بدا لاخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لاخيه واعتقادهم فيه كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت وألبسه ثيابا وأظهر للناس انه أذن له بذلك وانه تولى القطبانية ونحو ذلك فاقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به وسماع الفاظه والانصات الى تخليطاته

ماسمعها مني أحد قط فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم قال لي اما بلغك ان عمر بن أبي ربيعة أنشد عبدالله بن عباس قصيدته التي يقول فيها * يشط غدا دار جيراننا * فقال ابن عباس * وللدار بعد غد أبعد * حتى أنشده القصيدة يقفيها ابن عباس ثم قال انا ابن ذاك وذكر ان المامون قال

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة * وأغفلتني حتى اساءت بك الظنا
فناجيت من أهوى وكنت مباعدا * فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثرا منه بعينيك بينا * لقد أخذت عيناك من عينه حسنا

قيل وانما أخذ المامون هذا المعنى من العباس بن الاحنف فانه أخرج هذا المعنى فقال

ان تشق عيني بها فقد سعدت * عين رسولي وفزت بالخبر
وكلما جاءني الرسول لها * رددت عمدا في عينه نظري
خذ مقلتي يارسول عارية * فانظر بها واحتكم على بصري

قيل وشكا اليزيدي يوما الى المامون دينا لحقه فقال ما عندي في هذه الايام ما ان اعطيناك بلغت به ماتريد فقال يا أمير المؤمنين ان غرمائي قد ارهقوني قال انظر لنفسك امرا تنال به نفعا قال ان لك ندماء فيهم من أن حركته نلت به نفعا قال أفعل قال اذا حضروا وعندك فمر فلانا الخادم يوصل رقعتي اليك فاذا قرأتها فارسل الي دخولك في هذا الوقت متعذر ولكن اختر لنفسك من أحببت قال أفعل فلما علم اليزيدي جلوس المامون مع ندمائه وتيقن انهم قد أخذ الشراب منهم أتى الباب فدفع الى الخادم رقعته فاذا فيها

ياخير اخواني وأصحابي * هذا الطفيلي على الباب
أخبر ان القوم في لذة * يصبوا اليها كل أواب
فصيروني واحدا منكم * او اخرجوا الي بعض اترابي

فقرأها المامون عليهم وقالوا ما ينبغي ان يدخل علينا على مثل هذا الحال فارسل اليه المامون دخولك في هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من احببت فقال ما اريد الا عبدالله ابن طاهر فقال له المامون قد اختارك فصر اليه قال يا امير المؤمنين وا كون شريك الطفيلي فقال ما يمكن رد ابي محمد عن امرين فان احببت أن تخرج اليه والا فافتد نفسك منه فقال على عشرة آلاف قال لا يقنعه فمازال يزيد عشرة عشرة والمامون يقول لا يقنعه حتى بلغ مائة ألف فقال له المامون فعجلها فكتب بها الى وكيله ووجه معه رسولا وارسل اليه المامون قبض هذه الدراهم في هذه الساعة أصلح من منادمته وأنفع لك وقال عمارة بن عقيل قال لي عبدالله بن ابي السمط اعلمت ان المامون لا يبصر الشعر قلت ومن يكون اعلم منه فوالله انا لننشده اول البيت فيسبقنا الى آخره قال اني انشدته بيتا أجدت فيه فلم يتحرك له قلت وما هو قال

ولما صعدوا الى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب الى داره (وفي يوم السبت سابعه) ركب اغاة الينكجرية في ابهة عظيمة وجبروت وامامه عدة من عسكر الفرنسيس وامامه المنادي يقول حكم مارسم ساري عسكر خطابا للاغا ان جميع الدعاوي والقضايا العامية لا تعمل الا ببيت الاغا وكل من تعدى من الرعايا او وقع منه قلة ادب يستاهل ما يجري عليه (وفيه) ركب ساري عسكر الكبير في موكب دون الاول ووصل الى بيت رئيس الديوان الشيخ عبدالله الشرقاوي ثم رجع الى داره (وفي يوم الاحد ثامنه) عمل ساري عسكر وليمة في بيته ودعا الاعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ثم انصرفوا الى دورهم (وفي يوم الثلاثاء عاشره) كان آخر المولد الحسيني وحضر ساري عسكر الفرنساوية مع اعيانهم الى بيت شيخ السادات بعد العصر في موكب عظيم وامامه الاغا والوالي والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة فتعشوا هناك وركبوا بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل (وفي سادس عشره) نودي بنشر الحم والحج وكتبوا بذلك اوراقا والصقوها بالاسواق وشددوا في ذلك بالتفتيش

(ذكر محاربة الزط)

وفيها وجه المعتصم عجيف بن عنبسة فى جمادى الآخرة لحرب الزط الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا وأخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة واخافوا السبيل ورتب عجيف الخيل فى كل سكة من سكك البريد تركض بالاخبار فكان يأتى بالاخبار من عجيف فى يوم فسار حتى نزل تحت واسط وأقام على نهر يقال له بردودا حتى سده وانهارا أخر كانوا يخرجون منها ويدخلون وأخذ عليهم الطرق ثم حاربهم فاسر منهم فى معركة واحدة خمسمائة رجل وقتل فى المعركة ثلثمائة رجل فضرب أعناق الاسرى وبعث الرؤس الى باب المعتصم ثم أقام عجيف بازاء الزط خمسة عشر يوما فظفر منهم فيها بخلق كثير وكان رئيس الزط رجلا يقال له محمد بن عثمان وكان صاحب أمره انسانا يقال له سماق ثم استوطن عجيف وأقام بازائهم سبعة أشهر

(ذكر محاصرة طليطلة)

فى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم الاموى صاحب الاندلس جيشا مع أمية بن الحكم الى مدينة طليطلة فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم وخرجوا عن الطاعة واشتد فى حصرهم وقطع أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يذعنوا الى الطاعة فرحل عنهم وأنزل بقلعة رياح جيشا عليهم ميسرة المعروف بفتى أبى أيوب فلما أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه غرضا وكان ميسرة قد بلغه الخبر فجعل الكمين فى مواضع فلما وصل أهل طليطلة الى قلعة رباح للغارة خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم واكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزما الى طليطلة وجمعت رؤس القتلى وحملت الى ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه وارتاع لذلك ووجد فى نفسه غما شديدا فمات بعد أيام يسيرة وفيها أيضا كان بطليطلة فتنة كبيرة تعرف بملحمة العراس قتل من أهلها كثير

(ذكر عدة حوادث)

وفيها أحضر المعتصم احمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن فلم يجب الى القول بخلقه فامر به فجلد جلدا عظيما حتى غاب عقله وتقطع جلده وحبس مقيدا وفيها قدم اسحق بن ابراهيم الى بغداد فى جمادى الاولى ومعه من أسرى الخرمية خلق كثير وقيل انه قتل منهم نحو مائة ألف سوى النساء والصبيان وفيها توفى أبو نعيم الفضل بن دكين الملائى مولى طلحة بن عبد الله التيمى فى شعبان وهو من مشايخ البخارى ومسلم كان مولده سنة ثلاثين ومائة وكان شيعيا وله طائفة تنسب اليه يقال لها الدكينية

(ثم دخلت سنة عشرين ومائتين)

(ذكر ظفر عجيف بالزط)

وفى هذه السنة دخل عجيف بالزط بغداد بعد ان ضيق عليهم وقاتلهم وطلبوا امنه

عن جميع الانام يفرج كربا * واذامات يجعلوه مزارا * وله يهرعون عجما وعربا
بعضهم قبل الضريح وبعض
عتب الباب قبلوه وتربا
هكذا المشركون تفعل مع أصنـ
ـامهم تبتغى بذلك قربا
الى ان قال
كل ذا من عمى البصيرة والويـ
ـل لشخص اعمى له الله قلبا
والمجازى من سمى حسنات نـ
ـظر ما خالف الشريعة صعبا
وفى المعنى
ألا قل لمكى مقول النصوح
وحق النصيحة ان تستمع
متى سمع الناس فى دينهم
بان الغناسنة تتبع
وان يأكل المرء أكل البعير
ويرقص فى الجمع حتى يقع
ولو كان طاوى الحشا جائعا
لما زاد من طرب واستمع
وقالوا سكرنا بحب الاله
وما اسكر القوم الا القصع
كذاك الحمير اذا اخصبت
تنق من ريها والشبع
فهرعت لزيارة قبره النساء
والرجال بالنذور والشموع
وانواع الماكولات وصار
ذلك المسجد مجمعا وموعدا
فلما حضر الفرنساوية الى
مصر تشاغل عنه الناس واهمل
شانه فى جملة المهملات وترك
مع المتروكات فلما فتح امر الموالد
والجمعيات ورخص الفرنساوية
ذلك للناس لما راوا فيه من
الخروج عن الشرائع واجتماع
النساء واتباع الشهوات والتلاهى وفعل المحرمات اعيد هذا المولد مع جملة ما اعيد

أيام لم يقربه ذوناب ولا مخلب وكان قد سمع الحديث من ابن عيينة وغيره وكان من الصالحين وهرب كثير من أهل تونس لما ملكت ثم آمنهم زيادة الله فعادوا اليها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاد المأمون الى سلغوس ووجه ابنه العباس الى طوانة وأمره ببنائها وكان قد وجه الفعلة فابتدؤا في بنائها ميلا في ميل وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب وجعل على كل باب حصنا وكتب الى البلدان ليفرضوا على كل بلد جماعة ينتقلون الى طوانة وأجرى لهم لكل فارس مائة درهم ولكل راجل أربعين درهما * وفيها توفي بشر بن غياث المريسي وكان يقول بخلق القرآن والارجاء وغيرهما من البدع وفيها دخل كثير من أهل الجبال وهمذان وأصبهان وماسبذان وغيرها في دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان فوجه اليهم المعتصم العساكر وكان فيهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب وعقد له على الجبال في شوال فسار اليهم فاوقع بهم في أعمال همذان فقتل منهم ستين ألفا وهرب الباقون الى بلد الروم وقرئ كتابه بالفتح يوم التروية وحج بالناس هذه السنة صالح بن العباس بن محمد

(ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين)

(ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي)

في هذه السنة ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالطالقان من خراسان يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء أمره انه كان ملازما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حسن السيرة فأتاه انسان من خراسان اسمه أبو محمد كان مجاورا فلما رآه أعجبه طريقه فقال له أنت أحق بالامامة من كل أحد وحسن له ذلك وبايعه وصار الخراساني يأتيه بالنفر بعد النفر من حجاج خراسان يبايعونه فعل ذلك مدة فلما رأى كثرة من بايعه من خراسان سارا جميعا الى الجوزجان واختفى هناك وجعل أبو محمد يدعو الناس اليه فعظم أصحابه وحمله أبو محمد على اظهار أمره فاظهره بالطالقان فاجتمع اليه بها ناس كثير وكانت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها فانهزم هو وأصحابه وخرج هاربا يريد بعض كور خراسان وكان أهلها كاتبوه فلما صار بنسا وبها والد بعض من معه فلما بصر به ساله عن الخبر فاخبره فمضى الاب الى عامل نسا فاخبره بامر محمد بن القاسم فاعطاه العامل عشرة آلاف درهم على دلالته وجاء العامل الى محمد فاخذه واستوثق منه وبعثه الى عبد الله بن طاهر فسيره الى المعتصم فورد اليه منتصف شهر ربيع الاول فحبس عند مسرور الخادم الكبير وأجرى عليه الطعام ووكل به قوما يحفظونه فلما كان ليلة الفطر اشتغل الناس بالعيد فهرب من الحبس دلي اليه حبل من كوة كانت يدخل منها الضوء فلما أصبحوا أتوه بالطعام فلم يروه وجعلوا لمن دل عليه مائة ألف فلم يعرف له خبر

وتأويلها بما في نفوسهم ويبث لهم في كراماته وانه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات وينطق بما في النفوس فانهمكوا على الترداد اليه وقلد بعضهم بعضا وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والامدادات الواسعة من كل شئ وخصوصا من نساء الامراء والاكابر وراج حال أخيه واتسعت أمواله ونفقت سلعته وصادت شبكته وسمن الشيخ من كثرة الاكل والدسومة والفراغ والراحة حتى صار مثل البو العظيم فلم يزل على ذلك الى أن مات في سنة سبع بعد المائتين كما تقدم فدفنوه بمعرفة أخيه في قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع وعمل عليه مقصورة ومقاما وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الاشاير والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه في قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ويغرفون بايديهم من الهواء المحيط به ويضعونه في أعبابهم كما قال البدر الحجازي في بعض منظوماته

ايتنا لم نعش الى أن رأينا * كل ذي جنة لدى الناس قطبا
علما هم به يلوذون بل قد * اتخذوه من دون ذي العرش ربا
اذهبوا الله قائلين فلان

احدهم اذا وصل اليه فاذا لقيه اخذ مامعه وسلم اليه مامعه ثم يسير الهيثم بمن معه الى اصحاب ابى سعيد فيلقونه بمنتصف الطريق ومعهم من خرج من العسكر فيتسلمون مامع الهيثم ويسلمون اليه مامعهم واذا سبق احدهم الى المنتصف لا يتعداه ويسير ابو سعيد بمن معه الى عسكر الافشين فيلقاه صاحب سيارة الافشين فيتسلمهم منه ويسلم اليه من صحبه من العسكر فلم يزل الامر على هذا وكانوا اذا ظفروا باحد من الجواسيس حملوه الى الافشين فكان يحسن اليهم ويهب لهم ويسالهم عن الذى يعطيهم بابك فيضعفه لهم ويقول لهم كونوا جواسيس لنا فكان ينتفع بهم

*(ذكر وقعة الافشين مع بابك)

وفيها كانت وقعة الافشين مع بابك قتل من أصحاب بابك خلق كثير وكان سببها ان المعتصم وجه بغا الكبير الى الافشين ومعه مال للجند والنفقات فوصل اردبيل فبلغ بابك الخبر فتهيا هو وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله الى الافشين فجاء جسوس الى الافشين فاخبره بذلك فلما صح الخبر عند الافشين كتب الى بغا أن يظهر انه يريد الرحيل ويحمل المال على الابل ويسير نحوه حتى يبلغ حصن النهر فيحبس الذى معه حتى يجوز من صحبه من القافلة فاذا جاز وارجع بالمال الى اردبيل ففعل بغا ذلك وسارت القافلة وجاءت جواسيس بابك اليه فاخبروه ان المال قد سار فبلغ النهر وركب الافشين فى اليوم الذى واعد فيه بغا عند العصر من برزند فوافى خش مع غروب الشمس فنزل خارج خندق ابى سعيد فلما أصبح ركب سرا ولم يضرب طبلا ولم ينشر علما وامر الناس بالسكوت وجد فى السير ورحلت القافلة التى كانت توجهت ذلك اليوم من النهر الى ناحية الهيثم وتهيأ بابك فى اصحابه وسار على طريق النهر وهو يظن ان المال يصادفه فخرجت خيل بابك على القافلة ومعها صاحب النهر فقاتلهم صاحب النهر فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند واخذوا جميع ما كان معهم وعلموا ان المال قد فاتهم واخذوا علمه ولباس اصحابه فلبسوها وتنكروا ليأخذوا الهيثم الغنوى ومن معه ايضا ولا يعلمون بخروج الافشين وجاؤا كانهم اصحاب النهر فلم يعرفوا الموضع الذى يقف فيه علم صاحب النهر فوقفوا فى غيره وجاء الهيثم فوقف فى موضعه وانكر ما راى فوجه ابن عم له فقال له اذهب الى هذا البغيض فقل له لاى شئ وقوفك فجاء اليهم فانكرهم فرجع اليه فاخبره فانفذ جماعة غيره فانكروهم ايضا واخبروه ان بابك قد قتل علويه صاحب النهر واصحابه واخذ اعلامهم ولباسهم فرحل الهيثم راجعا ونجى القافلة التى كانت معه وبقى هو واصحابه فى اعقابهم حامية لهم حتى وصلت القافلة الى الحصن وهو ارشق وسير رجلين من اصحابه الى الافشين والى ابى سعيد يعرفهما الخبر فخرجا يركضان ودخل الهيثم الحصن ونزل بابك عليه ووضع له كرسى بحيال الحصن وارسل الى الهيثم ان خل الحصن وانصرف فابى الهيثم ذلك فاربه بابك وهو يشرب الخمر على عادته والحرب مشتبكة وسار الفارسان فلقيا الافشين على أقل من فرسخ فقال لصاحب مقدمته أرى فارسين يركضان ركضا

ليلهم (وفى سابعه) بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من اول زيادته قاصرا عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا فى الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة فى السعر فمنع الفرنساوية كل من كان له مدخل فى تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم هذه الغلة الموجودة الآن انما هى زراعة العام الماضى واما هذا العام فلا تخرج زراعته الا فى العام المستقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا الطاف الله حفت ونعمه العميمة الشاملة حصلت (وفيه) ارسلوا جملة عساكر من الفرنساوية الى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه امور لم اتحقق تفصيلها وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات ووقع بينه وبينهم المهادنة والمهاداة واصطلح معهم على شروط منها تقليده امارة الصعيد تحت حكمهم وفى هذا الشهر كثرت الاشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثر اهتمام الفرنساوية باخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر

الامان فامنهم فخرجوا اليه فى ذى الحجة سنة تسع عشرة ومائتين وكانت عدتهم مع النساء والصبيان سبعة وعشرين الفا والمقاتلة منهم اثنا عشر الفا فلما خرجوا اليه جعلهم فى السفن وعباهم فى سفنهم على هيئتهم فى الحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من هذه السنة وخرج المعتصم الى الشماسية فى سفينة يقال لها الرف حتى يمر به الزط على تعبيتهم وهم ينفخون فى البوقات واعطى عجيف اصحابه كل رجل دينارين دينارين واقام الزط فى سفنهم ثلاثة ايام ثم نقلوا الى الجانب الشرقى وسلموا الى بشر بن السميدع فذهب بهم الى خانقين ثم نقلوا الى الثغر الى عين زربة فاغارت الروم عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم احد

(ذكر مسير الافشين لحرب بابك الخرمى)

وفى هذه السنة عقد المعتصم للافشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجهه لحرب بابك فسار اليه وكان ابتداء خروج بابك سنة احدى ومائتين فكانت مدينته البذ وهزم من جيوش السلطان عدة وقتل من قواده جماعة فلما افضى الامر الى المعتصم وجه ابا سعيد محمد بن يوسف الى اردبيل وامره ان يبنى الحصون التى اخربها بابك فيما بين زنجان واردبيل ويجعل فيها الرجال تحفظ الطرق لمن يجلب الميرة الى اردبيل فتوجه ابو سعيد لذلك وبنى الحصون ووجه بابك سرية فى بعض غزاته فاغارت على بعض النواحى ورجعت منصرفة وبلغ ذلك ابا سعيد فجمع الناس وخرج فى طلب السرية فاعترضها فى بعض الطرق فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل ابو سعيد من اصحاب بابك جماعة واسر جماعة واستنقذ ما كانوا اخذوه وسير الرؤس والاسرى الى المعتصم فكانت هذه اول هزيمة على اصحاب بابك ثم كانت الاخرى لمحمد بن البعيث وذلك ان محمدا كان فى قلعة له حصينة تسمى الشاهى كان ابن البعيث قد اخذها من ابن الرواد وهى من كورة اذربيجان وله حصن آخر من اذربيجان يسمى تبريز وكان مصالحا لبابك تنزل سراياه عنده فيضيفهم حتى انسوا به ثم ان بابك وجه قائدا اسمه عصمة من اصبهبذيته فى سرية فنزل بابن البعيث فانزل له الضيافة على عادتها واستدعاه له فى خاصته ووجوه اصحابه فصعد فغداهم وسقاهم الخمر حتى سكروا ثم وثب على عصمة فاستوثق منه وقتل من كان معه من اصحابه وامره ان يسمى رجلا رجلا من اصحابه فكان يدعو الرجل باسمه فيصعد فضرب عنقه حتى علموا بذلك فهربوا وسير عصمة الى المعتصم فسال المعتصم عصمة عن بلاد بابك فاعلمه طرقه ووجوه القتال فيها ثم ترك عصمة محبوسا فبقى الى ايام الواثق ثم ان الافشين سار الى بلاد بابك فنزل برزند وعسكر بها وضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين اردبيل وانزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خش فحفر خندقا وانزل الهيثم الغنوى برستاق ارشق فاصلح حصنه وحفر خندقه وانزل علويه الاعور من قواد الابناء فى حصن النهر مما يلى اردبيل فكانت السابلة والقوافل تخرج من اردبيل ومعها من يحميها حتى تنزل بحصن النهر ثم يسيرها صاحب حصن النهر الى الهيثم الغنوى فيلقاه الهيثم بما جاء اليه من ناحيته فى موضع معروف لا يتعداه

(فيه) اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفى وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الاسواق والدكاكين ووقود القناديل وشددوا فى ذلك وعملوا عزائم وولائم واطعمة ثلاثة ايام آخرها يوم الاثنين ولم يعملوه على هيئة العام الماضى من الاجتماع بالازبكية عند الصارى العظيم المنتصب والكيفية المذكورة لان ذلك الصارى سقط وامتلائت البركة بالماء فلما كان يوم الاحد نبهوا على الامراء والاعيان بالبكور الى بيت سارى عسكر فاجتمع الجمع فى صبح يوم الاثنين فركب سارى عسكر معهم فى موكب كبير وذهبوا الى قصر العينى فكثوا هناك حصة وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف انواعها من خيالة ورجالة وهم باسلحتهم وزينتهم ولعبوا العابهم فى ميدان الحرب وخلع سارى عسكر على الشيخ الشرقاوى والقاضى واغاة الينكجرية خلع سمور ثم رجع الى منازلهم ثم نودى فى جميع الاسواق بوقود اربع قناديل على كل دكان فى تلك الليلة ومن لم يفعل ذلك

عوقب ثم عملوا بالازبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ

(ذكر قبض الفضل بن مروان)

وكان الفضل بن مروان من البردان وكان حسن الخط فاتصل بيحيى الجرمقاني كاتب المعتصم قبل خلافته فكان يكتب بين يديه فلما هلك الجرمقاني صار موضعه وسار مع المعتصم الى الشام ومصر فاخذ من الاموال الكثير فلما صار المعتصم خليفة كان اسمها له وكان معناها للفضل واستولى على الدواوين كلها وكثر الاموال وكان المعتصم يأمره باعطاء المغني والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك فثقل على المعتصم وكان له مضحك اسمه ابراهيم يعرف بالهفتي فامر له المعتصم بمال وتقدم الى الفضل باعطائه فلم يعطه شيئا فبينا الهفتي يوما عند المعتصم يمشي معه في بستان له وكان الهفتي يصحبه قبل الخلافة ويقول له فيما يداعبه والله لا تفلح أبدا وكان مربوعا ذا بدن وكان المعتصم خفيف اللحم فكان يسبقه ويلتفت اليه ويقول مالك لا تسرع المشي فلما اكثر عليه من ذلك قال الهفتي مداعباله كنت أراني اماشي خليفة واليوم أراني أماشي فيجا والله لا أفلحت أبدا فضحك المعتصم فقال وهل بقي من الفلاح شئ لم أدركه بعد الخلافة فقال أتظن انك أفلحت لا والله مالك من الخلافة الا اسمها ما يتجاوز أمرك اذنيك انما الخليفة الفضل فقال وأي أمر لي لم ينفذ فقال الهفتي امرت لي بكذا وكذا منذ شهرين فما أعطيت حبة فحقدها على الفضل فقيل اول ما احدثه في امره ان جعل زماما في نفقات الخاصة وفي الخراج وجميع الاعمال ثم نكبه واهل بيته في صفر وأمرهم بعمل حسابهم وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات فنفي الفضل الى قرية في طريق الموصل تعرف بالسن وصار محمد وزيرا كاتبا وكان الفضل شرس الاخلاق ضيق العطن كريه اللقا بخيلا مستطيلا فلما نكب شمت به الناس حتى قال بعضهم فيه

ليبك على الفضل بن مروان نفسه * فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها * وفارقها وهو الظلوم المعنف
الى النار فليذهب ومن كان مثله * على اي شئ فاتنا منه نأسف

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سير عبد الرحمن ملك الاندلس جيشا الى طليطلة فقاتلوها فلم يظفروا بها وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد وفيها توفي سليمان بن داود بن علي بن عبد الله ابن عباس ابو ايوب الهاشمي وعفان بن مسلم ابو عثمان الصفار البصري وكان موته ببغداد وله خمس وثمانون سنة وهو من مشايخ البخاري وتوفي فتح الموصلي الزاهد وكان من الاولياء والاجواد ومحمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي عليه السلام توفي ببغداد وكان قدمها ومعه امرأته ام الفضل ابنة المامون فدفن بها عند جده موسى بن جعفر وهو احد الائمة عند الامامية وصلى عليه الواثق وكان عمره خمسا وعشرين سنة وكانت وفاته في ذي الحجة وقيل في سبب موته غير ذلك

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائتين)

كثير ممن كان خارجا عنهم وبقربها مما نزل عليهم من النار والاحجار المتطايرة في اسرع وقت ولما تحقق الفرنساوية أخذ العريش وان عساكر العثمانيين زاحفة الى جهة الصالحية تهيا سارى عسكر الفرنساوية واستعد للخروج والسفر في اسرع وقت وخرج بعساكره وجنوده الى الصالحية وقد كان قبل اخذ العثمانيين قلعة العريش ارسل الفرنساوية الى السينت كبير الانكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين في الصلح وورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله لجهة العريش خطابا الى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهم وعقلائهم ليتشاوروا معهم ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ما يستقر بينهم فوجهوا اليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب وديزه سارى عسكر الصعيد فنزلوا في البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كلهبر سارى عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الاخبار

(واستهل شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٤)

فورد الخبر بقدومهما في اثنين وعشرين بقيه الى الصالحية فارسلوا لهما الخيول وما يحتاجان اليه

شديدا ثم قال اضربوا الطبل وانشروا الاعلام واركضوا نحوهما وصيحوا البيكما ففعلوا ذلك واجرى الناس خيلهم طلقا واحدا حتى لحقوا بابك وهو جالس فلم يطق ان يركب حتى وافته الخيل فاشتبكت الحرب فلم يفلت من رجالة بابك احد وافلت هو في نفر يسير من خياله ودخل موقان وقد تقطع عنه اصحابه ورجع عنه الافشين الى برزند واقام بابك بموقان وارسل الى البذ فجاءه عسكر فرحل بهم من موقان حتى دخل البذ ولم يزل الافشين معسكرا ببرزند فلما كان في بعض الايام مرت قافلة فخرج عليها اصبهبذ بابك فاخذها وقتل من فيها فقحط عسكر الافشين لذلك فكتب الافشين الى صاحب مراغة بحمل الميرة وتعجيلها فوجه اليه قافلة عظيمة فيها قريب من الف ثور سوى غيرها من الدواب تحمل الميرة ومعها جند يسيرون بها فخرج عليهم سرية لبابك فاخذوها عن آخرها واصاب العسكر ضيق شديد فكتب الافشين الى صاحب شيروان يامره ان يحمل اليه طعاما فحمل اليه طعاما كثيرا واغاث الناس وقدم بغا على الافشين بما معه

(ذكر بناء سامرا)

وفي هذه السنة خرج المعتصم الى سامرا لبنائها وكان سبب ذلك انه قال اني اتخوف هؤلاء الحربية ان يصيحوا صيحة فيقتلون غلماني فاريد ان اكون فوقهم فان رابني منهم شئ اتيتهم في البر والماء حتى آتي عليهم فخرج اليها فاعجبه مكانها وقيل كان سبب ذلك ان المعتصم كان قد اكثر من الغلمان الاتراك فكانوا لا يزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلا وذلك انهم كانوا جفاة يركبون الدواب فيركضونها الى الشوارع فيصدمون الرجل والمرأة والصبي فيأخذهم الابناء عن دوابهم ويضربونهم وربما هلك أحدهم فتاذى بهم الناس ثم ان المعتصم ركب يوم عيد فقام اليه شيخ فقال له يا أبا اسحق فاراد الجند ضربه فمنعهم فقال ياشيخ مالك مالك قال لاجزاك الله عن الجوار خيرا جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فاسكنتهم بيننا فايتمت صبياننا وأرملت بهم نسواننا وقتلت رجالنا والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم يرا كبا الى مثل ذلك اليوم فخرج فصلى بالناس العيد ولم يدخل بغداد بل سار الى ناحية القاطول ولم يرجع الى بغداد قال مسرور الكبير سالني المعتصم اين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر ببغداد قلت بالقاطول وكان قد بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم وكان قد خاف من الجند ما خاف المعتصم فلما وثب أهل الشام بالشام وعصوا خرج الى الرقة فاقام بها وبقيت مدينة القاطول لم تستتم ولما خرج المعتصم الى القاطول استخلف ببغداد ابنه الواثق وكان المعتصم قد اصطنع قوما من أهل الحوف بمصر واستخدمهم وسماهم المغاربة وجمع خلقا من سمرقند وأشروسنة وفرغانة وسماهم الفراغنة فكانوا من أصحابه وبقوا بعده وكان ابتداء العمارة بسامرا سنة احدى وعشرين ومائتين

*(ذكر

وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس *(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢١٤)* (وفيه) كثرت الاقوال وتواترت الاخبار بوصول الوزير الاعظم يوسف باشا الى الديار الشامية وصحبته نصوح باشا وعثمان اغا كتخدا الدولة وحسين اغا نزله امين ومصطفى افندى الدفتردار وباقي رجال الدولة ووصلوا الى البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الاموال وفعلوا ما لاخير فيه من الظلم وقتل الانفس بسبب استخلاص الاموال فلما كان في منتصفه وردت الاخبار بوصولهم الى غزة والعريش وانهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها في تاسع عشره واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجبخانه وآلات الحرب وصعد مصطفى باشا الذى باشر اخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الاجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم فاتفق انه وقعت نار على مكان الجبخانه والبارود المخزون بالقلعة وكان شيئا كثيرا فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد اغا ارنؤد الجلفي

عم له ممن معه من أهله فأخبره فقال له ارجع وقل لمن تعنى به ينتحى فانا قد هزمنا الافشين ومضى الى خندقه وتهيأنا لكم عسكرين فعجل الانصراف لعلك تفلت فرجع الغلام فاخبر ابن البعيث فاخبر بغا بذلك فشاور أصحابه فقال بعضهم هذا باطل هذا خدعة وقال بعضهم هذا رأس جبل ينظر الى عسكر الافشين فصعد بغا ومعه نفر الى رأس الجبل فلم يروا عسكر الافشين فتيقن انه مضى وتشاوروا فرأوا ان ينصرف الناس قبل ان يجيئهم الليل فانصرفوا وجدوا في السير ولم يقصد الطريق الذى دخل منه لكثرة مضايقه بل أخذ طريقا دورحول هشتادسر ليس فيه غير مضيق واحد فطرح الرجالة سلاحهم في الطريق وخافوا وصار بغا وجماعة القواد في الساقة وطلائع بابك تتبعهم وهم قدر عشرة فرسان فشاور بغا أصحابه وقال لا آمن ان يكون هؤلاء مشغلة لنا عن المسير وتقدم اصحابهم ليأخذوا المضيق علينا فقال له الفضل ان هؤلاء اصحاب الليل فاسرع السير ولا تنزل حتى تجاوز المضيق وقال غيره ان العسكر قد تقطع وقد رموا سلاحهم وقد بقى المال والسلاح على البغال ليس معه احد ولا نأمن ان يؤخذ ويؤخذ هذا الاسير الذى معهم وكان ابن جويدان معهم اسيرا يريدون ان يفادوا به فعسكر على راس جبل حصين ونزل الناس وقد كلوا وتعبوا وفنيت ازوادهم فباتوا يتحارسون من ناحية المصعد فاتاهم بابك من الناحية الاخرى فكبسوا بغا والعسكر وخرج بغا راجلا فرأى دابة فركبها وجرح الفضل بن كاوس وقتل جناح السكرى وابن جوشن واخذ الاخوين قرابة الفضل بن سهل ونجا بغا والناس ولم تتبعهم الخرمية واخذوا المال والسلاح والاسير فوصل الناس معسكرهم منقطعين الى خندقهم فاقام بغا به خمسة عشر يوما وكتب اليه الافشين يامره بالرجوع الى مراغة وان يرسل اليه المدد فمضى بغا الى مراغة وفرق الافشين الناس فى مشاتيهم تلك السنة حتى جاء الربيع وفيها اقتتل طرخان وهو من أكبر قواد بابك وكان سبب قتله انه طلب من بابك اذنا حتى يشتى فى قريته وهى بناحية مراغة وكان الافشين يرصده فلما علم خبره أرسل الى ترك مولى اسحق بن ابراهيم وهو بمراغة يامره أن يسرى اليه فى قريته حتى يقتله أو يأخذه أسيرا ففعل ترك ذلك وأسرى اليه وقتله وأخذ رأسه فبعثه الى الافشين

(ذكر عدة حوادث)

وفى هذه السنة قدم صول ارتكين وأهل بلاده فى القيود فنزعت قيودهم وحمل على الدواب نحو مائتين وفيها اغضب الافشين على رجاء الحضارى وبعث به مقيدا وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله وهو والى مكة (الحضارى بكسر الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبعد الالف راء وياء) * وفيها توفى القاضى احمد بن محرز قاضى القيروان وكان من العلماء العاملين الزاهدين فى الدنيا * وفيها توفى آدم بن أبى الياس العسقلانى وهو من مشايخ البخارى فى صحيحه وعيسى بن ابان بن صدقة أبو موسى قاضى البصرة وهو من أصحاب أبى الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة وعبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثى صاحب مالك وعبد الكبير

الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء وتزكية نهاية الخصام المضر الذى قد حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب العالى ارتضى أن يسلم بخلو الاقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها لامل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك الى الصلح العام فى بلاد الغرب قاطبة *(الشرط الاول)* ان الجيش الفرنساوى يلزمه ان يتنحى بالاسلحة والعزال بالامتعة الى الاسكندرية ورشيد وابو قير لاجل ان يتنقل بالمراكب الى فرانسا ان كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم ام فى تلك التى يقتضى للباب العالى ان يقدمها لهم بقدر الكفاية ولاجل تجهيز المراكب المذكورة باقرب نوال حقيق وقع الاتفاق من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه الى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب العالى وصحبته خمسون نفرا *(الشرط الثانى)* فلا بد عن المهلة وتوقيف الحرب مدة ثلاثة أشهر بالاقليم المصرى وذلك من عهد امضاء شروط الاتفاق هذه واذا صادف الامر ان هذه المهلة تمضى قبل ان المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر جاهزة فالمهلة المذكورة

(ذكر محاربة بابك)

فى هذه السنة واقع بابك بغا الكبير فهزمه وواقعه الافشين فهزم بابك وكان سبب ذلك ان بغا الكبير كان قد قدم بالمال الذى كان معه الى الافشين ففرقه فى اصحابه وتجهز بعد النيروز ووجه الى بغا فى عسكر ليدور حول هشتادسر وينزل فى خندق محمد ابن حميد ويحفره ويحكمه فسار بغا الى الخندق ورحل الافشين من برزند ورحل ابو سعيد من خش يريدان بابك فتواقفوا بمكان يقال له دروذ فحفر الافشين خندقا وبنى عليه سورا وكان بينه وبين البذ ستة اميال ثم ان بغا تجهز بغير امر الافشين وحمل معه الزاد ودار حول هشتادسر حتى دخل قرية البذ فنزلها فاقام بها ثم وجه الف رجل فى علافة له فخرج عليهم بعض عساكر بابك فاخذ العلافة وقتل كل من كان قاتله واسر من قدر عليه واخذ بعضهم فارسل منهم رجلين الى الافشين يعلمانه ما نزل بهم ورجع بغا الى خندق محمد بن حميد تشبيها بالمنهزم وكتب الى الافشين يعلمه ذلك ويساله المدد فوجه اليه الافشين اخاه الفضل واحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناحا الاعور صاحب شرطة الحسن بن سهل واحد الاخوين قرابة الفضل بن سهل فاتوا بغا وكتب الافشين الى بغا يعلمه ان يغزو بابك فى يوم عينه له ويامره ان يغزو فى ذلك اليوم بعينه فيحاربه من الوجهين فخرج الافشين ذلك اليوم من دروذ يريد بابك وخرج بغا من خندقه فخرج الى هشتادسر فلم يكن للناس صبر لشدة البرد والريح فانصرف الى عسكره فعسكر على دعوة وهاجت ريح باردة ومطر شديد فرجع بغا الى عسكره وواقعهم الافشين من الغد بعد رجوع بغا فهزم اصحاب بابك واخذ عسكره وخيمه وامراة كانت معه ونزل الافشين فى معسكر بابك ثم تجهز بغا من الغد وصعد الى هشتادسر فاصاب العسكر وكان بازائه قد انصرف الى بابك فاصاب من اثاثهم ورحلهم شيئا وانحدر من هشتادسر يريد البذ وعلى مقدمته داود سياه فارسل اليه بغا ان المساء قد ادركنا وقد تعب الرجالة وتوسطنا المكان الذى قد نعرفه فانظر جبلا حصينا حتى نعسكر فيه ليلتنا هذه فصعد بهم الى جبل أشرفوا منه على عسكر الافشين فقالوا نبيت ههنا الى غدوة ننحدر الى الكافر ان شاء الله تعالى فجاءهم تلك الليلة سحاب وبرد وثلج كثير فاصبحوا ولا يقدر احد منهم أن ينزل فياخذ ماء ولا يسقى دابته من شدة البرد واشتد عليهم الثلج والضباب فلما كان اليوم الثالث قال الناس لبغا قد فنى ما معنا من الزاد وقد أضر بنا البرد فانزل على أى حالة كانت اما راجعين واما الى الكافر وكان بابك فى أيام الضباب والثلج قد بيت الافشين وبعض عسكره وانصرف الافشين الى عسكره فضرب بغا الطبل وانحدر يريد البذ ولا يعلم بما تم على الافشين بل يظنه فى موضع عسكره فلما نزل الى بطن الوادى رأى السماء منجلية والدنيا طيبة غير رأس الجبل الذى كان عليه فعبى أصحابه وتقدم الى البذ حتى صار بحيث يلزق جبل البذ ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات البذ الا صعود نصف ميل وكان على مقدمته جماعة فيهم غلام لابن البعيث له قرابة بالبذ فلقيهم طلائع بابك فعرف بعضهم الغلام فساله

وحضر الى مصر وشاع أمر الصلح وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين الى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال الى دوجا قائمقام فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك والمورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الاعيان وألصقوا منها بالاسواق والشوارع (وصورته) بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ماعدا ترجمة الاسطر التى باللغة الفرنساوية وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال ديزه متفرقة وحضرة بسليخ مدبر الحدود العام نواب سرى العسكر العام كلهبر المفوضين بكامل السلطان وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ومصطفى راسيخ أفندى رئيس كتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان من جناب حضرة

الموضع الذي كانت به الوقعة في العام الماضي فوجد عليه كردوسا من الخرمية فلم يحاربهم ولم يزل الى الظهر ثم رجع الى معسكره فمكث يومين ثم عاد في اكثر من الذين كانوا معهم ولم يقاتلهم واقام الافشين بروذ الروذ وامر الكوهبانية وهم اصحاب الاخبار ان ينظروا له في رؤس الجبال مواضع تحصن فيها الرجالة فاختاروا له ثلاثة اجبل كان عليها حصون خربت فاخذ معه الفعلة وسار نحو هذه الجبال واخذ معه الكعك والسويق وامر الفعلة بنقل الحجارة وسد الطريق الى تلك الجبال حتى صارت كالحصون وامر بحفر خندق على كل طريق وراء تلك الحجارة ولم يترك مسلكا الى الجبال منها الا مسلكا واحدا ففرغ من الذي اراد من حفر الخنادق في عشرة ايام وهو والناس يحرسون الفعلة والرجالة ليلا ونهارا فلما فرغ منها ادخل الرجالة اليها وانفذ اليه بابك رسولا ومعه قثاء وبطيخ وخيار ويعلمه انه قد تعب وشقي من اكل الكعك وانا في عيش رغد فقبل ذلك منه وقال قد عرفت ما اراد اخي واصعد الرسول فاراه ما عمل واطاف به خنادقه كلها وقال اذهب فعرفه ما رايت وكان جماعة من الخرمية ياتون الى قريب خندق الافشين فيصيحون فلم يترك الافشين احدا يخرج اليهم فعلوا ذلك ثلاثة ايام ثم ان الافشين كمن لهم كمينا فلما جاؤا ثاروا عليهم فهربوا ولم يعودوا وعبى الافشين اصحابه وامر كلا منهم بلزوم موضعه وكان يركب والناس في مواقفهم فكان يصلي الصبح بغلس ثم يضرب الطبول ويسير زحفا وكانت علامته في المسير والوقوف ضرب الطبول لكثرة الناس ومسيرهم في الجبال والاودية على مصافهم فاذا ضرب بها سار واذا وقف امسك عن ضربها فيقف الناس جميعا ويسيرون جميعا وكان يسير قليلا قليلا كلما جاءه كوهباني بخبر سار او وقف وكان اذا اراد ان يتقدم الى المكان الذي كانت به الوقعة عام اول خلف بخاراخذاه على رأس العقبة في الف فارس وستمائة راجل يحفظون الطريق لئلا ياخذه الخرمية عليهم وكان بابك اذا احس بجيشهم وجه جماعة من اصحابه فيكمنون في واد تحت تلك العقبة تحت بخاراخذاه واجتهد الافشين ان يعرف مكان كمين بابك فلم يعلم بهم وكان يامر ابا سعيد ان يعبر الوادي في كردوس ويامر جعفرا الخياط ان يعبر في كردوس ويامر احمد بن الخليل ابن هشام ان يعبر في كردوس آخر فيصير في ذلك الجانب ثلاثة كراديس في طرف انساتهم ٦ وكان بابك يخرج عسكره فيقف بازاء هذه الكراديس لئلا يتقدم منهم احد الى باب البذ وكان يفرق عساكره كمينا ولم يبق الا في نفر يسير وكان الافشين يجلس على تل مشرف ينظر الى قصر بابك والناس كراديس فمن كان معه من جانب الوادي نزل عن دابته ومن كان من ذلك الجانب مع ابي سعيد وجعفر واحمد بن الخليل لم يترك القربة من العدو وكان بابك واصحابه يشربون الخمر ويضربون بالسرنائي فاذا صلى الافشين الظهر رجع الى خندقه بروذ الروذ فكان يرجع اولا اقربهم الى العدو ثم الذي يليه ثم الذي يليه فكان آخر من يرجع بخاراخذاه لانه كان ابعدهم عن العدو فاذا رجعوا صاح بهم الخرمية فلما كان في بعض الايام ضجرت الخرمية من المطاولة

يتعلق بها تستمر بيد الفرنسيس الى بعد خلو مدينة مصر ولكن من حيث انها لا بد ان تستمر بيد الفرنساوية الى ان يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر فممكن انه لا يتيسر خلوها الا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين اذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد والمحلات التي تترك من الجيش تقدم الى الباب الاعلى كما هي في حالها الآن * (الشرط الخامس) * ثم ان مدينة مصر ان امكن ذلك يكون خلوها بمدار عشرين يوما واكثر ما يكون بمدة خمسة واربعين يوما من وقت امضاء الشروط المذكورة * (الشرط السادس) * انه لقد وقع الاتفاق صريحا على ان الباب الاعلى يصرف كل اعتناه في ان الجيش الفرنساوي الموجود في الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحي بكامل ماله من السلاح والعزال نحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ولا احد يشوش عليه ان كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم او بامتعته او بكرامته وذلك اما من اهالي البلاد واما من جهة العسكر السلطاني العثماني * (الشرط السابع) * وحفظا لاتمام الشرط المذكور اعلاه

ابن المعافى بن عمران الموصلى وكان فاضلا والعباس بن سليم بن جميل الازدى الموصلى
(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين)

(ذكر محاربة بابك أيضا)

فى هذه السنة وجه المعتصم الى الافشين جعفرا الخياط مددا له ووجه اليه ايتاخ ومعه ثلاثون ألف الف درهم للجند والنفقات فاوصل ذلك الى الافشين وعادوفيها كانت وقعة بين أصحاب الافشين وقائد لبابك اسمه آذين وكان سببها ان الشتاء لما انقضى سنة احدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع ودخلت سنة اثنتين وعشرين رحل الافشين عند امكان الزمان قاصدا الى موضع يقال له كلان روذ وتفسيره نهر كبير فاحتفر عنده خندقا وكتب الى أبى سعيد ليرحل من برزند الى طرف رستاق كلان روذ وبينهما قدر ثلاثة اميال فاقام الافشين بكلان روذ خمسة أيام فاتاه من أخبره ان قائد البابك اسمه آذين قد عسكر بازائه وانه قد صير عياله فى جبل فقال له بابك تجعلهم فى الحصن فقال لا أتحصن من اليهود يعنى المسلمين والله لا أدخلتهم حصنا أبدا فوجه الافشين ظفر بن العلاء السعدى فى جماعة من الفرسان والرجالة فساروا اليهم فوصلوا الى مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد وأكثر الناس قادوا دوابهم وتسلقوا فى الجبل وأخذوا عيال آذين وبعض ولده وبلغ الخبر آذين وكان الافشين قد خاف ان يؤخذ عليهم الطريق فامرهم ان يجعلوا على رأس كل جبل رجالا معهم الاعلام السود فان رأوا شيئا يخافونه حركوا الاعلام ففعلوا ذلك فلما أخذوا عيال آذين ورجعوا الى بعض الطريق قبل المضيق أتاهم آذين فى أصحابه فحاربوهم فقتل منهم قتلى واستنقذوا بعض النساء فنظر الرجال المرتبون برؤس الجبال فحركوا الاعلام وكان آذين قد انفذ من يسك عليهم المضيق فلما رأى الافشين تحريك العلم الذى بازائه سير جماعة من الجند مع مظفر بن كيذر فاسرع نحوهم ووجه أبا سعيد بعدهم وبخاراخذاه فلما نظر اليهم رجالة آذين الذين على المضيق تركوه وقصدوا أصحابهم فنجا ظفر بن العلاء ومن معه ومعهم بعض عيال آذين

(ذكر فتح البذ وأسر بابك)

وفى هذه السنة فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون وخربوها واستباحوها وذلك لعشر بقين من شهر رمضان وكان سبب ذلك ان الافشين لما عزم على الدنو من البذ والرحيل من كلان روذ جعل يتقدم قليلا قليلا خلاف ما تقدم وكتب اليه المعتصم يامره ان يجعل الناس نوائب يقفون على ظهور الخيل نوبا فى الليل مخافة البيات فضج الناس من التعب وقالوا بيننا وبين العدو أربعة فراسخ ونحن نفعل افعالا كان العدو بازائنا قد استحيينا من الناس اقدم بنا فاما لنا واما علينا فقال أعلم ان قوالكم حق ولكن امير المؤمنين امرنى بهذا فلم يلبث ان جاءه كتاب المعتصم يامره ان يفعل كما كان يفعل فلم يزل كذلك اياما ثم انحدر حتى نزل روذ الروذ وتقدم حتى شارف

يقتضى مطاولتها الى ان يحز ومن الواضح انه لابد عن إصراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكى لايحصل مايمكن وقوعه من التجسس ان كان ذلك من الجيش أم من اهل البلاد اذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها الاجل راحتهم *(الشرط الثالث)* فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى تدبيره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الاعلى وسرى العسكر كلهبر واذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل فى هذا الصدد فليتخب من قبل حضرة سيدنى سميث رجل لينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها بلاد الانكليز *(الشرط الرابع)* قطية والصالحية لابدعن خلوهما عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم وأعظم ما يكون فى عاشر يوم من امضاء شروط الاتفاق هذه ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوما واما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوما واما السويس فيكون خلوه ستة ايام قبل مدينة مصر واما المحلات الكائنة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر والدلطا اى الاقليم البحرية يكون خلوها

الجرجي وزحف بالناس ذلك اليوم وجعل بخاراخذاه بمكانه على العقبة وجلس الافشين بالمكان الذي كان يجلس فيه وقال لابي دلف قل للمتطوعة اي ناحية اسهل عليكم فاقتصروا عليها فقال لجعفر العسكر كله بين يديك والناشبة والنفاطون فان أردت فخذ منهم ما تريدوا عزم على بركة الله وتقدم من اى موضع تريد فسار الى الموضع الذي كان به ذلك اليوم وقال لابي سعيد قف عندي انت واصحابك وقال لجعفر قف انت ههنا المكان عينه له فان اراد جعفر رجالا او فرسانا امددناه وتقدم جعفر والمتطوعة فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ وضرب جعفر باب البذ ووقف عنده يقاتل عليه ووجه الافشين اليه والى المتطوعة بالاموال لتفرق فيهم ويعطى من تقدم وامدهم بالفعلة معهم الفوس وبعث اليهم بالمياه لئلا يعطشوا وبالكعك والسويق فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ففتحت الخرمية الباب وخرجوا على اصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على المتطوعة من الاخرى فطردوهم عن السور ورموهم بالصخر واثروا فيهم وضعفوا عن الحرب واخذ جعفر من اصحابه نحو مائة رجل فوقفوا خلف تراسهم متحاجزين لا يقدم احد على الآخر فلم يزالوا كذلك حتى صليت الظهر فتحاجزوا وبعث الافشين الرجالة الذين كانوا عنده نحو المتطوعة وبعث الى جعفر بعضهم خوفا أن يطمع العدو فقال جعفر لست أوتى من قلة ولكني لا أرى للحرب موضعا يتقدمون فيه فامره بالانصراف فانصرف وحمل الافشين الجرحي ومن به وهن من حجر فحملوا في المحامل على البغال وانصرفوا ادنهم وأيس الناس من الفتح تلك السنة وانصرف اكثر المتطوعة ثم ان الافشين تجهز بعد جمعتين فلما كان جوف الليل بعث الرجالة الناشبة وهم ألف رجل وأعطى كل واحد منهم شكوة وكعكا وأعطاهم اعلاما غير مركبة وبعث معهم أدلاء فساروا في جبال منكرة صعبة في غير طريق حتى صاروا خلف التل الذي يقف آذين عليه وهو جبل شاهق وأمرهم أن لا يعلم بهم أحد حتى اذا رأوا اعلام الافشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة ركبوا تلك الاعلام في الرماح وضربوا الطبول وانحدروا من فوق الجبل ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية وان هم لم يروا الاعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره ففعلوا ذلك فوصلوا الى راس الجبل عند السحر فلما كان في بعض الليل وجه الافشين الى الجند وامرهم بالتجهز للحرب فلما كان في بعض الليل وجه بشيرا التركي وقوادا من الفراغنة كانوا معه فامرهم ان يسيروا حتى يصيروا تحت التل الذي عليه آذين وكان يعلم ان بابك يكمن تحت ذلك الجبل فساروا الليلا ولا يعلم بهم اكثر اهل العسكر ثم ركب هو والعسكر مع السحر فصلى الغداة وضرب الطبل وركب فاتى الموضع الذي كان يقف فيه فقعد على عادته وامر بخارا خذاه ان يقف مع جعفر الخياط وابي سعيد واحمد بن الخليل بن هشام ونزل الموضع الذي كان يقف فيه فانكر الناس ذلك وامرهم ان يقربوا من التل الذي عليه آذين فيحدقوا به وكان قبل ينهاهم عنه ومضى الناس مع هؤلاء القواد الاربعة فكان جعفر مما يلي الباب والى جانبه أبو سعيد والى جانب أبي سعيد بخارا خذاه وكان أحمد

الى ما يمكن ان يكون قد حصل من الاتحاد بينهم وبين الفرنساوية من اقامتهم بارض مصر * (الشرط الحادى عشر) * ولابد ان يحظى الجيش الفرنساوي ان كان من قبل الباب الاعلى أو من قبل المملكتين المرتبطتين معه أعني بها مملكة انكلترة ومليكة المسكوب فرمانات الاذن وأوراق المحافظة بالطريق ويحصل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالامن والامان الى بلاد فرانسا * (الشرط الثاني عشر) * وعند نزول الجيش الفرنساوي المذكور الكائن بمصر الآن فالباب الاعلى وباقى الممالك المتحدة معه يتعاهدون باجمعهم انهم من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى أراضي فرانسا لا يحصل عليهم شئ قط مما يكدرهم ونظير ذلك حضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام يتعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكائن بمصر بانه لا يصدر منهم ما يؤل الى المعاداة على الاطلاق مادامت المدة المذكورة وذلك لاضد العمارة ولاضد بلدة من بلدان الباب الاعلى وباقى الممالك المرتبطة معه وكذلك ان السفن التى يسافر بها الجيش المشار اليه ليس لها أن ترى في حد من الحدود الا تلك التى تختص باراضي فرانسا مالم يكن ذلك في حادث ماضروري * (الشرط

من الخصام والمعاداة فلابد

وانصرف الافشين كعادته وعادت الكراديس التي بجانب ذلك الوادي ولم يبق الا جعفر الخياط وفتح الخرمية باب البذ وخرج منهم جماعة على أصحاب جعفر وارتفعت الصيحة فتقدم جعفر بنفسه فرد أولئك الخرمية الى باب البذ ووقعت الصيحة في العسكر فرجع الافشين فرأى جعفر او اصحابه يقاتلون وخرج من الفريقين جماعة وجلس الافشين في مكانه وهو يتلظى على جعفر ويقول افسد على تعبيتي وارتفعت الصيحة فكان مع ابي دلف قوم من المتطوعة فعبروا الى جعفر بغير أمر الافشين وتعلقوا بالبذ وأثروا فيه أثرا وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ ووجه جعفر الى الافشين ان أمدني بخمسمائة راجل من الناشبة فاني أرجو ان أدخل البذان شاء الله تعالى فبعث اليه الافشين انك افسدت على أمري فتخلص قليلا قليلا وخلص أصحابك وانصرف وارتفعت الصيحة من المتطوعة حتى تعلقوا بالبذ وظن الكمناء الذين لبابك ان الحرب قد اشتبكت فوثب بعضهم من تحت بخاراخذاه ووثب بعضهم من ناحية أخرى فتحركت الكمناء من الخرمية والناس على رؤسهم فلم يزل منهم أحد فقال الافشين الحمد لله الذي بين مواضع هؤلاء ورجع جعفر وأصحابه والمتطوعة فجاء جعفر الى الافشين فانكر عليه حيث لم يمده وجرى بينهما نفرة شديدة وجاء رجل من المتطوعة ومعه صخرة فقال للافشين أتردنا وهذا الحجر اخذته من السور فقال اذا انصرفت عرفت من على طريقك يعني الكمين الذي عند بخاراخذاه وقال لجعفر لو ثار هذا الكمين الذي تحتك كيف كنت ترى هؤلاء المتطوعة ثم رجع هو وأصحابه على عادتهم فلما رأى هؤلاء الكمين الذي عند بخاراخذاه علموا انما كان وراءهم فاز بخاراخذاه لو تحرك نحو القتال لملكوا ذلك الموضع وهلك المسلمون عن آخرهم فأقام الافشين بخندقه أياما فشكا المتطوعة اليه ضيق العلوفة والزاد والنفقة فقال من صبر فليصبر ومن لا فالطريق واسع فلينصرف وفي جند أمير المؤمنين كفاية فانصرف المتطوعة يقولون لو ترك الافشين جعفرا وترك كنا الاخذنا البذ لكنه يشتهي المطاولة فبلغه ذلك وما تتناوله المتطوعة بالسنتهم حتى قال بعضهم اني رأيت رسول الله في المنام قال لي قل للافشين ان أنت حاربت هذا وجددت في أمره والا أمرت الجبال ان ترجمك بالحجارة فتحدث الناس بذلك فبلغ الافشين فأحضره وسأله عن المنام فقصه عليه فقال الله يعلم نيتي وما أريد بهذا الخلق وان الله لو أمر الجبال برجم احد لرجم هذا الكافر فكفانا مؤنته فقال رجل من المتطوعة أيها الامير لا تحرمنا شهادة ان كانت حضرت وانما قصدنا ثواب الله ووجهه فدعنا وحدنا وحتى نتقدم بعد ان يكون باذنك لعل الله أن يفتح علينا فقال الافشين اني ارى نياتكم حاضرة واحسب هذا الامر يريده الله تعالى وهو خير ان شاء الله تعالى وقد نشطتم ونشط الناس وما كان هذا رأيي وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم اعزموا على بركة الله اي يوم اردتم حتى نناهضه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فخرجوا مستبشرين فتم من اراد الانصراف ووعد الافشين الناس ليوم ذكره لهم وامر الناس بالتجهز وحمل المال والزاد والماء وحمل الحامل على البغال تحمل

وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه عن استعمال الوسائط في ان عسكر الاسلام يكون دائما متباعدا عن العسكر الفرنساوي

(الشرط الثامن) فمن تقرير وامضاء هذه الشروط فكل من كان من الاسلام ام من باقي الطوائف من رعايا الباب الاعلى بدون تمييز الاشخاص أولئك الواقع عليها الضبط ام الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانسا أو تحت امر الفرنساوية بمصر يعطى لهم الاطلاق والتعلق وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين في كامل البلدان والاساكل من مملكة العثملي وكذلك كامل الاشخاص من اي ما طائفة كانت اولئك الذين كانوا في تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لابد عن انعتاقهم

(الشرط التاسع) فترجيع الاموال والاملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ام دفع مبالغ اثمانها لاصحابها فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلاء في اسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا القصد

(الشرط العاشر) فلا يحصل التشويش لاحد من سكان الاقليم المصري من اي ملة كانت وذلك لا في اشخاصهم ولا في اموالهم نظرا

بالكتاب وفيهم ابنه فلم يجسر أحد منهم خوفا منه فقال انه يفرح بهذا الامان فقالوا نحن اعرف به منك فقام رجلان فقالا اضمن لنا ان تجرى على عيالاتنا فضمن لهما فسارا بالكتاب فلما رآياه اعلماه ما قدما له فقتل أحدهما وأمر الآخر ان يعود بالكتاب الى الافشين وكان ابنه قد كتب اليه معهما كتابا فقال لذلك الرجل قل لابن الفاعلة ان كنت ابنى لحقت بى ولكنك لست ابنى ولان تعيش يوما واحدا وأنت رئيس خير من ان تعيش أربعين سنة عبدا ذليلا وقعد فى موضعه فلم يزل فى تلك الغيضة حتى فنى زاده وخرج من بعض تلك الطرق وكان من عليه من الجند قد تحوا قريبا منه وتركوا عليه اربعة نفر يحرسونه فبينما هم ذات يوم نصف النهار اذ خرج بابك واصحابه فلم يروا العسكر ولا اولئك الذين يحرسون المكان فظن ان ليس هناك احد فخرج هو وعبد الله اخوه ومعاوية وامه وامراة اخرى وساروا يريدون ارمينية فرآهم الحراس فارسلوا الى اصحابهم انا قد راينا فرسانا لا ندرى من هم وكان ابو الساج هو المقدم عليهم فركب الناس وساروا نحوهم فراوا بابك واصحابه قد نزلوا على ماء يتغدون فلما راى العسكر ركب هو ومن معه فنجا هو واخذ معاوية وام بابك والمرأة الاخرى فارسلهم ابو الساج الى الافشين وسار بابك فى جبال ارمينية مستخفيا فاحتاج الى طعام وكان بطارقة ارمينية قد تحفظوا بنواحيهم واوصوا ان لا يجتاز بهم احد الا اخذوه حتى يعرفوه واصاب بابك الجوع فراى حراثا فى بعض الاودية فقال لغلامه انزل الى هذا الحراث وخذ معك دنانير ودراهم فان كان معه خبز فاشتر منه وكان للحراث شريك قد ذهب لحاجة فنزل الغلام الى الحراث ليأخذ منه الطعام فرآه رفيق الحراث فظن انه يأخذ ما معه غصبا فعدا الى المسلحة واعلمهم ان رجلا عليه سيف وسلاح قد أخذ خبز شريكه فركب صاحب المسلحة وكان فى جبال ابن سباط فوجه الى سهل بن سنباط بالخبر فركب فى جماعة فوافى الحراث والغلام عنده فسال عنه فاخبره الحراث خبره فاخبره الغلام عن مولاه فدله عليه فلما راى وجه بابك عرفه فترجل له واخذ يده فقبلها وقال اين تريد قال بلاد الروم قال لا تجد احدا اعرف بحقك منى وليس بينى وبين السلطان عمل وكل من ههنا من البطارقة انما هم اهل بيتك قد صار لك منهم اولاد وذلك ان بابك كان اذا علم ان عند بعضهم من النساء امراة جميلة طلبها فان بعث بها اليه والا اسرى اليه فاخذها ونهب ماله وعاد فخدعه ابن سنباط حتى صار الى حصنه وارسل بابك اخاه عبد الله الى حصن اصطفانوس فارسل ابن سنباط الى الافشين يعلمه بذلك فكتب اليه الافشين يعده ويمنيه ووجه اليه ابا سعيد وبورماره وامرهما بطاعته وامرهما ابن سنباط بالمقام فى مكان سماه وقال لا تبرحا حتى يأتيكما رسولى فيكون العمل بما يقول لكما ثم انه قال لبابك قد ضجرت من هذا الحصن فلو نزلت الى الصيد ففعل فلما نزل من الحصن ارسل ابن سنباط الى ابى سعيد وبورماره فامرهما أن يوافياه أحدهما من جانب وادٍ هناك والثانى من الجانب الآخر فضلا فلم يجب ان يدفعه اليهما فبينما بابك وابن سنباط يتصيدان اذ خرج عليهما ابو

الثلاثة الاشهر الاخرى التى يكونون مبتداها من يوم نزولهم بالمراكب فقد وقع الاتفاق على انه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمح واللحم والارز والشعير والتبن وذلك بموجب القائمة التى تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوى ان كان ذلك مما يخص اقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم والذى يكون قد اخذه الجيش المذكور مقدارا وما كان من شؤنه وذلك من بعد امضاء هذه الشروط فيخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الاعلى

*(الشرط السادس عشر)

*ثم ان الجيش الفرنساوى منذ ابتدأ وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة ليس له ان يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعا بالاقليم المصرى لا بل وبالعكس فانه يخلى للباب الاعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيه قبضه وذلك الى حين سفرهم ومثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون ان يحملوه معهم ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال واخيرا مخازن الخراج فهذه كلها لا بد عن الفحص عنها وتسعيرها من اناس وكلاء موجهين من قبل الباب الاعلى لهذه الغاية ومن أمين البحر الانكليزى وبرفقة الوكلاء المتصرفين

مما يلي بخارا خذاه فصاروا جميعا حول التل وارتفعت الضجة من أسفل الوادي فوثب كمين بابك بشير التركي والفراغنة فخار بوهم وسمع أهل العسكر صيحتهم فارادوا الحركة فامر الافشين منا ديا ينادي فيهم ان بشيرا قد أثار كمينا فلا يتحركن أحد فسكنوا ولما سمع الرجال الذين كان سيرهم حتى صاروا في أعلى الجبل ضجة العسكر ركبوا الاعلام على الرماح فنظر الناس الى الاعلام تنحدر من الجبل على خيل آذين فوجه آذين اليهم بعض أصحابه وحمل جعفر وأصحابه على آذين وأصحابه حتى صعدوا اليه فحملوا عليه حملة منكرة فانحدر الى الوادي وحمل عليه جماعة من أصحاب أبي سعيد فاذا تحت دوابهم آبار محفورة فتساقطت الفرسان فيها فوجه الافشين الفعلة يطمون تلك الآبار ففعلوا وحمل الناس عليهم حملة شديدة وكان آذين قد جعل فوق الجبل عجلة عليها صخر فلما حمل الناس عليهم دفع تلك العجلة عليهم فافرج الناس منها حتى تدحرجت ثم حمل الناس من كل وجه فلما نظر بابك الى أصحابه قد أحدق بهم خرج من طرف البذ مما يلي الافشين فاقبل نحوه فقيل للافشين ان هذا بابك يريدك فتقدم اليه حتى سمع كلامه وكلام أصحابه والحرب مشتبكة في ناحية آذين فقال أريد الامان من أمير المؤمنين فقال له الافشين قد عرضت هذا عليك وهو لك مبذول متى شئت فقال قد شئت الآن على أن تؤخرني حتى احمل عيالي واتجهز فقال له الافشين انا أنصحك خروجك اليوم خير من غد قال قد قبلت هذا قال الافشين فابعث بالرهائن فقال نعم أما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر أصحابك بالتوقف فجاء رسول الافشين ليرد الناس فقيل له ان اعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالاعلام فوق قصور بابك وكان قد كمن في قصوره وهي أربعة وستمائة رجل فخرجوا على الناس فقاتلوهم ومر بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتادسر واشتغل الافشين ومن معه بالحرب على أبواب القصور فاحضر النفاطين فاحرقوها وهدم الناس القصور فقتلوا الخرمية عن آخرهم وأخذ الافشين أولاد بابك وعيالاته وبقي هناك حتى أدركه المساء فامر الناس بالانصراف فرجعوا الى الخندق بروذ الروذ وأما بابك فانه سار فيمن معه وكانوا قد عادوا الى البذ بعد رجوع الافشين فاخذوا ما أمكنهم من الطعام والاموال ولما كان الغد رجع الافشين الى البذ وأمر بهدم القصور واحراقها ففعلوا فلم يدع منها بيتا وكتب الى ملوك ارمينية وبطارقتها يعلمهم ان بابك قد هرب وعدة معه وهو مار بكم وأمرهم بحفظ نواحيهم ولا يمر بهم أحد الا أخذوه حتى يعرفوه وجاءت جواسيس الافشين اليه فاعلموه بموضع بابك وكان في واد كثير الشجر والعشب طرفه باذربيجان وطرفه الآخر بارمينية ولم يمكن الخيل نزوله ولا يرى من يستخفي فيه لكثرة شجره ومياهه ويسمى هذا الوادي غيضة فوجه الافشين الى كل موضع فيه طريق الى الوادي جماعة من أصحابه يحفظونه وكانوا خمسة عشر جماعة وورد كتاب المعتصم فيه أمان بابك فدعا الافشين من كان استامن اليه من أصحابه فاعلمهم ذلك وأمرهم بالمسير اليه

بالكتاب

لثالث عشر) * ونتيجة ما تقدم المشترط أعلاه عما يلاحظ خلو الاقليم المصري فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط قد اتفقوا على انه اذا حضر في حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ودخل عينا اسكندرية فلازم عن سفره حالا وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ويرجع الى فرانسا وذلك بسندات أوراق الاذن من قبل الممالك المتحدة واذا صادف الاعراب مركبا من هذه المراكب يحتاج الى الترقيع فهذه لا غير يباح لها الاقامة الى أن ينتهي اصلاحها المذكور وفي الحال من ثم تتوجه الى بلاد فرانسا نظير التي قد تقدم القول عنها عند أول ريح يوافقها * (الشرط الرابع عشر) * وقد يستطيع حضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام أن يرسل خبيرا الى أرباب الاحكام الفرنساوية في الحال ومن يصحب هذا الخبير لابد أن تعطى له أوراق الاذن بالاطلاق كما يقتضي ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر الى أصحاب الحكم بفرانسا * (الشرط الخامس عشر) * واذا قد اتضح ان الجيش الفرنساوي يحتاج الى المعاش اليومي ما دامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الاقليم المصري وكذلك لمعاش

في هذه السنة قدم الافشين الى سامرا ومعه بابك الخرمي وأخوه عبد الله في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين وكان المعتصم يوجه الى الافشين في كل يوم من حين سار من برزند الى أن وافى سامرا خلعة وفرسا فلما صار الافشين بقناطر حذيفة تلقاه هرون الواثق بن المعتصم وأهل بيت المعتصم وأنزل الافشين بابك عنده في قصره بالمطيرة فأتاه أحمد بن أبي داود متنكرا فنظر الى بابك وكلمه ورجع الى المعتصم فوصفه له فأتاه المعتصم أيضا متنكرا فرآه فلما كان الغد قعد المعتصم واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة فشهره المعتصم وأمر ان يركب على الفيل فركب عليه واستشرفه الناس الى باب العامة فقال محمد بن عبد الملك الزيات

قد خضب الفيل كعاداته * يحمل شيطان خراسان
والفيل لا تخضب أعضاؤه * الا لذي شان من الشان

ثم أدخل دار المعتصم فأمر باحضار سياف بابك فحضر فأمره المعتصم أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط فأمره بذبحه ففعل وشق بطنه وأنفذ رأسه الى خراسان وصلب بدنه بسامرا وأمر بحمل أخيه عبد الله الى اسحق بن ابراهيم ببغداد وأمره أن يفعل به مافعل بأخيه بابك فعمل به ذلك وضرب عنقه وصلبه في الجانب الشرقي بين الجسرين قيل فكان الذي اخرج الافشين من المال مدة مقامه بازاء بابك سوى الارزاق والانزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم وفي يوم لا يركب فيه خمسة آلاف وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة انسان وغلب من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد وأحمد بن الجنيد فأسره وزريق بن علي بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسي وابراهيم بن الليث وكان الذين أسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعة أناسي واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات وأولادهن سبعة آلاف وستمائة انسان وصار في يد الافشين من بني بابك سبعة عشر رجلا ومن البنات والنساء ثلاث وعشرون امرأة ولما وصل الافشين توجه المعتصم وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف يفرقها في عسكره وعقد له على السند وادخل عليه الشعراء يمدحونه

* (ذكر خروج الروم الى زبطرة) *

وفي هذه السنة خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد الاسلام وأوقع بأهل زبطرة وغيرها وكان سبب ذلك ان بابك لما ضيق الافشين عليه وأشرف على الهلاك كتب الى ملك الروم توفيل يعلمه ان المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجه خياطه يعني جعفر بن دينار الخياط وطباخه يعني ايتاخ ولم يبق على بابه أحد فان أردت الخروج اليه فليس في وجهك أحد يمنعك وظن بابك ان ملك الروم ان تحرك يكشف عنه بعض ما هو فيه بانفاذ العساكر الى مقاتلة الروم فخرج توفيل في مائة ألف وقيل اكثر منهم من الجند نيف وسبعون ألفا وبقيتهم اتباع ومعهم من المحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحق بن ابراهيم بن

السبعين يوما ثلثمائة كيس أخرى وعند تمام الثمانين يوما ثلثمائة كيس اخرى وعند غلاق التسعين يوما خمسمائة كيس اخرى وكل هذه الاكياس المذكورة هي عن كل كيس خمسمائة غرش عثملي ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الاعلى ولكن يسهل اجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه فالباب الاعلى من بعد وضع الامضاء على النسختين من الفريقين يوجه حالا الوكلاء الى مدينة مصر والى بقية البلاد المستمر بها الجيش (الشرط الثامن عشر) ثم ان فرد المال الذي يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق في الجهات المختلفة بالاقليم المصري فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها * (الشرط التاسع عشر) * ثم انه لكي يسهل حلو المحلات سريعا فالنزول في المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة والموجودة في المينا بالاقليم المصري مباح به ما دامت مدة الثلاثة اشهر المذكورة المعينة للمهلة وذلك من دمياط ورشيد حتى الى الاسكندرية ومن اسكندرية حتى الى رشيد ودمياط

سعيد وبودماره فى أصحابهما وعلى بابك دراعة بيضاء فاخذوهما وأمروا بابك بالنزول فقال من انتم فقال أنا أبو سعيد وهذا فلان فنزل ثم قال لابن سنباط القبيح وشتمه وقال انما بعتنى لليهود بشئ يسير لو أردت المال لاعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء فاركبه أبو سعيد وسار وابه الى الافشين فلما قرب من العسكر صعد الافشين وجلس ينظر اليه وصف عسكره صفين وأمر بانزال بابك عن دابته ومشى بين الصفين وادخله الافشين بيتا ووكل به من يحفظه وسير معه سهل بن سنباط ابنه معاوية فامر له الافشين بمائة ألف درهم وأمر لسهل بالف ألف درهم ومنطقة مغرقة بالجواهر وتاج البطرقة وأرسل الافشين الى عيسى بن يونس بن اصطفانوس يطلب منه عبد الله أخا بابك فانفذه اليه فحبسه مع أخيه وكتب الى المعتصم بذلك فامره بالقدوم بهما عليه وكان وصول بابك الى الافشين بيرزند لعشر خلون من شوال وكان الافشين قد أخذ نساء كثيرة وصبيانا كثيرا ذكروا ان بابك أسرهم وانهم احرار من العرب والدهاقين فامر بهم فجعلوا فى حظيرة كبيرة وامرهم ان يكتبوا الى أوليائهم فكل من جاء يعرف امرأة أو صبيا أو جارية وأقام شاهدين أخذه فاخذ الناس منهم خلقا كثيرا وبقى كثير منهم

(ذكر استيلاء عبد الرحمن على طليطلة)

قد ذكرنا عصيان أهل طليطلة على عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس وانفاذ الجيوش الى محاصرتها مرة بعد مرة فلما كان سنة احدى وعشرين ومائتين خرج جماعة من أهلها الى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصر طليطلة وضيقوا عليها وعلى أهلها وقطعوا عنهم باقى مرافقهم واشتدوا فى محاصرتهم فبقوا كذلك الى ان دخلت سنة اثنتين وعشرين فسير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم اليها أيضا فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع فافتتحها قهرا وعنوة يوم السبت لثمان خلون من رجب وأمر بتجديد القصر على باب الحصن الذى كان هدم أيام الحكم وأقام بها الى آخر شعبان من سنة ثلاث وعشرين ومائتين حتى استقرت قواعد أهلها وسكنوا

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود وفيها ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقى يرى نحوا من أربعين ليلة وله شبه الذنب وكان أول ما طلع نحو المغرب ثم رؤى بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلا جدا فهال الناس ذلك وعظم عليهم ذكره ابن أبى أسامة فى تاريخه وهو من الثقات الاثبات وفيها توفى يحيى بن صالح أبو زكريا الوحاظى وهو دمشقى وقيل حمصى وفيها توفى أبو هاشم محمد بن على بن أبى خداش الموصلى وكان كثير الرواية عن المعافى بن عمران

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين)

(ذكر قدوم الافشين ببابك)

بامر الجنرال كلهبر سرى العسكر قبولها من وكلاء الباب الاعلى المتقدم ذكرهم ويجب ماوقع عليه السعر الى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلا ونزوله بالمراكب واذا كانت الاسعار فى هذه الامتعة المذكورة لاتوازى المبلغ المرقوم أعلاه فالخسيس والنقص فى ذلك لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الاعلى على جهة السلفة تلك التى يلزم بوفائها أرباب الاحكام الفرنساوية باوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهبر سرى العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور (الشرط السابع عشر) ثم انه اذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لجلوهم مصر فلابد ان تقبض وذلك من بعد تقرير عسك الشروط المذكورة القدر المحدد اعلاه بالوجه الآتى ذكره أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يوما خمسمائة كيس وفى غلاق الثلاثين يوما خمسمائة كيس أخرى وبتمام الاربعين يوما ثلثمائة كيس أخرى وعند تمام الخمسين يوما ثلثمائة كيس شرحه وعند غلاق الستين يوما ثلثمائة كيس أخرى وفى

المعتصم ليواقعهم فاتاه الخبر بان عسكرا عظيما قد دخل بلادهم من ناحية الارمنياق يعني عسكر الافشين قالوا فلما اخبر استخلف ابن خاله على عسكره وسار يريد ناحية الافشين فوجه اشناس بهم الى المعتصم فاخبروه الخبر فكتب المعتصم كتابا الى الافشين يعلمه ان ملك الروم قد توجه اليه ويامره ان يقيم مكانه خوفا عليه من الروم الى ان يرد عليه كتابه وضمن لمن يوصل كتابه الى الافشين عشرة آلاف درهم فسارت الرسل بالكتاب الى الافشين فلم يروه لانه اوغل في بلاد الروم وكتب المعتصم الى اشناس يامره بالتقدم فتقدم والمعتصم من ورائه فلما رحل اشناس نزل المعتصم مكانه حتى صار بينه وبين انقرة ثلاثة مراحل فضاق عسكر المعتصم ضيقا شديدا من الماء والعلف وكان اشناس قد اسر في طريقه عدة اسرى فضرب اعناقهم حتى بقي منهم شيخ كبير فقال له ما تنتفع بقتلي وانت وعسكرك في ضيق وههنا قوم قد هربوا من انقرة خوفا منكم وهم بالقريب منا معهم الطعام والشعير وغيرهما فوجه معي قوما لاسلمهم اليهم وخل سبيلي فسير معه خمسمائة فارس ودفع الشيخ الى مالك بن كيدر وقال له متى اراك هذا الشيخ سبيا كثيرا وغنيمة كثيرة فخل سبيله فسار بهم الشيخ فاوردهم على واد وحشيش فرجوا دوابهم وشربوا واكلوا وساروا حتى خرجوا من الغيضة وسار بهم الشيخ حتى اتى جبلا فنزله ليلا فلما اصبحوا قال الشيخ وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل فينظران ما فوق فيأخذان من ادركا فصعد اربعة فاخذوا رجلا وامرأة فسالهما الشيخ عن اهل انقرة فدلوه عليهم فسار بالناس حتى اشرف على اهل انقرة وهم في طرف ملاحة فلما رأوا العسكر ادخلوا النساء والصبيان الملاحة وقاتلوهم على طرفها وغنم المسلمون منهم واخذوا من الروم عدة اسرى وفيهم من فيه جراحات عتيقة متقدمة فسألوهم عن تلك الجراحات فقالوا كنا في وقعة الملك مع الافشين وذلك ان الملك لما كان معسكرا اتاه الخبر بوصول الافشين في عسكر ضخم من ناحية الارمنياق واستخلف على عسكره بعض اقربائه وسار اليهم فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالتهم كلهم وتقطعت عساكرنا في طلبهم فلما كان الظهر رجع فرسانهم فقاتلونا قتالا شديدا حتى خرقوا عسكرنا واختلطوا بنا فلم ندر اين الملك وانهزمنا منهم ورجعنا الى معسكر الملك الذي خلفه فوجدنا العسكر قد انتقض وانصرفوا عن قرابة الملك فلما كان الغد جاء الملك في جماعة يسيرة فرأى عسكره قد اختل واخذ الذي كان استخلفه عليهم فضرب عنقه وكتب الى المدن والحصون ان لا ياخذوا احدا انصرف من العسكر الا ضربوه بالسياط وردوه الى مكان سماه لهم الملك ليجتمع اليه الناس ويلقى المسلمين وان الملك وجه خصيا له الى انقرة ليحفظ اهلها فرآهم قد اجلوا عنها فكتب الى الملك بذلك فامره بالمسير الى عمورية فرجع مالك بن كيدر بما معهم من الغنيمة والاسرى الى عسكر اشناس وغنموا في طريقهم بقرا وغنما كثيرا واطلق الشيخ فلما بلغ مالك ابن كيدر عسكر اشناس اخبره بما سمع فاعلم المعتصم بذلك فسر به فلما كان بعد ثلاثة ايام جاء البشير من ناحية الافشين بخبر السلامة وكانت الوقعة لخمس بقين من شعبان

من حيث انهما من مجرى العادة ولا بد عنها * (الشرط الحادي والعشرون) * فكل ما يمكن حدوثه من المشاكل التي تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط فلابد عن تجازها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الاعظم عالي الشان وحضرة الجنرال كلهبر سري العسكر العام بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلو * (الشرط الثاني والعشرون) * وهذه الشروط لا تعد صحيحة الامن بعد اقرار الفريقين وتبديل النسخ وذلك بعد ثمانية أيام ومن بعد حصول هذا الاقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العريش في شهر بلو يوز سنة ثمان من اقامة المشيخة الفرنساوية وفي رابع عشرين شهر كانون الثاني عربي من سنة ألف وثمانمائة الواقع في ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة اربعة عشر ومائتين والف هجرية المضيين الجنرال متغرقة دزه البلادي بوسيلغ المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهبر وجناب سامي مقام مصطفى رشيد افندي

حيث انه للطمان الكلى فى

مصعب جماعة فبلغ زبطرة فقتل من بها من الرجال وسبي الذرية والنساء واغار على اهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبي المسلمات ومثل بمن صار فى يده من المسلمين وسمل اعينهم وقطع انوفهم وآذانهم فخرج اليهم اهل الثغور من الشام والجزيرة الا من لم يكن له دابة ولا سلاح

(ذكر فتح عمورية)

لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه وبلغه ان امراة هاشمية صاحت وهى اسيرة فى ايدي الروم وامعتصماه فاجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير ثم ركب دابته وسمط خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبة فيها زاده ولم يمكنه المسير الا بعد التعبية وجمع العساكر فجلس فى دار العامة واحضر قاضي بغداد وهو عبد الرحمن بن اسحق وشعبة بن سهل ومعهما ثلثمائة وثمانية وعشرون رجلا من اهل العدالة فاشهدهم على ما وقف من الضياع فجعل ثلثا لولده وثلثا لله تعالى وثلثا لمواليه ثم سار فعسكر بغربي دجلة لليلتين خلتا من جمادى الاولى ووجه عجيف ابن عنبسة وعمر الفرغاني ومحمد كوتاه وجماعة من القواد الى زبطرة معونة لاهلها فوجدوا ملك الروم قد انصرف عنها الى بلاده بعد ما فعل ما ذكرناه فوقفوا حتى تراجع الناس الى قراهم واطمانوا فلما ظفر المعتصم ببابك قال اى بلاد الروم امنع واحصن فقيل عمورية لم يعرض لها احد منذ كان الاسلام وهى عين النصرانية وهى اشرف عندهم من القسطنطينية فسار المعتصم من سر من راى وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة اربع وعشرين وتجهز جهازا لم يتجهزه خليفة قبله قط من السلاح والعدد والآلة وحياض الادم والروايا والقرب وغير ذلك وجعل على مقدمته اشناس ويتلوه محمد بن ابراهيم بن مصعب وعلى ميمنته ايتاخ وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط وعلى القلب عجيف بن عنبسة فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن وهو على سلوقية قريبا من البحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم وعليه يكون الفداء وامضى المعتصم الافشين الى سروج وامره بالدخول من درب الحدث وسمى له يوما يكون دخوله فيه ويوما يكون اجتماعهم فيه وسير اشناس من درب طرسوس وامره بانتظاره بالصفصاف فكان مسير اشناس لثمان بقين من رجب وقدم المعتصم وصيفا فى اثر اشناس ورحل المعتصم لست بقين من رجب فلما صار اشناس بمرج الاسقف ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه ان ملك الروم بين يديه وانه يريد ان يكبسهم ويامره بالمقام الى ان يصل اليه فاقام ثلاثة ايام فورد عليه كتاب المعتصم يامره ان يوجه قائدا من قواده فى سرية يلتمسون رجلا من الروم يسئلونه عن خبر الملك فوجه اشناس عمر الفرغاني فى مائتى فارس فدخل حتى بلغ انقرة وفرق اصحابه فى طلب رجل رومى فاتوه بجماعة بعضهم من عسكر الملك وبعضهم من السواد فاحضرهم عند اشناس فسالهم عن الخبر فاخبروه ان الملك مقيم اكثر من ثلاثين يوما ينتظر مقدمة

(الشرط العشرون) نفى جهات البلاد الغربية يقتضي الاحتراس الكلى لمنع الوبا الطاعونى عن انه يتصل هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى او من اولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء الطاعونى ان ينزل بالمراكب بل ان المرضى بعلة الطاعون او بعلة اخرى اينما كانت تلك التى بسببها لا يقتضي ان يسمح بسفرهم مدة خلو الاقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق يستمرون فى بيمارستان المرضى حيث هم الآن تحت امان جناب الوزير الاعظم عالى الشان ويعالجونهم الاطباء من الفرنساوية اولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم الى ان يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل الشئ الذى لابدا عن اقتضاء الاستعجال به باسرع ما يمكن ويحصل لهم ويسدونحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق نظير ما يجرى على باقى الجيش ثم ان امير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى ابراز الاوامر لاشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب بان لا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين التى تتعين لهم من رؤساء الاطباء تلك المين التى يتيسر لهم بها ان يقضوا

يفعلون وفيهم الفرغاني واحمد بن الخليل بن هشام فقال لهم اشناس يا أولاد الزنا ايش
تمشون بين يدي كان ينبغي ان تقاتلوا أمس حيث تقفون بين يدي أمير المؤمنين
فتقولون الحرب اليوم اجود منها امس كان يقاتل أمس غيركم انصرفوا الى مضاربكم
فلما انصرف الفرغاني وأحمد بن الخليل قال أحدهما للآخر ألا ترى الى هذا
العبد ابن الفاعلة يعني اشناس ما صنع اليوم أليس الدخول الى الروم أهون من هذا
فقال الفرغاني لاحمد وكان عنده علم من العباس بن المأمون سيكفيك الله أمره عن
قريب فألح أحمد عليه فأخبره فاشار عليه أن يأتي العباس فيكون في أصحابه فقال
أحمد هذا أمر أظنه لا يتم قال الفرغاني قد تم وأرشده الى الحرث السمرقندي فأتاه فرفع
الحرث خبره الى العباس فكره العباس ان يعلم بشيء من أمره فامسكوا عنه فلما كان
اليوم الثالث كان الحرب على أصحاب المعتصم ومعهم المغاربة والاتراك وكان القيم
بذلك ايتاخ فقاتلوا وأحسنوا واتسع لهم هدم السور فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت
الجراحات في الروم وكان بطارقة الروم قد اقتسموا ابراج السور وكان البطريق الموكل
بهذه الناحية وندوا وتفسيره ثور فقاتل ذلك اليوم قتالا شديدا وفي الايام قبله ولم يمده
ناطس ولا غيره باحد فلما كان الليل مشى وندوا الى الروم فقال ان الحرب علي وعلى
أصحابي ولم يبق معي أحد الا جرح فصيروا اصحابكم على الثلمة يرمون قليلا والا ذهبت
المدينة فلم يمدوه باحد وقالوا لا نمدك ولا تمدنا فعزم هو وأصحابه على الخروج الى المعتصم
وسألوه الامان على الذرية ويسلموا اليه الحصن بما فيه فلما أصبح وكل اصحابه بجانبي
الثلمة وأمرهم أن لا يحاربوا وقال أريد الخروج الى المعتصم فخرج اليه فصار بين يديه
والناس يتقدمون الى الثلمة وقد امسك الروم عن القتال حتى وصلوا الى السور
والروم يقولون لا تجيئوا وهم يتقدمون ووندوا جالس عند المعتصم فاركبه فرسا
وتقدم الناس حتى صاروا في الثلمة وعبد الوهاب بن علي بين يدي المعتصم يومئ الى
المسلمين بالدخول فدخل الناس المدينة فالتفت وندوا وضرب بيده على لحيته فقال له
المعتصم مالك قال جئت اسمع كلامك فغدرت بي قال المعتصم كل شيء تريده فهو لك
ولست أخالفك قال ايش تخالفني وقد دخل الناس المدينة وصار طائفة كبيرة من
الروم الى كنيسة كبيرة لهم فاحرقها المسلمون عليهم فهلكوا كلهم وكان ناطس في برجه
حوله أصحابه فركب المعتصم ووقف مقابل ناطس فقيل له يا ناطس هذا أمير المؤمنين
فظهر من البرج وعليه سيف فنحاه عنه ونزل حتى وقف بين يديه فضربه سوطا وصار
المعتصم الى مضربه وقال هاتوه فمشى قليلا فأمر المعتصم بحمله وأخذ السيف الروم
وأقبل الناس بالاسرى والسبي من كل وجه فأمر المعتصم ان يعزل منهم أهل الشرف
ونقل من سواهم وأمر ببيع المغانم في عدة مواضع فبيع منها في أكثر من خمسة ايام
وأمر بالباقي فاحرق وكان لا ينادى على شيء أكثر من ثلاثة أصوات ثم يوجب بيعه
طلبا للسرعة وكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة عشرة عشرة طلبا للسرعة ولما كان
في بعض أيام بيع المغانم وهو والذي كان عجيف وعد الناس ان يثور فيها بالمعتصم على

مضى دامأس انتهى بحروفه
وما فيه من خطا وتحريف فهو
طبق الاصل المطبوع بالمطبعة
الفرنساوية باللغة العربية
ولم اغير منه سوى ما في تواريخ
الاشهر والسنين بالارقام
الهندية والله اعلم
(استهل شهر رمضان المعظم
بيوم الاحد سنة ١٢١٤)
(في ثانيه) حضر ساري عسكر
الفرنساوية كليبر الى ناحية
العادلية وصحبته اغا من رجال
الدولة العثمانية يسمى محمد
اغا فارسل ساري عسكر الى
حسن اغا المحتسب يأمره
بان يتلقاه وينزله في بيته
ويكرمه اكراما زائدا فلما
كان بعد العشاء دخل ذلك
الاغا الى مصر في موكب فحصل
للناس ضجة عظيمة وازدحموا
على مشاهدتهم له والفرجة
عليه وارتفعت اصواتهم وعلا
ضجيجهم وركبوا على مصاطب
الدكاكين والسقائف
وانطلقت النساء بالزغاريت
من الطيقان واختلفت آراؤهم
في ذلك القادم ولم يعلموا
ماهو فدخل من باب النصر
وشق القاهرة ولم يزل سائرا
حتى وصل الى بيت حسن اغا
بسويقة اللالا فنزل هناك
فلما استقر به الجلوس ازدحم
الناس والاعيان للسلام عليه
ولمشاهدته بالمشاعل
والفوانيس فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجمع

فلما كان الغد قدم الافشين على المعتصم وهو بانقرة فاقاموا ثلاثة ايام ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر عسكر فيه اشناس في الميسرة والمعتصم في القلب وعسكر الافشين في الميمنة وبين كل عسكر وعسكر فرسخان وامر كل عسكر ان يكون له ميمنة وميسرة وامرهم ان يحرقوا القرى ويخربوها وياخذوا من لحقوا فيها ثم ترجع كل طائفة الى صاحبها يفعلون ذلك فيما بين انقرة وعمورية وبينهما سبعة مراحل ففعلوا ذلك حتى وافوا عمورية وكان اول من وردها اشناس ثم المعتصم ثم الافشين فداروا حولها وقسموها بين القواد وجعل لكل واحد منهم ابراجا منها على قدر اصحابه وكان رجل من المسلمين قد اسره الروم بعمورية فتنصر فلما راى المسلمين خرج اليهم فاخبر المعتصم ان موضعا من المدينة وقع سوره من سيل اتاه فكتب الملك الى عامل عمورية ليعمره فتوانى فلما خرج الملك من القسطنطينية خاف العامل ان يرى السور خرابا فبنى وجهه حجرا حجرا وعمل الشرف على جسر خشب فراى المعتصم ذلك المكان فامر بضرب خيمته هنالك ونصب المجانيق على ذلك الموضع فانفرج السور من ذلك الموضع فلما راى الروم ذلك جعلوا عليه خشبا كبارا كل عود يلزق الآخر وكان المنجنيق يكسر الخشب فجعلوا عليه برادع فلما الحت المجانيق على ذلك الموضع تصدع السور وكتب الخصي وبطريق عمورية واسمه ناطس كتابا الى ملك الروم يعلمه امر السور وسيره مع رجلين فاخذهما المسلمون وسالهما المعتصم وفتشهما فراى الكتاب وفيه ان العسكر قد احاط بالمدينة وقد كان دخوله اليها خطا وان ناطس عازم على ان يركب في خاصته ليلا يحمل على العسكر كائنا ما كان حتى يخلص ويصير الى الملك فلما قرا المعتصم الكتاب امر لهم ببدرة وهي عشرة آلاف درهم وخلع فاسلما فامر بهما فطافا حول عمورية وان يقفا مقابل البرج الذي فيه ناطس فوقفا وعليهما الخلع والاموال بين يديهما فعرفهما ناطس ومن معه من الروم فشتموهما وامر المعتصم بالاحتياط في الحراسة ليلا ونهارا فلم يزالوا كذلك حتى انهدم السور ما بين برجين من ذلك الموضع وكان المعتصم امر ان يطم خندق عمورية بجلود الغنم المملوءة ترابا فطموه وعمل دبابات كبارا تسع كل دبابة عشرة رجال ليدحرجوها على الجلود الى السور فدحرجوا واحدة منها فلما صارت في نصف الخندق تعلقت بتلك الجلود فما تخلص من فيها الا بعد شدة وجهد وعمل سلاليم ومنجنيقات فلما كان الغد من يوم انهدم السور قاتلهم على الثلمة فكان اول من بدا بالحرب اشناس واصحابه وكان الموضع ضيقا فلم يمكنهم الحرب فيه فامدهم المعتصم بالمنجنيقات التي حول السور فجمع بعضها الى بعض حول الثلمة وامر ان يرمى ذلك الموضع وكانت الحرب في اليوم الثاني عشر على الافشين واصحابه واجادوا الحرب وتقدموا والمعتصم على دابته بازاء الثلمة واشناس والافشين وخواص القواد معه فقال المعتصم ما احسن ما كان الحرب اليوم وقال عمر الفرغاني الحرب اليوم اجود منها امس فامسك اشناس فلما انتصف النهار وانصرف المعتصم والناس وقرب اشناس من مضربه ترجل له القواد كما كانوا

يفعلون

دفتردارو مصطفى اراسيسه المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الاعظم عالى الشان منقولة عن النسخة الاصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية الى الوكلاء العثملى بدلا من التي قد وجهوها باللغة التركية ممضى دزه وبوسيلغ تقرير الجنرال سرى العسكر العام محررة في آخر السنة التركية التي بقيت محفوظة بيد الوزير الاعظم انتهى انا الواضع اسمي ادناه الجنرال سرى العسكر العام امير الجيش الفرنساوى بالاقليم المصرى اثبت واقرر شروط الاتفاق المذكور اعلاه للحصول على اجرائه بالعمل بالنوع والصورة ان كان من اللازم ان اتيقن بان الاثنين وعشرين شرطا المشروحة الى الآن هي موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلاء اصحاب ولاية الوزير الاعظم والمقررة من جناب عالى الشان الترجمة التي لابد عن الاعتماد باجرائها كل مرة ان كان لسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات ومن ثم فتقلد ببعض المشاكل صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية في ثامن شهر بلو يوز سنة ثمان من المشيخة ممضى كليبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة راس صاحب

وسلما عليه وتوجها الى الغنيمة فرآهما صاحب اشناس فاعلمه بهما فارسل اشناس
اليهما بعض اصحابه لينظر ماصنعا فجاء فرآهما وهما ينتظران بيع السبى فرجع
فاخبر اشناس الخبر فقال اشناس لحاجبه قل لهما يلزمان العسكر وهو خير لهما فقال لهما
فاغتما لذلك واتفقا على أن يذهبا الى صاحب خبر العسكر فيستعفياه من اشناس فاتياه
وقالا نحن عبيد أمير المؤمنين فاضمنا الى من شئت فان هذا الرجل يستخف بنا قد شتمنا
وتوعدنا ونحن نخاف أن يقدم علينا فاضمنا أمير المؤمنين الى من أراد فانهى ذلك الى
المعتصم واتفق الرحيل وسار اشناس والافشين مع المعتصم فقال لاشناس أحسن
أدب عمرو أحمد فانهما قد حمقا أنفسهما فجاء اشناس الى عسكره فاخذهما وحبسهما
وحملهما على بغل حتى صار ابالصفصاف فجاء ذلك الغلام وحكى للمعتصم ماسمع من عمر
الفرغانى فى تلك الليلة فانفذ المعتصم بغا واخذ عمر من عند اشناس وساله عن الذى
قال الغلام فانكر ذلك وقال انه كان سكران ولم يعلم ما قلت فدفعه الى ايتاخ وسار
المعتصم فانفذ أحمد بن الخليل الى اشناس يقول له ان عندى نصيحة لامير المؤمنين
فبعث اليه يساله عنها فقال لا اخبر بها الا أمير المؤمنين فخاف اشناس انه ان لم يخبرنى
بهذه النصيحة لاضربنه بالسياط حتى يموت فلما سمع ذلك أحمد حضر عند اشناس وأخبره
خبر العباس بن المامون والقواد والحرث السمرقندى فانفذ اشناس وأخذ الحرث
وقيده وسيره الى المعتصم وكان قد تقدم فلما دخل على المعتصم أخبره بالحال جميعه
وبجميع من بايعهم من القواد وغيرهم فاطلقه المعتصم وخلع عليه ولم يصدق على
أولئك القواد لكثرتهم وأحضر المعتصم العباس بن المامون وسقاه حتى سكر وحلفه
انه لا يكتمه من امره شيئا فشرح له امره كله مثل ماشرح الحرث فاخذه وقيده وسلمه الى
الافشين فحبسه عنده وتتبع المعتصم أولئك القواد وكانوا يحملون فى الطريق على
بغال باكف بلا وطاء واخذ ايضا الشاه بن سهل وهو من اهل خراسان فقال له المعتصم
يا ابن الزانية احسنت اليك فلم تشكر فقال ابن الزانية هذا واوما الى العباس وكان
حاضرا لو تركنى ما كنت الساعة تقدر ان تجلس هذا المجلس وتقول هذا الكلام فامر
به فضربت عنقه وهو أول من قتل منهم ودفع العباس الى الافشين فلما نزل منبج طلب
العباس بن المامون الطعام فقدم اليه طعام كثير فاكل ومنع الماء وأدرج فى مسح فمات
بمنبج وصلى عليه بعض اخوته وأما عمر الفرغانى فلما وصل المعتصم الى نصيبين حفر له
بئرا والقاه فيها وطموها عليه وأما عجيف فمات بباعيناثا من بلد الموصل وقيل بل
أطعم طعاما كثيرا ومنع الماء حتى مات بباعيناثا وتتبع جميعهم فلم يمض عليهم الا أيام
قلائل حتى ماتوا جميعا ووصل المعتصم الى سامرا سالما فسمى العباس يومئذ اللعين
وأخذ أولاد المامون من سندس فحبسهم فى داره حتى ماتوا بعد ومن أحسن مايذكر ان
محمد بن على الاسكاف كان يتولى اقطاع عجيف فرفع أهله عليه الى عجيف فاخذه
وأراد قتله فبال فى ثيابه خوفا من عجيف ثم شفع فيه فقيده وحبسه ثم سار الى الروم
وأخذه المعتصم كما ذكرنا وأطلق من كان فى حبسه وكانوا جماعة منهم الاسكاف ثم

قلب وانشراح خاطر وبادر
بالدفع من غير تاخير لعله ان
ذلك لترحيل الفرنساوية
ويقول سنة مباركة ويوم
سعيد بذهاب الكلاب
الكفرة كل ذلك بمشاهدة
الفرنسيس ومسمعهم وهم
يحقدون ذلك عليهم وحضر
مصطفى باشا من الجيزة وسكن
ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة
عابدين وأرسل الوزير
فرامانات الى البلاد وعين
المعينين والمباشرين بطلب
المال والغلال والكلف من
الاقاليم وأرسل الى البنادر
وجعل فى كل بندر أميرا
ووكيلا لجمع الغلال
والمطلوبات من الذخيرة وجمعها
بالحواصل ولا يخفى ما يحصل
فى ضمن ذلك من الجزئيات
التى سيتضح بعضها فيما بعد
وأما الرعايا وهمج الناس
من أهل مصر فانهم استولى
عليهم سلطان الغفلة ونظروا
للفرنسيس بعين الاحتقار
وأنزلوهم عن درجة الاعتبار
وكشفوا نقاب الحياء معهم
بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب
واللعن والسخرية ولم يفكروا
فى عواقب الامور ولم يتركوا
معهم للصلح مكانا حتى ان
فقهاء المكاتب كانوا يجمعون
الاطفال ويمشون بهم فرقا
وطوائف حسبة وهم يجهرون
ويقولون كلاما مقفى باعلى
أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وافراد رؤسائهم

مانذكره ونب الناس على المغانم فركب المعتصم والسيف في يده وسار ركضا نحوهم فتنحوا عنه وكفوا عن النهب فرجع الى مضربه وأمر بعمورية فهدمت وأحرقت وكان نزوله عليها الست خلون من شهر رمضان وأقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار نحو طرسوس

(ذكر حبس العباس بن المامون)

في هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المامون وأمر بلعنه وكان سبب ذلك ان عجيف ابن عنبسة لما وجهه المعتصم الى بلاد الروم ولما كان من ملك الروم بزبطرة مع عمر الفرغاني ومحمد كوتاه لم يطلق يد عجيف في النفقات كما أطلقت يد الافشين واستقصر المعتصم أمر عجيف وأفعاله وظهر ذلك لعجيف فوبخ العباس بن المامون على ما تقدم من فعله عند وفاة المامون حتى بايع المعتصم وشجعه على أن يتلافى ما كان منه فقبل العباس قوله ودس رجلا يقال له الحرث السمرقندي قرابة عبيد الله بن الوضاح وكان العباس يانس به وكان الحرث اديبا له عقل ومداراة فجعله العباس رسوله وسفيره الى القواد وكان يدور في العسكر حتى استمال له جماعة من القواد وبايعوه وجماعة من خواص المعتصم وقال لكل من بايعه اذا أظهرنا أمرنا فليثب كل منكم بالقائد الذى هو معه فوكل من بايعه من خواص المعتصم بقتله ومن بايعه من خاصة الافشين بقتله ومن بايعه من خاصة اشناس بقتله وكذلك غيرهم فضمنوا له ذلك فلما دخل الدرب وهم يريدون انقرة وعمورية دخل الافشين من ناحية ملطية فاشار عجيف على العباس أن يثب بالمعتصم في الدرب وهو في قلة من الناس فيقتله ويرجع الى بغداد فان الناس يفرحون بانصرافهم الى بغداد من الغزو فابى العباس ذلك وقال لا أفسد هذه الغزاة حتى دخلوا بلاد الروم وافتتحوا عمورية فقال عجيف للعباس يا نائم قد فتحت عمورية والرجل ممكن تضع قوما ينهبون بعض الغنائم فاذا بلغه ذلك ركب في سرعة فتامر بقتله هنالك فابى عليه وقال انتظر حتى يصير الى الدروب ويخلو كما كان أول مرة وهو أمكن منه ههنا وكان عجيف قد أمر من ينهب المتاع ففعلوا وركب المعتصم وجاء ركضا وسكن الناس ولم يطلق العباس أحدا من أولئك الذين واعدهم وكرهوا قتله بغير أمر العباس وكان الفرغاني قد بلغه الخبر ذلك اليوم وله قرابة غلام أمرد في خاصة المعتصم فجاء الغلام الى ولد عمر الفرغاني وشرب عندهم تلك الليلة فاخبرهم خبر ركوب المعتصم وانه كان معه وأمره أن يسل سيفه ويضرب كل من لقيه فسمع عمر ذلك من الغلام فاشفق عليه من أن يصاب فقال يا بني أقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك وان سمعت صيحة وشغبا فلا تبرح فانك غلام غر ولا تعرف العساكر فعرف مقالة عمر وارتحل المعتصم الى الثغور ووجه الافشين بن الاقطع وأمره أن يغير على بعض المواضع ويوافيه في الطريق فمضى وأغار وعاد الى العسكر في بعض المنازل ومعه الغنائم فنزل بعسكر الافشين وكان كل عسكر على حدة فتوجه عمر الفرغاني وأحمد بن الخليل من عسكر اشناس الى عسكر الافشين ليشتريا من السبي شيئا فلقيهما الافشين فترجلا

العلماء والوجاقلية واعيان الاقباط والشوام فلما تكاملوا ابرز لهم فرمانا من الوزير فقرئ عليهم بالمجلس فدل مضمونه على انه اغات الجمارك اى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة وفيه ام التحكير على جميع الواردات من أصناف الاقوات فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه في المخازن وابرز فرمانا آخر قرئ بالمجلس مضمونه ان الوزير اقام مصطفى باشا الذى كان اسر بابي قير وكيلا عنه وقائمقام بمصر الى حين حضوره وان السيد أحمد المحروقي كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية وانفض المجلس على ذلك وأخذ السيد أحمد المحروقي في تحصيل ذلك القدر من الناس وفرضوه على التجار وأهل الاسواق والحرف وشرعوا في تحكير الاقوات فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الاقوات وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم واجتهد السيد أحمد المحروقي في توزيع ذلك وجمعه في أيام قليلة فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك

وولاه خراسان فحمل ذلك مازيار على الخلاف وترك الطاعة ومنع جبال طبرستان فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر يامره بمحاربته وكتب الافشين الى مازيار يامره بمحاربة عبد الله واعلمه انه يكون له عند المعتصم كل ما يحب ولا يشك الافشين ان مازيار يقوم فى مقابلة ابن طاهر وان المعتصم يحتاج الى انفاذه وانفاذ عساكر غيره فلما خالف دعا الناس الى البيعة فبايعوه كرها واخذ الرهائن من انفسهم وامر اكرة الضياع بانتهاب اربابها وكان مازيار ايضا يكاتب بابك واهتم مازيار بجمع الاموال من تعجيل الخراج وغيره فجبى فى شهرين ما كان يؤخذ فى سنة ثم امر قائدا له يقال له سرخاستان فاخذ اهل آمل واهل سارية جميعهم فنقلهم الى جبل على النصف ما بين سارية وآمل يقال له هرمزاباذ فحبسهم فيه وكانت عدتهم عشرين الفا فلما فعل ذلك تمكن من امره وامر بتخريب سور آمل وسور سارية وسور طميس فخربت الاسوار وبنى سرخاستان سورا من طميس الى البحر مقدار ثلاثة اميال كانت الاكاسرة بنته لتمنع الترك من الغارة على طبرستان وجعل له خندقا ففزع اهل جرجان وخافوا فهرب بعضهم الى نيسابور فانفذ عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف لحفظ جرجان وامره ان ينزل على الخندق الذى عمله سرخاستان فسار حتى نزله وصار بينه وبين صاحب سرخاستان الخندق ووجه ايضا ابن طاهر حيان بن جبلة فى اربعة آلاف الى قومس فعسكر على حد جبال شروين ووجه المعتصم من عنده محمد ابن ابراهيم بن مصعب اخا اسحق بن ابراهيم ومعه الحسن بن قارن الطبرى ومن كان عنده من الطبرية ووجه المنصور بن الحسن صاحب دنباوند الى الرى ليدخل طبرستان من ناحية الرى ووجه ابا الساج الى اللارز ودنباوند فلما احدقت الخيل بمازيار من كل جانب وكان اصحاب سرخاستان يتحدثون مع اصحاب الحسن بن الحسين حتى استأنس بعضهم ببعض فتوامر بعض اصحاب الحسن فى دخول السور فدخلوه الى اصحاب سرخاستان على غفلة من الحسن ونظر الناس بعضهم الى بعض فثاروا وبلغ الخبر الى الحسن فجعل يصيح بالقول ويمنعهم خوفا عليهم فلم يقفوا ونصبوا اعلامه على معسكر سرخاستان وانتهى الخبر الى سرخاستان وهو فى الحمام فهرب فى غلالة وحين رأى الحسن ان اصحابه قد دخلوا السور قال اللهم انهم عصونى واطاعوك فانصرهم وتبعهم اصحابه حتى دخلوا الى الدرب من غير مانع واستولوا على عسكر سرخاستان واسر اخوه شهريار ورجع الناس عن الطلب لما ادركهم الليل فقتل الحسن شهريار وسار سرخاستان خافيا فجهده العطش فنزل عن دابته وشدها فبصر به رجل من اصحابه وغلام اسمه جعفر وقال سرخاستان يا جعفر اسقنى ماء فقد هلكت عطشا فقال ليس عندى ما اسقيك فيه قال جعفر واجتمع الى عدة من اصحابى فقلت لهم هذا الشيطان قد اهلكنا فلم لا نتقرب الى السلطان به ونأخذ لانفسنا الامان فثاورناه وكتفناه فقال لهم خذوا منى مائة الف درهم واتركونى فان العرب لا تعطيكم شيئا فقالوا احضرها فقال سيروا معى الى المنزل لتقبضوه واعطيكم المواثيق على الوفاء فلم

بلبيس وصحبته الامراء المصرية وارسلوا الى مراد بك ومن معه بالحضور الى العرضى فاجاب بالاعتذار عن الحضور لانه فى الصعيد فلم يقبلوا عذره فاكدوا عليه بالحضور فاستدعى الفرنساوية سرا فاستأذنوه فى المقابلة وكان سفيره فى ذلك عثمان بك البرديسى ثم انه حضر وقابل الوزير بصحبة ابراهيم بك وخلع عليهم ورجع مراد بك نحو جهة العادلية وحضر حسن اغا نزله امين ودخل مصر واخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقى القلاع التى احدثوها ونزلوا منها فلم يطلع اليها احد من العثمانيين ولم يلتفتوا للتحصين ولا ربطها بالعساكر والجبخانه واعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور لاجل نفاذ المقدور وحضر ايضا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجئ الفرنساوية اليها من الاغوات والوجاقلية والافندية والذ مثل ابراهيم افندى الروزنامجى وثانى قلفة وغيرهما بنسائهم واولادهم يظنون فراغ القضية والذى خافوا منه وقعوا فيه كما سنراه وارسل ابراهيم بك الى السيد احمد المحروقى يطلب كساوى وثيابا وطرابيش وسراويل للمماليك والخاصة نقدا فارسل اليه مطلوبه واخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام وهيات نساء الامراء والاجناد احتياجاتهم وترتيباتهم

استعمل على نواح بالجزيرة ومن جلتها باعيناثا قال فخرجت يوما الى تل باعيناثا فاحتجت الى الوضوء فجئت الى تل فبلت عليه ثم توضأت ونزلت وشيخ باعيناثا ينتظرني فقال لي في هذا التل قبر عجيف وأرانيه فاذا أنا قد بلت عليه وكان بين الامرين سنة لا تزيد يوما ولا تنقص يوما

(ذكر وفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب وابتداء ولاية أخيه الاغلب)

في هذه السنة رابع عشر رجب توفي زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية وكان عمره احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام وكانت امارته احدى وعشرين سنة وسبعة أشهر وولي بعده أخوه أبو عقال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب فأحسن الى الجند وأزال مظالم كثيرة وزاد العمال في أرزاقهم وكف أيديهم عن الرعية وقطع النبيذ والخمر عن القيروان وسير سرية سنة أربع وعشرين ومائتين الى صقلية فغنمت وسلمت وفي سنة خمس وعشرين ومائتين استأمن عدة حصون من جزيرة صقلية الى المسلمين منها حصن البلوط وابلاطنو وقرلون ومر وسار أسطول المسلمين الى قلورية ففتحها ولقوا أسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما فكان فتحا عظيما وفي سنة ست وعشرين ومائتين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى قصريانة فغنمت وأحرقت وسبت فلم يخرج اليها أحد فسارت الى حصن الغيران وهو أربعون غارا فغنمت جميعها وتوفي الامير أبو عقال فيها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

وجرح في هذه السنة في شوال اسحق بن ابراهيم جرحه خادم له وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود وفي هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البة والقلاع فنزلوا حصن الفرات وحصروه وغنموا ما فيه وقتلوا أهله وسبوا النساء والذرية وعادوا

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين)

(ذكر مخالفة مازيار بطبرستان)

في هذه السنة أظهر مازيار بن قارن بن وندادهرمز الخلاف على المعتصم بطبرستان وعصى وقاتل عساكره وكان سببه ان مازيار كان منافرا عبد الله بن طاهر لا يحمل اليه خراجه وكان المعتصم يأمره بحمله الى عبد الله فيقول لا احمله الا اليك وكان المعتصم ينفذ من يقبضه من أصحاب مازيار بهمذان ويسلمه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان وعظم الشر بين مازيار وعبد الله وكان عبد الله يكتب الى المعتصم حتى استوحش من مازيار فلما ظفر الافشين ببابك وعظم محله عند المعتصم طمع في ولاية خراسان فكتب الى مازيار يستميله ويظهر له المودة ويعلمه ان المعتصم قد وعده ولاية خراسان ورجا انه اذا خالف مازيار سيره المعتصم الى حربه

كقولهم الله ينصر السلطان ذلك وطئوا وافروغ القضية ولم يملكوا الا انفسهم صبرا حتى تنقضي الايام المشروطة على ان ذلك لم يثمر الا الحقد والعداوة التي تأسست في قلوب الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس كقول القائل

أمور تضحك السفهاء منها ... ويبكي عندها الحبر اللبيب

وأيضا

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكاء

(وقد قيل) قاتل بجد والا فدع وقال الشعبي من جملة كلام وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء وأخذ الفرنساوية في اهبة الرحيل وشرعوا في مبيع امتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس ثم ان العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة واخذوا يشاركون الناس في صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم فاجتمع العامة واصحاب الحرف الى مصطفى باشا قائمقام وشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم لان ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة (وورود الخبر) بوصول حضرة الوزير الى

اليه أحدا اذا كان يوم الميعاد فابعث اليه رجلا من أهلك وا كتب اليه انه قد عرضت
علة منعتني عن الحركة وانك تتعالج ثلاثة أيام فان عوفيت والا سرت اليك في محمل
ونحمله نحن على قبول ذلك فاجابه اليه وكتب أحمد بن الصقر ومحمد بن موسى بن
حفص الى الحسن بن الحسين وهو بطميس ان اقدم علينا لندفع اليك مازيار والجبل
والاقاليم ووجها الكتاب اليه مع من يستحثه فلما وصل الكتاب ركب من ساعته
وسار مسيرة ثلاثة أيام في ليلة وانتهى الى سارية فلما أصبح تقدم الى خرماباذ وهو
الموعد بين قوهيار وحيان وسمع حيان وقع طبول الحسن فتلقاه على فرسخ فقال له
الحسن ما تصنع ههنا ولم توجه الى هذا الموضع وقد فتحت جبال شروين وتركتها
فما يؤمنك ان يغدر اهلها فينتقض جميع ما عملنا ارجع اليهم حتى لا يمكنهم الغدر ان
هموا به فقال حيان اريد أن أحمل أثقالي وآخذ أصحابي فقال له الحسن سر أنت فانا
باعث باثقالك وأصحابك فخرج حيان من فوره كما أمره وأتاه كتاب عبد الله بن طاهر
ان يعسكر بلور وهي من جبال ونداهرمز وهي أحصنها وكانت أموال مازيار بها فامر
عبد الله ان لا يمنع قارن مما يريد من الاموال والجبال فاحتمل قارن مما كان بها وبغيرها
من أموال مازيار وسرخاستان وانتقض على حيان ما كان عمله بسبب شرهه الى ذلك
الفرس وتوفي بعد ذلك حيان فوجه عبد الله مكانه عمه محمد بن الحسين بن مصعب
وسار الحسن بن الحسين الى خرماباذ فأتاه محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصقر
فشكرهما وكتب الى قوهيار فأتاه فاحسن اليه الحسن وأكرمه وأجابه الى جميع
ما طلب اليه منه لنفسه وتواعدوا يوما يحضر مازيار عنده ورجع قوهيار الى مازيار
فاعلمه انه قد أخذ له الامان واستوثق له وركب الحسن يوم الميعاد وقت الظهر ومعه
ثلاثة غلمان اتراك وأخذ ابراهيم بن مهران يدله على الطريق الى ارم فلما قاربها
خاف ابراهيم وقال هذا موضع لا يسلكه الا ألف فارس فصاح به امض قال فمضيت
وأنا طائش العقل حتى وافينا ارم فقال أين طريق هرمزاباذ قلت على هذا الجبل في
هذا الطريق فقال سر اليها فقلت الله الله في نفسك وفينا وفي هذا الخلق الذين معك
فصاح امض يا ابن اللخناء فقلت اضرب عنقي أحب الي من ان يقبلني مازيار ويلزمني
الامير عبد الله الذنب فانتهرني حتى ظننت انه يبطش بي فسرت وأنا خائف فاتينا هرمز
اباذ مع اصفرار الشمس فنزل فجلس ونحن صيام وكانت الخيل قد تقطعت لانه ركب
بغير علم الناس فعلوا بعد مسيره قال وصلينا المغرب وأقبل الليل واذا بفرسان بين
أيديهم الشمع مشتعلا مقبلين من طريق لبورة فقال الحسن أين طريق لبورة فقلت
أرى عليه فرسانا ونيرانا وأنا داهش لا أقف على حقيقة الامر حتى قربت النيران فنظرت
فاذا المازيار مع القوهيار فنزلا وتقدم مازيار فسلم على الحسن فلم يرد عليه السلام
وقال لرجلين من اصحابه خذاه اليكما فاخذاه فلما كان السحر وجه الحسن مازيار
معهما الى سارية وسار الحسن الى هرمزاباذ فاحرق قصر مازيار وانتهب ماله وسار الى
خرماباذ وأخذ أخوة مازيار فحبسوا هنالك ووكل بهم وسار الى مدينة سارية فاقام

الخانكاه ثم الى المط
(وفيه) حضر درويش
والى الصعيد ...
القاهرة جهة الشيخ
فمكث اياما ثم توجه
وصحبته نحو المائة نفر
ذهبت طائفة الى السو
والى دمياط والمنصورة وا...
في البلاد ودخلوا مصر
فشيأ
*(واستهل شهر
سنة ١٢١٤)*
(في سابعه) وقعت حادثة ...
عسكر الفرنساوية و...
وهي أول الحوادث التي ...
بينهم وهو ان جماعة من عسـ
العثمانية تشاجروا مع جماعة
من عسكر الفرنساوية فقتـ
بينهم شخص فرنساوي وحصـ
في الناس زعجة وكرشة واغـ
الحوانيت وعمل العسـ
متاريس وتترسوا بها
الجمالية وما والاها وا...
هنالك ووقع بينهم مقـ
قتل فيها اشخاص قليـ
الفريقين وكادت تكـ
فتنة وباتوا ليلتهم عازمين
على الحرب فتوسطت بينهم
كبراء العسكر في تمهيد ذا
وازالوا المتاريس وانكف
الفريقان وبحث مصطـ
باشا عمن اثار الفتنة و...
ستة انفار فقتلهم وارسلهم
الى سارى عسكر الفرنسا
فلم يطب خاطره بذلك وقال لابد من خروج حسين

يفعلوا وساروا به نحو عسكر المعتصم ولقيتهم خيل الحسن بن الحسين فضربوهم واخذوه منهم واتوا به الحسن فامر به فقتل وكان عند سرخاستان رجل من اهل العراق يقال له أبو شاس يقول الشعر وهو ملازم له ليتعلم منه اخلاق العرب فلما هجم عسكر العرب على سرخاستان انتهبوا جميع مال أبى شاس وخرج واخذ جرة فيها ماء واخذ قدحا وصاح الماء للسبيل وهرب فمر بعضرب كاتب الحسن فعرفه اصحابه فادخلوه اليه فاكرمه واحسن اليه وقال له قل شعرا تمدح به الامير فقال والله ما بقى فى صدرى شئ من كتاب الله من الخوف فكيف احسن الشعر ووجه الحسن برأس سرخاستان الى عبد الله بن طاهر وكان حيان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر قد أقبل مع الحسن كما ذكرنا وهو بناحية طميس وكاتب قارن بن شهريار وهو ابن أخى مازيار ورغبه فى المملكة وضمن له ان يملكه على جبال ابيه وجده وكان قارن من قواد مازيار وقد انفذه مازيار مع اخيه عبد الله بن قارن ومعه عدة من قواده فلما استماله حيان ضمن له قارن أن يسلم اليه الجبال ومدينة سارية الى حدود جرجان على هذا الشرط وكتب بذلك حيان الى عبد الله بن طاهر فاجابه الى كل ما سال وامر حيان ان لا يوغل حتى يستدل على صدق قارن لئلا يكون منه مكر وكتب حيان الى قارن باجابة عبد الله فدعا قارن بعمه عبد الله بن قارن وهو اخو مازيار ودعا جميع قواده الى طعامه فلما وضعوا سلاحهم واطمانوا احدق بهم اصحابه فى السلاح وكتفهم ووجه بهم الى حيان فلما صاروا اليه استوثق منهم وركب فى اصحابه حتى دخل جبال قارن وبلغ الخبر مازيار فاغتم لذلك فقال له القوهيار فى حبسك عشرون ألفا من بين حائك واسكاف وحداد وقد شغلت نفسك بهم وانما اتيت من مأمنك واهل بيتك فما تصنع بهؤلاء المحبسين عندك قال فاطلق مازيار جميع من فى حبسه ودعا جماعة من اعيان اصحابه وقال لهم ان بيوتكم فى السهل واخاف ان يؤخذ حرمكم واموالكم فانطلقوا وخذوا لانفسكم امانا ففعلوا ذلك ولما بلغ أهل سارية أخذ سرخاستان ودخول حيان جبل شروين وثبوا على عامل مازيار بسارية فهرب منهم وفتح الناس السجن واخرجوا من فيه واتى حيان الى مدينة سارية وبلغ قوهيار اخا مازيار الخبر فارسل الى حيان مع محمد بن موسى بن حفص يطلب الامان وان يملك على جبال أبيه وجده ليسلم اليه مازيار فحضر عند حيان ومعه أحمد بن الصقر وابلغاه الرسالة فاجاب الى ذلك فلما رجعا رأى حيان تحت أحمد فرسا حسنا فارسل اليه وأخذه منه فغضب أحمد من ذلك وقال هذا الحائك العبد يفعل بشيخ مثلى ما فعل ثم كتب الى قوهيار ويحك لم تغلط فى أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عم الامير عبد الله بن طاهر وتدخل فى امان هذا العبد الحائك وتدفع اليه أخاك وتضع قدرك وتحقد عليك الحسن بتركك اياه وبميلك الى عبد من عبيده فكتب اليه قوهيار انى قد غلطت فى اول الامر وواعدت الرجل ان اصير اليه بعد غد ولا آمن ان خالفته أن يناهضنى ويستبيح دمى ومنزلى وأموالى وان قاتلته فقتلت من أصحابه وجرت الدماء فسد كل ما عملناه ووقعت الشحناء فكتب

اليه

الغدو والرواح الى خيم ساداتهم وهم راكبون البغال والرهوانات والحمير الفارهة وفى حجورهم تعالى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالى الاطبخة والاطعمة وعليها الاغطية الحرير والوشى الملون وهم يتغنون برفع اصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع الى غير ذلك مما يحرك الحفائظ ويوغر الصدور ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك فى الثانى والعشرين من شهر رمضان أستاذن العلماء والتجار والاعيان المصرية مصطفى باشا فى التوجه للسلام فاستاذن ثم اذن لهم فذهبوا ايضا الى سارى عسكر كلهبر واستاذنوه فاذن لهم ايضا فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا الى نصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه فلما وصلوا اليه واستقر بهم الجلوس سال عن أسمائهم وكذلك عن التجار واكابر النصارى ثم خلع عليهم خلعا وانصرفوا من عنده فطافوا على اكابر الدولة بالعرضى وكذلك على الامراء المصرية ورجعوا الى مصر ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس

دري وارسل عبد الله بن طاهر جيشا كثيفا فوافوا قوهيار في اليوم الجبل فدخلوه
ودري يحارب الحسن ومازيار في قصره فلم يشعر مازيار الا والخيل على باب قصره
فاخذوه اسيرا وقيل ان مازيار كان يتصيد فاخذوه وقصدوا بنحو دري وهو يقاتل
فلم يشعر هو واصحابه الا وعسكر عبد الله من ورائهم ومعهم مازيار فانفض دري
وعسكره واتبعوه وقتلوه واخذوا راسه وحملوه الى عبد الله بن طاهر وحملوا اليه مازيار
فوعده عبد الله بن طاهر ان هو اظهره على كتب الافشين ان يسال فيه المعتصم ليصفح
عنه فاقر مازيار بذلك واظهر الكتب عند عبد الله بن طاهر فسيرها الى اسحق بن
ابراهيم وسير مازيار وامره ان لا يسلمها الا من يده الى يد المعتصم ففعل اسحق ذلك
فسال المعتصم مازيار عن الكتب فانكرها فضربه حتى مات وصلبه الى جانب بابك
وقيل ان مخالفة مازيار كانت سنة خمس وعشرين والاول اصح لان قتله كان في سنة
خمس وعشرين وقيل انه اعترف بالكتب على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عصيان منكجور قرابة الافشين)

لما فرغ الافشين من بابك وعاد الى سامرا استعمل على اذربيجان وكان في عمله
منكجور وهو من اقاربه فوجد في بعض قرى بابك مالا عظيما ولم يعلم به المعتصم ولا
الافشين فكتب صاحب البريد الى المعتصم وكتب منكجور يكذبه فتناظرا فهم
منكجور ليقتله فمنعه اهل اردبيل فقاتلهم منكجور وبلغ ذلك المعتصم فامر الافشين
بعزل منكجور فوجه قائدا في عسكر ضخم فلما بلغ منكجور الخبر خلع الطاعة وجمع
الصعاليك وخرج من اردبيل فواقعه القائد فهزمه وسار الى حصن من حصون
اذربيجان التي كان بابك خربها فبناه واصلحه وتحصن فيه فبقي به شهرا ثم وثب به
اصحابه فاسلموه الى ذلك القائد فقدم به الى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الافشين في امره
وكان قدومه سنة خمس وعشرين ومائتين وقيل ان ذلك القائد الذي انفذ الى منكجور
كان بغا الكبير وان منكجور خرج اليه بامان

(ذكر ولاية عبد الله الموصل وقتله)

في هذه السنة عصى باعمال الموصل انسان من مقدمي الاكراد اسمه جعفر بن فهرجس
وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم ممن يريد الفساد فاستعمل المعتصم عبد الله بن
السيد بن انس الازدي على الموصل وامره بقتال جعفر فسار عبد الله الى الموصل وكان
جعفر بماتعيس قد استولى عليها فتوجه عبد الله اليه وقاتله واخرجه من ماتعيس
فقصد جبل داسن وامتنع بموضع عال فيه لا يرام والطريق اليه ضيق فقصد عبد الله الى
هناك وتوغل في تلك المضايق حتى وصل اليه وقاتله فاستظهر جعفر ومن معه من
الاكراد على عبد الله لمعرفتهم بتلك المواضع وقوتهم على القتال بها رجالة فانهزم عبد
الله وقتل اكثر من معه وممن ظهر منهم انسان اسمه رباح حمل على الاكراد فخرق صفهم
وطعن فيهم وقتل وصار وراء ظهورهم وشغلهم عن اصحابه حتى نجى منهم من امكنه

وعرضي نصوح باشا
من العساكر العث
ناحية المطرية
خيامهم ووطاقهم
ان الفرنساوية
ايام المذكورة طر
عساكرهم وطواقهم
البلاد القبلية و
ونصبوا وطاقهم بساحل ا
متصلا باطراف مصر
من مصر القديمة الجي
وترددوا الى نواحي الق
وهي لم يكن بها احد
واجتهدوا في رد الجبخ
والذخيرة وآلات الحر
والبارود والجلل
والبنب على العربات
ونهارا والناس
من ذلك ومصطفى باشا
ومن معه يشاهدون ذلك
ولا يقولون شيئا والبع
يقول ان الوزير ارسل
وامرهم برد ذلك
ذلك من الخرافات التي
لا تروج على الفطن ٠
ان الفرنساوية ارسل اليه
بعض اصدقائهم من الانكليز
وعرفوهم ان الوزير اتفق
مع الانكليز على الا
بالفرنساوية اذا صاروا
البحر فلما حصل منهم ما
ماسبقت الاشارة اليه تحققوا
ذلك وارسلوا ليوسف باشا
بذلك فلم يجبهم
وعجل بالرحيل والقدوم الى ناحية مصر وقد كان الفرنساوية

بها وحبس مازيار ووصل محمد بن ابراهيم بن مصعب الى الحسن بن الحسين فساربه ليناظره فى معنى المال الذى لمازيار وأهله فكتب الى عبد الله بن طاهر فامر الحسن بتسليم مازيار واهله الى محمد بن ابراهيم ليسيربهم الى المعتصم وأمره أن يستقصى على أموالهم و يحرزها فاحضر مازيار وساله عن أمواله فذكر انها عند خزانه وضمن قوهيار ذلك وأشهد على نفسه وقال مازيار اشهدوا على ان جميع ما اخذت من أموالى ستة وتسعون الف دينار وسبع عشرة قطعة زمرد وست عشرة قطعة ياقوت وثمانية أجمال من ألوان الثياب وتاج وسيف مذهب مجوهر وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر وحق كبير مملوء جوهرا قيمته ثمانية عشر ألف الف درهم وقد سلمت ذلك الى خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وكان مازيار قد استخلف هذا ليوصله الى الحسن بن الحسين ليظهر للناس وا لمعتصم انه امنه على نفسه وماله و ولده وانه جعل له جبال ابيه فامتنع الحسن من قبوله وكان اعف الناس فلما كان الغد انفذ الحسن مازيار الى المعتصم مع يعقوب بن المنصور ثم امر الحسن قوهيار ان ياخذ بغاله ليحمل عليها مال مازيار فاخذها واراد الحسن ان ينفذ معه جيشا فقال لا حاجة لى بهم وسار هو وغلمانه فلما فتح الخزائن واخرج الاموال وعباها ليحملها وثب عليه مماليك المازيار وكانوا ديالمة وقالوا اغدرت بصاحبنا واسلمته الى العرب وجئت لتحمل امواله وكانوا الفا ومائتين فاخذوه وقيدوه فلما جنهم الليل قتلوه وانتهبوا الاموال والبغال فانتهى الخبر الى الحسن بن الحسين فوجه جيشا ووجه قارن جيشا فاخذ اصحاب قارن منهم عدة منهم ابن عم مازيار يقال له شهريار بن المضمغان وكان هو يحرضهم فوجهه قارن الى عبد الله بن طاهر فمات بقومس وعلم محمد بن ابراهيم خبرهم فارسل فى اثرهم فاخذوا وبعث بهم الى مدينة سارية وقيل ان السبب فى اخذ مازيار كان ابن عم له اسمه قوهيار كان له جبال طبرستان وكان لمازيار السهل وجبال طبرستان ثلاثة اجبل جبل وندا هرمز وجبل اخيه وندا سنجان والثالث جبل شروين بن سرخاب فقوى مازيار وبعث الى ابن عمه قوهيار وقيل هو اخوه فالزمه بابه وولى الجبل واليا من قبله يقال له درى فلما خالف مازيار واحتاج الى الرجال دعا قوهيار وقال له أنت اعرف بجبلك من غيرك واظهره على امر الافشين ومكاتبته وامره بالعود الى جبله وحفظه وامر الدرى بالمجىء اليه فاتاه فضم اليه العساكر ووجهه الى محاربة الحسن بن الحسين عم عبد الله بن طاهر وظن مازيار انه قد استوثق من الجبل بقوهيار وتوثق من المواضع المخوفة بدرى وعساكره واجتمعت العساكر عليه كما تقدم ذكره وقربت منه وكان مازيار فى مدينته فى نفر يسير فدعا قوهيار الحقد الذى فى قلبه على مازيار وما صنع به على ان كاتب الحسن بن الحسين واعلمه جميع ما فى عسكره ومكاتبة الافشين فانفذ الحسن كتاب قوهيار الى عبد الله بن طاهر فانفذه عبد الله الى المعتصم وكاتب عبد الله والحسن قوهيار وضمنا له جميع ما يريد وان يعيدا اليه جبله وما كان بيده لا ينازعه فيه احد فرضى بذلك ووعدهم يوما يسلم فيه الجبل فلما جاء الميعاد تقدم الحسن فحارب

الى عرضيهم حتى تنقضى الايام المشروطة واذا دخل منهم احد الى المدينة لا يدخلون الا بطريقة و بدون سلاح فعند ذلك امر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ولا يبقى منهم احد ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر فاذا اراد احد من العسكر او من اعيان العثمانية الدخول الى المدينة فعند وصوله اليهم ينزل عندهم و ينزع ما عليه من السلاح و يدخل وصحبته شخص او شخصان موكلان به يمشيان امامه حتى يقضى شغله و يرجع فاذا وصل الى الفرنساوية اللازمين خارج البلد اعطوه سلاحه فيلبسه و يمضى الى اصحابه فكان هذا شانهم (وفى منتصفه) توجه جماعة من اعيان الفرنساوية الى الاسكندرية بمتاعهم واثقالهم وفيهم دوجا قائمقام وديزه سارى عسكر الصعيد و بوسليك رئيس الكتاب ومدبر الحدود ونزل جماعة منهم الى البحر يريدون السفر الى بلادهم فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكستهم فارسلوا الى سارى عسكر مصر وعرفوه الحال فارسل بذلك الى الوزير فاجابه بجواب لم يرتضه واصبح زاحفا الى قطع الخانكاه وكان ذلك آخر ايام المهلة المتفق عليها فى دخول الوزير الى مصر وخروج الفرنساوية منها فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية

حوله سور ايحيط بكروم اهله ومزارعهم وفيها مات ابو عبيد القاسم بن سلام الامام اللغوى وكان عمره سبعا وستين سنة كانت وفاته بمكة (سلام بتشديد اللام)

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين)

(ذكر وصول مازيار الى سامرا)

فى هذه السنة كان وصول مازيار الى سامرا فخرج اسحق بن ابراهيم فاخذه من الدسكرة وأدخله سامرا على بغل باكاف لانه امتنع من ركوب الفيل فامر المعتصم ان يجمع بينه وبين الافشين وكان الافشين قد حبس قبل ذلك بيوم فاقر مازيار ان الافشين كان يكاتبه ويحسن له الخلاف والمعصية فامر برد الافشين الى محبسه وضرب مازيار بعمائة وخمسين سوطا وطلب ماء للشرب فسقى فمات من ساعته وقيل ماتقدم ذكره وقد تقدم من اعتراف مازيار بكتب الافشين فى غير موضع مايخالف هذا وسببه اختلاف الناقلين

(ذكر غضب المعتصم على الافشين وحبسه)

وفى هذه السنة غضب المعتصم على الافشين وحبسه وكان سبب ذلك ان الافشين كان أيام محاربته بابك لاتاتيه هدية من أهل أرمينية واذربيجان الاوجهها الى أشروسنة فيجتاز ذلك بعبدالله بن طاهر فيكتب عبدالله الى المعتصم يعرفه الخبر فكتب اليه المعتصم يامره باعلامه بجميع مايوجهه الافشين ففعل عبدالله ذلك فكان الافشين كلما اجتمع عنده مال يجعله على أوساط أصحابه فى الهمايين ويسيره الى أشروسنة فانفذ مرة مالا كثيرا فبلغ أصحابه الى نيسابور فوجه عبدالله بن طاهر ففتشهم فوجد المال فى أوساطهم فقال من أين لكم هذا المال فقالوا للافشين فقال كذبتم لو أراد أخى الافشين أن يرسل مثل هذه الهدايا والاموال لكتب يعلمنى ذلك الامر بتسييره وانما أنتم لصوص وأخذ عبدالله المال فاعطاه الجند وكتب الى الافشين يذكر له ماقال القوم وقال أنا أنكر ان تكون وجهت بمثل هذا المال ولم تعلمنى وقد أعطيته الجند عوض المال الذى يوجهه أمير المؤمنين فان كان المال لك كما زعموا فاذا جاء المال من عند أمير المؤمنين رددته عليك وان يكن غير هذا فامير المؤمنين احق بهذا المال وانما دفعته الى الجند لانى أريد أوجههم الى بلاد الترك فكتب اليه الافشين ان مالى ومال أمير المؤمنين واحد وساله اطلاق القوم فاطلقهم فكان ذلك سبب الوحشة بينهما وجعل عبدالله يتتبعه وكان الافشين يسمع من المعتصم مايدل على انه يريد عزل عبدالله عن خراسان فطمع فى ولايتها فكاتب مازيار يحسن له الخلاف ظنا منه انه اذا خالف عزل المعتصم عبدالله عن خراسان واستعمله عليها وامره بمحاربة مازيار فكان من امر مازيار ماتقدم وكان من عصيان منكجور ماذكرناه ايضا فتحقق المعتصم امر الافشين فتغير عليه واحس الافشين بذلك فلم يدر مايصنع فعزم على ان يهيئ اطوافا فى قصره ويحتال فى يوم شغل المعتصم وقواده ان ياخذ طريق الموصل

الى جهة العرضى بالخانكاه بعد أن نهبوا مافى عرضى ناصف باشا من المتاع والاغنام وسمروا المدافع وتركوها وساروا الى العرضى فلما قاربوه أ[...] الى الوزير يامرونه بالرحيل بعد أربع ساعات [...] الا الارتحال والفرنساوية [...] أثره وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون [...] والقرى والنواحى [...] المال ومقررات الفرض [...] الفقراء وأما أهل مصر لما سمعوا صوت المدافع [...] فيهم اللغط والقيل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال فهاجوا وزحفوا الى أطراف البلد وقتلوا أشخاصا من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ليذهبوا الى أصحابهم وذهبت شرذمة من عامة اهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ماوجدوه من نحاس وغيره حيث [...] عرضى الفرنساوية وتجمع السيد عمر افندى نقيب الاشراف والسيد أحمد المحروقى وانضم اليهم الاتراك خان الخليلى والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين اغا شنن اخو ايوب بك الصغير وتبعهم كثير من عامة اهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر وبايدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح وكذلك تحزب كثير من طوائف الـ[...]

والاوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالازقة وأطراف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب بكلمات

النجاة فتمكنا ثر الا كرادعليه فالقى نفسه من رأس الجبل على فرسه وكان تحته نهر فسقط الفرس فى الماء ونجا رباح وكان فيمن أسره جعفر رجلان أحدهما اسمه اسمعيل والآخر اسحق بن أنس وهو عم عبد الله بن السيد وكان اسحق صهر جعفر فقدمهما جعفر اليه فظن اسمعيل أن يقتله ولا يقتل اسحق للصهر الذى بينهما فقال يا اسحق أوصيك باولادى فقال له اسحق أتظن انك تقتل وأبقى بعدك ثم التفت الى جعفر فقال أسالك أن تقتلنى قبله لتطيب نفسه فبدأ به فقتله وقتل اسمعيل بعده فلما بلغ ذلك المعتصم أمر ايتاخ بالمسير الى جعفر وقتاله فتجهز وسار الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داسن وجعل طريقه على سوق الاحد فالتقاه جعفر فقاتله قتالا شديدا فقتل جعفر وتفرق أصحابه فانكشف شره واذاه عن الناس وقيل ان جعفرا شرب سما كان معه فمات واوقع ايتاخ بالاكراد فاكثر القتل فيهم واستباح اموالهم وحشر الاسرى والنساء والاموال الى تكريت وقيل ان ايقاع ايتاخ بجعفر كان سنة ست وعشرين والله اعلم

﴿ذكر غزاة المسلمين بالاندلس﴾

وفى هذه السنة سير عبد الرحمن عبد الله المعروف بابن البلنسى الى بلاد العدو فوصلوا الى البة والقلاع فخرج المشركون اليه فى جمعهم وكان بينهم حرب شديدة وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤس اكداسا حتى كان الفارس لايرى من يقابله وفيها خرج لذريق فى عسكره واراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى فى عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل فى عسكره وسار فرتون الى الحصن الذى كان بناه اهل البة بازاء ثغور المسلمين فحصره وافتتحه وهدمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تولى جعفر بن دينار اليمن وفيها تزوج الحسين بن الافشين اترجة ابنة اشناس ودخل بها فى قصر المعتصم فى جمادى الآخرة واحضر عرسها عامة اهل سامرا وكانوا يغلفون العامة بالغالية وهى فى تغار من فضة وفيها امتنع محمد بن عبد الله الورثانى بورثان ثم عاود الطاعة وقدم على المعتصم بامان سنة خمس وعشرين ومائتين وفيها مات ناطس الرومى وصلب بسامرا وفيها مات ابراهيم بن المهدى فى رمضان وصلى عليه المعتصم وحج بالناس محمد بن داود وفيها وقع بافريقية فتنة كان فيها حرب بين عيسى بن ربعان الازدى وبين لواتة وزواغة ومكناسة فكانت الحرب بين قفصة وقسطيلية فقتلهم عيسى عن آخرهم وفيها اجتمع اهل سجلماسة مع مدرار بن اليسع على تقديم ميمون بن مدرار فى الامارة على سجلماسة واخراج اخيه المعروف بابن تقية فلما استقر الامر لميمون اخرج اباه وامه الى بعض قرى سجلماسة وفيها فتح نوح بن اسد كاسان واورشت بما وراء النهر وكانتا قد نقضتا الصلح وافتتح ايضا اسبيجاب وبنى حوله

العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا احوالهم وعلموا اضعفهم عن مقاومتهم فلما حصل ماذكر تاهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا الاتهم الى القلاع فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك خرجوا بجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر وانتشروا فى تلك النواحى ولم يبق بداخل المدينة منهم الامن كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الالفى بالازبكية وبعض بيوت الازبكية وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل (وفى العشرين منه) طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزله أمين فلما حضرا اليهم أرسلوهما للجيزة فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال ركب سارى عسكر كلهبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم فلم يسعهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر فتركهم الفرنساوية وتوجهوا بالذاهبين من اخوانهم

يخرج من الاسلام ثم تقدم الموبذ فقال ان هذا اكل لحم المخنوقة ويحملني على أكلها ويزعم انها أرطب من المذبوحة وقال لي يوما قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شئ أكرهه حتى أكلت الزيت وركبت الجمل والبغل غير أني الى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة يعني لم آخذ شعر العانة ولم اختتن فقال الافشين أخبروني عن هذا أثقة هو في دينه وكان مجوسيا واسلم أيام المتوكل فقالوا لا فقال فما معنى قبول شهادته ثم قال للموبذ أليس كنت أدخلك على وأطلعك على سري قال بلى قال لست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك اذا أفشيت سرا أسررته اليك ثم تقدم المرزبان فقال كيف يكتب اليك أهل بلدك قال لا أقول قال أليس يكتبون بكذا بالاشروسنية قال بلى قال أليس تفسيره بالعربية الى اله الآلهة من عبده فلان بن فلان قال بلى قال محمد ابن عبد الملك الزيات المسلمون لا يحتملون هذا فما أبقيت لفرعون قال هذه كانت عادتهم لابي وجدي ولي قبل ان ادخل في الاسلام فكرهت ان اضع نفسي دونهم فتفسد علي طاعتهم ثم تقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا قالوا للمازيار هل كتب اليك قال نعم كتب أخوه الى أخي قوهيار انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك فاما بابك فانه لحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن اصرف عنه الموت فأبى لحمقه الا أن اوقعه فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك والعربي بمنزلة الكلب أطرح له كسرة وأضرب رأسه والمغاربة أكلة رأس والاتراك انما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعي ان أخي كتب الى أخيه لا يجب علي ولو كتبت هذا الكتاب اليه لاستميله الي ويثق بي ثم آخذه بقفاه واحظى به عند الخليفة كما حظي عبد الله بن طاهر فزجره ابن ابي دواد فقال الافشين يا ابا عبد الله انت ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال له ابن ابي داود امطهر انت قال لا قال فما منعك من ذلك وبه تمام الاسلام والطهور من النجاسة فقال او ليس في الاسلام استعمال التقية قال بلى قال خفت ان اقطع ذلك العضو من جسدي فامرت فقال انت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك ان يكون في الحرب وتجزع من قطع قلفة قال تلك ضرورة تصيبني فاصبر عليها وهذا شئ استجلبه فقال ابن ابي دواد قد بان لكم امره فقال لبغا الكبير عليك به فضرب بيده على منطقته فجذبها واخذ بمجامع القباء عند عنقه ورده الى محبسه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غضب المعتصم على جعفر بن دينار لاجل وثوبه على من كان معه من الاصحاب وحبسه عند اشناس خمسة عشر يوما ثم رضي عنه وعزله عن اليمن واستعمل عليها ايتاخ وفيها عزل الافشين عن الحرس وولاه اسحق بن يحيى بن معاذ وفيها سار

يلبسون الدوزو يقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمـ المجاورين لهم فتحزبت النصا واحترسوا وجمع كل منهم ماقدر عليه من العسكر الفرنساوي والاروام وقد كانوا اقبل ذلك محترسين وعندهم الاسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الامر فوقع الحرب بين الفر وصارت النصارى تقا وترمي بالبندق والقرابين من طبقات الدور على المجتمعين بالازقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم والآخرون يرمـ من أسفل ويكبسون الد ويتسورون عليها وبات نصـ باشا وكتخدا الدولة وابراه بك وبعض من صناجق مصـ والكشاف والاتباع وطوائف من العساكر بخط الجمالية بوكالة ذي الفقار فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطر وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفالت فعالجوها حتى فتحوها ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الامراء المصرية على أقدامهم وجروا امامهم الثلاثة مدافع وسحبوها الى الازبكـ وضربوا منها على بيت الا وكان به أشخاص مرابطون عساكر الفرنساوية فضربـ ايضا بالمدافع والبندق واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر في هذا اليوم وضج اهل مصر والعسـ

ويعبر الزاب على تلك الاطواف ويصير الى ارمينية وكانت ولاية ارمينية اليه ثم يصير
الى بلاد الخزر ثم يدور في بلاد الترك ويرجع الى اشروسنة او يستميل الخزر على
المسلمين فلم يمكنه ذلك فعزم على ان يعمل طعاما كثيرا ويدعوا المعتصم والقواد ويعمل
فيه سما فان لم يجئ المعتصم عمل ذلك بالقواد مثل اشناس وايتاخ وغيرهما يوم تشاغل
المعتصم فاذا خرجوا من عنده سار في اول الليل فكان في تهيئة ذلك وكان قواده
ينوبون في دار المعتصم كما يفعل القواد وكان اواجن الاشروسني قد جرى بينه وبين
من قد اطلع على امر الافشين حديث فقال اواجن لا يتم هذا الامر فذهب ذلك الرجل
الى الافشين فاعلمه فتهدد اواجن فسمعه بعض من يميل الى اواجن من خدم الافشين
فاتاه ذلك الخادم فاعلمه الحال بعد عوده من النوبة فخاف على نفسه فخرج الى دار
المعتصم فقال لايتاخ ان لامير المؤمنين عندي نصيحة قال قد نام امير المؤمنين فقال
اواجن لا يمكنني ان اصبر الى غد فدق ايتاخ الباب على بعض من يخبر المعتصم بذلك
فقال المعتصم قل له ينصرف الليلة الى غد فقال ان انصرفت ذهبت نفسي فارسل
المعتصم الى ايتاخ بيته عندك الليلة فبيته عنده فلما اصبح الصباح بكر به على باب
المعتصم فاخبره بجميع ما كان عنده فامر المعتصم باحضار الافشين فجاء في سواده فامر
باخذ سواده وحبسه في الجوسق وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر في الاحتيال
على الحسين بن الافشين وكان الحسين قد كثرت كتبه الى عبد الله يشكو من نوح بن
الاسد الامير بما وراء النهر وتحامله على ضياعه وناحيته فكتب عبد الله الى نوح يعلمه
ما كتب به المعتصم في امر الحسين ويامره ان يجمع اصحابه ويتاهب فاذا قدم عليه
الحسين بكتاب ولايته اخذه واستوثق منه وحمله اليه وكتب عبد الله الى الحسين
يعلمه انه قد عزل نوحا وانه قد ولاه ناحيته ووجه اليه بكتاب عزل نوح وولايته فخرج
ابن الافشين في قلة من أصحابه وسلاحه حتى ورد على نوح وهو يظن انه والى الناحية
فاخذه نوح وقيده ووجهه الى عبد الله بن طاهر فوجه به عبد الله الى المعتصم فامر
المعتصم باحضار الافشين ليقابل على ما قيل عنه فاحضر عند محمد بن عبد الملك الزيات
وزير المعتصم وعنده ابن أبي داود واسحق بن ابراهيم وغيرهما من الاعيان وكان
المناظر له ابن الزيات فامر باحضار مازيار والموبذ والمرزبان بن بركش وهو أحد ملوك
السغد ورجلين من أهل السغد فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين وعليهما ثياب رثة فقال
لهما ما شانكما فكشفا عن ظهورهما وهي عارية من اللحم فقال للافشين أتعرف
هؤلاء قال نعم هذا مؤذن وهذا امام بنيا مسجدا باشروسنة فضربت كل واحد منهما
الف سوط وذلك ان بيني وبين ملك السغد عهدا وشرطا أن أترك كل قوم على دينهم
فوثب هذان على بيت كان فيه أصنام أهل اشروسنة فاخرجا الاصنام وجعلاه
مسجدا فضربتهما على هذا فقال ابن الزيات ما كتاب عندك قد حليته بالذهب والجوهر
فيه الكفر بالله تعالى قال كتاب ورثته عن أبي فيه من آداب العجم وكفر فكنت آخذ
الآداب واترك الكفر ووجدته محلى فلم أحتج الى أخذ الحلية منه وما ظننت ان هذا

يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج البلدة على
تلك الصورة فلما تضحى النهار
حضر بعض الاجناد المصريين
ودخلوا مصر وفيهم المجاريح
وطفق الناس يسالونهم فلم
يخبروهم بشيء لجهلهم أيضا
حقيقة الحال ثم لم يزل الحال
كذلك الى أن دخل وقت
العصر فوصل جمع عظيم من
العامة ممن كان خارج البلدة
ولهم صياح وجلبة على الشرح
المتقدم وخلفهم ابراهيم بك
ثم أخرى وخلفهم سليم أغا ثم
أخرى كذلك وخلفهم عثمان
كتخدا الدولة ثم نصوح باشا
ومعه عدة وافرة من عساكرهم
وصحبتهم السيد عمر النقيب
والسيد أحمد المحروقي وحسن
بك الجداوي وعثمان بك
المرادي وعثمان بك الاشقر
وعثمان بك الشرقاوي وعثمان
أغا الخازندار وابراهيم كتخدا
مراد بك المعروف بالسناري
وصحبتهم مماليكهم واتباعهم
قد دخلوا من باب النصر وباب
الفتوح ومروا على الجمالية
حتى وصلوا الى وكالة ذي
الفقار فقال نصوح باشا عند
ذلك للعامة اقتلوا النصارى
وجاهدوا فيهم فعندما سمعوا
منه ذلك القول صاحوا
وهاجوا ورفعوا أصواتهم
ومروا مسرعين يقتلون من
يصادفونه من نصارى القبط
والشوام وغيرهم فذهبت
طائفة الى حارات النصارى وبيوتهم التي بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكي فصاروا

يخرج

من يريد الخروج وعضدة طائفة عساكر الينكجرية وعمدوا الى خيول الامراء فحبسوها ببيت القاضي والوكائل واغلقوا ابواب النصر وبات في تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت وبعض الاعيان في بيوت اصحابهم بالجمالية وفي ازقة الحارات ايضا وكان متهيئ للخروج فلما حصل ذلك واصبح يوم السبت فتح كبراء العساكر والعساكر ومعظم اهل مصر ما عدا الضعيف الذي لاقوة له للحرب وذهب المعظم الى جهة الازبكية وسكن الكثير في البيوت الخالية والبعض خلف المتاريس واخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة في بعض بيوت الامراء واحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضائع من حديد واحجار استعملوها عوضا عن الجليل للدافع وصاروا يضربون بها بيت ساري عسكر بالازبكية واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار بالجمالية وكان كل من قبض على نصراني او يهود او فرنساوي اخذه وذهب به الى الجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ عليه البقشيش فيحبس البعض حتى يظهر

(ذكر وفاة الاغلب وولاية ابي العباس محمد بن الاغلب افريقية وما كان منه)

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الاغلب بن ابراهيم يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر وسبعة أيام ولما توفي ولي أبو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب بلاد افريقية بعد وفاة والده ودانت له افريقية وابتنى مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية في سنة تسع وثلاثين ومائتين فاحرقها افلح بن عبد الوهاب الاباضي وكتب الى الاموي صاحب الاندلس يعلمه ذلك فبعث اليه الاموي مائة ألف درهم جزاء له على فعله وتوفي محمد بن الاغلب يوم الاثنين غرة المحرم من سنة اثنتين واربعين ومائتين وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وعشرة أيام

(ذكر ولاية ابنه ابي ابراهيم احمد)

لما توفي أبو العباس محمد بن الاغلب ولي الامر بعده ابنه أبو ابراهيم أحمد واحسن السيرة مع الرعية وأكثر العطاء للجند وبنى بارض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وابواب الحديد واشترى العبيد ولم يكن في ايامه ثائر يزعجه ثم توفي رحمه الله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة سنة تسع واربعين ومائتين وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر واثني عشر يوما وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة

(ذكر ولاية اخيه ابي محمد زيادة الله)

ولما توفي احمد ولي اخوه زيادة الله وجرى على سنن سلفه ولم تطل ايامه فتوفي يوم السبت لاحدى عشرة بقيت من ذي القعدة سنة خمسين ومائتين وكانت ولايته سنة واحدة وستة أيام

(ذكر ولاية محمد بن أحمد بن الاغلب)

ولما توفي زيادة الله ولي بعده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الاغلب وجرى على سنن اسلافه وكان اديبا عاقلا حسن السيرة غير أن جزيرة صقلية تغلب الروم على مواضع منها وبني أيضا حصونا ومحارس على ساحل البحر بالمغرب أرض تعرف بالارض الكبيرة بينها وبين برقة مسيرة خمسة عشر يوما وبها مدينة على ساحل البحر تدعى بارة وكان أهلها نصارى ليسوا بروم فغزاها حياة مولى الاغلب فلم يقدر عليها ثم غزاها خلفون البربري ويقال انه مولى لربيعة ففتحها في خلافة المتوكل وقام بعده رجل يسمى المفرج بن سالم ففتح أربعة وعشرين حصنا واستولى عليها فكتب الى والي مصر يعلمه خبره وانه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة الا بان يعقد له الامام على ناحيته ويوليه اياها ليخرج من حد المتغلبين وبنى مسجدا جامعا ثم ان اصحابه شغبوا عليه ثم قتلوه ثم توفي ابو عبد الله محمد رحمه الله سنة احدى وستين ومائتين وانما ذكرنا ولاية هؤلاء متتابعة لقلة ما لكل واحد منهم

متاريس بالاطراف كلها و بجهة الازبكية وشرعوا فى بناء بعض جهات السور واجتهدوا فى تحصين البلد

عبد الرحمن صاحب الاندلس فى جيش كثير الى بلاد المشركين فى شعبان فدخل بلاد جليقية فافتتح منها عدة حصون وجال فى أرضهم يخرب و يغنم و يقتل و يسبى وأطال المقام فى هذه الغزاة ثم عاد الى قرطبة وحج بالناس فى هذه السنة محمد بن داود وفيها توفى أبو دلف العجلى واسمه القاسم بن عيسى وأبو عمر والجرمى النحوى واسمه صالح بن اسحق وكان من الصالحين وفيها توفى أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله المدائنى وله ثلاث و تسعون سنة وله كتب فى المغازى وأيام العرب وكان بصريا فاقام بالمدائن فنسب اليها

(ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين)

فيها وثب على بن اسحق بن يحيى بن معاذ وكان على المعونة بدمشق من قبل صول على ارتكين بن رجاء وكان على الخراج فقتله واظهر الوسواس ثم تكلم فيه احمد بن أبى داود فاطلق من حبسه وفيها مات محمد بن عبد الله بن طاهر فصلى عليه المعتصم

(ذكر موت الافشين)

وفيها مات الافشين وكان قد أنفذ الى المعتصم يطلب ان ينفذ اليه من يثق به وانفذ اليه حمدون بن اسمعيل فاخذ يعتذر مما قيل فيه وقال قل لامير المؤمنين انما مثلى ومثلك كرجل ربى عجلا حتى اسمنه وكبر وكان له اصحاب يشتهون ان يأكلوا من لحمه فعرضوا بذبحه فلم يجبهم فاتفقوا جميعا على ان قالوا لم تربى هذا الاسد فانه اذا كبر رجع الى جنسه فقال لهم انما هو عجل فقالوا هذا اسد فسل من شئت وتقدموا الى جميع من يعرفونه وقالوا لهم ان سالكم عن العجل فقولوا له انه اسد وكلما سال انسانا قال هو سبع فامر بالعجل فذبح وانى انا ذلك العجل كيف اقدر ان اكون اسدا الله الله فى امرى قال حمدون فقمت عنه و بين يديه طبق فيه فاكهة قد ارسل به المعتصم مع ابنه الواثق وهو على حاله فلم البث الا قليلا حتى قيل انه يموت او قد مات فحمل الى دار ايتاخ فمات بها واخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس ثم ألقى وأحرق بالنار وكان موته فى شعبان قال حمدون وسالته هل هو مطهر ام لا فقال الى مثل هذا الموضع انما قال لى هذا والناس مجتمعون ليفضحنى ان قلت نعم قال تكشف والموت كان أحب الى من ان أتكشف بين يدى الناس ولكن ان شئت اتكشف بين يديك حتى ترانى فقلت له انت صادق فلما انصرف حمدون و بلغ المعتصم ورسالته امر بقطع الطعام والشراب عنه الا القليل حتى مات وقال ولما اخذ ماله راى فى داره بيت تمثال انسان من خشب عليه حلية كثيرة وجوهر وفى أذنيه حجران مشبكان عليهما ذهب فاخذ بعض من كان مع سليمان احد الحجرين وظنه جوهرا وكان ذلك ليلا فلما اصبح نزع عنه الذهب ووجده شيئا شبيها بالصدف يسمى الحبرون ووجدوا اصناما وغير ذلك والاطواف الخشب التى كان أعدها ووجدوا له كتابا من كتب المجوس وكتبا غيره فيها ديانته .

*(ذكر

بقدر الطاقة وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس فلما اظلم الليل اطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع والوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجتمعا بها فلما عاين ذلك الجميع اجمع راى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الاقوات والقلاع بيد الفرنساوية ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة اهلها وربما طال الحال فلا يجدون الاقوات لان غالب قوت اهلها يجلب من قراها فى كل يوم وربما امتنع وصول ذلك اذا تجسمت الفتنة فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج وغصت خطة الجمالية وما والاها من الاخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا وازدحمت تلك النواحى بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالاثقال وباتوا على تلك الصورة ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف مالا يوصف وتسامع اهل خان الخليلى من الالداشات و بعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك

(ذ كر وفاة المعتصم)

وفى هذه السنة توفى المعتصم أبو اسحق محمد بن هرون الرشيد بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس يوم الخميس لثمان عشرة مضت من ربيع الاول وكان بدو علته انه احتجم أول يوم فى المحرم واعتل عندها قال زنام الزامر افاق المعتصم فى علته التى مات فيها فركب فى الزلال فى دجلة وأنا معه فمر بازاء منازله فقال يازنام ازمر لى

يامنزلا لم تبل اطلاله * حاشى لاطلالك ان تبلى
لم أبك أطلالك لكننى * بكيت عيشى فيك اذولى
والعيش أولى مابكاه الفتى * لابد للمحزون أن يسلى

قال فمازلت ازمره هذا الصوت وأكرره وقد تناول منديلا بين يديه فمازال يبكى فيه وينتحب حتى رجع الى منزله ولما احتضر المعتصم جعل يقول ذهبت الحيل ليست حيلة حتى اصمت ثم مات ودفن بسامرا وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر ويومين وكان مولده سنة تسع وسبعين ومائة وقيل سنة ثمانين ومائة فى الشهر الثامن وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وملك ثمان سنين وثمانية اشهر فعلى القول الاول يكون عمره سبعا واربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وعلى القول الثانى تكون عمره سبعا واربعين سنة وسبعة اشهر وكان ابيض اصهب اللحية طويلها مربوعا مشرب اللون حمرة حسن العينين وكان مولده بالخلد فقال وقال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

قد قلت اذغيبوك واصطفقت * عليك ايد بالترب والطين
اذهب فنعم الحفيظ كنت على الد نيا ونعم المعين للدين
لايجبر الله أمة فقدت * مثلك الابمثل هرون

وكانت أمه ماردة من مولدات الكوفة وكانت أمها صغدية وكان أبوها نشا بالبندنيجين

(ذ كر بعض سيرته)

ذكر عن أحمد بن ابى داود انه ذكر المعتصم فاسهب فى ذكره واكثر فى وصفه وذكر من طيب اعراقه وسعة اخلاقه وكريم عشرته قال وقال يوما ونحن بعمورية ماتقول فى البسر يا أباعبد الله فقلت يا أمير المؤمنين نحن ببلاد الروم والبسر بالعراق فقال قد جاؤا منه بشئ من بغداد وعلمت انك تشتهيه ثم أحضره فمد يده فأخذ العذق فارغا قال وكنت أزامله كثيرا فى سفره ذلك ذكر باقى الخبر قال وأخذت لاهل الشاش منه ألفى ألف درهم لعمل نهر كان لهم اندفن فى صدر الاسلام فاضر بهم وقال غيره انه كان لايبالى اذا غضب من قتل ومافعل ولم يكن له لذة فى تزيين البناء ولم يكن بالنفقة اسمح منه بها فى الحروب قال أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قدم الزبير بن بكار العراق هاربا من العلويين

من اهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية اذا جاء صارخ من جهة من الجهات امدوه بطائفة من هؤلاء وصار جميع اهل مصر امابالازقة ليلا ونهارا وهو من لايمكنه القتال واما بالاطراف وراء المتاريس وهو من عنده اقدام وتمكن من الحرب ولم يتم احد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف ونصف باشه وابراهيم بك وجماعتهم وعسكر من الينكجرية والارنؤد والدلاة وغيرهم جهة الازبكية ناحية باب الهواء والرحبة الواسعة التى عند جامع ازبك والعتبة الزرقا وانشاءهم ان كتخدا معملا للبارود وبيت قائدا غا بخط الخرنفش واحضر القنقجية والعربجية والحدادين والسباكين لانشاء مدافع وبنبات واصلاح المدافع التى وجدوها فى بعض البيوت وعمل العجل والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات الجزئية واحضروا لهم مايحتاجون اليه من الاخشاب وفروع الاشجار والحديد وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وارباب الصنائع الذين يعرفون ذلك فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى والخان الذى بجانبه والرحبة التى عند بيت القاضى من جهة المشهد الحسينى واهتم لذلك اهتماما زائدا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زلزلت الاهواز زلزلة شديدة خمسة ايام وكان مع الزلزلة ريح شديدة فخرج الناس عن منازلهم وخرب كثير منها وفيها حج بالناس محمد بن داود وامره اشناس بذلك وكان اشناس حاجا وقد جعل اليه ولاية كل بلد يدخله وخطب له على منابر مكة والمدينة وغيرهما من البلاد التي اجتاز بها بالامرة الى ان عاد الى سامرا وفيها توفي ابو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن العلاف البصري شيخ المعتزلة في زمانه وزاد عمره على مائة سنة وله مسائل في الاصول قبيحة تفرد بها و يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي النيسابوري ابو زكريا توفي في صفر بنيسابور وسليمان بن حرب الواشحي القاضي وابو الهيثم الرازي النحوي وكان عالما بنحو الكوفيين

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين)

(ذكر خروج المبرقع)

في هذه السنة خرج ابو حرب المبرقع اليماني بفلسطين وخالف على المعتصم وكان سبب خروجه ان بعض الجند اراد النزول في داره وهو غائب فمنعه بعض نسائه فضربها الجندي بسوط فاصاب ذراعها فاثر فيها فلما رجع الى منزله شكت اليه ما فعل بها الجندي فاخذ سيفه وسار نحوه فقتله ثم هرب والبس وجهه برقعا وقصد بعض جبال الاردن فاقام به وكان يظهر بالنهار متبرقعا فاذا جاءه احد ذكره وامره بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر و يذكر الخليفة وما ياتي و يعيبه فاستجاب له قوم من فلاحي تلك الناحية وكان يزعم انه اموي فقال اصحابه هذا السفياني فلما كثر اتباعه من هذه الصفة دعا اهل البيوتات فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية منهم رجل يقال له ابن بيهس كان مطاعا في اهل اليمن ورجلان من اهل دمشق واتصل الخبر بالمعتصم في مرضه الذي مات فيه فسير اليه رجاء بن ايوب الحضاري في زهاء الف رجل من الجند فرآه في عالم كثير يبلغون مائة ألف فكره رجاء مواقعته وعسكر في مقابلته حتى كان أوان الزراعة وعمل الارض فانصرف من كان مع المبرقع الى عملهم و بقي في زهاء ألف وألفين وتوفي المعتصم وولي الواثق وثارت الفتنة بدمشق على ما نذكره فامر الواثق رجاء بقتال من أراد الفتنة والعود الى المبرقع ففعل ذلك وعاد الى المبرقع فناجزه رجاء فالتقى العسكران فقال رجاء لاصحابه ما أرى في عسكره رجلا له شجاعة غيره وانه سيظهر لاصحابه ما عنده فاذا حمل عليكم فافرجوا له فما لبث ان حمل المبرقع فافرج له أصحاب رجاء حتى جاوزهم ثم رجع فافرجوا له حتى أتى أصحابه ثم حمل مرة أخرى فلما أراد الرجوع أحاطوا به وأخذوه أسيرا وقيل كان خروجه سنة ست وعشرين ومائتين وانه خرج بنواحي الرملة وصار في خمسين ألفا فوجه اليه المعتصم رجاء الحضاري فقاتله وأخذ ابن بيهس أسيرا وقتل من أصحاب المبرقع نحوا من عشرين ألفا وأسر المبرقع وحمله الى سامرا

(ذكر

وربما قتل العامة من قتلوه امره ويقتل البعض ظلما واتوا براسه لاجل البقشيش وكذلك كل من قطع راسا من رؤس الفرنساوية يذهب بها الى نصوح باشا بالازبكية واما العثمان كتخدا بالجمالية ويأخذوا في مقابلة ذلك الدراهم وبعد ايام اغلقوا باب القرافة وباب البرقية و باقي الابواب التي في اطراف البلد و زاد الناس في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس وجلس عثمان بك الاشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ وعثمان بك طبل عند متاريس الحجر ومحمد بك المبدول عند الشيخ ريحان ومحمد كاشف ايوب وجماعة ايوب بك الكبير والصغير عند الناصرية ومصطفى بك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف المحمودي عند سوق السلاح واولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طائفة من الينكجرية وباب الحديد وباب القرافة وجماعة خان الخليلي والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب وبالجملة كل من كان في حارة من اطراف البلد انضم الى العسكر الذي بجهته بحيث صار جميع اهل مصر والعساكر كلها واقفة باطراف البلد عند الابواب والمتاريس والاسوار وبعض عساكر من

ملكها اثنتي عشرة سنة وملكت بعده امرأته تدورة وابنها ميخائيل بن توفيل صبي وحج بالناس جعفر بن المعتصم وحجت معه أم الواثق فماتت بالحيرة في ذي الحجة ودفنت بالكوفة

(ذكر الفتنة بدمشق)

لما مات المعتصم ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وافسدوا وحصروا اميرهم فبعث الواثق اليهم رجاء بن أيوب الحضاري وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل رجاء بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فواعدهم الحرب بدومة يوم الاثنين فلما كان يوم الاحد وقد تفرقت سار رجاء اليهم فوافاهم وقد سار بعضهم الى دومة وبعضهم في حوائجه فقاتلهم فهزمهم وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة وقتل من اصحابه نحو ثلثمائة وهرب مقدمهم ابن بيهس وصلح أمر دمشق وسار رجاء الى فلسطين الى قتال ابي حرب المبرقع الخارج بها فقاتله فانهزم المبرقع واخذ اسيرا على ما ذكرناه

(ذكر عدة حوادث)

وفيها توفي بشر بن الحرث الزاهد المعروف بالحافي في ربيع الاول وعبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي المعروف بابن عائشة البصري وانما قيل له ابن عائشة لانه من ولد عائشة بنت طلحة وتوفي ابوه عبيد الله بعده لسنة واسمعيل بن ابي اويس ومولده سنة تسع وثلاثين ومائة واحمد بن عبد الله بن يونس وابو الوليد الطيالسي والهيثم بن خارجة وفيها سير عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى أرض العدو فلما كانوا بين اربونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بالعسكر وقاتلوهم الليل كله فلما اصبحوا انزل الله تعالى نصره على المسلمين وهزم عدوهم وابلى موسى بن موسى في هذه الغزوة بلاء عظيما وكان على مقدمة العسكر وجرى بينه وبين جرير بن موفق وهو من اكابر الدولة ايضا شر فكان سببا لخروج موسى عن طاعة عبد الرحمن وفيها توفي اذفونش ملك الروم بالاندلس وكانت امارته اثنتين وستين سنة وفيها توفي محمد بن عبد الله بن حسان اليحصبي الفقيه المالكي وهو من اهل افريقية (شرطانية بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة وبعدها نون ثم ياء تحتانية ثم هاء)

تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع أوله
(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين)



عنه فكان يتجسس على البيوت التي بها الفرنسيس والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسبون النساء ويسلبون ما عليهن من الحلي والثياب ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب وتتبع الناس عورات بعضهم البعض وما دعتهم اليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم واتهم الشيخ خليل البكري بانه يوالي الفرنسيس ويرسل اليهم الاطعمة فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض اوباش العامة ونهبوا داره وسحبوه مع اولاده وحريمه واحضروه الى الجمالية وهو ماش على اقدامه ورأسه مكشوفة وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما

لانه كان ينال منهم فتهدده فهرب منهم وقدم على عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير وشكا اليه حاله وخوفه من العلويين وساله انهاء حاله الى المعتصم فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه قال أحدث كذلك الى وسالنى مخاطبة عمه فى أمره فقلت له فى ذلك وأنكرت عليه اعراضه عنه فقال لى ان الزبيرى فيه جهل وتسرع فاشر عليه ان يستعطف العلويين و يزيل ما فى نفوسهم منه أما رأيت المامون ورفقه بهم وعفوه عنهم وميله اليهم قلت بلى فهذا أمير المؤمنين والله على مثل ذلك أو فوقه ولا أقدر اذ كرهم عنده بقبيح فقل له ذلك حتى يرجع عن الذى هو عليه من ذمهم قال اسحق بن ابراهيم المصعبى دعانى المعتصم يوما فدخلت عليه فقال أحببت ان اضرب معك بالصوالجة فلعبنا بها ساعة ثم نزل وأخذ بيدى يمشى الى ان صار الى حجرة الحمام فقال خذ ثيابى فاخذتها ثم أمرنى بنزع ثيابى ففعلت ودخلت وليس معنا غلام فقمت اليه فخدمته ودلكته وتولى المعتصم منى مثل ذلك فاستعفيته فأبى على ثم خرجنا ومشى وأنا معه حتى صار الى مجلسه فنام وأمرنى فنمت حذاءه بعد الامتناع ثم قال لى يا اسحق ان فى قلبى أمرا أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة وانما بسطتك فى هذا الوقت لافشيه اليك فقلت قل يا أمير المؤمنين فانما أنا عبدك وابن عبدك قال نظرت الى أخى المامون وقد اصطنع أربعة فافلحوا واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم قلت ومن الذين اصطنعهم المامون قال طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت وابنه عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذى لم ير مثله وأنت فانت والله الرجل الذى لا يتعاصى السلطان عنك ابدا وأخوك محمد بن ابراهيم وابن مثل محمد وأنا اصطنعت الافشين فقد رأيت الى ما صار أمره واشناس ففشل وايتاخ فلا شئ ووصيف فلا معنى فيه فقلت أجيب على امان من غضبك قال نعم قلت له يا أمير المؤمنين نظر أخوك الى الاصول فاستعملها فانجبت واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب اذ لا أصول لها فقال يا اسحق لمقاساة ما مر بى طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب وقال ابن أبى داود تصدق المعتصم ووهب على يدى مائة ألف ألف درهم وحكى ان المعتصم قد انقطع عن اصحابه فى يوم مطر فبينما هو يسير وحده اذ رأى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد زلق الحمار وسقط والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيعينه على حمله فساله المعتصم عن حاله فاخبره فنزل عن دابته ليخلص الحمار عن الوحل و يرفع عليه حمله فقال له الشيخ بابى انت وأمى لا تبلل ثيابك وطيبك فقال لا عليك ثم انه خلص الحمار و جعل الشوك عليه وغسل يده ثم ركب فقال الشيخ غفر الله لك يا شاب ثم لحقه اصحابه فامر له باربعة آلاف درهم ووكل به من يسير معه الى بيته

(ذكر خلافة الواثق بالله)

وفيها بويع الواثق بالله هرون بن المعتصم فى اليوم الذى توفى فيه ابوه وذلك يوم الخميس لثمانى عشرة مضت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يكنى أبا جعفر وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس وفيها هلك توفيل ملك الروم وكان

وانفق اموالا جمة وارسلوا فاحضروا باقى المدافع الكائنة بالمطرية فكانوا كلما ادخلوا مدفعا ادخلوه بجمع عظيم من الاوباش والحرافيش والاطفال ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات مثل قولهم الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك وحضر محمد بك الالفى فى ثانى يوم وترس بناحية السويقة التى عند درب عبد الحق وعطفة البيدق وصحبته طوائفه ومماليكه واشخاص من العثمانية وبذل الهمة وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وكذلك كشافه وخصوصا اسمعيل كاشف المعروف بابى قطية فانه لم يزل يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بك الذى اصله بيت حسن بك الازبكاوى وبيت احمد اغا شويكار وترس فيهما وحسن بك الجداوى ترس بناحية الزويعى وربما فارق متراسه فى بعض الليالى لنصرة جهة اخرى وحضر ايضا رجل مغربى يقال انه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقا والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلانى الذى تقدم ذكره وفعل ذلك الرجل المغربى امورا تنكر عليه لان غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون صدوره

ملكه



